

الرواية العربية في الجزائر مع التركيز الخاص على روايات الطاهر وطار
(دراسة تحليلية)

Al-Riwaya Al- Arabia Fi Al- Jazāir Ma'a Al-Tarkiz Al- Khas A'la Riwayate Al-Taher Wattar

(Dirasah Tahliliyah)

**Arabic Novel in Algeria with special focus
on Al-Taher Wattar's Novels**

(An Analytical Study)

Submitted by

Faizan Arif

Under the Supervision of

Prof. Md. Aslam Islahi



Centre of Arabic and African Studies

School of Language, Literature & Culture Studies

Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067

2016



مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

21-07-2016

DECLARATION

I declare that material in this thesis entitled "Arabic Novel in Algeria with special focus on Al-Taher Wattar's Novels: (An Analytical Study) Submitted by me is original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University partially or fully.

faizan 21/7/16
FAIZAN ARIF
(Research Scholar)

[Signature]
SUPERVISOR
Prof. M. Aslam Islahi
CAAS/SLL&CS/JNU
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi - 110067

[Signature]
CHAIRPERSON
Prof. Rizwanur Rahman
CAAS/SLL&CS/JNU
Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi - 110067

الرواية العربية في الجزائر مع التركيز الخاص على روايات الطاهروطار

(دراسة تحليلية)

Al-Riwaya Al- Arabia Fi Al- Jazāir Ma'a Al-Tarkiz Al- Khas A'la Riwayate Al-Taher Wattar

(Dirasah Tahliliyah)

بحث جامعي لنيل شهادة الدكتوراه

تقديم

فيضان عارف

تحت إشراف

البروفيسور محمد أسلم الإصلاحي



مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهرلال نهرو، نيودلهي-٦٧

٢٠١٦م

باسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

يعتبر فن الرواية من أهم الفنون الأدبية الحديثة التي تنعكس فيها الحياة البشرية والبيئة والمجتمع الإنساني بكل صراحة، ويرتبط هذا النوع الأدبي بالمجتمع والحياة ارتباطاً أقوى من ارتباط الأنواع الأدبية الأخرى ومن هنا تعد الرواية من أقوى وأقدر الأجناس الأدبية على معالجة القضايا الاجتماعية المعاصرة، ولها تأثير كبير على الناس والمجتمع وأهمية عظيمة ودور ممتاز في إثراء الآداب في كافة أرجاء العالم. وقد حظيت الرواية في الآونة الأخيرة باهتمام كبير من النقاد والدارسين والباحثين لدى المجتمعات المثقفة، وتحولت في القرن العشرين إلى أداة فنية للوعي بمصير الإنسان ونفسياته وسلوكياته وأحلامه وطموحاته، والواقع اليومي الذي يعيشه المجتمع والقضايا والتحويلات التي تحدث في حياة الفرد والجماعة، وتتزايد أهمية الرواية سنة بعد سنة بفضل صياغتها الفنية حتى تعتبر من أوسع الأنواع الأدبية انتشاراً وتداولاً وأكثرها قبولا لدى الناس في كافة أنحاء المعمورة.

ولاريب في أن الرواية بمقوماتها وتقنياتها هي فن حديث انضم إلى فنون الأدب العربي مع الاتصال بالحضارة الأوروبية والغربية وترجمة الروايات الغربية إلى العربية وانتقل إلينا في أواخر القرن التاسع عشر على أيدي طلائع المثقفين العرب الذين نقلوا إلى العربية بعض الروايات الأوروبية وصاغوا بعض أعمالهم صياغة روائية، فأصبحت الرواية ذات أهمية متزايدة يوماً بعد يوم بفضل خصائصها الفنية حتى ظهرت أول رواية فنية باسم " زينب " في عام 1913م على يد الأستاذ محمد حسين هيكل فوجدها النقاد جديرة بالاعتبار والتقدير وتناولوها بالنقد. ثم سائرت الرواية العربية على طريق الارتقاء الفني وبلغت ذروة نضجها وازدهارها من الناحية الفنية على أيدي كتاب الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين، وقطعت أشواطاً مهمة من ناحية الإنتاج الروائي وتطور البناء الفني وتنوعت الاتجاهات في معالجة القضايا الاجتماعية على نطاق واسع فليست الرواية العربية اليوم أقل حظاً من الأعمال الروائية غير العربية في باقي أقطار العالم في رصد التحويلات الاجتماعية والتغيرات الثقافية

والتطورات البيئية والمعيشية وانعكاساتها في حياة الفرد والمجتمع وأنماط التفكير والسلوكيات والتعبير عن المجتمع وقيمه وتقاليد ومعالجة القضايا التي تهتم بها الإنسان وطرح الحلول للمشكلات المتعلقة بوجود الإنسان وصراعاته النفسية والاجتماعية حسب رؤية الكاتب ولذلك يقال : إن الرواية ديوان العرب الحديث.

و قد احتل أيضا هذا الفن الأدبي الحديث موقعا متميزا في الأدب العربي المعاصر وتوسعت دائرة مخاطبيه خلال مدة زمنية قصيرة إلى حد أنه أصبح أن ينافس فن الشعر العربي الذي كان طوال تاريخ الأدب العربي هرما عاليا لا يصل إلى مرتبته أي نوع أدبي آخر. ويكفينا لإثبات هذا الادعاء الشهرة الواسعة التي يحظى بها الروائيون العرب بين متذوقي الأدب من القراء في العالم العربي وإذا أخذنا بعين الاعتبار قدرة الروائيين العرب على الانطلاق من المستوى المحلي والعربي إلى المستوى العالمي نجد أنهم تفوقوا في المجال بوضوح على نظرائهم من الشعراء ، حتى تمكن نجيب محفوظ من الحصول على جائزة " نوبل" للآداب في العالم عام 1988م.

وفيما يختص بالرواية العربية الجزائرية فهي ظهرت متأخرة نسبيا عن نشأتها في البلدان العربية الشقيقة ولها أسباب عديدة يأتي في مقدمتها الاحتلال الفرنسي الذي استمر من 1830 م إلى 1962م ، و قد شل هذا الاحتلال حركة الثقافة القومية الجزائرية واضر اللغة العربية للغاية فهاجر الأدباء والعلماء إلى المشرق وأغلقت المدارس العربية ، وظلت الجزائر تتنفس في أجواء الركود الثقافي والجمود الفكري إلى مدة طويلة كما أنها عاشت فترة طويلة ومليئة بالحروب وعدم الاستقرار السياسي بسبب الاستعمار الفرنسي. وبغض النظر عن هذا توجد عوامل أخرى أسهمت بشكل كبير في تأخير ظهور الرواية العربية في الجزائر، ومن أهمها تأخر النهضة الثقافية العربية في الجزائر وصعوبة النشر والطباعة ، فمفهوم الأدب كان مقتصرًا على قرص الشعر في المديح والوصف، و كانت الصحف تشجع الأدب الذي يساير الحركة الإصلاحية وأسلوب الصحافة لا يساعد المبدعين علي تطوير أسلوب الكتابة .

وعلاوة على ذلك يحتاج الفن الروائي إلى تأمل طول وصبر وأناة و ظروف ملائمة ولغة

طبيعة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة وهذا كله لم يتوفر لهذا الفن في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، وأيضاً لم يجد كتاب الرواية في الجزائر نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون على منوالها كما كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية الذين وجدوا تراثاً غنياً ونماذج جيدة في الأدب الفرنسي، فهذا كله كان سبباً مباشراً في الركود الفكري والثقافي والأدبي الذي عرفته الممارسة الروائية في الجزائر، وبهذا السبب تأخر ظهور الرواية العربية الفنية في الجزائر.

وبالرغم من ذلك كله دخلت الرواية إلى الأدب الجزائري من الجانب الاجتماعي والإصلاحي خلال الاحتلال وقد مرت بثلاث مراحل مختلفة. فالمرحلة الأولى تبدأ قبل الاستقلال بظهور رواية " غادة أم القرى " عام 1947م لأحمد رضا حوحو، ثم أعقبها بعض الأعمال الأخرى ولكن هذه الأعمال الروائية الصادرة في هذه المرحلة اتصفت بالضعف اللغوي والفني من حيث الحبكة والبنية وفقدان الشروط الفنية التي يقتضيها جنس الرواية، وعدم الاهتمام برسم الشخصيات الروائية وتحليلها، وأيضاً لم تتطور ملامح الرواية والقصة لدى كتاب المرحلة الأولى. والمرحلة الثانية جاءت بعد استقلال الجزائر عام 1962م وهي فترة الستينات التي تمتاز بالظروف القاسية والصراعات العنيفة بين الأحزاب السياسية الجزائرية، حيث جمدت فيها التطورات الثقافية والفكرية والإنجازات العلمية والأدبية كلها فبقيت الرواية على حالها ولم تشهد تغيراً جذرياً في الشكل والمضمون والأسلوب.

أما المرحلة الثالثة فقد انطلقت مع بداية السبعينات في حين شهدت الجزائر تغيرات اجتماعية وتحولات سياسية وتطورات اقتصادية، فتأسست مراكز التعليم الأساسية في كافة أرجاء البلاد والتي مهدت السبيل لظهور الكليات والجامعات ودور العلم وحركة الترجمة من الآداب الغربية، وانتشرت المطابع والصحف والمجلات التي ساعدت في تثقيف الظروف وإصلاح الأوضاع الاجتماعية وإرساء دعائم النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، وظل هذه التغيرات تزيد الرواية العربية الجزائرية تطوراً ملحوظاً من الناحية الفنية واللغوية والأسلوبية حتى

ظهرت رواية " ربح الجنوب " عام 1972م لعبد الحميد بن هدوقة ، والتي تعد بإجماع النقاد أول رواية جزائرية ناضجة في الجزائر، ثم توالى الأعمال الروائية الأخرى وازدهرت كما وكيفا وقطعت أشواطاً مهمة من ناحية الإنتاج الروائي وتطور البناء الفني وتنوع الاتجاهات في معالجة القضايا الاجتماعية على نطاق واسع وحظيت مثل هذه الروايات باهتمام كبير من النقاد الدارسين واستحقت الوقوف عليها نقداً ودراسة والاعتراف بها وبقيمتها ، ففي هذه الفترة ظهر عدد كبير من الروائيين البارزين ذوي المواهب والقدرات الإبداعية الرائعة ومنهم عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار وعبد الملك مرتاض وواسيني الأعرج وغيرهم كثيرون الذين قدموا أعمالاً مميزة على الأصول الفنية الحديثة ولعبوا دوراً هاماً في نشأة الرواية العربية وتطورها بالجزائر و بفضل جهودهم الجهدية حققت الرواية العربية الجزائرية ذروة الكمال، فلا نقل قيمة وأهمية عن الأعمال الروائية الفينة المتواجدة في باقي الأقطار العربية.

وإذا نظرنا إلى الموضوعات التي قد تناولتها الرواية العربية الجزائرية وجدنا أن معظم الأعمال الروائية الجزائرية منذ بدايتها تبدو أكثر التصاقاً بالمجتمع وأكثر تركيزاً على الواقع المعاش وتطرح الكثير من الهموم والقضايا والأوضاع المرتبطة بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والمحلية وتحولاتها في البلاد قبل الثورة وأثنائها وبعد الاستقلال، ولعل ذلك هو السبب لخلو أجوائها من الرواية البوليسية وقلة إنتاج الرواية التاريخية والرمزية وغيرها من المذاهب والاتجاهات الروائية.

وبالرغم من ذلك كله يتجلى لنا خلال دراسة الرواية العربية الجزائرية أن الموضوع الذي يغلب عليها هو القضايا السياسية سواء أكانت هذه القضايا مرتبطة بحدث المستعمر الفرنسي أو بعد الاستقلال الجزائري، وأيضاً يظهر لنا أن الأدب الجزائري الحديث هو أدب ثوري عايش الثورة بكل أبعادها ومفاهيمها، والرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية خاصة بالثورة التحريرية فمعظمها تهتم بالثورة وأحداثها وتناقش كل مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية منها الثورة التحريرية والزراعية والاشتراكية ، وعالج الروائيون هذا الموضوع في

كثير من كتاباتهم وركزوا على الجانب البطولي للشعب الجزائري ومظالم الاستعمار ومساغيه لتدمير وطمس الشخصية العربية الجزائرية الإسلامية. وأما الألوان والاتجاهات للرواية الجزائرية من ناحية البناء الفني والتشكيلي فيمكن تقسيمه إلى الاتجاه الإصلاحى و الاتجاه الرومانتيكى و الاتجاه الواقعى النقدي و الاتجاه الواقعى الاشتراكى.

أما الكاتب الطاهر وطار فهو يعتبر من أحد أعلام الثقافة الجزائرية المعاصرة باعتبار جهوده الجادة في مجالات القصة القصيرة والمسرحية والرواية والنقد الأدبي، وفي جميع هذه المجالات التي اختارها تتجلى فيها عبقريته وبراعته ومنهجه الفريد الذي امتاز بالحيوية والأسلوب الرائع والأناقة ودقة التصوير، وإضافة إلى ذلك كان له باع طويل و إمام كامل باللغة العربية ومعرفة واسعة بالأدب العربي ، وكانت حياة الطاهر وطار ذات أبعاد متنوعة لها نواح عديدة وجوانب شتى اتصفت بصفات جمة ، فهو في وقت واحد كان كاتباً قديراً وناقداً كبيراً وعلماً من أعلام الأدب الجزائري والعربي، كما أنه يعرف بجرأته النادرة ومواقفه الحاسمة وتدخلاته القيمة وأفكاره الحساسة في الأوساط العلمية والأدبية والثقافية والسياسية.

وقد ألف الطاهر وطار عدة كتب ذات قيمة كبيرة في فنون مختلفة من القصة القصيرة والرواية والمسرحية والسيرة الذاتية، وهذه المؤلفات كلها تتم عن دقة ملاحظته وقوة ذاكرته وتبحر علمه وسعة اطلاعه على الذخائر العلمية والفكرية . أما أعماله الروائية فهي تعد من أنجح التجارب الروائية الجزائرية العربية التي ظهرت بعد الاستقلال، وتعتبر من أهم الانجازات التي شكلت علامة متميزة في تاريخ الرواية العربية الجزائرية وحقق حضورها القوي في الأدب العربي حتى بعد ظهورها اتخذ النقاد يهتمون بالرواية العربية الجزائرية إذ كما أنها بمثابة مرآة تعكس فيها صورة الجزائر وتناقش كل مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية وتعالج القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية والعربية والأدبية بأسلوب رائع يمتاز بالبساطة والسهولة والصراحة والوضوح وسلامة التعبير ولا يميل إلى الرمزية إلا نادراً و يهتم باللغة بدرجة كبيرة وقلما يلجأ إلى الجمل المعقدة و العبارات الملتوية، ويغلب الطابع الفكري والأيدولوجي على تجاربه الروائية، وقد حظيت رواياته باهتمام كبير من النقاد

والدارسين والباحثين لدى المجتمعات المثقفة وبفضلها نال الطاهر وطار مكانة متميزة وشهرة كبيرة في الأدب العربي.

ورغم هذه الحقيقة الثابتة الدالة على التطورات والانجازات الروائية العربية الرائعة في الجزائر والمساهمات القيمة للكاتب الطاهر وطار في مجال الرواية العربية لا يعرف شيئا عدد كبير من الباحثين والدارسين والطلاب في الهند عن خدماته الهامة في مجال الفنون الأدبية الحديثة ولذا أنها لم تنل من قبل المحققين والباحثين في الهند عنايتهم واهتمامهم ما كانت تستحقها بخصائصها وميزاتها الفنية واتجاهاتها المتنوعة، فدفعتني هذه العوامل إلى أن أبرز صورة واضحة للرواية العربية والجزائرية والإسهامات والخدمات التي قام بها الروائي الطاهر وطار في إثراء الرواية العربية وتطويرها في الجزائر، فعزمت معتمدا على الله تعالى وتوفيقه على أن أسد هذا الفراغ الهائل في هذا المضمار ، ففي هذه الخلفية تم لي اختيار الموضوع بعنوان " **الرواية العربية في الجزائر مع التركيز الخاص على روايات الطاهر وطار** " للبحث العلمي لنيل شهادة الدكتوراه ، وتحقيقا لهذا الهدف النبيل قسمت البحث إلى أربعة أبواب ماعدا المقدمة والخاتمة.

فالباب الأول يحتوي على خلفية تاريخية وثقافية واجتماعية للجزائر، والغرض من هذه الخلفية الوجيزة أن أقدم واستعرض الأحداث التي تكشف النقاب عن العوامل المتنوعة التي شاركت في تكوين الرواية العربية الجزائرية ، فيشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول ، وفي الفصل الأول ألقيت نظرة عابرة على خلفية تاريخية للجزائر وقمت باستعراض أهم الأحداث التاريخية التي مرت بها الجزائر عبر العصور بما فيه القديم والوسيط والحديث بصورة موجزة عن المراحل التي عرفتها الجزائر منذ فجر تاريخها المعلوم ، مرورا بالعهد الفينيقي والروماني والوندالي والفتح العربي الإسلامي والعهد العثماني ثم الاحتلال الفرنسي. وفي الفصل الثاني ألقيت الضوء على الحياة الاجتماعية والسياسة التي كانت تسود الجزائر خلال القرن العشرين وقبله فقامت بذكر الاستعمار الفرنسي الذي دمر الجزائر كلها اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا و أوردت فيه الثورات الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي واستقلال الجزائر

وقدمت التركيبية الاجتماعية والسكانية التي شكلت محيطا واسعا خلال القرن العشرين في الجزائر. وفي الفصل الثالث تكلمت عن الأوضاع الثقافية والأدبية في الجزائر بالإضافة إلى النهضة الحديثة وعواملها المهمة التي ساعدت على نشوء النهضة الأدبية وإرساء دعائمها في الجزائر وهي انتشار التعليم وبداية الطباعة والصحافة وازدهارها في البلاد.

و الباب الثاني يشتمل على نشأة وتطور الرواية العربية في الجزائر وفيه ثلاثة فصول، والفصل الأول يتحدث عن رحلة الرواية العربية الجزائرية وما شهدتها من نشوئها وتطورها وازدهارها فنا وأسلوبا ومضمونا، وذكرت سبب تأخرها عن نشأتها ومراحل تطورها التي مرت بها الرواية الجزائرية مع رصد الملامح والخصائص العامة في المراحل المختلفة، وفي الفصل الثاني قمت باستعراض اتجاهات الرواية الجزائرية وذكرت فيه حصيلة الروايات الجزائرية العربية التي تتبلور في الاتجاه الإصلاحية والاتجاه الرومانتيكي و الاتجاه الواقعي النقدي و الاتجاه الواقعي الاشتراكي بينما خلت الساحة الروائية المحلية من المظاهر الخيالية والعلمية إلا ما ندر وهذا من ناحية المحتوى والمضمون وعلاوة على ذلك تناولت فيه القضايا الرئيسية والموضوعات الأساسية التي تهتم بها معظم الروايات الجزائرية. والفصل الثالث يتحدث عن بعض الروائيين الجزائريين الذين لعبوا أدوارا ملموسة في إثراء اللغة العربية وآدابها وبذلوا جهودا مشكورة في تأسيس الرواية العربية وتطويرها بتقديم رواياتهم الرائعة وبفضلهم احتلت الرواية العربية منزلة رفيعة في الأدب العربي الجزائري الحديث.

والباب الثالث يتعلق بدراسة تحليلية لبعض أشهر الروايات العربية الجزائرية التي لعبت دورا كبيرا في تطوير الرواية العربية في الجزائر ويشتمل هذا الباب على خمسة فصول، في الفصل الأول قمت بتحليل رواية " ربح الجنوب " للروائي الكبير عبد الحميد بن هدوقة ، وهي تعد بإجماع النقاد أول رواية فنية ناضجة عرفها الأدب الجزائري ونالت اهتماما واسعا وترجمت إلى حوالي عشر لغات عالمية وتعالج قضية المرأة والإقطاع في إحدى القرى الجزائرية قبل انطلاق الثورة الزراعية في أواخر الستينات من القرن العشرين، وفي الفصل الثاني تناولت رواية " طيور في الظهيرة " للروائي مرزاق بقطاش ، وهي أيضا تعد من أنجح وأهم

الروايات الواقعية التي كتبت في عهد الاستقلال الجزائري، لاقت رواجاً كبيراً وشهرة واسعة على الساحة الأدبية، إذ أنها تركز على أحداث الثورة الجزائرية والحديث عن المدينة ونشاط الأطفال وتطلعاتهم فالطيور وهم الأطفال والظهيرة هي الثورة، وفي الفصل الثالث ناقشت رواية "ألف وعام من الحنين" للروائي الشهير رشيد بوجدر، والتي تعتبر من النصوص التأسيسية للرواية الجزائرية حتى اختارها اتحاد الكتاب العرب ضمن قائمة أفضل مئة رواية عربية في تاريخ الأدب العربي وهي تعالج الطبقة الأرستقراطية في المجتمع، وفي الفصل الرابع قمت بدراسة رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي، وهذه الرواية تمتاز بلغتها الشعرية وسردها الحكائي البصري وحظيت باهتمام بالغ وشهرة واسعة من الدراسات والبحوث على الصعيد العالمي، وحصلت على جائزة "نجيب محفوظ" للإبداع الأدبي. وفي الفصل الخامس ألقيت الضوء على رواية "كتاب الأمير و مسالك أبواب الحديد" للروائي الكبير واسيني الأعرج، هذه الرواية قد حصلت على جائزة الشيخ زايد، وهي تعالج عن تاريخ المقاومة الوطنية وتركز على مسيرة الأمير عبد القادر النضالية وكفاح الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي .

أما الباب الرابع فهو يحتوي على الجوانب المختلفة لشخصية الطاهروطار و مساهماته القيمة في الرواية العربية وفيه ثلاثة فصول ، وفي الفصل الأول ألقيت الضوء بالإيجاز على حياته ونشأته التعليمية والثقافية وأبرزت فيه انتماءه الفكري وعمله السياسي و إسهاماته الأدبية، وقدمت بعض الآراء والانطباعات للنقاد والأدباء عن الطاهروطار ومكانته الأدبية والعلمية. وفي الفصل الثاني بحثت بالإسهاب في روايات الطاهر وطار وناقشتها جميعاً بصورة دقيقة وهي إحدى عشرة رواية وتعد من أهم إنجازاته التي شكلت علامة متميزة في تاريخ الرواية العربية الجزائرية، وفي الفصل الثالث قدمت التقييم الأدبي لروايات الطاهر وطار من الناحية الموضوعية واللغوية والأسلوبية وقيمتها عند النقاد والأدباء وفي هذا السياق أبرزت خصائصها الفنية و المزايا الأسلوبية واللغوية لها ،وتناولت القضايا الرئيسية والموضوعات الأساسية والثورة الجزائرية التي تدور حولها أغلب روايات الطاهر وطار.

و في نهاية المطاف قدمت خلاصة البحث وركزت على أهم النقاط البارزة والنتائج الهامة التي توصلت إليها أثناء الدراسة وبعدها ، ثم أدرجت عناوين المصادر والمراجع وأسماء المجالات والرسائل التي استفدت منها خلال إعداد هذه الرسالة.

وبمناسبة هذا المكان يجب على أن أبدى مشاعر العرفان والتقدير تجاه جميع أساتذتي و أصدقائي وأحبائي الذين ساعدوني في إعداد هذا البحث بكل ما تيسر لهم من المصادر والمراجع وما إلى ذلك ،وأخص بالذكر الأستاذ رياض وطار والأخت الزهراء الجزائرية والأخت فاطمة سعدون وغيرهم من الجزائريين الذين وفروا لي الكتب المهمة المتعلقة بالموضوع وقدموا لي مساعدات غالية ومقترحات لائقة ونافعة خلال إعداد البحث، فأنا مدين لهم بألوف من الشكر والتقدير، وجزاهم الله تعالى خير الجزاء.

و أخيرا وليس بآخر، أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى فضيلة المشرف أستاذي الجليل الشفيق الدكتور محمد أسلم الإصلاحي الذي لفت انتباهي إلى أهمية هذا الموضوع وساعدني خلال إعداد هذه الأطروحة بتوجيهاته الرشيدة ومقترحاته السديدة وآرائه القيمة المخلصة للوصول إلى النتائج الإيجابية كما شجعتني بين حين لآخر على تذليل العراقيل والعقبات مع كثرة شواغله المختلفة، فليست لدي كلمات كافية لإظهار عواطف الشكر و التقدير له ، فادعوا الله سبحانه وتعالى أن يمتعه وأسرته بدوام الصحة والعافية ويتيح لنا فرصة طويلة للاستفادة من علمه و فضله ونصحه ، فجزاهم الله تعالى جميعا أحسن ما يجزي به عباده المخلصين المحسنين.

وقبل الختام أرجو من الله تعالى أن يتقبل هذا العمل وأمل أن يفتح هذا البحث آفاقا جديدة لدراسة الرواية العربية الجزائرية والاستفادة منها كما يمهد السبيل لتعزيز العلاقات الأدبية والثقافية بين الهند والجزائر، فهذه هي دراستي حول الموضوع وإن أصبت فهو بفضل الله تعالى وتوفيقه وإن أخطأت وزل قلبي فهو من قصوري فالاعتذار إليكم والعذر عند كرام الناس مقبول،والله ولى التوفيق وهو الملهم للخير والسداد وله الحمد أولا وآخر وإليه المرجع والمآب.

فيضان عارف

جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

٢٠١٦/٧/٢١

الباب الأول

خلفية سياسية واجتماعية وثقافية للجزائر خلال القرن العشرين

الفصل الأول: لحة تاريخية عن الجزائر

الفصل الثاني: الأوضاع السياسية والاجتماعية

الفصل الثالث: الأحوال الثقافية والأدبية

الفصل الأول: موجز في تاريخ الجزائر.

المدخل إلى الموضوع:

الجزائر هي دولة عربية وحضارة تاريخية ضاربة جذورها في سحيق الزمان. استضاءت بنور الإسلام في القرن الثامن الميلادي (1) وجعلت تتمتع بالأنشطة العلمية والأدبية والثقافية فلها دور بارز وجهود ملموسة في خدمة اللغة العربية وآدابها، و قد أنجبت في عصورها المختلفة عددا كبيرا من رجال الأدب والإنشاء الذين بذلوا مجهودات مشكورة في نشر اللغة العربية وآدابها في الجزائر وخلفوا وراءهم آثارهم الرائعة وأعمالهم البارزة التي تعالج الشؤون والقضايا البارزة الخاصة بالإسلام والمسلمين والأدب العربي ، قلما توجد لهم مثيلات في العالم الإسلامي والعربي.

على كل حال فمرت الجزائر بمراحل مختلفة في تاريخها الطويل من العهد الفينيقي والروماني والوندالي والفتح العربي الإسلامي والعهد العثماني والاحتلال الفرنسي والثورات الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي وأخيرا استقلال الجزائر. تاريخ هذا البلد حافل بالأحداث الحسنة والسيئة على السواء ، وتتميز كل فترة من هذه الفترات بميزة خاصة عاش فيها الشعب الجزائري حياة الشقاء والسعادة والتفوق والانحطاط والحرية والاحتلال وأيضا شهدت الجزائر نكسة عميقة ومأساة اجتماعية بسبب الاستعمار الفرنسي الذي قد شل حركة الثقافة القومية للجزائر(2) وقضى على المعالم الثقافية وبذل ما في وسعه في كبح جميع إمكانات التطور الاجتماعي والثقافي للشعب الجزائري وهذا ما أدى إلى تأخر نهضتها في المجالات المختلفة منها العلمية والأدبية والثقافية(3).

يبدو من المناسب هنا أن نلقي نظرة عابرة على تاريخ الجزائر وحياتها الاجتماعية والسياسية

1 - عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ص38

2 - أحمد توفى المدني: هذه هي الجزائر، ص96

3 - نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص61

والثقافية حيث نشأت وتطورت الرواية العربية الجزائرية ، وذلك لكي يتضح لنا سبب تأخر ظهور النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر.

أصل التسمية للجزائر:

تفيد المصادر التاريخية بأن الجزائر كانت تعرف قبل مجئ العرب باسم أقسيوم (Icosium) وأطلق عليها اسم جزائر بني مزغنة نظرا لوجود أربع جزر صغيرة ، والعثمانيون أطلقوا اسم الجزائر على كافة البلاد اشتقاقا من اسم العاصمة، وهذا ما أكده الجغرافيون والمؤرخون المسلمون مثل مبارك بن الملي (4) وياقوت الحموي(5) وأحمد توفيق المدني.(6)

الاسم الرسمي:

تعرف الجزائر اليوم باسم " الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية " و تلقب ببلد المليون ونصف المليون شهيد نسبة لعدد شهداء ثورة التحرير الوطني(7).

الموقع الجغرافي :

تقع "الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية" عند القسم الشمالي من القارة الإفريقية، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ،ومن الجنوب النيجر ومالي وموريتانيا، ومن الشرق تونس والجمهورية الليبية، ومن الغرب المغرب.(8) وتبلغ مساحة أرضها حوالي 2,381,741 كيلو مترا مربعا وأصبحت الجزائر أكبر بلد أفريقي وعربي من حيث المساحة بعد تقسيم

4 - مبارك بن محمد الملي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 1 ص 132

5 - ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج 2 ص 132

6 - أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ، ص 9

7 - حلیم ميشال حداد: تاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس الجزائر ص 165

8 - محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري : تحفة الزائر في مآثر عبد القادر وأخبار الجزائر، ج ١- ص ٨ -ومبارك بن الملي: ،تاريخ

الجزائر في القديم والحديث ج ١ ص ٤٦- وأحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص ١٢

السودان.(9)

المناخ:

مناخ الجزائر جميل و يشبه مناخ بلدان شمال إفريقيا فهو مناخ متوسطي ، ممطر وبارد في فصل الشتاء في مناطق الشمال ، و حار جاف في فصل الصيف ، أما مناخ جنوب الجزائر فهو مختلف لأنه مناخ مداري وجاف وفيه تفاوت كبير في درجات الحرارة ، خاصة في مناطق الصحراء الكبرى ، حيث تصل درجة الحرارة إلى ست وثلاثين درجة مئوية في النهار وتهبط أثناء الليل إلى خمس درجات مئوية وبالنسبة لهطول الأمطار في هذه الصحراء ، نجد أن هذه النسبة هي أقل من مئة ملم في غالب السنين.(10)

العملة:

الدينار هو الوحدة الأساسية لعملة الجزائر و يتكون من ١٠٠ سنتيم ، يصدره مصرف الجزائر المركزي ويكون قابلا للصرف بالعملات الأخرى و تتحكم الأسواق الداخلية والخارجية في تحديد قيمة الدينار مقابل العملات الأجنبية.

الثروات الزراعية والمعدنية:

الجزائر هي بلد زراعي لها حظ وافر في الثروات الزراعية والمعدنية يزخر باطنها بمواد هامة ومتنوعة وتساهم في تعزيز قدرة الاقتصاد الوطني بما تقدمه من مواد أولية للتحويل والتصنيع(11) ومن أهم المنتجات الزراعية الجزائرية اليوم هي : ١- القمح ٢- الشعير ٣- البطاطا ، بالإضافة إلى منتجات زراعية أخرى لا تقل أهمية عن سواها ومنها : العنب والجزر والبلح والبصل والزيتون والبطيخ.

⁹ - COLLIER'S ENCYCLOPEDIA –VOL- 1.PAGE,554

¹⁰ - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارت، ص 19

¹¹ - الدكتور العربي الزبيدي: تاريخ الجزائر المعاصر، ص18

أما الثروات المعدنية ففي مقدمتها الحديد من حيث الأهمية والوفرة، وأيضاً يوجد في الجزائر العديد من الثروات الطبيعية مثل النفط والغاز الطبيعي والحديد الخام والفوسفات اليورانيوم والرصاص و الزنك وتتركز أهم هذه الثروات المعدنية في المنطقة الساحلية وفي الشرق الجزائري بصفة خاصة. (12)

الصناعة :

أما في حقل الصناعة فالجزائر تمتلك أكبر مصانع في العالم لتسييل الغاز، وأقامت السلطات الجزائرية إلى جانب هذا المصنع الضخم، مصانع أخرى لإنتاج الحديد والفوسفات والرصاص والقصدير، ومصانع لإنتاج الإسمنت والسماد الكيماوي، ومصانع للسيارات و المنسوجات المختلفة، ومصانع للآلات الزراعية وغيرها. (13)

نظرة عابرة على تاريخ الجزائر:

إن تاريخ الشعوب يعد الوجه الحضاري للإنسان فيه يظهر مقدار التطور والرقى الذي بلغته الأمة، وفيه نرى وندرك كيف ترتقي الشعوب العظيمة إلى مدرج الحياة منتقلة من حسن إلي أحسن سعياً وراء التفوق والإبداع، فمن هذا المنطلق يناسب لنا أن نتناول أهم الأحداث التاريخية التي مرت بها الجزائر عبر العصور بما فيه القديم والوسيط والحديث بصورة موجزة عن المراحل التي عرفتتها الجزائر منذ فجر التاريخ حتى استقلالها.

البربر:

اتفق أكثر المؤرخين على أن القبائل البربرية هي أمة من أقدم أمم العالم وأشهر أجياله وكانت معروفة بالدفاع عن الشرف والكرامة وهي تعتبر أولى الشعوب التي عاشت فوق أرض

¹² - والمبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج ١ ص (٥٣-٥٩) و شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول وإمارات، ص (٥٥-٦٠)

الجزائر (14) والجدير بالذكر هنا أن الشعب الجزائري الأصيل منحدر من سلالة القبائل البربرية التي انتشرت قديما في شمال إفريقيا قبل أن تعرف هذه البقاع جحافل الغزاة والفاثحين والطامعين بثرواتها الطبيعية وخيراتها وموقعها المميز. (15)

الفينيقيون:

لا ريب في أن تاريخ الجزائر يتوغل في العصور القديمة السحيقة إلى آماذ بعيدة ويأخذ هذا التاريخ في الجلاء والوضوح مع ارتياد الفينيقيين في القرن التاسع قبل الميلاد على المغرب في شمال إفريقيا قادمين من قارة آسيا من بلاد كنعان، وكانوا شعبا ملاحيا متحضرا عريقا يحترف التجارة وقد تمكنوا من بسط سيادتهم على الشواطئ الذهبية وعلى كامل السواحل الجزائرية، وهناك نشروا الحضارة الفينيقية بين قبائل البربر وعلموا كثيرين من أهل الجزائر لغتهم وما استحدثوه من حروف الكتابة الفينيقية التي نشروها في العالم وكان الفينيقيون يسيطرون على التجارة الداخلية والخارجية لسواحل البحر المتوسط، بعد أنهم أنشأوا محطات تجارية وأسسوا مدينة " قرطاجة " عام 814 ق.م على الساحل التونسي، والتي كانت تعد من أعظم المدن في التاريخ القديم (16).

الرومان:

استمرت حكومة الفينيقيين على شواطئ بلدان شمال إفريقيا حتى سنة ١٤٦ قبل الميلاد، ثم سقطت مدينة "قرطاجة" في أيدي الرومان وبسقوط قرطاجة سقطت جميع المناطق التي كانت بحوزة البربر والفينيقيين، واستولى الرومان عليها وبسطوا سيادتهم على البلدان والأراضي الواقعة في شمال إفريقيا من البحر الأبيض المتوسط إلى النيجر ومالي وموريتانيا، ومن تونس وليبيا إلى الغرب مرورا بالجزائر، وطابت الإقامة للرومان في هذه البلاد الجميلة فجعلوا من

14 - الشريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص(٥٦-٥٩) وأيضا عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر ص(٥-٨)

15 - مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج ١ ص ٨٠

16 - مبارك بن محمد الملي: المرجع السابق: ج ١ ص ١٢٨ وأيضا عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر ص (12-16)

موريتانيا أجمل مستعمراتهم، وبعد مضي بضعة قرون على الحكم الروماني بدأت هجمات قبائل "الو ندال" القادمة من جهة بلاد إسبانيا وشرعت تقض مضاجع الرومان وتقلق خواطرهم وتثير مخاوفهم وتضعف مواقعهم . (17)

والبيزنطيون:

استمرت الحرب بين قبائل الو ندال وبين الجيوش الرومانية قرابة مئة سنة حتى ظهرت على الساحة جحافل الجيوش البيزنطية التي حاربت الرومان وانتصرت عليهم وطردتهم من جميع المناطق والبلدان التي كانت خاضعة لهم، وهكذا انتهى الحكم الروماني بالمغرب سنة 534 م على يد البيزنطيين ويخضع المغرب بعد ذلك للحكم البيزنطي وبسط البيزنطيون سيطرتهم عليها التي استمرت على بلدان شمال إفريقيا حتى القرن السابع للميلاد. (18)

الفتح العربي:

توجهت الجيوش العربية في القرن السابع للميلاد نحو شمال إفريقيا وحاربت البيزنطيين وانتصرت عليهم وطردتهم من المناطق بعد ما استولت عليها وبسطت نفوذها على جميع بلدان المغرب، وهكذا وصل الإسلام إلى شمال إفريقيا على يد عقبة بن نافع في القرن السابع للميلاد (19) واستقبله سكان هذه المنطقة برحابة صدر وراح الفتح العربي الإسلامي يتوسع ويتمدد وسيطر على بلدان آسيا وإفريقيا المختلفة، وأخذت الدعوة الإسلامية واللغة العربية تنتشر بين شعوب تلك البلاد، فاعتنقها جميع السكان لهذه المنطقة عدا بعض الأماكن، ومنذ تلك الأيام عرفت بلدان تلك المنطقة ببلدان المغرب العربي وهي منتشرة في شمال إفريقيا. (20)

17 - عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر ص ص- ٢٣-٢٤

18 - أحمد توفى المدني: هذه هي الجزائر، ص(٤٨-٥٣)

19 - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص ٢٤

20 - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج ٢ ص(٣٤-٣٦) وأيضا عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر ص(٨

الجزائر خلال الدولة الإسلامية :

الدولة الرستمية : (156- 296 هـ)

نشأت الدولة الرستمية في المغرب الأوسط - الجزائر حاليا - على يد الإمام عبد الرحمن بن رستم، واشتهرت بنظام الشورى المطبق فيها وبعدالة أئمتها وصلاحهم وتقواهم وعلمهم، وقد كان يعيش تحت ظلها أتباع المذاهب الإسلامية كلها، ولقد اهتمت الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية زاخرة بالكتب والمخطوطات المتعلقة بالفنون المختلفة والآثار، ومن مكتباتها المشهورة مكتبة " المعصومة " التي كانت تتضمن آلاف من المجلدات والكتب، قدّرها بعض الباحثين بثلاثمائة ألف مجلد،⁽²¹⁾ فكانت تحوي بين رفوفها كتباً في علوم الشريعة من التفسير والحديث والفقه والتوحيد وكتباً في الطب والرياضيات والهندسة والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم المختلفة ولم تكن كتبها مقتصرة على مذهب واحد بعينه بل كانت تجمع مؤلفات لمختلف المذاهب الإسلامية، ومن المكتبات المشهورة الأخرى " خزانة نفوسة " التي كانت زاخرة بالآلاف من الكتب القيمة، كذلك لم تخل منازل العلماء في الدولة الرستمية من وجود المكتبات الخاصة⁽²²⁾.

واستمرت هذه الدولة لما يقرب من ١٤٠ سنة منذ أن نشأت في عام ١٥٦ هـ وبقيت حتى عام ٢٩٦ للهجرة، وكانت عمرها أكثر من عمر الدولة الأموية، وفي النهاية هجم عليها أبو عبد الله الشيعي داعية الفاطميين سنة ٢٩٦ هـ، ودمرها وقتل أهلها ولم يكتف بذلك، بل قام بإحراق مكتبة المعصومة بعد أن أخذ منها الكتب الرياضية والصناعية.⁽²³⁾

الدولة الإدريسية: (788-974م)

تعتبر الدولة الإدريسية من أولى الدول الإسلامية المستقلة في الجزائر وأسسها " إدريس بن عبد الله " المنتسب إلى البيت النبوي الشريف سنة ٧٨٨م، وبايعته القبائل البربرية بمدينة

²¹- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج٢ ص٥٣
²²- مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج٢ ص٨٦
²³- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر ص (42-45)

"وليلي" ، فوضع هناك نواة ثالث دولة مستقلة عن الخلافة في العالم الإسلامي بعد إمارة قرطبة والدولة الرستمية و عرفت هذه الدولة في تاريخ الدول ب" الدولة الإدريسية".

وبعد مقتل إدريس بن عبد الله الملقب بالأول بايعت القبائل ابنه إدريس الثاني سنة ٨٠٣ م، الذي أسس مدينة فاس واتخذها عاصمة لحكمه، كما عمل على تنظيم الإدارة والجيش وتوحيد البلاد، ولكن لم تتجاوز حدود الأدارسة غربًا منطقة تلمسان وبعد وفاة إدريس الثاني تنازع أبناؤه على الحكم، فانقسمت المملكة إلى دويلات وقطاعات وضعفت حتى سقطت سنة ٩٧٤ م.(24)

الدولة الأغلبية:(800- 909 م)

تعد الدولة الأغلبية من أسرة عربية ويرجع نسبها إلى قبيلة تميم وحكمت إفريقيا من نهاية القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وكانت حدود دولة الأغلبية تتسع وتتقلص بحسب قوة أمرائها وضعفهم، وأسسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، وسميت الدولة باسم والده "الأغلب" وهو أول من دخل إفريقيا من هذه الأسرة التي كانت قد استقرت في "مَرُو الرُّوذ" في خراسان منذ الفتح الإسلامي وكان قيام هذه الدولة في عهد الخليفة هارون الرشيد وقد تلقب حكامها بالأمراء وظلوا خاضعين لسلطة الخلفاء العباسيين ، فسكوا النقود باسمهم وخطبوا لهم على المنابر من دون أن يسمحوا لهم بالتدخل في شؤونهم الداخلية.

وظهرت في دولة الأغلبية التيارات الفكرية المعروفة في المشرق والمغرب على السواء في المجالين - الديني والدنيوي وبرز فيها أعلام لهم مكانتهم العالية، وانتهت دولة الأغلبية على أيدي الفاطميين سنة ٩٠٩ م.(25)

24- أحمد توفى المدني: هذه هي الجزائر، ص(٥٥-٥٧)

25- الدكتور شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، ص ص ٢٩-٣٠

الدولة الحمادية: (1015-1152م)

الدولة الحمادية كان لها شأن كبير منذ فترات العهد الإسلامي في الجزائر ويرجع التاريخ الرسمي والعملي لقيام الدولة الحمادية إلى عام ٤٠٨ من الهجرة، أسسها حماد بن بلكين (١٠٠٧-١٠٢٨م) (٢) وبني مقره القلعة عام ١٠٠٧ م ثم أعلن الدعوة العباسية سنة ١٠١٥ م واستقل بالحكم ولكن لم يتم الاعتراف بدولته إلا بعد حروب كثيرة خاضها ابنه القائد بن حماد مع الزيريين.⁽²⁶⁾

اتخذت الدولة الحمادية اللغة العربية لسانها الرسمي حتى أصبحت لغة حكومية لها وعملت على نشرها بين قبائلها وقامت بجهود كبيرة لازدهارها. فشهدت هذه الدولة نهضة أدبية وعملية وحضارية قل نظيرها، لكن بالرغم من كل ذلك سقطت هذه الدولة بعد دخول الموحدین بجاية سنة ١١٥٢ م.⁽²⁷⁾

الدولة الموحدية: (1130-1269م)

تعد الدولة الموحدية أول دولة إسلامية بالمغرب والتي ادعت الخلافة، وهذه الخلافة كانت مقيدة بالكتاب والسنة من غير انتماء إلى مذهب خاص، وحكمت المغرب و الجزائر و تونس و ليبيا والأندلس ما بين عام ١١٣٠م -١٢٦٩م، أطلق عليهم تسمية "الموحدين" لأن أتباع هذه المدرسة كانوا يدعون إلى توحيد الله توحيداً قاطعاً مما جعلهم ينكرون أسماء الله الحسنى باعتبارها أسماء لأصناف مادية وهو الحق سبحانه ليس كمثل شيء فكانوا يذكرون الله باسمه المفرد "الله" وقد أسسها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي (١٠٩٢م-١١٣٠م)⁽²⁸⁾ هو ينسب إلى قبيلة هرغة في أقصى المغرب، بلغت هذه الدولة أوجها في عهد أبي يعقوب يوسف (١١٦٣م-١١٨٤م) ثم في زمن أبي يوسف يعقوب المنصور (١١٨٤-١١٩٩ م) مع بناء العديد من المدن الجديدة و تشجيع الثقافة والحياة الفكرية و سقطت هذه

²⁶-عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، ص ٤٥

²⁷- عبد الحليم عويس: المرجع السابق: ص ٢٦٢،

²⁸- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر ص (69-73)

الدولة سنة ١٢٦٩م. (29)

الدولة الزيانية: (1236-1554 م)

الدولة الزيانية كانت دولة مستقلة في غرب الجزائر، واحتلت مكانة بارزة في تاريخ الجزائر وحكمت هذه الدولة غرب الجزائر ما بين عام ١٢٣٦ و ١٥٥٤م، وكانت عاصمتها تلمسان و يعد أبو يحيى يغمر أسن بن زيان من مؤسسي هذه الدولة، وينتمي إلى قبيلة زناته البربرية التي استقرت شمال الصحراء الكبرى ثم هاجرت في حدود القرن الحادي عشر إلى شمال الجزائر، وبلغت الثقافة لهذه الدولة أعلى درجاتها في عهد أبو حمو الثاني بين ١٣٥٩ و ١٣٨٩م، وسقطت هذه الدولة ١٥٥٤م. (30)

الجزائر في ظل الحكم العثماني: (1518-1830م)

في القرن الخامس عشر حينما بدأت الجيوش العربية بالتراجع بعد تحقيق الانتصارات الكبيرة على إسبانيا وأجزاء كبيرة من بلدان شمال إفريقيا وبينهما الجزائر، فانتعشت أطماع الدول الأوروبية وزاد تطلعها إلى بلدان المغرب العربي طمعا بثرواتها الطبيعية ومواقعها الإستراتيجية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط كما قوى شأن الصليبيين للأسبان بعد سقوط غرناطة من أيدي المسلمين و بدأوا في الإغارة على موانئ البحر المتوسط الإفريقية واحتلوا موانئ وهران والجزائر وأنزلوا جيوشا عند الشاطئ الجزائري سنة ١٥٨٧م. (31)

فأدى هذا الاحتلال إلى نشوء حركة جهاد بحري قوية ضد الصليبيين وظهرت بعض الشخصيات الرائعة في سماء الجهاد الإسلامي البحري منها "خير الدين" وأخوه "عروج" واستطاع خير الدين أن يفتح الجزائر العاصمة سنة ٩٢٣هـ، ورأي - بثاقب نظره- أنه لا يستطيع إقامة دولة مستقلة في الجزائر فاتصل بالسلطان العثماني سليم الأول وبإيعه وأظهر له

²⁹ - الأستاذ مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج ٢ ص ٣٠٠-وما بعدها
³⁰ - الأستاذ مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق : ج 2 ص 439-454، وأحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ، ص 63
³¹ - عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر ص(88-90)

الطاعة والإخلاص حتى تمكن من كسب رضاه ونيل إعجابه، فأنعم عليه السلطان العثماني وسماه "بايلاريك" أي أمير الأمراء وعينه حاكماً علي الجزائر سنة ١٥١٩م، (32)، فوضع "البايلاريك" خير الدين للجزائر العثمانية ناموس الحكم وقوانينه ورتب الدواوين وقدر الرواتب وخطب الخطباء في بلدان الجزائر باسم السلطان العثماني وقد ضربت السكة باسمه وهكذا التحقت الجزائر بالدولة العثمانية وقد استمرت الدولة العثمانية في الجزائر من عام ١٥١٨م إلى نهاية الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠م. (33)

و تجدر بالإشارة إلى هنا أن الحكومة العثمانية دامت في الجزائر أكثر من ثلاثة قرون لكن بالرغم من كل ذلك ظل العثمانيون في هذه الفترة الطويلة بعيدين عن الشعب الجزائري لا يعرفون لغته و لاعاداته وتقاليده وطرق معيشته، ولو حدث ذلك لأصبح الحكم العثماني في الجزائر شيئاً فشيئاً وطنياً كما يكتب الدكتور شوقي ضيف في هذا الصدد " نعجب إذ نراهم يعاملون الجزائريين معاملة المنتصر للمهزوم مع أنهم دخلوا في الجزائر بطلب من أهلها لعونهم ضد الغزو الإسباني ، لكن جعلوهم أدنى منهم رتبة فلا يولون مناصباً رفيعاً من مناصب الدولة فضلا عن منصب الداى الحاكم للبلاد" (34).

وبهذا الطريق والسلوك الذي اتبعه الحكام العثمانيون في الجزائر فقدوا كل تأثير واحترام من الرعية، وهذا ما دفع رجال الجيش العسكري أن يثوروا على الحكم العثماني، حتى حطم داى الجزائر "على خوجة" النفوذ التركي بطرد الوالي القادم من طرف الدولة العثمانية سنة 1122 هـ (35)، وهكذا لم تبق للعثمانيين في الجزائر إلا سلطة اسمية وإنما أصبح "الداى" وهو الحاكم الوحيد في شؤون البلاد وازدادت أعمال القرصنة البحرية في عهد "الدايات" ولم تكن القرصنة في نظر الجزائريين والأتراك لصوصية بحرية بل كان فريضة جهاد إزاء دار

32 -- حليم ميشال حداد: تاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس الجزائر ص ص 113-114

33 - توفيق المدني : هذه هي الجزائر ،ص(67-76)

34 - الدكتور شوقي ضيف: تاريخ الدب العربي عصر الدول الإمارات، ص-47

35 - نفس المرجع ص-47

الحرب الأوربية النصرانية (36).

أطوار الحكم العثماني في الجزائر:

خضعت الجزائر منذ العقد الثاني من القرن السادس عشر الميلادي جزئيا ثم كليا للحكم العثماني الذي استمر من عام ١٥١٨م حتى الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠م وقد مر هذا الحكم بأربعة عهود وهي:

- أولها عهد البايلربايات من ١٥١٩ إلى ١٥٨٧م،
- و ثانيها عهد الباشاوات من ١٥٨٧ إلى ١٦٥٩م،
- و ثالثها عهد الآغاوات من ١٦٥٩ إلى ١٦٧١م،
- و رابعها عهد الدايات من ١٦٧١ إلى ١٨٣٠م،

والجدير بالذكر هنا أن الجزائر كلها كانت قوية خاصة من الناحية البحرية في خلال هذه الفترة إذ كان أسطولها أقوى أسطول في البحر المتوسط، حتى أجبرت الدول الصليبية على دفع جزية للجزائر وكانت تتسابق في طلب صداقتها، وهذا الأمر الذي أغضب الدول الصليبية وعمل على إثارة النزعة الصليبية ضد الجزائر فاجتمعت إنجلترا وهولندا وعملت على مهاجمة الأسطول الجزائري سنة ١٢٣٠ هـ، ولكن هذا الهجوم قد فشل ثم أتبعه الإنجليز بهجوم منفرد سنة ١٢٤٠ هـ من دون أن يحقق النجاح، وهنا عمد الإنجليز على التحالف مع ألد أعدائهم وهم الفرنسيون للغدر بالأسطول الجزائري، وهذا ما تم بالفعل سنة ١٢٤٢ هـ، وأصبحت الجزائر بلا قوة بحرية تحمي سواحلها. (37)

تحت الاحتلال الفرنسي: (١٨٣٠-١٩٦٢)

بعد أن فقدت الجزائر أسطولها غدرًا سنة ١٢٤٢ هـ، أصبحت البلاد مطمعا للصليبيين في أوروبا وخاصة في فرنسا التي قد فقدت كثيرا من مستعمراتها أثناء حروب

36 - الدكتور شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ص(٤٤-٤٩)
37 - حليم ميشال حداد: تاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس الجزائر ص(١١٧-١٢٣)

نابليون والمنافسة الاستعمارية مع انجلترا، وكانت تواجه أيضاً ضغطاً شعبياً داخلياً بسبب إخفاق الحكومة في سياستها ولذلك راحت تفكر بالتعويض عنها بطريقة أخرى: هي الاستيلاء على مستعمرات ومناطق نفوذ جديدة، فوردت في خاطر قادة فرنسا فكرة غزو الجزائر واحتلالها، وقد اعتقدت السلطات الفرنسية في تلك الأيام أن احتلال الجزائر عملية مريحة ومربحة، فهذه هي كانت من أهم الأسباب الجوهرية الخفية وراء عملية احتلال الجزائر. (38)

أما الأسباب الظاهرة التي اتخذتها وروجت لها الدولة الفرنسية لتبرير عدوانها الغاشم على الجزائر فقد جاء ذكرها في قصة من أغرب قصص التاريخ الغامضة، وخلاصة هذه القصة أن فرنسا أثناء أزمتها أيام الثورة الفرنسية وبعدها قد اشترت القمح من الجزائر، ولكن مرت الأيام ولم تف فرنسا بديونها، وفي عام ١٢٤٢هـ، جاء القنصل الفرنسي إلى قصر الداوي حسين باشا بمناسبة عيد الفطر فسأله الداوي عن عدم رد ملك فرنسا على رسالة الداوي بسداد الدين، فجاء رد القنصل الفرنسي منافياً للأصول وخالياً من الأدب واللياقة، فغضب الداوي حسين باشا، وفي يده كانت مروحة صغيرة، فقام بضرب القنصل بها على وجهه، (39) فكتب القنصل إلى فرنسا بما جرى معه فقررت فرنسا الهجوم على الجزائر بكل قوتها، ولم تنفع الوسائل السياسية في حل هذه الأزمة وصممت فرنسا على احتلال الجزائر. (40)

ظلت فرنسا تعد الجيوش مدة أربع سنوات، وفي مطلع سنة ١٢٤٦ هـ أرسلت ٤٠ ألف جندي ومئات السفن ودارت معارك ضارية لعدة أشهر وهزمت القوات الجزائرية رغم المقاومة العنيفة واضطر الداوي للاستسلام، وهكذا سقطت دولة الجزائر سنة ١٨٣٠م (41)، وظلت تحت نير الاحتلال الصليبي أكثر من مائة وثلاثين سنة. (42)

بعد أن استتب الأمر لقوات الاحتلال الفرنسي في الجزائر أعلنت السلطات الفرنسية أن

38 - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، صص 18-20

39 - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، صص 24 - وأيضاً عمورة عمارة: موجز في تاريخ الجزائر، صص 112

40 - توفيق المدني: هذه هي الجزائر، صص 77-78

41 - عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، 10

الجزائر هي جزء طبيعي لفرنسا وقسمت الجزائر إلى ثلاث محافظات وهي كانت : محافظة قسنطينة ومحافظة الجزائر ومحافظة وهران ، واعتبرت أن هذه المحافظات الثلاث تكملة لمحافظات فرنسا الأخرى وجعلت على رأس كل محافظة حاكما فرنسيا وإضافة إلى ذلك أتبعَت السلطات الفرنسية أساليب أخرى منها تقسيم الشعب وتفضيل فئة منهم على أخرى كل ذلك في سبيل أضعافه وإذلاله، وقد استغل الفرنسيون وجود جنسين رئيسين في الجزائر ، العرب والقبائل ، حيث عمدوا إلى تسليط أحدهما على الآخر وفضلوا القبائل على العرب.(43)

43- عابدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 12

الفصل الثاني: الأوضاع السياسية والاجتماعية للجزائر

الأوضاع السياسية والاجتماعية للجزائر

تتسم الحياة السياسية في الجزائر خلال القرن العشرين بالاضطراب والعنف المستمر وهذه الأحوال المضطربة المتأزمة كلها كانت بسبب الاستعمار الفرنسي، وفي سنوات الاحتلال الطويلة دمر الاستعمار الجزائر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا فتعرضت ثروات البلاد للنهب كما تعرض المجتمع الجزائري للفقر والامية، فالجزائريون ما رقا لهم جفن ولا هدا لهم بال كما يقول الأستاذ عبد الملك مرتاض: "كان هذا الاستعمار بحكم جبلته المعروفة في التاريخ، فالأملاك التي كانت تابعة للأوقاف هدرت قداستها والمساجد أغلق بعضها إغلاقا، وخرّب بعضها تخريبا، على حين أن كثيرا منها حول إلى كنائس أو مؤسسات عامة، أما الأملاك الخاصة فقد سلبت من أصحابها الشرعيين، وأصبحت في ملك المعمرين الأوربيين، و المدارس العربية التي كانت مصدر اشعاع للثقافة الإسلامية خربت هي أيضا، أو اضطهد القائمون عليها فتركوها مكرهين، فاستحالت إلي أطلال كأنها لم تغن بالأمس شيئا".⁽⁴⁴⁾

الثورات الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي

منذ اليوم الأول للاحتلال بدأت المقاومة الجزائرية في مختلف أنحاء البلاد ضد الاحتلال الفرنسي، وما كادت تخدم واحدة حتى تنثور الأخرى ولم تزل تبقى هذه الأحوال والظروف حتى تم استقلال الجزائر عام 1962م. وكان أقوى حركات تحريرها حركة الجهاد التي قد أعلنها وشنها الأمير عبد القادر الجزائري ف١٢٤٨هـ-١٨٢٣م، والتي استمرت خمسة عشر عامًا، وفي عام ١٨٥٧م قامت ثورة شعبية عارمة ضد الاحتلال الفرنسي وقادتها المجاهدة الجزائرية "لا لا فاطمة البدير" وسنة ١٨٦٤م قامت ثورة ثانية قادها الزعيم الجزائري سليمان الذي استشهد في ساحات القتال دفاعا عن بلاده.⁽⁴⁵⁾ وبعد بضع سنوات أي في سنة ١٨٧١م ظهر

44 - الأستاذ عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 11

45 - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص ١٥١ - وأيضا عمورة عمارة: موجز في تاريخ الجزائر، ص 116

السيد محمد المقراني على ساحة الجهاد وتحرير البلاد، وأعلن الثورة على القوات الفرنسية المحتلة، فانضم إليه الشيخ حداد رئيس الطريقة الرحمانية، وهي كانت أكبر الطرق الصوفية في الجزائر آنذاك.

وفي بداية القرن العشرين بلغت السيطرة الاستعمارية في الجزائر ذروتها رغم المقاومة الشعبية التي شملت كامل أنحاء الوطن، فتم تأسيس جمعية "نظم شمال إفريقيا" عام ١٩٢٦م على يد الزعيم الجزائري مصالح الحاج الذي كان من أبرز القادة الجزائريين في الخارج وكانت شعارات هذه الجمعية كالتالية:

١- الجزائر بلادنا ٢- العربية لغتنا ٣- الإسلام ديننا.

وراح يطالب أعضاء هذه الجمعية بانسحاب القوات الفرنسية من الجزائر، وهذا الأمر قد دفع السلطات الفرنسية إلى حل "نجم شمال إفريقيا" أما "جمعية علماء المسلمين الجزائريين" فهي كانت من أبرز تيارات الحركة الوطنية التي لعبت دورا هاما في مواجهة الغزو الثقافي الفرنسي، وقد أسسها الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس وغيره من العلماء الجزائريين ورجال الدين، وكانت هذه جمعية إسلامية إصلاحية تعتمد على الكتاب والسنة، وتمكنت من إنشاء مدارس عربية وإسلامية في مناطق عدة في الجزائر، ويعتبر قيام الجمعية مهما جدا للمجتمع الجزائري، لأنه شكل سدا منيعا في وجه دعاة الاندماج الفرنسي.⁽⁴⁶⁾

هكذا استمرت المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر، حتى جاء عام ١٩٤٥م وتم الاتفاق بين جميع قادة الثورة، على القيام بإنشاء "جبهة التحرير الوطني الجزائري" وكانت من أهداف هذه الجبهة التحريرية:

١- الحرية الكاملة.

٢- الاستقلال التام.

46 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص(٨١-٩١)

٣- الاعتراف بالشخصية الجزائرية.

اندلاع الحرب:

انفجرت الثورة الجزائرية في ١ نوفمبر ١٩٥٤م ضد المستعمر الفرنسي، وبدأت هذه الثورة من الأرياف ثم امتدت تدريجياً إلى المدن والأمصا، وراح يقوم الثوار الجزائريون بهجوم كبير على مراكز الشرطة والثكنات الفرنسية في جميع أنحاء البلاد محتجين ومطالبين بالاستقلال، أما الشعب الجزائري فراح يهلل للثورة ويمد قاداتها بالمال والرجال وتقدم الشبان والشيوخ والنساء والفتيات وحتى الأطفال طالبين الانخراط في صفوف مقاتلي الثورة الجزائرية، ودامت هذه الثورة سبع سنوات ونصف، وانتهت باستقلال الجزائر واستشهد فيها أكثر من مليون ونصف مليون جزائري.⁽⁴⁷⁾

استقلال الجزائر:

نالت الجزائر استقلالها في اليوم الخامس من شهر يوليو سنة ١٩٦٢م، حيث جاء الإعلان من قبل رئيس الجمهورية الفرنسية قائلاً " أنه لا يعارض قيام جمهورية جزائرية مستقلة" فكان هذا الإعلان أكبر انتصار حققته "جبهة التحرير الوطني" و"جيش التحرير الجزائري"، وغمرت قلوب الشعب الجزائري بالفرحة والسرور وانتشرت البهجة والحبور وامت جميع الأقطار العربية، وكان هذا أعلى استقلال عرفته هذه المنطقة على امتداد التاريخ ودفعت الجزائر في سبيله حوالي مليون شهيد سقطوا دفاعاً عن حقهم وكرامتهم وحريتهم ولذلك تلقب الجزائر "ببلد المليون نسبة لعدد شهداء ثورة التحرير الوطني".⁽⁴⁸⁾

الجزائر ما بعد الاستقلال:

بعد الاستقلال ورث الجزائريون عن الاستعمار كل مظاهر التخلف في مختلف المجالات فنسبة الأمية كانت مرتفعة والإدارة كانت مشلولة بسبب غياب الإطار، وكان الاقتصاد مخرباً، و

⁴⁷- المرجع السابق، ص(١٩٣-١٩٦)

⁴⁸ - حليم ميشال حداد: تاريخ الحضارات العربية بين الأمم واليوم تونس الجزائر ص165

كل هذه الظروف الصعبة أوجبت على الحكومة الجزائرية تطوير البلاد سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا لبناء دولة جزائرية عصرية في إطار انتمائها الحضاري العربي و الإسلامي، ولتحقيق هذا الغرض بذلت الدولة الجزائرية جهودا جبارة في كل الميادين .

وتم الدستور الجزائري عام 1963م الذي ضمن الحقوق الفردية والجماعية وأعلن أن الجزائر هي جمهورية ديمقراطية شعبية، والإسلام دين الدولة و اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، وقسم الدولة الجزائرية بين السلطات الثلاث رسميا هي تنفيذية، تشريعية، و قضائية، حيث يقوم الرئيس والجهاز التنفيذي بتطبيق القوانين التي يسنها البرلمان الجزائري و بينما القضاء يفصل في الأحكام المدنية و الجزائرية و للجيش الجزائري سلطات واسعة داخل البلاد (49).

السلطة التنفيذية:

رئيس الجمهورية هو أعلى سلطة في الدولة، بصلاحيات عديدة كتعيين الوزير الأول أعني رئيس الحكومة أو فصله ورئيس قائد القوات المسلحة أيضا، ويتولى مسؤولية الدفاع الوطني، له حق إصدار العفو وحق تخفيض العقوبات أو استبدالها، ويتم انتخابه عن طريق الاقتراع العام لمدة خمس سنوات، ولا يستحق أن يُنتخب لرئاسة الجمهورية إلا المرشح الذي يتمتع بالجنسية الجزائرية الأصلية ويدين بالإسلام و يكون عمره أربعين سنة كاملة يوم الانتخاب و يتمتع بكامل حقوقه المدنية والسياسية. (50)

السلطة التشريعية:

يشتمل البرلمان الجزائري على غرفتين منها المجلس الشعبي الوطني "الغرفة الأولى" وعدد أعضائه ٣٨٩، ويتم انتخابهم في كل خمس سنوات، ومجلس الأمة "الغرفة الثانية" وعدد أعضائه ١٤٤ و يعين رئيس الجمهورية ثلثهم أي ٤٨ عضوا "لمدة ست سنوات" بينما

⁴⁹ - - Encyclopedia Britannica-vol 1.page-558

⁵⁰ - الدستور الجزائري (1996): الباب الثاني، الفصل الأول- المادة: 70-97 ص 13-19

ينتخب الثلثان الآخران من المجالس الشعبية الولائية بحصة عضوين عن كل ولاية من الولايات الجزائرية البالغ عددها 48.⁽⁵¹⁾

السلطة القضائية:

السلطة القضائية في الجزائر هي سلطة مستقلة تمارس في إطار القانون ومن أساسيات القضاء مبادئ الشريعة والمساواة، و رئيس الدولة يكون رئيس المجلس القضائي للبلاد و يعين القضاة بالانتخابات ولا يخضع القاضي إلا للقانون. وتحمي السلطة القضائية المجتمع والحريات، وتضمن للجميع ولكل واحد المحافظة على حقوقهم الأساسية ويحق لأي متهم الدفاع عن نفسه، ويعتبر بريئا ما لم تثبت إدانته، كما لا يجوز احتجازه لأكثر من ٤٨ ساعة، وله حق أن يطعن في الحكم الأول، ولكل ولاية محكمة استئناف وتكون المحكمة العليا أعلى مراتب القضاء و المجلس الأعلى الإسلامي يراقب أحكام الشريعة، و لدى المحاكم العسكرية الرقابة على ملفات الأمن ضد المواطن العادي أو العسكري.⁽⁵²⁾

التقسيمات الإدارية:

انقسمت الجزائر بعد استقلالها إلى خمس عشرة مقاطعة، ثم تم استحداث تقسيمات جديدة مع تغيير التسمية من مقاطعة إلى ولاية، وتعد من أهم ولايات الجزائر وهران، قسنطينة، عنابة، باتنة، ورقلة، تلمسان، واستقر عدد الولايات حاليا على ٤٨ ولاية، و تحمل كل ولاية اسم المدينة الرئيسية، وتنقسم الولايات بدورها إلى دوائر، ثم إلى بلديات وهذه الأخيرة هي أصغر التقسيمات الإدارية في الجزائر.⁽⁵³⁾

حكم الولايات الداخلية:

الوالي هو المسؤول عن الجهاز التنفيذي في ولايته ويعين الولاية من طرف رئيس الجمهورية

⁵¹ - الدستور الجزائري(1996): الباب الثاني، الفصل الثاني-المادة: 98- 137 ص 20-27

⁵² - الدستور الجزائري(1996): الباب الثاني، الفصل الثالث-المادة: 138- 158 ص 28-29

⁵³ - Encyclopedia Britannica-vol 1.page, 563-569

وهم ملتزمون بتعليمات وزارة الداخلية، أما المجالس الشعبية المنتخبة فهي تتحكم في كل ولاية أو بلدية، وفي نوفمبر ٢٠٠٥م، أقرت الحكومة انتخابات للمجالس، استثنائية لمنطقة القبائل.

الأحزاب السياسية في الجزائر:

إذا نظرنا إلى الدستور الجزائري وجدنا أنه يسمح بإنشاء الأحزاب السياسية بشروط المادة 42 من الدستور، لكنه لا يجوز تأسيس الأحزاب السياسية على أساس ديني أو لغوي أو عرقي أو جنسي أو مهني، وأيضا لا يسمح لأي حزب سياسي أن يلجأ إلى استعمال العنف و الإكراه مهما كانت طبيعتهما أو شكلهما و يجب على كل حزب جديد الحصول على موافقة وزارة الداخلية، وتعتبر جبهة القوى الاشتراكية وحزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ والتجمع الوطني الديمقراطي من أهم الأحزاب السياسية في الجزائر، أما حزب جبهة التحرير الوطني المساند للرئيس " عبد العزيز بوتفليقة " فأصبح أكبر الأحزاب بمثابة رئيسه الشرفي.(54)

العشرية السوداء في الجزائر:

لقد أسلفنا الذكر أن النظام السياسي في الجزائر هو جمهوري ديمقراطي يسمح بإنشاء الأحزاب السياسية لكن بالرغم من كل ذلك استمرت الحكومة للحزب الواحد متأثرا بالنظام الاشتراكي منذ الاستقلال، و شهدت الجزائر عدة مشاكل اقتصادية تسببت عن حادثة وقعت 5 أكتوبر 1988م (55) وذهب ضحيتها حوالي 500 شخص وبينما تم اعتقال حوالي 3500 شخص، فهذه الحادثة أصحبت بداية الإصلاحات السياسية والاقتصادية حيث تم تعديل الدستور الجزائري سنة 1989م الذي أقر التعددية الحزبية والنقابية (56) التي أدت إلى العشرية السوداء أو الحرب الأهلية الجزائرية هي نزاع أو صراع مسلح وقع بين الحكومة والجماعات المختلفة التي كانت متأثرة بأفكار الجبهة الإسلامية للإنقاذ والإسلام السياسي.

54 - الدستور الجزائري: (١٩٩٦) الباب الأول- الفصل الرابع المادة: ٤٢ ص 8

55 - يحي أبو زكريا: الحركة المسلحة في الجزائر، ص 54

56 - الحبيب سويدية: الحرب القدرة، ص 36

اندلعت هذه الحرب الأهلية في يناير 1992م عقب إلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية في عام 1991م في الجزائر حيث حققت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فوزا مؤكدا (57) مما حض الجيش الجزائري للتدخل لإلغاء الانتخابات التشريعية في البلاد مخافة من فوز الإسلاميين فيها، حتى أجبر الرئيس الشاذلي بن جديد إلى الاستقالة وهكذا تولى الجيش على البلاد ، فتم حظر الجبهة الإسلامية واعتقل آلاف من أعضائها(58) وبجانب آخر قامت الجبهة الإسلامية بإنشاء جماعات مسلحة وشنت حملة مسلحة ضد الحكومة واستمرت هذه الأحوال السيئة إلى 2002م ،حيث قامت الجماعات الإسلامية بتسليم أسلحتها(59) للحكومة واستفادت بميثاق السلم والقانون الذي سنه الرئيس الجزائري عبد العزيز بن بوتفليقة ، هكذا انتهت هذه "العشرية السوداء" أو " فترة المحنة" التي دامت لمدة عشر سنوات وأثرت على الجزائر أثرا عميقا. (60)

العلاقات الخارجية:

تتمتع الجزائر بعلاقات دبلوماسية مع أكثر من مائة بلد في العالم ، كما هي عضو مؤسس لاتحاد المغرب العربي منذ عام 1988م ، وعضو ممتاز في جامعة الدول العربية ومنظمة الأمم المتحدة منذ استقلالها من فرنسا ، وكان لها من بين 2004م و 2005م مقعد غير دائم في الأمم المتحدة، وهي عضو فعال في منظمة الوحدة الأفريقية والأوبك والعديد من المؤسسات الإقليمية والعالمية.(61)

الأوضاع الاجتماعية الجزائرية :

يتشابه المجتمع الجزائري بشكل متقارب مع المجتمعات المغربية مع فروق داخل المجتمع الجزائري كنتيجة تاريخية لاحتكاك الأجناس التي عاشت على هذه البقعة من الأرض، يبدو من المناسب هنا الإشارة إلى أن التركيبة الاجتماعية والسكانية في الجزائر ممتازة بحيث أنها

57 - يحي أبو زكريا: الحركة المسلحة في الجزائر، ص 15

58 - الحبيب سويدية: الحرب القذرة، ص 15

59 - يحي أبو زكريا: ، ص 55

60 - الدكتورة أمنة بلعلي : المتخيل في الرواية الجزائرية، ص 5

مقسمة على أساس امتلاك القوة العسكرية أو على أساس اكتساب الثروة أو على أساس امتلاك النفوذ الناتج عن العوامل السابقة أو على النسب وصلة القرابة الواسعة،⁽⁶²⁾ ومن هنا نستعرض فيما يلي باختصار هذه التركيبيية السكانية التي شكلت محيطا واسعا خلال القرن العشرين في الجزائر.

الأتراك : يحتل الأتراك مكانة عالية في السلم الاجتماعي الجزائري و لهم السيطرة التامة على الوظائف العليا والمحورية وقد حافظت هذه الطائفة على وضعها المتميز بفضل انغلاقها عن باقي السكان ولتميز أفرادها، فمنهم الوزراء والبايات والأغوات وأعضاء الديوان وقادة الجيش.⁽⁶³⁾

عشائر المخزن: هي تتكون من جماعات مختلفة في أصولها وأنسابها ولكنها مشتركة في المهمة التي كانت تقوم بها، تعاملت مع الأتراك وكانت ممتازة في أصولها ومختلفة في عروقتها فهي ذات طابع ريفي ومهمتها المشاركة في الحملات الفصلية لمعاينة عصاة الجبابرة.⁽⁶⁴⁾

الحضر: كانت هذه الفئة تضم الأسر العريقة في المدن الكبرى كالجزائر ووهران وتلمسان و مازونة ومعسكر و قسنطينة، كما تضم العلماء والتجار وأصحاب الحرف والصنائع والإداريين ولكنهم كانوا محرومين من التطلع السياسي رغم دورها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري، وكان عددهم قليلا يشكلون ما يعادل 5% من السكان.⁽⁶⁵⁾

الکراغلة : أما الكراغلة فكان آباؤهم عثمانيين وأمهاتهم جزائريات لكن قد جعلهم العثمانيون أدنى منهم رتبة فلا يولون مناصبا رفيعا من مناصب الدولة فضلا عن منصب الباشا والداي

⁶² - الأستاذ ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر الجزائري، ص-73

⁶³ - الأستاذ ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ص-78

⁶⁴ - عائشة بنت ساعد: البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، ص 32

⁶⁵ - نفس المرجع، ص 32

الحاكم للبلاد.⁽⁶⁶⁾

الأديان والمذاهب في الجزائر:

لا ريب في أن الجزائر هي بلد مسلم وتعتنق الأغلبية العظمى الدين الإسلامي لكن بالرغم من كل ذلك توجد هناك كثيرا من الأديان والمذاهب المختلفة فمنها:

الإسلام: تعتنق الأغلبية العظمى من الجزائريين بالدين الإسلامي وهو دين البلد بالدستور الجزائري.

المسيحية: توجد أقليات مسيحية "كاثوليك" و"بروتستانت"، أما "الكاثوليك" الرومان فمعظمهم من أصول أوروبي على الأخص الفرنسيين، و"البروتستانت" فأكثرهم من الجزائريين الأصليين وأتباعهم لهذه الديانة حديث العهد نظرا للتبشير الذي انتشر في البلاد خاصة في زمن الاحتلال الفرنسي .

اليهودية: يسكن اليهود مع المسلمين في الجزائر منذ قبل الاحتلال الفرنسي لكن عددهم قل بشكل كبير جدا، لأن بعضا منهم ذهب إلى فرنسا بعد الاستقلال و بعض منهم من رحل إلى إسرائيل فهذه الأيام يوجد عدد قليل من اليهود في الجزائر.

البوذية: وصلت البوذية في الجزائر بالعمالة الآسيوية في البلاد ويوجد عدد قليل منها الآن.

اللا دينية: رغم أن الجزائر هي بلد مسلم بغالبية الساحقة لكن مع كل ذلك يوجد شكل من أشكال الإلحاد ، فله عدة عوامل منها ما أورثه الاحتلال الفرنسي من فكر معاد للدين بالإضافة إلى علمانية الدولة و مد الشيوعية العالمية في البلدان النامية.

المذاهب الإسلامية:

السنة : يعتمد معظم المسلمين في الجزائر على السنة والمذهب المالكي هو المذهب الأساسي للحكومة ويعد بمثابة المذهب التقليدي عند الشعب الجزائري، و انتشر المذهب الحنبلي في السنوات الأخيرة ، وبالإضافة إلى ذلك يوجد المذهب الحنفي في بعض المناطق بالعاصمة والبلدية، وهم من السكان ذوي الأصول التركية .

الشيعة : انتشر المذهب الشيعي الإثني عشري في الجزائر بعد انتصار الثورة الإيرانية الإسلامية ولعبت القنوات الشيعية كقناة الأنوار وغيرها دورا كبيرا في هذا المجال، لكن مع كل ذلك هاجر عدد كبير من الشيعة إلى العراق وسوريا ولبنان. (67)

الإباضية : يتبعها بني ميزاب من الأمازيغ المنتشرين في شتى أنحاء البلاد وخاصة في ولاية غرداية الواقعة في شمال الصحراء.

الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر:

لامراء في أن التصوف وفق النظرية الإسلامية ليس مذهبًا، بل إنه يعتبر الجزء الجوهري في الدين ، فمثلما اهتم الفقه بتعاليم شريعة الإسلام، وعلم العقيدة بالإيمان، فإن التصوف كذلك اهتم بتحقيق مقام الإحسان وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله، أي الوصول إلى معرفته والعلم به وذلك عن طريق الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة والتخلي بالأخلاق الحسنة.

وهذا المنهج استمدت أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء الذين سموه ب علم التصوف أو علم التزكية أو علم الأخلاق وقاموا بتأليف الكتب الكثيرة في التصوف و بينوا أصوله وفروعه وقواعده ومن أشهر هذه الكتب: "قواعد التصوف" للشيخ أحمد زروق" وإحياء علوم الدين للإمام للشيخ الغزالي،" و"الرسالة القشيرية" للإمام القشيري "عوارف

⁶⁷ - COLLIER'S ENCYCLOPEDIA -vol 1.page-(547-548)

المعارف" للشيخ شهاب الدين السهروردي و"بستان العارفين" للشيخ النووي و" شطحات الصوفية لأبي زيد البسطامي" كشف المحجوب للشيخ الهجويري و"الغنية لطالبي طريق الحق" للشيخ عبد القادر الجيلاني وغيرها من الكتب القيمة.⁽⁶⁸⁾

وأما بالنسبة للجزائر فاحتل التصوف مكانة هامة في حياة المجتمع الجزائري ودخلت ظاهرة التصوف في الجزائر قبل مجيء العثمانيين بسبب الاحتكاك القائم بين المغرب والمشرق في موسم الحج وبسبب طلاب العلم وأصبح يطلق عليه "تصوف الزوايا والطرق الصوفية" وقد ظل هذا التصوف العملي سائدا في جميع أنحاء المغرب الإسلامي حتى بعد دخول الأتراك العثمانيين.⁽⁶⁹⁾

وتعددت الطرق الصوفية في الجزائر وانتشرت مع مرور الزمن والتحاق العديد من أبناء الشعب بها حتى أصبحت مراكز إشعاع ونشاط فكري، بل أحيانا ملجأ وحيدا للتعليم وتبادل الأفكار والنقاش وكذلك الإنتاج ونالت القبول والرواج والنفوذ حتى الأتراك أسكتوا في بعض الأحيان شيوخها بالهدايا ولعبت دورا فعالا في مجال التعليم والتربية والإصلاح ، فقد صور لنا أحمد توفيق المدني دور هذه الطرق قائلا:

" إنها استطاعت أن تحفظ الإسلام في هذه البلاد في عصر الجهل والظلمات وعمل رجالها الكاملون على تأسيس الزوايا ، وقاموا فيها بتعليم النشئ وبث العلم في صدور الرجال ولولا تلك الجهود التي بذلوها لما وجدنا بلادنا مكانا للغة العربية ولا للعلوم الدنية فالزوايا الكبرى هي التي كونت في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الشريف وكانت واسطة فعلية في نقل الإسلام إلي بلاد في أقاصى الجنوب والسودان "⁽⁷⁰⁾

والجدير بالذكر هنا أن هذه الطرق الصوفية والزوايا رغم اختلاف عددها وكثرة شيوخها وتباين أساليبها يعود معظمها إلى الطريقة القادرية والشاذلية، أما الطريقة الشاذلية فلها أثر

⁶⁸ - الأستاذ رفيق العجم :موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي،ص(177-184)

⁶⁹ - منال عبد المنعم جاد الله : التصوف في مصر والمغرب،ص127، وأيضا قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج2ص(91-100)

⁷⁰ - المرجع السابق،ص 128

كبير في المجتمع الجزائري وهي تعد من أولى الطرق الصوفية التي أدخلت التصوف العملي في المغرب والجزائر، وتأسست هذه الطريقة في النصف الأول من القرن الثالث عشر على يد حسن بن علي الشاذلي.

أما الطريقة القادرية فهي انتشرت في العهد العثماني في الجزائر ولعبت دورا هاما في مجال التزكية والإصلاح وتربية النفوس وتطهير القلوب واحتلت مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري، وتعددت زواياها وبلغت ٢٩ زاوية، ومن أهمها زاوية " القيطنة " للشيخ مصطفى مختار الحسني الذي كان شيخا كبيرا للطريقة القادرية ، وكان أتباع هذه الطريقة أكثر عددا في الجزائر، وأيضا قد تلقى كثير من أعلام الصحوه الدينية تربية دينية وعلمية بداخل الزوايا القادرية.⁽⁷¹⁾

على كل حال، فبالرغم من جميع هذه الخدمات والمجهودات المشكورة التي بذلت الطرق الصوفية والزوايا في مجال التزكية والإصلاح وتربية النفوس وتطهير القلوب لم تكن مواقفها كلها وطنية بل اتجه بعضها إلى مساندة المستعمر الحاكم ودعا الناس إلى تأييده ، وأقام بعض شيوخ الزوايا المؤيدون لاستعمار مؤتمرات كثيرة لتأييد فرنسا ، كما أعلن بعضهم أن السيطرة الاستعمارية هي من الإرادة الإلهية ⁽⁷²⁾.

71 - الدكتور شوقي ضيف: تاريخ الدب العربي عصر الدول الإمارات، ص43 وما بعدها - وأيضا ناصر الدين سعيد وني: عصر الأمير عبد القادر الجزائري، ص(89-97)

72 - الأستاذ نور سلمان : الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 65

الفصل الثالث: الأحوال الثقافية والأدبية للجزائر

الحياة الثقافية والأدبية الجزائرية

لا يختلف الاثنان في أن الاستعمار قد أفاد بعض البلاد العربية ومنها مصر وغيرها حيث نقل إليها المطابع والصحف والمجامع العلمية ونحو ذلك، أما في الجزائر فكان عكس ذلك تماما لم يفدها الاستعمار بأي صورة، وذلك لأنه ما جاء إلى الجزائر لينشر حضارته وثقافته، إنما دخل ليسلب أفكار الشعب ويحطم كيانه ويستغل ثورته فالجزائر كغيرها من الأقطار العربية كانت لها قبل الاحتلال الثقافة القديمة والتراث الزاخر بالتقاليد القومية والوطنية لكن بعد الاحتلال قد استهدف هذا التراث العظيم لهجوم شديد من طرف الاستعمار الذي لم يكتف بتجريد الشعب الجزائري من أرضه ومسح شخصيته بل قام بإفساد الأقدمة والعقول وقد تجلى عمله التخريبي في إغلاق المساجد والمدارس وهدم الزوايا لأنها كانت مراكز لتدريس اللغة العربية و تثقيف الشباب وغرس روح المقاومة في نفوسهم. (73)

وبالإضافة إلى ذلك نرى أن الاحتلال الفرنسي في الجزائر قد قضى على المعالم الثقافية وبذل ما في وسعه في كبح جميع إمكانات التطور الاجتماعي والثقافي للشعب الجزائري الذي عاش تحت بطشه وتسلطه قرابة مائة وثلاثين سنة، وأيضا نجد أن قوات الاحتلال الفرنسي قد تدخلت في شؤون المسلمين للجزائر وحولت بعض المساجد إلى كنائس أو إلى مستشفيات وثكنات عسكرية ومتاحف (74)، ولم تترك أسلوبا من أساليب القهر والإذلال إلا واستخدمته قوات الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري وكانت أول أهداف من الاستعمار في المجال الثقافي هو القضاء على اللغة العربية ووضع اللغة الفرنسية محلها كأداة لغوية وظيفية بسيطة تسهل عليه المعاملات والاتصال مع السكان والشعب والتسطير عليهم، فأتبعت كل هذه الممارسات العنيفة على الشعب الجزائري بإعلان رسمي يقول إن اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للدولة وحدها، وبدأت على الفور بشن حملة عشوائية على اللغة العربية وعلى كل ما هو عربي، حتى

73 - الدكتور إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص ص 12-13

74 - الأستاذ نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 61

وصل الأمر إلى أن الشعب الجزائري بأكثرياته الساحقة أصبح يجهل اللغة العربية جهلا كاملا و اليوم لا يعرف البعض حتى النطق بها. (75).

والجدير بالذكر هنا أن آثار فرنسا التي حاولت طمس الهوية العربية خلال الاحتلال حتى الآن ما زالت واضحة في تداخل الفرنسية بالعربية مع أن اللغة العربية قد أصبحت اللغة الرسمية والوطنية للجزائر بعد الاستقلال وهي الآن لغة الأم لأغلبية الجزائريين و لغة التعليم والإدارة ، لكن بالرغم من كل ذلك نرى أن معظم سكان البلاد يتكلمون لهجة تختلط فيها العربية بالفرنسية ،كذلك تأخرت العربية في مجال التقنية والإعلام وبقيت لغة للأدب وتدرس في الجامعات الجزائرية للتخصصات الأدبية. أما اللغة الفرنسية فهي تدرس اليوم في المراحل الأولى للتعليم وفي التخصصات العلمية والتكنولوجية والطب وتتبعها الانجليزية ويتم تداول اللغة الفرنسية بشكل واسع في الإدارات العمومية والهيئات الحكومية، لسيطرة الجيل القديم الذي تعلم في عهد الاحتلال الفرنسي على المناصب الحساسة في الدولة وهيئاتها. (76)

التعليم والتربية:

إن النظام التعليمي كان منحصرا في العلوم الإسلامية في العهد العثماني بالجزائر، وهو كان مشتملا على مرحلتين منها الكتاتيب وكان الطالب يدرس فيها مبادئ اللغة والدين ويحفظ القرآن وبعدها كان يلتحق بالمدارس التي كانت تحت الجوامع الكبرى، حيث كان مضمون التعليم يعتمد على الحفظ ودراسة كتب معروفة أشهرها "ابن عاشور" و"رسالة أبي زيد القيرواني" و"مختصر خليل وابن الحاجي" و"عقائد السنوسي" وأيضا "ألفية ابن مالك" ولكن مع كل ذلك معظم الشعب الجزائري كان يعرف القراءة والكتابة في العهد العثماني (77)، فبذلك كانت نسبة الأمية ٥ % فقط حسب تقدير الفرنسيين في وقت الاحتلال سنة 1830م (78).

75 - أحمد توفى المدني: هذه هي الجزائر، ص(96-99)، وأيضا عمورة عمارة: موجز في تاريخ الجزائر، ص 119
76 - COLLIER'S ENCYCLOPEDIA -vol 1.page 548

77 - الدكتور أبو القاسم سعد الله:محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث،ص51
78 - COLLIER'S ENCYCLOPEDIA -vol 1.page 550

وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر بقي التعليم أيضا محصورا في تحفيظ القرآن أو قراءة بعض الكتب في قواعد وأصول العربية والفقہ والتوحيد في الزوايا بالظروف التقليدية ، وفي عام 1904م أصدر الاستعمار الفرنسي قانونا للمدارس والزوايا والمدارس وهذا القانون كان يتلخص في "أن اقتصار التعليم يجب على حفظ القرآن الكريم وعدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعو إلى التحرر من الظلم والاستبداد ، واستبعاد دراسة التاريخ العربي والإسلامي والتاريخ والمحلي وجغرافية القطر الجزائري والأقطار الغربية الأخرى و استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه"⁽⁷⁹⁾، هكذا كانت أبواب التعليم مغلقة للجزائريين فمعظمهم كانوا لا يتجاوزون مرحلة التعليم الابتدائي لأن الاستعمار كان يرغب في تجهيلهم ليكون له جيل من الخدام والعمال ويسهل عليه استبعادهم والسيطرة عليهم، فبسبب هذه السياسات الاستعمارية التي حاولت دائما إغراق المجتمع الجزائري في الجهل والامية تراجعت نسبة التعليم مع الاحتلال الفرنسي في الجزائر.⁽⁸⁰⁾

و بعد استقلال البلاد عام 1962م قد حدث التغير الكبير في النظام التعليمي و أصبح التعليم إجباريا من سن 6 إلى 16 سنة، فشهدت الجزائر ازدهارا كبيرا في مجال التعليم حيث ارتفعت نسبة المتعلمين ووصلت في نهاية 2009م إلى 90% وهذا الطور يعتبر من أهم انجازات للحكومة السابقة والحالية من الملاحظة أن أحوال المرأة قد تحسنت بعد التعليم حتى بلغ عددها الكثير اليوم في الكليات والجامعات الإسلامية والعصرية بالجزائر⁽⁸¹⁾.

الصحافة العربية والإعلام والنشر في الجزائر:

من الحقائق أن الصحافة هي مرآة ناصعة تنعكس عليها اتجاهات الشعب السياسية وأحداثه اليومية وآراءه في المشاكل العالمية من استعمار وتسلط ويكون لها أثر كبير في إيقاظ المشاعر والنفوس، والصحافة العربية ظهرت بالجزائر في عهد متأخر لا بالقياس إلى الأقطار الغربية

⁷⁹ - الدكتور واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص ص 46

⁸⁰ - INTERNATIONAL ENCYCLOPAEDIA- VOL- 1- PAGE- (245-250)

⁸¹ - الدستور الجزائري: الألباب الأول -الفصل الأول - المادة- 1-5 ص 4

بل بالقياس إلى بعض الأقطار العربية كتونس ومصر⁽⁸²⁾ وبالرغم من هذا التأخر أدت الصحافة العربية دورا كبيرا في الجزائر وأيقظت الشعب وعرفته معنى الوطن ودعته إلى التعلم ليتذوق حلاوة العلم فالصحافة كانت تعد من أول المنابر وأهم قنوات التعبير أمام الأدباء أيام احتلال ومعظم التراث الأدبي الجزائري متناثر في الصحف .

وقد بدأ فن الصحافة العربية في الجزائر عام 1884م بظهور جريدة " المبشر " هي ثالث جريدة ظهرت في العالم العربي بعد " التنبيه " والوقائع المصرية⁽⁸³⁾ وأخذ هذا الفن يتطور مع مرور الوقت وذلك من خلال احتكاكها بالصحافة الفرنسية، وفي هذه الفترة صدرت بعض الصحف ومن أبرزها صحيفة "الجزائر" والتي أصدرها "عمر راسم" عام 1908م، وجريدة "ذوالفقار" التي أصدرها "عمر بن قدور" 1913م، وبعد ذلك صدرت صحيفة "المنتقد" عام 1925م و"الشهاب" عام 1926م لعبد الحميد بن باديس⁽⁸⁴⁾، ويتحدث الأستاذ عبد الملك مرتاض عن صحيفة "الشهاب" أنها من أرقى الصحف العربية وأشهرها وأبعدها تأثيرا وأكثرها أشدها سلطانا على النفوس⁽⁸⁵⁾ ثم برز الصحافي الكبير "إبراهيم أبو اليقظان" وأصدر أكثر من عشر صحف فيما بين عامي 1938-1962⁽⁸⁶⁾.

ولكن بعد اندلاع الحرب التحريرية عام 1954م أمرت السلطات الفرنسية بإيقاف نشاطات كل الصحف و النشرات فتوقفت جميع الصحف إلا أن البعض منها كان يصدر سريا مثل جريدة "الجزائر الحرة" الصادرة باللغة العربية، وكانت تمثل وجهة رأي "الحركة الوطنية الجزائرية" وبعد الاستقلال مباشرة عام 1962م بدأت تصدر عدة صحف وجرائد، ويعد أهم حدث بعد الاستقلال هو احتلال مبنى الإذاعة والتلفزيون من طرف الجزائريين والذي تحول إلى منبر لمدح الثورة الجزائرية، لكن حادثة التعددية التي حدثت في أكتوبر عام 1988م بالجزائر وهي تعتبر نقطة تحول في مجال الصحافة حيث أصبحت تحت سيطرة السلطة التي

82 - عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص 97

83 - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 55

84 - عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص 99-98

85 - عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 78

86 - اليمين شعبان: الإعلام والتوعية الأسرية في المجتمع الجزائري، ص 30

لعبت دورا سلبيا في الإعلام الشعبي، فظل الإعلام والنشر بعيدا كل البعد عن اهتمامات الشعب الجزائري. (87)

والجدير بالملاحظة هنا أن الإعلام والنشر ليس مستقلا تماما بالجزائر اليوم، بل تعمل وسائل الإعلام مثل الإذاعة و التلفزيون و الصحف و المجلات تحت إشراف الدولة التي قد سنت قوانين صارمة لوسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة فالصحافة تعاني من جميع أنواع الضغوطات والكبت في ظل الفراغ القانوني و يعتبر إصدار الأخبار و المجلات في الجزائر مهنة خطيرة ولقد قتل عدد من الصحفيين من طرف جماعات دينية متطرفة ولذلك خصصت الصحف الجزائرية يوما في السنة للاحتجاج على هذه الوضعية. (88)

لكن بالرغم من كل هذه العراقيل والممارسات والضغوطات المفروضة عليها من الجهات المختلفة (89) والانحياز عن المسار المنشود للإعلام في الجزائر لا يمكن لنا أن ننكر القفزة النوعية والكبيرة في الممارسات الإعلامية لاسيما في الصحافة المستقلة، ومساهماته في ترويح اللغة العربية والحفاظ على هوية الجزائر العربية والإسلامية وخلق البيئة الثقافية لنشأة الفنون الأدبية الحديثة في الجزائر.

على كل حال، تصدر اليوم في الجزائر أكثر من ٤٥ صحيفة ما بين يومية أو أسبوعية بالعربية أو الفرنسية، وكذلك توجد أربع صحف وطنية تحت إشراف الدولة. و تعد جريدة "الشروق اليومي" أكثرها قراءة بالعربية كما تعتبر جريدة "البلاد" و "الفجر" و "المجاهد الأسبوعي" و "الأمة العربية" و "الخبر" و "الهداف" و "الأحداث" و "الجمهور" و "الشعب" من أهم الجرائد والمجلات الجزائرية، أما بالنسبة إلى قوانين سجن الصحفيين فهي لا تزال قائمة في الجزائر، لكنها نادرة ما تستخدم، وكان الرئيس "عبد العزيز بوتفليقة" بسبب عودة الضغط السياسي على الحريات لم يقم أية دعوى ضد صحيفة، ولكن لم تبين نية الدولة حتى الآن في

87 اليمين شعبان : المرجع السابق: ص31

88 - خالد عمر بن فقه: كتاب أيام الفزع في الجزائر، ص 41

89-اليمين شعبان:الإعلام والتوعية الأسرية في المجتمع الجزائري، ص 135

تعديل قوانينها القائمة لتحسين وضع الصحف.⁽⁹⁰⁾

لمحة عن الأدب الجزائري القديم :

من المعلوم أن العهد العثماني في الجزائر كان معروفا بالركود الثقافي كما في بقية البلاد العربية فلم تكن هناك حركات فكرية ومؤسسات ثقافية وإنتاج اللغة العربية كان مقيدا بالموضوعات الدينية، وكانت الفنون الأدبية النثرية منحصرة في الخطب والرسائل والمقامات التي كان يغلب عليها تقليد القدماء وعدم التجديد والابتكار وأسلوب الضعيف، والحكومة لم تكن تهتم باللغة العربية كما يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله بهذا الصدد : " إن معرقلات نمو اللغة وانتشار الأدب كانت أقوى من المشجعات، فالولاة كانوا لا يفقهون العربية ولا يتذوقون أدبها ولا نتوقع ممن هذه حالته تشجيع الأدباء والشعراء وتذوق إنتاجهم وتقديرهم"⁽⁹¹⁾.

وأما الوقت الذي كان يمكن فيه للثقافة الجزائرية أن تتحرر وتنتج بسبب اتصالها بأوروبا والمشرق العربي فواجه الجزائريون الاحتلال الفرنسي الذي اضر اللغة العربية للغاية وكانت نتيجة ذلك أن الأدباء والعلماء قد هاجروا إلى المشرق وأغلقت المدارس العربية وتبدلت لغة التعليم والحكومة⁽⁹²⁾ وهكذا شهدت الجزائر نكسة عميقة أدت إلي تأخر النهضة الأدبية الحديثة في هذا البلد.

على كل حال، فبعد هذا الاستعراض الموجز عن الوضع الثقافي والأدبي في الجزائر سنحاول فيما يلي أن نذكر أهم الأشكال النثرية التقليدية التي عرفت الجزائر وهي الخطب والرسائل والمقامات.

الخطابة:

تعتبر الخطابة من أبرز فنون النثر في الأدب العربي وكانت ميادينها وأغراضها متعددة ومع

⁹⁰ - قانون النشر في الجزائر 1982م طبع في الجريدة الرسمية العدد 3662 المورخ 01/05/1983 الصفحة 44

⁹¹ - الأستاذ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي المجلد الثاني، ص171

⁹² - الأستاذ نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، 61

هذا فهي كانت في معظم الأحوال تشتمل على الدين والسياسة والاجتماع ونحو ذلك، وقد عرفت الجزائر هذا النوع الأدبي في العصر القديم و هو ظل يتطور ويزدهر مع مرور الوقت لكن في العهد العثماني انحصرت الخطابة في المناسبات الدينية وظهر التكلف في أسلوبها وطابعها العام، وأما في فترة الاحتلال فالخطابة استعادت من حيث المحتوى والموضوع وتحررت من الزخرف اللفظي ومالت إلي الوضوح والبيان العربي الأصيل وسارت إلى البساطة في التعبير والقصد في القول وفتحت مجالا جديدا للخطباء، ولعبت دورا هاما في تشجيع الناس على القتال ومكافحة الفرنسيين الغزاة، و من أبرز سمات الخطابة في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي الحماسة والعاطفة الدينية التي كانت سائدة على أفكار الناس جميعا لا على الخطباء فحسب، ويعد الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير عبد القادر الجزائري و عبد الحميد بن باديس و عبد الكريم وغيرهم من أبرز الخطباء الجزائريين الذين قاموا بخدمات جليلة في مجال الخطابة العربية بالجزائر. (93)

و من الأهمية بالمكان أن نقدم هنا بعض النماذج من خطب عبد القادر الجزائري التي خاطب فيها المسلمين بعد قبول بيعتهم فهو يقول "قد قبلت بيعتهم وطاعتهم، كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه مؤملاً أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام بينهم وتأمين السبل، ومنع الأعمال المنافية للشريعة المطهرة وحماية البلاد من العدو وإجراء الحق والعدل نحو القوى والضعيف، واعلموا أن غايتي القصوى اتحاد الملة المحمدية والقيام بالشعائر الأحمدية، وعلى الله الاتكال في ذلك كله" (94).

وأيضاً يقول في خطاب آخر: "لو جمعت فرنسا سائر أموالها ثم خيرتني بين أخذها وأكون عبداً، وبين أن أكون حراً فقيراً، لاخترت أن اكون حراً فقيراً، فلا تراجعوني بمثل ذلك الخطاب فإنه ليس عندي بعد هذا الخطاب جواب، وإلى الله ترجع الأمور" (95).

93 - الأستاذ قدور عمران : الأشكال النثرية التقليدية في الأدب الجزائري ، ص 2-6

94 - توفيق المدني: هذه هي الجزائر، ص 86 ، وأيضاً محمد بن عبد القادر الجزائري : تحفة الزائر في مآثر عبد القادر الجزائري

، ج 1 ص 101

95 - محمد بن القادر الجزائري : تحفة الزائر في مآثر عبد القادر الجزائري ، ج 2 ص 28

أما بعد الاستقلال فقد تغيرت الظروف وتغير موضوع الخطابة بتغيير الواقع وضعفت من حيث صياغتها لأن العناية بها من الناحية الأدبية الفنية قد قلت وأصبح الهدف هو التعبير عن الفكرة وتوصيلها إلى الجماهير بقطع النظر عن الجمال الأدبي ، وأيضاً اتجه الخطباء والكتاب إلى أسلوب المحاضرات بدل الارتجال، مع كل ذلك فقد لعبت الخطابة دوراً كبيراً في الأدب الجزائري الحديث وأسهمت إسهاماً كبيراً في تطوير اللغة العربية والإبقاء عليها وفي نشر الأفكار والمبادئ والأهداف التي آمن بها الشعب وضحي من أجلها⁽⁹⁶⁾.

الرسائل:

من المعروف أن الرسائل قد احتلت حيزاً كبيراً من اهتمام الأدباء والموظفين والأصدقاء في كل عصر ومصر ، وأن هذا اللون من النثر قد بدأ يزدهر في الأدب العربي منذ عصر التدوين و بوجه خاص حينما أنشئت المكاتبات الديوانية واتسعت رقعة الخلافة العربية الإسلامية، وأما في الجزائر فظهر فن الرسالة كنوع أدبي بعد الفتح العربي الإسلامي وبدأ يتطور ويزدهر مع مرور الوقت، لكن في العهد العثماني تدهور هذا اللون لأن الحكام ما كانوا يجيدون اللغة العربية جيداً⁽⁹⁷⁾، ومن جانب آخر لقد سيطرت اللغة التركية التي كانت لغة الحكام على الإدارة الرسمية من هنا لا نجد في عصر الأتراك في الجزائر من الرسائل الديوانية العربية إلا القليل وقد أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى هذا الجانب قائلاً: "الواقع أن سيطرة اللغة التركية على الإدارة الجزائرية قد جعلت الرسائل العربية لا تظهر إلا في النادر وهي إذ تظهر لا يراعى فيها الإجابة بقدر ما كان يراعى فيها التوصيل والفائدة ، وكانت أحياناً تأتي متكلفة ركيكة"⁽⁹⁸⁾.

على كل حال ففي أواخر القرن التاسع عشر تدهور أسلوب الرسائل إلى حد ملحوظ حيث لا توجد في هذه الفترة إلا رسائل كتبها الكتاب للشكوى والأمور العادية بدون اهتمام بالتعبير

⁹⁶ - عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث ص 69

⁹⁷ - عبد الله ركيبي : المرجع السابق، ص 54

⁹⁸ - الأستاذ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي المجلد الثاني، ص 190

الأدبي والجمال الفني ، لكن في القرن العشرين خلال الحرب التحريرية قد استعاد فن الرسائل بالجزائر كثيرا من أصالته وذلك فيما يخص اللغة والعبارة، وأما من حيث الأسلوب والطريقة فالواقع أن الرسائل أصبحت تميل إلى الوضوح والدخول مباشرة في الموضوع (99).

و بالإضافة إلى ذلك يوجد هناك اتجاهان في كتابة الرسائل، فالإتجاه الأول يحاول فيه الكاتب أن يعبر عن مشاعره وعواطفه مع إظهار براعته اللغوية وثقافته الخاصة متأثرا بأسلوب القدماء، وأما الإتجاه الثاني فيركز فيه الكاتب عنايته على البساطة والوضوح دون قصد للجمال الأدبي والصياغة الفنية ويسلك مسلك السهولة والسلاسة قاصدا أداء المعاني والأفكار، ويتضح هذا الأسلوب في بعض رسائل "الأمير عبد القادر الجزائري" المتوجهة إلى القائد الفرنسي ولغيره من الحكام الفرنسيين أثناء المفاوضات معهم ، فمثلا كتب مرة إلى "القس مونسينيور أنطوان ديبوش" الذي كانت له علاقة وطيدة مع الأمير" كان من واجبك أن تطلب منى المساجين المسيحيين الذين حبسناهم منذ عودة الحرب بعد فسخ معاهدة تافنة وليس سجيننا واحدا كائنا من يكون وكان لفعلك هذا أن يزداد عظمة لو مس كذلك السجناء المسلمين الذين ينطفئون في سجونكم أحب لأخيك ما تحب لنفسك" (100).

وأیضا توجد رسائل لأحمد خوجه ومحمد الشاذلي القسنطيني و أبو القاسم بن سديرة وغيرهم، وقد اتسمت هذه الرسائل بخصائص معينة منها الملائمة بين الموضوع والأسلوب والعناية بالصياغة والسجع والتحرر من الركاكة والتكلف والاعتماد على البساطة والوضوح. (101)

المقامات:

فن المقامات ساير الأدب العربي في جميع عصوره منذ ظهوره في القرن الرابع الهجري حتى اليوم ،والأدب الجزائري لم يكن خلوا من هذا الفن فقد عرف النثر الجزائري هذا الجنس القديم

⁹⁹ - عبد الله ركيبي : المرجع السابق، صص-140

¹⁰⁰ - واسني الأعرج: كتاب الأمير: ص 284

¹⁰¹ - عثمان مجدوبي: تاريخ الأدب العربي الحديث و المعاصر في الجزائر ص(6-11)

منذ وقت مبكر و نشأ هذا اللون في النثر الجزائري بعد ارتباط التراث العربي، وبدأ يكتب الأدباء الجزائريون مقامات أدبية بصرف النظر عن مستواها الفني، ويعد محمد محرز الوهراني من أبرز الكتاب الذي برع في هذا الفن ومقاماته تعالج بصدق وعبرة قوية بعض جوانب الحياة الاجتماعية العربية في عصر الأيوبيين (102).

في العصر الحديث توجد ثلاثة أنواع لهذا اللون في الجزائر منها المقامة الصوفية والمقامة الشعبية و المقامة الأدبية الإصلاحية:

أما المقامة الصوفية فقد عبر فيها أصحابها عن نزعاته الروحية الصوفية وتعد مقامات الأمير عبد القادر من أشهر مقامات في هذا المضمار وقد نشرها في كتابه " المواقف الروحية والفيوضات السبوحية" وقد أبدى رأيه عن هذا الكتاب قائلاً " هذه نفثات روحية والقاءات سبوحية بعلوم وهيبية وأسرار غيبية من وراء طور العقل وظواهر النقل، خارجة عن أنواع الاكتساب، والنظر في الكتاب قيدها لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا، إذ لم يصلوا إلى اقتطاف أثمارها، تركوها في زوايا أماكنها" (103).

وأما النوع الثاني من المقامات فهي المقامة الشعبية التي كتبت بالفصحى و صنعت بطريقة جديدة وأسلوب جديد ، وأهمية هذه المقامات ليست فقط في أنها كتبت بأسلوب مختلف بين العامية والفصحى ، وإنما أهميتها في القضايا التي عالجتها وفي المشاكل التي عرضت لها، ويعد محمد بن علي الجزائري من أشهر الأدباء لهذا النوع.

و فيما يتعلق بالنوع الثالث من المقامات فهي المقامة الأدبية الإصلاحية التي تتعلق بالثقافة العربية والأدب العربي والتراث الإسلامي ويعتبر عمر بن بريهمات وابن ميمون (104) ومحمد البشير الإبراهيمي و محمد صالح خبشاس من أبرز الكتاب الذين كتبوا في هذا المجال، ويقول الأستاذ عمر بن قينه" في القرن العشرين فقد تميز فن المقامة بتجربة عمر بن بريهمات

102 - الأستاذ قدور عمران : الأشكال النثرية التقليدية في الأدب الجزائري ،ص14

103 --عبد القادر الجزائري: المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية، ج 1ص 27

104 - الطاهر حسيني : فن المقامة في تحفة المرضية لابن ميمون، ص29

بطابعها التاريخي الثقافي وتجربة محمد صالح خبشاس بظلالها الإصلاحية التربوية، بينما غلبت السمة الأدبية الوصفية الخالصة على تجربة محمد البشير الإبراهيمي " (105).

أدب الرحلات :

فن الرحلة لون أدبي أصيل في تراثنا العربي الحضاري ويعد من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القديم ، فهو فن له خصائصه وميزاته المعينة لأن الحديث من الأمم والبلدان ووصف المجتمعات التي يمر بها الرحالة هو بصورة ما لون من ألوان القص ، والواقع أن هذا الفن موغل في القدم عرفته أمم أخرى قبل العرب كالفراعنة والفينيقيين والرومان والإغريق ثم جاء الرحالة العرب الذين جابوا الآفاق واشتهر منهم كثيرون مشرقا ومغربا أمثال ابن جبير وابن بطوطة والإدريسي وغيرهم الذين قد نقلوا إلينا ما كان يضطرب في العصور السابقة وشاهدنا من خلال رحلاتهم مستوى الحضارة التي بلغت الشعوب (106).

وقد بذل الرحالون الجزائريون في عصر الأتراك مجهودات مشكورة في هذا المجال وكتبوا تلك الرحلات التي كان القصد منها لقاء شيوخ الطرق الصوفية و الاجتماع بهم أو السفر لأداء فريضة الحج (107) فعلى سبيل المثال الشيخ الحسين الورتلاني فقد كتب " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار " وأحمد بن عمار الورتلاني قد ألف " نحلة اللبيب بأخبار الرحالة إلى الحبيب " وأيضا نجد أمامنا نموذجين من الرحلات الجزائرية، فالرحلة الأولى قام بها "محمد السعيد بن علي الشريف" إلى فرنسا عام 1852م لحضور المهرجان الضخم الذي أقيم احتفالا بتنصيب نابليون الثالث وقد اهتم في رحلته بأمور وظواهر كثيرة بسبب ثقافته المتنوعة ، فحينما قدر له أن يزور بيئة جديدة عليه لم يكن مجرد سائح أو مسجل لمشاهد رآها بعينه وإنما حاول أن يستخلص بعض النتائج وأن يقارن بين الجديد الذي شاهده وبين القديم في بيئته

105 - عمر بن قينة: فن المقامات في الأدب الجزائري، ص 2

106 - عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 55

107 - عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث، ص 103

(108)، وساعدته على ذلك ثقافته الفرنسية التي تكونت له بعد أن أظهر ولاءه للحكام الفرنسيين وخاصة بالماريشال بيجو وارتباطه بالإدارة الفرنسية التي استدعته ليكون ضمن الوفد المسافر إلى المهرجان المشار إليه.

والرحلة الثانية للشيخ سليمان بن صيام 1852م، الذي رحل إلى باريس في الوفد نفسه وقد ركز ابن صيام عنايته في رحلته على وصف الطبيعة و الآثار والقصور التي شاهدها والقطار والباخرة ووصف المسارح و المكتبات و عما رأى في فرنسا من حضارة وثقافة (109).

وبالإضافة إلى ذلك توجد هنا رحلات ذات طابع قصصي منها للشيخ أحمد 1878م (110) وللشيخ محمد بن الفغون قسنطيني 1902، (111) ومن أشهر الرحالة الجزائريين في تلك الفترة "أحمد بن عمار " و"محمد بوراس المعسكري" وكذلك "الورتلاني" الذي جمع في رحلته بين الأدب والتاريخ(112).

وبالإضافة إلى ذلك هناك يوجد العديد من الرحلات إلى مناطق مختلفة داخل البلاد وخارجها وقام بهذه الرحلات رجال الحركة الإصلاحية من العلماء والأدباء ليعرفوا قضية الإصلاح والحركة الوطنية أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الإبراهيمي وأحمد توفيق المدني لكن معظم رحلاتهم لم تنشر. أما الرحلة المنشورة فهي " وراء الستار الحديدي" للأديب أحمد رضا حوحو الذي قد رحل إلى الاتحاد السوفيتي وكتب رحلته وحاول فيها أن يقدم صورة صادقة للحضارة السوفيتية والتطور والازدهار السوفيتي، وقد اعتمد فيها على الأسلوب المباشر دون لون أدبي(113).

108 - عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث ، ص ص 57-58

109 - عبد الله ركيبي : المرجع السابق ، ص 69

110 - عمر بن قينة : المرجع السابق ، ص 177

111 - ياسين سليمان: أبو القاسم سعد الله كتاب "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" نموذجاً، ص 1

112 - الأستاذ قدور عمران : الأشكال النثرية التقليدية في الأدب الجزائري ، ص 6

113 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 207

النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر:

يتضح لنا مما سبق أن النهضة العربية الحديثة في الجزائر جاءت متأخرة مقارنة بالدول العربية الأخرى في المشرق ولها عدة أسباب فمنها سيطرة القوات الأجنبية على البلاد التي كانت في الحقيقة مأساة اجتماعية عاشها الشعب الجزائري بكل الأبعاد وأيضاً اشتغال العلماء والأدباء بالجهاد ضد هذه السيطرة وخبود الحركة الأدبية والعلمية وكذلك قلة المال والرخوة وعدم الأمن الذي هو شرط أساسي لازدهار العلم والأدب وانقطاع الصلة الأدبية والعلمية مع نظيراتها في المشرق وغير ذلك كان سبباً مباشراً في الركود الفكري الثقافي والأدبي في البلاد، وهذا ما أدى إلى تأخر نهضتها في مختلف المجالات ومنها المجال الأدبي.

مع كل ذلك بدأت بوادر النهضة الأدبية والثقافية بحلول القرن العشرين عامة حينما ارتبطت الحركة الأدبية في المغرب العربي بالمشرق العربي، ووصلت النهضة الوطنية والإصلاحية في العالم الإسلامي إلى الجزائر والمغرب بقيادة الشيخ جمال الدين الأفغاني أولاً وثانياً بواسطة الشيخ محمد عبده . فالعوامل التي دعمت بوادر النهضة في الجزائر منها اليقظة الفكرية والسياسية وبروز الأحزاب السياسية والإصلاحية مثل حزب نجم شمال إفريقيا وحركة الأمير خالد وحزب الشعب لمصالح الحاج وغيرها،⁽¹¹⁴⁾ ونمو الوعي الديني الوطني وعودة الجزائريين إلى وطنهم الذين أتموا دراستهم في الخارج كلها كانت عاملاً من عوامل اليقظة الفكرية، ومنها ظهور بعض المدارس الحرة التي لعبت دوراً هاماً في اليقظة الفكرية في الجزائر، ومن أهمها مدرسة الشعبية ومدرسة الفلاح وكانت هذه المدارس الحرة تقوم على كواهل العلماء الذين كانوا متأثرين على العموم بالإصلاح الإسلامي و معظمهم كانوا من خريجي من جامع الزيتونية والأزهر والقرويين.

وتجدر بالإشارة هنا إلى أن البداية الحقيقية للنهضة الأدبية في الجزائر كانت مرتبطة بالحركة الإصلاحية، فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان لها دور بارز في النهوض لحركة

¹¹⁴ - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 38

الأدب في الجزائر وذلك من خلال الموضوعات التي بها اهتم أعضاؤها وكانت تصب في خانة الإصلاح الديني والإيديولوجي ، وأول ما قامت به هذه الحركة الإصلاحية هي إصدار الصحف العربية وكان من أبرزها جريد " المنتقد" التي برزت إلي حيز الوجود سنة 1925م (115) والتي تعد بمثابة النادي الثقافي والأدبي الذي تجمعت فيه أعلام الشباب كما يرجع إليها الفضل في احتضان الأدب الناهض وتوجيه المواهب المتفتحة واطلاع الأدباء الجزائريين على ما يوجد في عالم الأدب العربي من إنتاج جديد.

ويقول الدكتور مخلوف عامر في هذا الصدد " ارتبطت الحركة الأدبية في الجزائر بالخطاب السياسي الاجتماعي منذ العشرينيات على الأقل، فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت حركة بعث وإحياء للأصول، وعملت على توظيف كل الأدوات المتاحة بما فيها اللغة العربية وآدابها لخدمة القيم التي أنشئت من أجلها، وهي كانت بعيدة كل البعد عن مستجدات الحركة الأدبية والنقدية في العالم، بل كانت متخلفة حتى عن المعارك النقدية التي ظهرت في بعض البلدان العربية" (116).

ويرى الدكتور عبد الملك مرتاض أن بداية النهضة الأدبية في الجزائر ترجع إلي مطلع القرن العشرين وبالتحديد سنة 1925م فهو يقول " نعتبر بداية النهضة الحقيقية كانت سنة خمس وعشرين من هذا القرن حين أسس ابن باديس جريدة " المنتقد" وحين أسس محمد بن مبارك المليقي قسمين للدراسة العصرية المنظمة بمدينة قسنطينة" (117) ويكتب الأستاذ عثمان مجدوبي " أن أصول الحداثة في الأدب الجزائري ترجع إلى النصف الأول من القرن العشرين حينما كان ارتباط الحركة الأدبية في المغرب العربي بالمشرق العربي قائما، وقد بدأت النهضة في الوطن العربي عموما باستلهاهم التراث العربي المشترك في عصور ازدهاره الأولى منطلقا من إحياء أمهات الكتب في هذا التراث و الاستفادة من عناصر القوة فيه إلى جانب ما بدأت

115 - الدكتور محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، ص 28

116 - الدكتور مخلوف عامر : مميزات الممارسة النقدية في الجزائر، 50

117 - عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ، ص 9

تسهم به حركة الترجمة و النقل و الطباعة و النشر و الانفتاح على الثقافة الأوروبية عموماً".
(118)

وبالإضافة إلى ذلك نرى أن المطبعة أيضاً قد لعبت دوراً كبيراً في النهضة العربية ونشر التراث العربي الإسلامي في الجزائر وكانت أول مطبعة عربية في الجزائر هي المطبعة الثعالبية سميت بـ"الثعالبية" نسبة إلى العلامة عبد الرحمان الثعالبية التي أسسها السيد رودوسي قدور بن مراد التركي في عام 1895م، وهي ساهمت كثيراً وأدت دوراً كبيراً في طبع التراث العربي الإسلامي ونشره (119) .

فهذه هي أهم العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت مساهمة كبيرة في تكوين النهضة الأدبية والفكرية في الجزائر، وأعلنت عن ميلاد عصر جديد في مجال الأدب واتجاهاته المختلفة، فمن نتائج ذلك ازدهر وتبلور الأدب الجزائري المعاصر بألوانه المتنوعة من شعر ونثر في النصف الثاني من القرن العشرين وشهدت الجزائر صعوداً ملحوظاً في مجالات جميع الفنون الأدبية الحديثة، وتأثر الشعراء والكتاب بالأحداث والوقائع والمذاهب والحركات الأدبية والفكرية المتواجدة في البلدان الغربية والعالم العربي في هذه الفترة (120).

فالأدب الجزائري المعاصر لا يقل كما ولا أهمية عن صنوه في المشرق العربي بالرغم من معظم التراث الأدبي الجزائري لا يزال متناثراً في المخطوطات ولم ير النور بعد، فضعف الكثير منه واندثر بسبب الظروف الاستعمارية، وأيضاً نرى أن الأدب الجزائري هو جزء من الحديث عن الأدب العربي عموماً للجذور المشتركة الضاربة في العمق رغم فروق الشكلية بين أقطار الوطن العربي، كما يقول الدكتور محمد عباس "لا يمكن فصل الأدب الجزائري عن الأدب العربي العام من حيث الاتجاه العام الذي اتجه نحو الغاية والهدف ونحو المسعى في تحقيق القيم الحضارية والتراثية وفي الحفاظ على معاني الأصالة والإباء والشرف والحرية

118 - عثمان مجدوبي: تاريخ الأدب العربي الحديث و المعاصر في الجزائر، ص 2

119 - جهود المطبعة الثعالبية الجزائرية في نشر التراث الجزائري الإسلامي ص 1 لصاحبه بشير ضيف بن ابي بكر بن البشير بن عمر الجزائري مخطوط.

120 - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول الإمارات، ص 110

وفي تثبيت الشخصية" (121).

ويعد من أشهر الكتاب والشعراء الجزائريين في هذا العصر أحمد رضا حوحو و عبد المجيد الشافعي و عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار و أبو القاسم سعد الله و واسيني الأعرج و عبد الملك مرتاض و أحلام مستغانمي و رشيد بوجدره و أمين الزاوي وبشير مفتي و فضيلة الفاروق و مفدى زكريا وكاتب النشيد الوطني الجزائري محمد العيد آل خليفة و رمضان حمود و محمد الأخضر السائحي و محمد الشبوكي وغيرهم.(122)

على كل حال فبعد هذا الاستعراض عن الموجز للوضع الأدبي والثقافي في الجزائر يطيب لنا أن نخوض في البحث عن أهم ما عرفته الجزائر من الأجناس النثرية الحديثة.

المقال الأدبي في الجزائر:

تعتبر المقالة من أوسع فنون النثر وأقدرها علي استيعاب شتي الموضوعات وتتميز بتنوعها بالنظر إلي طبيعة الموضوعات التي يعالجها الكاتب وظهر فن المقالة الأدبية في الجزائر بداية القرن العشرين متأخرا عن المقال الصحفي،(123) ونمت أركانها في أحضان الصحافة التي لعبت دورا هاما في إذاعة هذا الشكل النثري وفتحت مجالا واسعا أمام أدباء الجزائر لنشر أفكارهم وآرائهم، ويدور أدب المقالة في الجزائر حول الإصلاح والسياسة والدفاع عن مصالح الشعب والمطالبة بها، وتعدد موضوع المقالة بتعدد اهتمام الفرد الجزائري وتداخلت المجالات في العديد من المقالات فكان بينها الانسجام والتكامل، وعلى الرغم من تعدد موضوعات المقالة الأدبية وتشعبها ظلت المقالة تعالج كثيرا من القضايا التي كانت تتصل بالجزائر بكل الأبعاد من السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية.

فهناك مقال يتحدث فيه الكاتب البشير الإبراهيمي عن ذكرى 8 مايو 1945م الذي يمثل مرحلة

121 - محمد عباس : البشير الإبراهيمي أديبا، ص 21

122- واسيني الأعرج :ديوان الشعر العربي في الربع الأخير من القرن العشرين، ص 5 -

123 - عثمان مجدوبي:تاريخ الأدب العربي الحديث و المعاصر في الجزائر، ص -65

تحول في المجتمع الجزائري، فهو يكتب " يوم مطلم الجوانب بالظلم ، مطرز الحواشي بالدماء المطولة مقشعر الأرض من بطش الأقوياء ، متبهج السماء بأرواح الشهداء ، خلعت شمسها طبيعتها فلا حياة و لا نور، وخرج شهر عن طاعة الربيع فلا تمور ولانور ، غبنت حقيقته عن الأفلام فلا تصوير ولاتدوين" (124).

وعلاوة على ذلك ظهرت أنواع من المقال في النثر الجزائري الحديث ولكن العامل الأساسي الذي ساعد على وجودها وتطورها وانتشارها هو الصحافة التي قد لعبت دورا كبيرا في إذاعة هذا الجنس الأدبي، ويعد من أبرز كتاب المقالة عبد الحميد بن باديس و أحمد رضا حوحو وأحمد توفيق المدني و مبارك الملي و رمضان حمود وغيرهم، لكن يعرف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كرائد المقالة العربية في الجزائر بفضل خدماته القيمة في هذا المجال كما يقول الأستاذ عبد الملك مرتاض: "غير أن هؤلاء جميعا لم يبلغوا، في رأينا ، ما بلغه البشير الإبراهيمي في فن المقالة من روعة وإبداع" (125).

المسرحية:

المسرحية العربية هي جزء من النهضة الثقافية في الجزائر وتعتبر من أهم الفنون الأدبية التي تعتمد على ترسيخ الأفكار في ذهن الجمهور فهي ليست وسيلة للترفيه والمتعة فحسب بل هي مؤسسة تربوية تسعى إلى إحياء التراث الماضي وتعمل على بث الوعي والنهضة الاجتماعية والسياسية والفكرية من جهة أخرى، أما انطلاق المسرح الجزائري فيرى كثير من الباحثين أنه بدأ في سنة ١٩٢٦م وذلك لأن في هذه السنة حاول الجزائريون خلق مسرح عربي مع استخدام اللغة العربية الفصحى وسيلة للتعبير والتمثيل وهذه المحاولة تندرج في عداد المحاولات التي قام بها رواد المسرح العربي في بلدان عربية أخرى مثل سوريا ومصر منذ القرن التاسع عشر (126)، فيقول الدكتور عبد الله ركيبي " بدأ المسرح الجزائري يخطو

124 - البشير الإبراهيمي : عيون البصائر، ص 361، دار المعارف بالقاهرة ، 1963م

125 - الأستاذ عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر ، ص 370

126 - الأستاذ عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 255

خطوات جديدة بحيث مثلت مسرحيات ذات مضامين جديدة وتكونت فرق مسرحية وفنية لعبت دورا جادا في خلق مسرح جزائري بلغة عربية فصحة استمر إلى غاية 1926م⁽¹²⁷⁾.

وقد ذهب بعض الدارسين للمسرحيات الجزائرية إلى أن ميلاد المسرحية الجزائرية تمت ما بين 1919-1927م⁽¹²⁸⁾، كما ذكر لنا الأستاذ عثمان المجدوبي قائلا "ظهرت بداياتها الأولى بعد الحرب العالمية الأولى حيث ظهرت الحاجة إلى مسرح يعالج الواقع الجزائري و يصطنع اللغة و التمثيل و يستغل هذا الفن كأداة للنقد و بالفكاهة كسبيل لترقية الذوق و الشعور"⁽¹²⁹⁾.

والجدير بالملاحظة هنا أن المرحلة الأولى للمسرحية العربية في الجزائر قد بدأت عام 1921م حينما زار المسرح اللبناني جورج أبيض الجزائر، وقدم مسرحيتين تاريخيتين "صلاح الدين الأيوبي" و"ثائر العرب" لنجيب حداد، فكان لهما أثر كبير في نفوس الشعب الجزائري، وفي العام 1922م قدمت مسرحية في الجزائر بعنوان "في سبيل الوطن" لمصطفى كامل المصري، وهذا المسرح كان يحث على النضال في سبيل الحرية فأوقفها الاستعمار الفرنسي، وأما المرحلة الثانية فهي تمتد من 1934م إلى قيام الحرب العالمية الثانية، وفي تلك المرحلة لعب الأستاذ رشيد القسنطيني دورا أساسيا في هذا المجال، واتجه إلى النقد بأسلوب فكاهي هزلي مما أثار الإدارة الفرنسية، وقدم رشيد القسنطيني مسرحية "بوعقلين" و"جنون بوبرما" وفي كل منهما حاول أن يتناول الحالة السياسية في الجزائر.⁽¹³⁰⁾

ومع هذا العرض السريع يجب علي الإشارة إلى الصعوبة التي قد واجهتها في العثور على نصوص المسرحيات الجزائرية وذلك لأن معظم المسرحيات التي تحدث عنها المؤرخون للمسرح الجزائري أو النقاد لم تطبع في صورة كتب لأنها مثلت على خشبة المسرح وبقيت مخطوطة أو أنها ضاعت أو أهملها أصحابها، ولعل الظروف التي مرت بها الجزائر والثقافة

¹²⁷ - الأستاذ عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص 256

¹²⁸ - الأستاذ أحمد دوغان: في الأدب الجزائري، ص 253

¹²⁹ - علي الراعي: المسرح في الوطن العربي، ص 459-467

¹³⁰ - الأستاذ عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص 257

القومية فيها لها دخل في هذا كله. (131)

وبعد هذا كله يمكن لنا أن نميز ثلاثة اتجاهات في المسرح الجزائري العربي الحديث وهي الاتجاه التاريخي والاتجاه الاجتماعي والاتجاه الثوري النضالي: فالاتجاه التاريخي أسبق الأنواع ظهوراً واستمر حتى بعد الاستقلال، وبالرغم من أن نصوصه قليلة مثل غيره من هذه الأنواع الأخرى يمكن لنا أن نتلمس فيه بذور المسرحية التاريخية التي تنشأ عادة في الظروف التي يشتد فيها الصراع بين القوميات المتعددة، أو بين الشعوب المضطهدة وبين المحتلين الأجانب.

وكان متوقعا أن تظهر مسرحيات تاريخية كثيرة أثناء تلك العقود التي نشأت فيها الحركة الإصلاحية وامتدت حتى قيام ثورة نوفمبر 1954م، ولكن مع هذا فلم تطبع سوى مسرحية تاريخية ألا وهي "حنبل" لتوفيق المدني، و مسرحية "بلال" للشاعر محمد العيد آل خليفة، والتي تعد من أهم النماذج للمسرحية التاريخية، فاعتبرها النقاد وكثير من الدارسين في تاريخهم للمسرح الجزائري الحديث أول نواة شعرية استلهم فيها التاريخ العربي الإسلامي، وحاول الكاتب أن يجسد موقف الصحابي المشهور "بلال" الذي تحمل المشاكل الصعبة في سبيل العقيدة والإيمان لم يتحمله سوى القليل من المؤمنين، ويتحدث الدكتور أبي العيد دود عن هذه المسرحية "هي نقطة تحول في تاريخ المسرح الجزائري، لا لأنها أول عمل شعري متكامل في هذا المجال فحسب، بل أنها قد عبرت أيضا عن اتجاه جديد تجلى في مضمونها التاريخي إلى جانب الدنية والتربوية" (132).

أما الاتجاه الثاني في المسرحية فهو الذي عنى فيه أصحابه بنقد المجتمع وتقاليد وعاداته، ولعل هذا الاتجاه كان سائدا في المسرحيات التي مثلت بالمسرح أو في الإذاعة وذلك بالرغم من أن نصوصها قليلة، ومعظمها كتب بلهجة عربية دارجة وفي معظم الأحيان المسرحيات التي ألفت ومثلت في هذا الاتجاه كانت تهدف إلى إصلاح المجتمع وتدعو إلى التحرر من

131 - الأستاذ حنكة العيد : المسرح الجزائري بين الإبداع والابتداع ص79

132 - مجلة " القبس " الجزائر، مايو 1969م ص 9

سيطرة الماضي والتخلص من رواسبه ، كما أنها كانت تهاجم المساوي التي غزت البيئة الجزائرية بسبب الاستعمار وأفكاره التي حاول أن يغرستها في هذه البيئة⁽¹³³⁾، وتجدر بالإشارة هنا إلى أن مثل هذه الموضوعات التي لها صلة بالمجتمع وما يتصل به من قريب أو بعيد تتجلى في المسرحيات القصيرة لأحمد رضا حوحو أو في تلك المسرحيات التي اقتبسها من المسرحيات الفرنسية ومثلت على خشبة المسارح الجزائرية في الأربعينات وبداية الخمسينات كان لها أثرها الواضح في الحياة الأدبية و الاجتماعية على السواء⁽¹³⁴⁾ ومن هذه المسرحيات " الوهم" و"أدباء المظهر" و" الأستاذ الخليل".

و فيما يتعلق بالاتجاه الثالث والأخير في المسرح الجزائري فهو الاتجاه الثوري أو النضال من أجل الحرية والاستقلال وهذا الاتجاه تمثله بعض المسرحيات والنصوص القليلة المطبوعة ، أما غير المطبوعة فهي كثيرة ترجع إلى أيام حرب التحرير، والمسرحية التي كتبها الكاتب عبد الله ركيبي أيام الثورة بعنوان "مصرع الطغاة" فهي قد طبعت أثناء الثورة باللغة القومية وسجلت نضال الشعب الجزائري⁽¹³⁵⁾ وأصبحت هذه المسرحية رمزا للجزائر نفسها تعبيراً عن وحدة الحب والنضال تطلعا نحو الحرية والانطلاق .

القصة القصيرة:

نشأت القصة القصيرة العربية في الجزائر متأخرة لأسباب كثيرة ومختلفة وفي مقدمتها الاستعمار والظروف السيئة التي مرت بها الجزائر والمعاناة التي كابدها الشعب الجزائري وخاصة المثقفين والمتعلمين⁽¹³⁶⁾، فتعود بدايات القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة بالعربية إلى سنة 1925 م في حين ظهرت أول محاولة قصصية على صفحات جريدة الجزائر بعنوان " فرا نسوا والرشيدي " للكاتب محمد سعيد الزاهري،⁽¹³⁷⁾ والتي تتميز بافتقارها إلى

¹³³ - الأستاذ عبد الله ركيبي: : تطور النثر الجزائري الحديث ص، 191

¹³⁴ -على الراعي : المسرح في الوطن العربي،ص 459- 463

¹³⁵ - الأستاذ قدور عمران: أدب جزائري، ص37

¹³⁶ - الأستاذ عبد الله ركيبي : : تطور النثر الجزائري الحديث، ص 256

¹³⁷ - الأستاذ عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث، ص 169

التركيز والتسلسل القصصي المتماسك و السرد التقريري والوعظ التعليمي المباشر. (138)

والجدير بالملاحظة هنا أن بذور القصة الجزائرية قد بدأت في العشرينيات من القرن العشرين بشكل مقامة أو مقالة لكنها لم تأخذ شكلها القريب من الناحية الفنية إلا في الأربعينيات، فإنها شهدت التحول رؤية وشكلا ومضمونا مع أحداث الثامن مايو عام 1945م التي كشفت للجزائريين حقائق لم تكن معروفة لديهم، ومن الذين اشتهروا في هذه الفترة منهم محمد العابد الجلاي وعبد المجيد الشافعي وأحمد بن عاشور وزهور ونيسي وأحمد رضا حوحو وشريف الحسيني، ويعتبر أحمد رضا حوحو الرائد الأول لفن القصة القصيرة في الجزائر الذي عاش فترة زمنية بالحجاز وهو الذي أعطاهها مكانة خاصة و أثبت وجودها في الأدب الجزائري الحديث، فله مجموعة قصص بعنوان " حمار الحكيم" نشرت سنة 1953م و "صاحبة الوحي" ظهرت عام 1954م و "نماذج بحرية" صدرت عام 1955م (139).

ويذكر لنا الأستاذ عبد القادر بن سالم: " أن تاريخ قيام حرب التحرير الوطنية الكبرى هو التاريخ الحقيقي للقفز فوق البدايات والتطور الفعلي في فن القصص الجزائري المعاصر سواء على صعيد الشكل أو المضمون، حيث عايشت " القصة " وتعايشت مع رجال الثورة وقاومت معهم المحتل بالكلمة والتصوير والتحفيز" (140).

و فيما يتعلق بمرحلة السبعينات بعد الاستقلال فهي كانت مرحلة خصبة في مسار الأدب الجزائري وخاصة في مجال القصة القصيرة ، حيث تنوع نماذجها وكثر كتابها وظهرت أسماء جديدة لديها إرادة وطموح وتملك ثروة ثقافية تمكنها من العطاء والإبداع، فبدأت القصة التي تشكلت فنيا تتجه إلى آفاق رحبة مع جيل جديد وهذا الجيل سرعان ما تحول منها إلى الرواية كأن القصة القصيرة لم تكن تتسع لمواضيعه وأفكاره فاتجه إلى الرواية ومن هؤلاء نجد : الأديب عبد الحميد بن هدوقة صاحب المجموعة القصصية "الكاتب" والأديب الطاهر

138- الأستاذ محمد صالح خرفي: مدخل إلى القصة الجزائرية القصيرة، ص 2

139- الأستاذ أحمد دوغان: في الأدب الجزائري، ص-167

140 - الأستاذ عبد القادر بن سالم: مكونات السرد في النص القصصي الجزائري، ص18

وطار صاحب المجموعة القصصية "دخان من قلبي" (141) و"الطعنات" والأديب مرزاق بقطاش صاحب المجموعة القصصية "جراد البحر" والكاتبة زهور ونيسي "صاحبة مجموعة "الرصيف النائم" وأبو العيد دودو صاحب مجموعة "دار الثلاثة". (142)

تشهد الجزائر اليوم حركة أدبية متميزة في جميع الفنون الأدبية وخاصة في مجال القصة القصيرة، وهذه ملامح القصة القصيرة الجزائرية تؤكد مدى التقدم الذي أحرزته القصة الجزائرية القصيرة منذ بدايتها الأولى حتى بلغت ذروة التقدم في السبعينات والثمانينات بالأداء الفني الحديث وبالتعبير الحميم عن وضع الإنسان والمجتمع في الجزائر، أما أبرزهم ممن أعتبرهم الكثير من النقاد والمتابعين لحركة الأدب في الجزائر فهم كتاب جيل الثورة الفعليين (1962-1954) ومنهم الطاهر وطار وأبو العيد دودو وعبد الحميد بن هدوقة واسيني الأعرج و رشيد بوجدره وغيرهم (143).

الرواية :

إن هذا النوع الأدبي قد تأخر في الظهور بالجزائر مقارنة بالمشرق العربي بسبب الظروف القاسية التي مرت بها الجزائر والمعاناة التي عاشها الشعب الجزائري (144) فظهرت أول رواية عربية في الجزائر باسم "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمحمد إبراهيم الأمير مصطفى عام 1849م والتي تعد من المحاولات الأولية، (145) ونضج هذا الفن عند ظهور الرواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة عام 1971م، وهي تعتبر أول رواية فنية ناضجة عرفها الأدب الجزائري الحديث، ثم جاء الآخرون الذين لعبوا دورا هاما وملموسا في نشأة وتطور الرواية العربية في الجزائر، وبفضل جهودهم الجهدية حققت الرواية العربية الجزائرية ذروة الكمال ، ويعد الطاهر وطار و رشيد بوجدره و جيلالي خلاص وواسيني

141- عابدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 61

142- الأستاذ أحمد دوغان: في الأدب الجزائري ص 165-167

143-الأستاذ قدور عمران : الأشكال النثرية التقليدية في الأدب الجزائري ،ص14

144- عابدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، 10

145-الأستاذ واسيني الأعرج: في مقدمة رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" محمد إبراهيم الأمير مصطفى، ص 3

الأعرج و أحلام مستغانمي وبشير مفتي و مرزاق بقطاش و فضيلة الفاروق و الحبيب السائح و أمين الزاوي من الأعلام البارزة للرواية العربية الجزائرية الذين ساهموا مساهمة عظيمة في تطوير الرواية العربية في الجزائر. (146)

فنظرا إلى المكانة المرموقة للرواية في الأدب الجزائري الحديث خصت الباب الثاني لنشأة الرواية العربية في الجزائر و سيأتي فيه ذكرها بالتفصيل عن نشأتها وتطورها وخصائصها وميزاتها الفنية.

¹⁴⁶-العربي بن عاشور::تاريخ الأدب العربي الحديث و المعاصر في الجزائر،ص88

الباب الثاني

الرواية العربية نشأتها وتطورها في الجزائر

الفصل الأول

نشأة الرواية العربية وتطورها في الجزائر

الفصل الثاني

الاتجاهات والقضايا للرواية العربية الجزائرية

الفصل الثالث

الأعلام البارزة للرواية العربية في الجزائر

الفصل الأول

الرواية العربية نشأتها وتطورها في الجزائر

الرواية العربية نشأتها وتطورها في الجزائر

المدخل إلى الرواية العربية

الرواية هي فن من فنون الأدبية الحديثة ولها أهمية عظيمة ودور ممتاز في إثراء الآداب في كل أنحاء العالم وهي تعتبر من أقوى وأقدر الأجناس الأدبية على معالجة القضايا الاجتماعية المعاصرة وقد حظيت الرواية في الآونة الأخيرة باهتمام كبير من النقاد والدارسين والباحثين لدى المجتمعات المتقدمة في كافة أصقاع العالم وتحولت في القرن العشرين إلى أداة فنية للوعي بمصير الإنسان وسلوكياته وأحلامه وطموحاته وقيمه وتقاليدته وتتزايد أهمية الرواية سنة بعد سنة بفضل صياغتها الفنية .

وبالرغم من كل ذلك قد ذهب الأدباء والباحثون والدارسون والنقاد إلى مذاهب شتى في وصف الرواية وقد وصفوا هذا الجنس الأدبي بطريق يختلف بعضهم عن بعض بسبب الأبعاد المتنوعة التي تعالجها الرواية ، فيقول الدكتور عبد الملك مرتاض الجزائري: "إن الرواية تتخذ لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل مما يعسر تعريفها جامعا مانعا"⁽¹⁴⁷⁾ ويقول الأستاذ ميخائل باختين : " إن تعريف الرواية لم يجد جوابا بعد بسبب تطورها الدائم"⁽¹⁴⁸⁾.

وحيثما نعود إلى القواميس العربية لتحديد مفهوم الرواية نجد أن هذه الكلمة تدل علي التفكير في الأمر و أيضا تدل علي نقل الماء وأخذه ونقل الخبر واستظهاره كما جاء في لسان العرب أنها " مشتقة من الفعل روى ، قال ابن السكيت : يقال رويت القوم أرويهم ، إذا استقيت لهم ، ويقال روى فلان فلانا شعرا ، إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه ،وقال الجوهري : رويت الحديث والشعر فأنا راو في الماء والشعر، ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته"⁽¹⁴⁹⁾ من خلال هذا التعريف اللغوي نلاحظ أن الرواية لغة مشتقة من الفعل روى

¹⁴⁷ - الأستاذ عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية ،ص 11

¹⁴⁸ - باختين ميخائل: الملحة والرواية، ص 66، نقلا عن مفقودة صالح: أبحاث في الرواية العربية ، ص 3

¹⁴⁹ - ابن منظور الإفريقي: لسان العرب ، ص ص 280-281-

يروى رياء، ويعني الحمل والنقل لذلك يقال رويت الشعر والحديث رواية أي حملته ونقلته، بالإضافة إلى هذا تحمل الرواية مدلولات لغوية متعددة هي بطبيعة الحال تحمل معان اصطلاحية كثيرة.

فنظرا إلى المعاني التي اتخذتها الرواية عبر مسيرتها التاريخية ، وباعتبارها جنسا أدبيا متغير المقومات والخصائص يصعب علينا أن نجد تعريفا دقيقا يختص بها ، لأنها تعتبر محور العلاقة بين الذات والعالم، بين الحلم والواقع، وهي الخطاب الاجتماعي والسياسي والإيديولوجي فهناك يوجد العديد من الدارسين الذين أوردوها أو بالأحرى تعرضوا لمفهومها ، فيصف الأستاذ نجيب إبراهيم الرواية قائلا : " أنها فن نثري تخيلي طويل نسبيا بالقياس إلى فن القصة " (150)، ويقول الدكتور سمير سعيد حجازي في هذا الصدد: "إنها جنس أدبي يشترك مع الأسطورة والحكاية في سرد أحداث معينة تمثل الواقع وتعكس مواقف إنسانية وتصور ما بالعالم من لغة شاعرية وتتخذ من اللغة النثرية تعبيرا لتصوير الشخصيات والزمان والمكان والحدث يكشف عن رؤية للعالم" (151).

وجاء في كتاب "معجم المصطلحات الأدبية " لفتحي إبراهيم " أن الرواية هي سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهدة والرواية هي شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية وما صاحبها من تحرر الفرد من رقبة التبعية الشخصية" (152) هذا التعريف يتضمن جملة من المصطلحات والتقنيات الروائية التي تستحق بدورها التوضيح وتصلح مواضيع لبحوث أخرى مثل السرد والشخصيات والأفعال .

من خلال هذه المصطلحات الأدبية نستطيع أن نقول إن الرواية هي نوع من أنواع السرد أو هي فن نثري يتناول مجموعة من الأحداث التي تنمو وتتطور أو تقوم بها شخصيات متعددة

150 - نجيب إبراهيم: جماليات الرواية، ص 36، نقلا عن مفقودة صالح : أبحاث في الرواية العربية ، ص3

151 - سمير سعد حجازي: النقد العربي وأوهام رواد الحداثة ، ص 297

152 - فتحي إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية ص ص 60-61، نقلا عن مفقودة صالح :صورة المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 30

في مكان وزمان حيث يكون المكان أوسع من مكان القصة أو الزمان أطول من مكانها نسبياً غير أن ما يميز هذا الجنس عن سواه هو أنه منفتح على كل الأنواع الأدبية الأخرى.

نشأة الرواية وتطورها عند العرب

يختلف المؤرخون والنفاد حول نشأة الرواية العربية الحديثة وذهب بعضهم إلى أنها فن جديد استورد من الغرب ضمن النهضة الأدبية الحديثة التي ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر في مصر وبلاد الشام وأما الآخرون فيرون أن العرب قد كتبوا الأدب الفصيح منذ وقت مبكر ويستشهدون في هذا الخصوص بملاحم عنتره ورأس الغول وحكايات ألف ليلة ورسالة الغفران وقصة حي بن يقظان وغيرها وقد سئل الأديب الجزائري الطاهر وطار عن واقع الرواية العربية فرد: "الرواية بالأصل فن لا نقول دخيل على اللغة العربية وإنما فن جديد في الأدب العربي اكتشفه العرب فتبنوه مثلما اكتشفوا في بدء نهضتهم المنطق فتبنوه و الفلسفة فتبنوها"⁽¹⁵³⁾.

وفي الواقع أن جذور الأدب الروائي قد وجدت منذ القدم في أدب المجتمع العربي والمجتمعات الأوروبية لكن الرواية العربية والحديثة بميزاتها الفنية وخصائصها الأدبية فهي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر في أوروبا. وأما العرب فلم يكتبوا الرواية إلا في أواخر القرن التاسع عشر في مصر والشام والجزائر بعد اطلاعهم على هذا اللون من الأدب عن طريق الترجمة من الآداب الغربية وأول من أقام قواعد الرواية العربية كان متأثراً بالأدب الأوربي والأدب الفرنسي بصفة خاصة⁽¹⁵⁴⁾.

على كل حال فدخل الفن الروائي في الأدب العربي من جملة ما دخل في حياة العرب بتأثير الحضارة الجديدة وقد سلكت الرواية في تطورها مع تطور العصر وظهرت أول أمرها في ترجمات شتى من الأدب الأوربي وكانت الترجمة مصدرها الأول حتى إلى ما بعد الحرب

¹⁵³ - مفقودة صالح: نشأة الرواية العربية في الجزائر (التأسيس و التأصيل)، مجلة المخبر العدد الثاني 2005، ص15.
¹⁵⁴ - يحيى حقي: فجر القصة المصرية، ص 23، وأيضاً عزيزة مريدين: القصة والرواية، ص20

العالمية الثانية ، أما المحاولات الأولية في كتابة الروايات العربية فجاءت علي أيدي الشاميين واللبنانيين منهم "فرانسيس مراه" الذي نشر روايته "غابة الحق" في عام 1865م وهي رواية أخلاقية وتعد أول رواية عربية مؤلفة (155) كما ذهب إليه عديد من الباحثين والدارسين المؤرخين والنقاد.

ثم جاء سليم البستاني الذي كتب رواية "الهيام في جنان الشام" عام 1870م ورواية "زنوبيا" عام 1871م وبدور عام 1972م توالى رواياته وبلغت عددها تسعا وهي تاريخية وغير تاريخية ، من ذلك الحين أخذت الأرضية تتعهد لهذا الفن الجديد تضافر عوامل كثيرة ساعدت على نشؤها في المجتمع العربي ومن أهم هذه العوامل ظهور التعليم الجديد والمطابع والصحف وحركة الترجمة من الآداب الغربية وأثمرت جهود الرواد وأتت أكلها حينما ظهرت رواية " زينب " عام 1913م على يد محمد حسين هيكل ، وهي بإجماع النقاد أول رواية فنية في الأدب العربي الحديث ، كما يقول الأستاذ حمدي السكوت: " إن التاريخ الحقيقي للرواية العربية بالمعنى الدقيق للكلمة إنما يبدأ بعام 1913م حين ظهرت رواية "زينب" محمد حسين هيكل" (156).

وسارت الرواية العربية منذ ظهور رواية " زينب " على طريق الارتقاء الفني وقد ظهرت فئة من كبار الكتاب والروائيين والبارزين ذوي المواهب والقدرات الإبداعية الرائعة منهم طه حسين ، إبراهيم عبد القادر المازني ، محمود تيمور وعباس محمود العقاد الذين أرسو دعائم الرواية العربية الفنية في الأدب العربي وقدموا أعمالا مميزة علي الأصول الفنية الحديثة لا تقل قيمة وأهمية عن الأعمال الجديدة في باقي أقطار العالم ، كما هي تقدم صورة صادقة للمجتمع العربي وطموحاته السياسية والاقتصادية وتحولاته الاجتماعية والثقافية وهموم الشعب ومشاكله وأحلامه وأشواقه ودواخله النفسية.

وقد بلغت الرواية العربية ذروة نضجها وازدهارها من الناحية الفنية والموضوعات على أيدي

155 - الدكتور حمدي السكوت:الرواية العربية الحديثة ، ببلوغرافيا ومدخل نقدي، ص 20

156 - الدكتور حمدي السكوت :المرجع السابق،ص 25

كُتّاب الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين منهم علي أحمد باكثير وعبد الحميد جودة السحار ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس ونجيب محفوظ وغيرهم الذين ساهموا في إغنائها وأقاموا جدارتها علي المستوي العالمي.

نشأة الرواية العربية وتطورها في الجزائر

ظهرت الرواية العربية في الجزائر متأخرة نسبيا عن نشأتها في البلدان العربية الشقيقة، فلها عوامل كثيرة وفي مقدمتها الاستعمار الفرنسي الذي قد شل حركة الثقافة القومية للجزائر وأضر اللغة العربية للغاية (157) فهاجر الأدباء والعلماء إلى المشرق وأغلقت المدارس العربية وتبدلت لغة التعليم ومرت الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر بعصور الجمود والضعف والانحطاط خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين و ظلت الجزائر منعزلة وبعيدة إلى مدة طويلة عن التطورات والانجازات العلمية والأدبية والفكرية وبقيت الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية متدهورة ومضطربة طوال هذه الفترة من بسبب الفقر والجهل والخوف والعزلة، كما أنها عاشت فترة طويلة ومليئة بالحروب وعدم الاستقرار السياسي بسبب الاحتلال الفرنسي و كان ذلك كله سببا مباشرا في الركود الفكري والثقافي والأدبي في البلاد(158).

وعلاوة على ذلك توجد هناك عوامل أخرى ساهمت بشكل كبير في تأخير ظهور هذا الجنس الأدبي (159) ومن أهمها ضعف النقد وعدم وجود الناقد وصعوبة النشر والطباعة وانعدام وسائل التشجيع الكافية للأديب ، فكان مفهوم الأدب مقتصرًا على قرص الشعر في المديح والوصف الركيك والمقال السياسي والإصلاحي، وكانت الصحف تشجع الأدب الذي يساير الحركة الإصلاحية وأسلوب الصحافة لا يساعد المبدعين على تطوير أسلوب الكتابة، وأيضًا من العوامل الاجتماعية هي التقاليد القديمة وأبرزها ما يتعلق بوضع المرأة في المجتمع

157 - الدكتور إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص ص 12-13

158 - أحمد توفى المدني: هذه هي الجزائر، ص (99-99)، وأيضًا عمورة عمارة: موجز في تاريخ الجزائر، ص (119-123)

159 - محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، ص 7

الجزائري فهي كانت مغلقة لا تسمح لها بالاختلاط أو المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية ولهذا من الصعب أن تعالج الرواية علاقة الرجل بالمرأة وبالإضافة إلى ذلك يحتاج هذا الفن الروائي إلى تأمل طويل وصبر وأناة و ظروف ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء، كما يتطلب هذا الجنس الأدبي لغة لينة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة وهذا ما لم يتوفر له في الجزائر قبل استقلال الجزائر (160) قد أشار الدكتور محمد مصايف إلى هذا الجانب قائلاً : "هذا التأخر إلى الفن الروائي في حد ذاته ذلك أنه فن صعب يتطلب من ممارسه الصبر وطول التأمل يضاف إلى انعدام النماذج الروائية الجزائرية العربية التي يمكن تقليدها والنسج على منوالها واحتياج فن الرواية إلى لغة طيعة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة وهو ما كان يفتقده كتابنا قبل السبعينات" (161).

و فوق كل ذلك هناك سبب مهم لتأخر ظهور الرواية العربية في الجزائر هو أن الروائيين الجزائريين لم يكن لهم أي نموذج جزائري للتقليد كما كان الأمر للكتاب الفرنسيين فيقول الأستاذ قدور عمران في هذا السياق " إن كتاب الرواية في الجزائر لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون على منوالها كما كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية الذين وجدوا تراثاً غنياً ونماذج جيدة في الأدب الفرنسي ومع ذلك فإن كتاب الرواية العربية قد أتت لهم أن يقرأوا في لغتهم عيوناً واسعة في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة ولكنهم لم يتصلوا بهذا الإنتاج إلا في فترة قريبة بسبب الظروف التي عاشوها وعاشتها الثقافة القومية في الجزائر" (162) فكل ذلك ساهم بشكل مباشر في الركود الفكري والثقافي والأدبي الذي عرفته الممارسة الروائية في الجزائر، هذه هي الأسباب الرئيسية بسببها تأخر ظهور الرواية العربية الفنية في الجزائر.

على كل حال بالرغم من كل ذلك ظهرت ثلاثة عوامل سياسية واجتماعية وثقافية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي ولعبت دوراً أساسياً في ميلاد الرواية العربية الجزائرية وسنذكرها

160 - عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث، صص 273-238

161 - الدكتور محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، ص 117

162- الأستاذ قدور عمران : الأشكال النثرية التقليدية في الأدب الجزائري، ص 14

في السطور الآتية :

أولاً: وقوع ثورة الفلاحين في الجزائر ضد الاحتلال عام 1871م⁽¹⁶³⁾ وقد تزامنت هذه الثورة مع ثورة العمال في باريس في نفس العام وأسهم هذا التزامن في تشكيل الفكر الاشتراكي في الجزائر الذي أدى إلى ترسيخ الفكر الاشتراكي واستفاد منه كثير من الكتّاب الجزائريين.

ثانياً: وصلت النهضة الوطنية والإصلاحية من العالم الإسلامي إلى الجزائر والمغرب بقيادة الشيخ جمال الدين الأفغاني أولاً بواسطة جامعة الزيتونية التي كانت همزة الوصل بين المشرق والمغرب العربي بفعل اتصال شيوخها بالجامع الأزهر الشريف في مصر، وثانياً بواسطة الشيخ محمد عبده الذي زار الجزائر مرتين في عام 1883م وعام 1903م ، وثالثاً باتصال الشيخ ابن باديس بشيوخ الأزهر بعد الحرب العالمية الأولى و لقاء الشيخ محمد البشير الإبراهيمي برشيد رضا في سوريا عام 1923م ، ورابعاً بدور الصحافة في نشر أفكار جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده كما يقول الأستاذ نور سلمان: " إن صحفا جزائرية قد عرضت فكر المصلحين ، منها جريدة" المغرب " وجريدة " ذوالفقار" وجريدة " الإحياء" ومن ناحية أخرى كان الجزائريون على إطلاع على مجلة جمال الدين الأفغاني " العروة الوثقى"⁽¹⁶⁴⁾، فأسهمت هذه العوامل في نشأة عدد من الحركات الثقافية ولعبت الحركة الإصلاحية في الجزائر دوراً هاماً في ترويج اللغة العربية مقابل اللغة الفرنسية بعدة أعمال تتمكن من الحفاظ على هوية الجزائر العربية والإسلامية، فبجهود الحركة الإصلاحية ظهر عدد كبير من الكتّاب ورجال الصحف واهتموا بقضايا معاصرة في كتاباتهم وجرائدهم .

وثالثاً: انتفاضة الثامن مايو لعام 1945م⁽¹⁶⁵⁾ التي وقعت في منطقة سطيف و قالمة وخراطة

163- الأستاذ عمورة عمار : موجز في تاريخ الجزائر، ص 156

164- الأستاذ نور سلمان : المرجع السابق، ص 148

165- حيث خرج الشعب الجزائري في مسيرات سلمية عبر التراب الوطني حاملاً العلم الجزائري ولافتات وتنادي من السلطات الفرنسية استقلال الجزائر، فأمر وزير الداخلية الفرنسي من مسنولي الشرطة بإيقافها والاستيلاء على الأعلام واللافتات ، لكن المتظاهرين صدموا أمامهم فأطلقت الشرطة الرصاص على المتظاهرين فذهب ضحيتها 45000 جزائري من الأبرياء.(عمورة عمار :موجز في تاريخ الجزائر ص 183)

وغيرها من المناطق الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية وأسفرت عن عدد كبير من القتلى جعلته المصادر 45 ألفاً⁽¹⁶⁶⁾ فقد لعبت هذه المجزرة دوراً كبيراً في إيقاظ الشعور السياسي والقومي حتى تحول الأدب العربي إلى الأدب الإنساني وبدأ يحاكي قضايا الشعب الجزائري في آلامه وآماله بعد أن كان مليئاً بالمحسنات اللفظية دون المعاني.

فهذه هي العوامل الداخلية والخارجية التي ساهمت في خلق البيئة الثقافية لنشأة الرواية العربية في الجزائر، وهكذا دخلت الرواية العربية إلى الأدب الجزائري خلال الاحتلال الفرنسي الجزائر من الجانب الاجتماعي والثقافي والإصلاحي، وقد مرت بثلاث مراحل، والمرحلة الأولى تبدأ قبل الاستقلال بظهور رواية " غادة أم القرى " عام 1947م لأحمد رضا حوحو، ورواية " الطالب المنكوب " عام 1951م للأديب عبد المجيد الشافعي و رواية " الحريق " عام 1957م للروائي نور الدين بوجدره، و رواية " صوت الغرام " سنة 1967م للأستاذ محمد منيع، ولكن هذه الأعمال الروائية الصادرة في هذه المرحلة اتصفت بالضعف اللغوي والفني إذ يوجد فيها فقدان الشروط الفنية .

أما المرحلة الثانية فهي انطلقت برواية " ريح الجنوب " عام 1972م لعبد الحميد بن هدوقة والتي تعد بإجماع النقاد أول رواية جزائرية ناضجة⁽¹⁶⁷⁾ وفي هذه المرحلة ازدهرت الرواية الجزائرية كما وكيفا وقطعت أشواطاً مهمة من ناحية الإنتاج الروائي وتطور البناء الفني على أيادي عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار وعبد الملك مرتاض وغيرهم. أما المرحلة الثالثة فهي فترة الثمانينات والتسعينات حيث بلغت الرواية العربية في الجزائر ذروة الكمال في نضجها وازدهارها من الناحية الفنية على أيدي واسيني الأعرج ورشيد بوجدره وعبد الملك مرتاض و مرزاق بقطاش وأحلام مستغانمي و بشير مفتي و الحبيب السائح وغيرهم الذين قدموا أعمالاً مميزة على الأصول الفنية الحديثة لا تقل قيمة وأهمية عن الأعمال الرواية الفنية في باقي الأقطار العربية.

¹⁶⁶ - حاتم رشيد : الجزائر إلى أين، ص 120

¹⁶⁷ - الدكتور حمدي السكوت: الرواية العربية الحديثة، ببلوغرافيا ومدخل نقدي، ص 20

على كل حال، فبعد هذا الاستعراض الموجز سنذكر هذه المراحل كلها من البداية والتأسيس والنضج الفني والتجديد والتحديث لنشأة الرواية العربية وتطورها في الجزائر بالتفصيل في السطور التالية:

المحاولات الأولى قبل الاستقلال: (مرحلة البداية والتأسيس)

تعتبر رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" التي كتبها الأستاذ محمد إبراهيم الأمير مصطفى (1806-1886) عام 1849م من المحاولات الأولية وكان الناقد الشهير والباحث اللامع الأستاذ أبو القاسم سعد الله قد عثر على مخطوطتها في المكتبة الوطنية بالجزائر عاصمة البلاد فقام بتحقيقها وطباعتها سنة 1977م، ويزعم الدكتور أحمد دوغان (168) والأستاذ أعمر بن قينة (169) والأستاذة شاذية بنت يحيى (170) وغيرهم من النقاد والمؤرخين الجزائريين أنها أول رواية عربية غير فنية و يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله : " إنها أول رواية شعبية جزائرية كتبت 1849م " (171) ، وقد أرجع الأستاذ عمر بن قينة إهمال عنصر الحكمة الفنية فيها، وضعف مستواها اللغوي إلى الظروف التي مرت بها الجزائر ولولاها لجاءت رواية فنية جيدة، كما عدها أول عمل روائي عربي. (172)

و رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" تروي مغامرات عاطفية جرت بين حبيبين زهرة الأنس وابن الملك والرواية أيضا تحتوي أيضا على رموز سياسية مما يرجع إلى أن يكون المؤلف نفسه الذي حرمه الاستعمار الفرنسي لبلاده من مجده العائلي و ثرواته الشخصية هو "بطل الرواية" و ينتصر الحب في آخر المطاف بين الشعر والخمر والفراق والقرب وكيد

168 - أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 85،

169 - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث ، ص ص 197-198

170 - والدكتورة شاذية بن يحيى: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، ص 2،

171 - الأستاذ واسيني الأعرج: في مقدمة رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" محمد إبراهيم الأمير مصطفى، ص 3

172 - عمر بن قينة: الريف والثورة في الرواية الجزائرية، ، ص ص: 13

الكائدين، والقصة تحمل ظلال القصة الشعبية بجوها ولغتها⁽¹⁷³⁾

والجدير بالذكر هنا أن أسلوب رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" مع الشعر والنثر حافل بالسجع تكثر فيه الأمثال الشعبية وتختلط العامية بالفصحى كما تقول الأستاذة ياسمين سليمان: "هذه الرواية مليئة بالأخطاء الإملائية وفي كثير من الأحيان تكون العبارات عامية ورغم وجود الكثير من المقاطع الشعرية إلا أن الأخطاء أيضا وصلت إليها حتى أفسدت وزنها ومعناها"⁽¹⁷⁴⁾.

وبعد رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" تبعتها محاولات أخرى في شكل رحلات ذات طابع قصصي منها: " ثلاث رحلات إلى "باريس للشيخ سليمان بن صيام 1852م وللشيخ أحمد ولد قادم 1878م محمد بن الشيخ الفغون قسنطيني 1902م ، ثم تلتها نصوص أخرى كان أصحابها يتحسون مسالك النوع الروائي دون أن يمتلكوا القدر الكافي من الوعي النظري بشروط ممارسة⁽¹⁷⁵⁾.

وظهرت رواية " غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو (1911-1956) سنة 1947م في الحجاز وحاول المؤلف أن يلوح بها إلي المرأة الجزائرية التي كانت تعاني ضروبا مختلفة من الجهل والتخلف ، لذلك أهداها روايته بهذه العبارات المفعمة بالحنين " إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب ونعمة العلم وإلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في الوجود إلي المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية سلوى"⁽¹⁷⁶⁾ وهذا الإهداء قد أثار بعض الأصوات المحافظة التي اعتبرته دعوة إلى تحريض المرأة على التمرد، كما يقول الأستاذ لوجاني طارق "حينما صدرت رواية "غادة أم القرى" عام 1947م ثار عليها كثير من الناس خاصة القلوب المتحجرة

¹⁷³ - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص: 197

¹⁷⁴ - الدكتورة شازية بنت يحي: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، ص 2،

¹⁷⁵ - ياسين سليمان: أبو القاسم سعد الله كتاب "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" نموذجاً، ص 1

¹⁷⁶ - أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، ص 5

والنفوس المتزمتة التي اعتبرت دعوة لتحرير المرأة و خروجها من سلطة الرجل" (177).

وتبدو رواية غادة أم القرى في حد ذاتها دعوة صارخة من أحمد رضاء حوحو إلى تحرير المرأة الجزائرية من الأوهام والخرافات ويدور موضوعها حول قضية الحجاب في الشرق العربي، و التقاليد البالية وما تسببه للناس من آلام وشقاء وتعتبر هذه الرواية أول رواية عربية في الجزائر (178) ويصف الأستاذ واسيني الأعرج "غادة أم القرى" بأول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر ويقول: إنها ظهرت كتعبير عن تبلور الوعي الجماهير بالرغم من آفاقها المحدودة" (179).

وفي عام 1951م صدرت رواية " الطالب المنكوب " لعبد المجيد الشافعي وتناول فيها الكاتب قضية اجتماعية عاطفية ويدور أحداث هذه الرواية حول الطالب الجزائري الذي عاش في تونس في أواخر الأربعينات وقع في حب فتاة تونسية وسيطر عليه حبها حتى أنه كاد يغمي عليه من شدة الحب(180)، مع كل ذلك وجدنا أن هذه الرواية ساذجة و مليئة بالأخطاء كما يصف الدكتور عبد الله الركيبي هذه الرواية بأنها رومانسية في أسلوبها وموضوعها كما أنها ساذجة في طريقة تعبيرها(181)، و يقول الأستاذ إدريس بوديبة: إن رواية "الطالب المنكوب " تعتبر خطوة أخرى إلى الوراء بالنسبة إلى الدرب المتطور الذي رسمته "غادة أم القرى" (182) و بجانب آخر يرى الناقد الشهير محمد مصايف " ليست الرواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو و"الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي إلا قصتين مطولتين ليس غير" (183).

وظهرت رواية " الحريق " لنور الدين بوجدرة سنة 1957 م (184)، وتحكي قصة بطل الرواية " علاوة " الذي هو شاب وشجاع التحق بالثورة والصعود إلى الجبال لكي ينتقم من

177 - الأستاذ لوجاني طارق : دراسة الأبعاد الفنية ، ص7

178 - عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 190-191

179 - الأستاذ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 18

180 - عبد المجيد الشافعي: الطالب المنكوب 1، دار الكتب العربية، تونس 1951م

181 - عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص 197

182 - إدريس بوديبة: المرجع السابق، ص 31

183 - الدكتور محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، ص 117

184 - رواية " الحريق " دار بوسلامة، الجزائر 1957م، ص 2

القوات الفرنسية التي قتلت والديه لكن وقع في حب ابنة عمه " زهور " التي لا تلبث بعد فترة وجيزة حتى أن تصاب بمرض تموت بين يديه ، فيجن جنون " علاوة " ويهاجم على الجنود الفرنسيين ويستشهد ثم يدفن الحبيبان في خندق واحد، قد أفاض الكاتب بحماسة كبيرة في تصوير مظاهر البؤس والاضطهاد والقتل الجماعي لكن ما اهتم بالجوانب الفنية الدرامية لنمو عمله الروائي.

وبعد استقلال الجزائر جاءت مرحلة الستينات في حين جمدت فيها الأعمال الأدبية بصفة عامة والرواية بصفة خاصة نظرا للأوضاع المزرية والصراعات المحتدمة بين الأحزاب مما انعكس سلبيا علي الإنتاج الأدبي، فيقول الدكتور واسيني الأعرج " أن الجزائر قد مرت بعد الاستقلال بظروف اقتصادية سيئة بسبب المردود الضئيل الذي قدمه الأراضي الزراعية التي سيرت ذاتيا من قبل الفلاحين بعد ترك الاستعمار لها " (185) وتضاف الأستاذة عايدة بامية إلى كل هذا صعوبة النشر والطباعة كل ذلك ساهم بشكل مباشر في الركود الذي عرفته الممارسة الروائية حتى سنة (1967) بتاريخ ظهور رواية "صوت الغرام" على يد "محمد منيع" (186).

وهكذا قد تزامن هذا الوضع الاقتصادي السيئ في الجزائر بعد الاستقلال مع غياب الرواية العربية الجزائرية ، فالرواية الأولى بعد الاستقلال تأخرت علي ما يبدو حتى عام 1967م، في حين صدرت رواية " صوت الغرام" سنة 1967م (187) للأستاذ محمد منيع ، هي رواية رومانسية تدور أحداثها حول الشابين من الريف الجزائري حيث ينشأ الحب بين بطلين في إحدى القرى المحاذية بالشرق الجزائري تتحكم فيه العادات والتقاليد البالية التي تحرم أية علاقة الحب بين شاب وشابة ، ولكن الرواية تنتهي بالخاتمة الجيدة و يتم زواج البطلين.

رغم سطحية الطرح وسذاجة الأفكار وركاكة الأسلوب واللغة تعد رواية " صوت الغرام " فقزة متقدمة على الأعمال الروائية التي سبقتها تحمل في طياتها يقظة روائية حقيقية ، ونجح

185 - الدكتور واسيني الأعرج : الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية ، ص 84

186 - عايدة بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، المرجع السابق، ص:61

187 - صوت الغرام، قسنطينة، 1967م ، ص 3

الكاتب في تقديم تشكيل روائي مقبول وفي نقل الألوان المحلية لروح الريف الجزائري، (188) وبالرغم بهذه الخصائص هذه رواية غير فنية مثل روايات أخرى كما يقول الأستاذ الناقد محمد بصير: " بأنها رواية سطحية ساذجة في أفكارها وأسلوبها ضعيف لا يختلف عن أسلوب الشافعي في روايته "الطالب المنكوب" (189).

على كل حال فهذه هي المحاولات الأولى للرواية العربية في الجزائر والتي ظهرت قبل السبعينات في الجزائر وهي تتميز بالضعف اللغوي والفني والسذاجة وفقدان الشروط الفنية التي يقتضيها جنس الرواية، كما أنها لم تتطور بالنسبة إلى اتجاهات فنية حاسمة بل ظلت مجرد محاولات معزولة ولم تصل بالمستوى المطلوب ولكن بالرغم من كل ذلك لا بد من الاعتراف بأن هذه المحاولات الأولى قد مهدت الطريق لميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية كما يقول الأستاذ محمد مصايف: " الرواية العربية قد ظهرت قبل الاستقلال في شكل غير ناضج ولا شك أن كان له أثره علي تطور الفن القصصي في الأدب الجزائري الحديث بعد ذلك" (190).

مرحة النضج الفني في السبعينات والثمانينات:

مع بداية السبعينات قد شهدت الجزائر تغيرات اجتماعية وتحولات السياسية في حين تأسست مراكز التعليم الأساسية في كافة أرجاء البلاد والتي مهدت السبيل لظهور الكليات و الجامعات ودور العلم والمعرفة وحركة الترجمة من الآداب الغربية فانتشرت المطابع والصحف والمجلات التي ساعدت في تثقيف الظروف وإصلاح الأوضاع الاجتماعية وإرساء دعائم النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، فظل هذه التغيرات تزيد الرواية العربية الجزائرية تطورا وتنوعا لم تعرف له مثيلا قبل ذلك، وقد أثمرت جهود الرواد فظهرت أول رواية ناضجة بعنوان " ربح الجنوب" في عام 1971م، على يد عبد الحميد بن هدوقة . و يتفق الباحثون

188 - إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص ص 36
 189 - محمد البصير: الموقف الثوري في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 35
 190 - الأستاذ واسيني الأعرج: الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية، ص 86

والمؤرخون و الدارسون على أن الرواية العربية الجزائرية لم تظهر بشكلها الفني إلا في السبعينات وكانت أول رواية فنية ناضجة عرفها الأدب الجزائري هي "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة (191)، يقول الدكتور مصطفى قاسي: "فلامنص من الاعتراف بأن رواية" ريح الجنوب" هي أول رواية جزائرية جادة ومتكاملة كتبت باللغة العربية" (192).

"ريح الجنوب" هي رواية رومانسية تجري أحداثها في الريف حيث يكون أب إقطاعي يريد تزويج ابنته "نفيسة" لرئيس البلدية بغرض المحافظة علي أملاكه من المشروع الجديد والمتمثل في الثورة الزراعية إلا ابنته رفضت ذلك، فالكاتب عبد الحميد بن هدوقة حاول في هذه الرواية أن يعالج حرية المرأة بالتخلص من الإقطاعية في شكل معادلة متكاملة لا ينجح المشروع الجديد إلا بتحقيق طرفيها ومهما يكن من أمر فإن الرواية بمحيطها وشخصياتها تعبير عن وضع ريفي في بداية السبعينات يتخبط في بحر من الهموم و المشاكل متأملا في تغيير جذري تجسد في المشروع الجديد المتمثل في الثورة الزراعية، وتبرز قيمتها في كونها أسساً لاتجاه الكتابة الرواية الجزائرية والذي يميل إلى التجسيد الواقعي لأحوال المجتمع الجزائري من خلال وصف القرية وعادات أهلها كما رصدت هموم الفلاح الجزائري ومشاكله مع الأرض (193).

وجاءت بعد ذلك رواية "مالا تذروره الرياح" لمحمد عرعار عام 1972م وتناول الكاتب فيها معالجة الآثار النفسية والاجتماعية التي كان يعانيها الشعب الجزائري وطبقاته المحرومة الخاصة، ثم ظهرت رواية "من يوميات مدرسة حرة" لزهور ونيسي، سنة 1973م، ونشر الطاهر وطار روايته "اللاز" 1972م و رواية "الزلزال" 1974م وحاول من خلال إبداعاته إخراج الفن القصصي بما فيه الرواية من التابوت اللغوي والمضامين المستهلكة، فجاءت رواية "اللاز" كانجاز فني جري وضح ي طرح بكل واقعية وموضوعية قضية الثورة الوطنية، واهتمت بالثورة وأحداثها، وإن كانت الثورة في آخر الأمر إنما هي إطار زمني

191 - الدكتور عبد الله الركبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص 208، وأحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 85

192 - الدكتور مصطفى قاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، ص 7

193 - محمد البصير: الموقف الثوري في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 36

واجتماعي يعالج الكاتب من خلاله موقفا أيديولوجيا وأيضا تناولت الأوضاع الاجتماعية لمدينة قسنطينة من خلال وصف للآثار التي خلفتها الثورة في نفوس أهاليها على اختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم ويقول "محمد مصايف: "هذه هي رواية (اللاز) في محتواها العام وفي اتجاهها الأيديولوجي والفني. وهي رواية تؤرخ لظهور الرواية الأيديولوجية السياسية في الأدب الجزائري الحديث" (194).

وتعد هذه الرواية من أهم التجارب الروائية التي مهدت لظهور الرواية العربية الجزائرية والتي عولت على الحرب التحريرية مادة لها، فظهرت على هذا الاتجاه أعمال روائية أخرى مثل رواية "نار ونور" لعبد المالك مرتاض" عام 1975م و رواية "طيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش سنة 1976م ، ورواية " الشمس تشرق على الجميع" عام 1977م لإسماعيل غموقات ، ورواية حورية" عام 1976م ،لعبد العزيز عبد المجيد" وراية "عرس بغول" سنة 1978م للطاهر وطار وغيرها من الأعمال الروائية الأخرى التي عملت على تأسيس الرواية الجزائرية في السبعينيات وساهمت بشكل كبير في تطوير الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية لإبراز خصوصيتها الثقافية التي لم تكن لتختلف كثيرا عن رواية المغاربة أو الرواية العربية بشكل عام.

و الجدير بالذكر هنا أن أغلب هذه الروايات التي ظهرت في هذه الفترة حاولت أن تعالج مرحلة الثورة التحريرية أو الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عليها كما يفسره "السعيد علوش" بقوله: "إن ما يدفع الروائي إلى البحث داخل الماضي لهو تعرفه فيه على نفسه، أنه يقوم بفرز ما يمكن أن يفهم، وما يمكن أن ينسى للحصول على تمثيل الوضوح داخل الحاضر... وهدفه التاريخي بهذا هو إعطاء هوية للذي يحيا بواسطته هروبا من النسيان الذي رسمه الآخر(المستعمر) على جسده." (195).

وهكذا اعتبرت فترة السبعينات المرحلة الفعلية التي شهدت قفزة حقيقية للنهوض بالفن الروائي

194 - محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، ص53

195 - سعيد علوش: الرواية والأيديولوجيا في المغرب العربي، ص27

في الجزائر ومن سمات الرواية في هذه الفترة هي الشجاعة والجرأة والمغامرة الفنية وهذه الميزات كلها ترجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد الذي كان مناقضا للواقع السياسي الاستعماري قبل هذه الفترة على اعتبار أن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية و الانفتاح.

الرواية العربية الجزائرية في الثمانينات

قد بلغت الرواية العربية الجزائرية ذروة نضجها وازدهارها من الناحية الفنية والموضوعات الجديدة علي أيدي كتاب الثمانينات من القرن العشرين وقد شهدت هذه الفترة نموا وازدهارا في الرواية العربية في الجزائر، وكانت التجربة الروائية لكتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة للتحويلات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثل هذا الجيل اتجاها تحديا حديثا في هذا النمط الأدبي العربي.

ومن أهم التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر على سبيل المثال روايات واسيني الأعرج مثل "البوابة الحمراء" و"طوق الياسمين" و"وقع الأحذية الخشنة" سنة 1981 م، و "أوجاع رجل غامر صوب البحر" سنة 1983 م، كما أخرج واسيني الأعرج نمطا روائيا آخر في هذه الفترة تحت عنوان "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" سنة 1983، ورواية "نوار اللوز" (196) أو "تغريبة صالح بن عامر الزوفري" سنة 1982 م، هذه رواية شهيرة نالت رواجا كبيرا هي تشير إلي أحداث الثامن مايو 1945 م، (197) وتعالج مأساة متأصلة بعض الهوية العربية من سوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن مصالح العباد.

وقد أخرج رشيد بوجدره عدة أعمال روائية نذكر من بينها رواية "التفكك" سنة 1982 م (198)، و"المرث" سنة 1984 م، "وليليات امرأة أرق" سنة 1985، و"معركة الزقاق" سنة 1986 م،

196 - رواية "نوار اللوز" الشركة الوطنية، الجزائر 1982م، ص 1

197 - الدكتور سعيد سلام: التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجا) ص 415

198 - رواية "التفكك" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982م، ص 3

والجدير بالذكر هنا أن رواية " التفكك " هي أول رواية كتبها رشيد بوجدرة بالعربية بعد استغنائه عن الكتابة بالفرنسية التي تدور حول قصة الاستقلال الجزائري.

وأصدر الطاهر وطار في هذه الفترة رواية " الحوات والقصر " و " العشق والموت في الزمن الحراشي " 1980م و "رمانة" 1981م " تجربة في العشق والموت " 1988م ، وجاءت رواية " الخنازير " 1985م " و"صوت الكهف" 1986م لعبد الملك مرتاض ، أما رواية "صوت الكهف" هي رواية استطاعت بحق أن تجعل الكثير من النقاد يلتفتون إليها لأنها وفقت في توظيف تقنيات الرواية الجديدة، وتكون شخصية في الرواية عنصرا مهما من عناصر البنية السردية حيث يتلاعب المؤلف بالضمائر لطمس معالم الشخصية، وبذلك يضمن للقارئ المشاركة في إبداع النص والبناء (199).

نشرت في هذه الفترة رواية "بان الصبح" 1980م و " الجازية والدرأويش " لعبد الحميد بن هذوقة ، 1983م(200). أما "الجازية والدرأويش" فهي رواية شهيرة نالت رواجاً كبيراً تتحدث عن تقاليد وعادات الشعب وتحتوي على كثير من التحولات الاجتماعية التي عاشتها الجزائر في ظروف البناء الاشتراكي وبداية الإصلاح الزراعي وانطلاق الثورة الزراعية الحملات التطوعية في بناء القرى الاشتراكية

و يتحدث الدكتور حمدي السكوت عنها " هذه رواية أخرى تؤكد مدى ما وصلت إليه الرواية العربية الجزائرية من رقى فني ورواية تفضح في شاعرية واقع البلاد الذي يموج بالفساد والتسلط بعد الاستقلال " (201).

وأيضاً من أهم الأعمال الروائية الجزائرية التي ظهرت في هذه الفترة :رواية "لقاء في الريف" لحسان الجيلاني عام 1980م و " المؤامرة " لمحمد مصايف و"الطريق الدامية" لأحمد الخطيب، عام 1982، ورواية " حديث عصا" لمحمد جابري 1983م، ورواية " زمن التمرد"

199 - الدكتور سعيد سلام: المرجع السابق: ص 261

200 - رواية "الجازية والدرأويش" المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986، ص 4

201 - الدكتور حمدي السكوت: الرواية العربية الحديثة ببلوجرافيا ومدخل نقدي، ص 226

للحبيب السائح سنة 1985 م، ورواية "رائحة الكلب" سنة 1985م، و "حمام الشفق" 1988م لجيلالي خلاص، و "سهيل الحسد" للأمين الزاوي عام 1985م، ورواية "زمن العشق و الأخطار" 1988م، و"خيرة و الحيال" 1988م لمحمد مفلح، و "الألواح تحترق" سنة 1982م لمحمد رتيلي، و "الضحية" 1984م لحيدوسي رابح، و أخيرا "تتلأأ الشمس" 1989م لمحمد مرتاض ، أما رواية "البزاة" لمرزاق بقطاش التي ظهرت عام 1982م فقد قام الكاتب فيها بامتداد شخصية الطفل " مراد" الذي يعيش أكثر وعيا لمفهوم النضال والمقاومة.

هذه الأعمال الروائية وغيرها من النصوص الروائية التي ظهرت في هذه الفترة أسهمت في تكريس إيديولوجية السلطة المهيمنة ، لكن مع كله هذا هو الموقف الذي لم يلتزم به الكثير من التجارب الروائية التي تناولت هي الأخرى ثورة التحرير قبل الاستقلال و بعده، ومن منظور نقدي وهو ما عبرت عنه تجارب طاهر وطار وواسيني الأعرج و رشيد بوجدره و جيلالي خلاص و لحبيب السايح وغيرهم من كتاب هذا الجيل الجديد. (202)

مرحلة التجديد والتحديث في التسعينات وبعدها

تبدأ فترة التسعينات للرواية العربية الجزائرية بشتى التغيرات والاجتماعية والسياسية والاقتصادية كما شهدت هذه الفترة المرحلة الحرجة والمنعرج الخطير الذي مرت به الجزائر في تاريخها المعاصر ويعرف باسم الإرهاب والحرب الأهلية والعشرية السوداء (203) وبسببها واجهت الجزائر تراكمات نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية أيضا، ولكن من جانب آخر ظهر جيل جديد من الشباب الجزائري لم يكن معروفا من قبل كما كتب الأستاذ عبد الله العشي "إذا كانت المحنة التي عرفت الجزائر لمدة عشر سنوات قد أنتجت أديها الخاص المتفرد بخطابه ورؤيته"(204) فظهرت موجة جديدة من الرواية الجزائرية التي تحررت من أثر الرواية الكلاسيكية بل حتى من طوق الرواية السياسية التي سادت فترة السبعينات وجزءا من

202 - الدكتور حسين خمري: فضاء المتخيل - مقاربات في الرواية- ص 191

203 - يحي أبو زكريا: الحركة المسلحة في الجزائر، ص 15

204 - الدكتورة أمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية، المقدمة ص 5

سنوات الثمانينات وعقد التسعينات الذي كان حافلا بمختلف التطورات والأحداث خصوصا في الميدانين الأمني و السياسي، تميز بظهور نمط جديد من الكتابة الروائية وهو رواية المحنة أو الأزمة التي خاض فيها العديد من الروائيين الكبار.

على كل حال، فأول رواية ظهرت في هذه الفترة هي كانت رواية " ضمير الغائب الشاهد الأخير علي الاغتيال مدن البحر" للأستاذ واسيني الأعرج سنة 1990م ثم ظهرت له رواية بعنوان " سيد المقام " عام 1995 ،هي تبحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها⁽²⁰⁵⁾ و رواية " ذاكرة الماء " صدرت عام 1997م وتدور أحداثها حول طقوس أداء البيعة لدى الجماعات الإسلامية المتطرفة كما تكتب الأستاذة هنية جوادي "إن الوثيقة بهذه الصورة تمثل إدانة صريحة للجماعات الإسلامية التي تستغل الدين لتكريس التحجر الفكري والظلامية وسفك الدماء"⁽²⁰⁶⁾.

وأیضا أخرج الأستاذ واسيني الأعرج رواية "شرفات بحر الشمال عام"2001م و " البيت الأندلسي " عام2010م ورواية "مملكة الفراشة 2013 م، كما نشرت روايته الشهيرة "كتاب الأمير" عام 2005 م⁽²⁰⁷⁾ واشتهرت ونالت جائزة المکتبيين الكبرى التي تمنح عادة لأكثر الكتب رواجاً واهتماماً نقدياً في السنة وتحكي رواية "كتاب الأمير" عن تاريخ المقامة الوطنية خلال الفترة الممتدة بين 1830-1847 وقد ركزت الرواية علي مسيرة الأمير عبد القادر النضالية إلا أنها سلطت أضواءها أيضا على كفاح الشعب الجزائري وعلى مقاومته للاستعمار الفرنسي وأبانّت عن كثير من الوقائع والأحداث التاريخية متوسلة في استثمارها للتاريخي طرقا وأساليب متنوعة وتعد الوثيقة من أهم الوسائل التي استغلها في هذا الغرض فكانت بذلك من أبرز القرائن الدالة على حضور المرجع التاريخي في هذه الرواية⁽²⁰⁸⁾.

وأصدر الطاهر وطار في هذه الفترة ثلاثيته الشهيرة وهي "الشمعة والدهاليز في العام

205 - الدكتورّة آمنّة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية ، ص 77

206 - الأستاذة هنية جوادي: التمثيل السردى للتاريخ في روايات واسيني الأعرج، ص 258

207 - رواية " كتاب الأمير" منشورات الفضاء الحر، الجزائر 2004، ص 2

208 - الدكتور العلمي مسعودي : الفضاء المتخيل في رواية " كتاب الأمير" ص196

"1995م، و "الولي الطاهر يعود على مقامه الزكي" في العام 1999م، و "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" في العام 2005م، وفي الأخير صدرت له رواية "قصيد في التذلل" 2010م، أما في ثلاثيته فقد عبر الطاهر وطار عن مختلف التحولات التي ميزت مسار التجربة السياسية في الجزائر، فحاول في رواية " الشمعة والدهاليز" أن يؤرخ لمأزق السلطة زمن قيام الإيديولوجيات الدينية السلفية وانحسار الإيديولوجيات الاشتراكية الشيوعية حيث كشفت عن الأبعاد والخلفيات المتشابكة التي ساهمت مجتمعة في شحن الواقع الجزائري واندلاع العنف ، وأما رواية "الولي الطاهر يعود على مقامه الزكي" فهي ترسم لوحة سوداء خلال الأزمة الكبرى وانتهي الطاهر وطار بتكوين رؤية تاريخية وحدثية حول المأزق العربي في رواية "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" التي انفتحت على الراهن العربي وتفاعلت مع أحداثه وتحولاته المتسارعة،⁽²⁰⁹⁾ هكذا أصبحت ثلاثية الطاهر وطار نموذجاً عن رواية الأزمة الجزائرية التي تكون ملمحاً بارزاً من ملامح الأدب الجزائري المعاصر.

ومن جانب آخر أصدرت الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي في هذه الفترة رواية " ذاكرة الجسد " عام 1993 م و فوضى الحواس "1997م و"عابر سرير" 2003 م، وأطلق عليها " الثلاثية " على غرار ثلاثية نجيب محفوظ ، ومزجت في رواياتها الثلاث بين السياسة والحب ، والموت والأنوثة في قالب لغة شفافة قريبة من قلب القارئ فحظيت هذه الثلاثية لأحلام مستغانمي باهتمام كبير من قبل النقاد والقراء والدارسين والباحثين والمؤسسات والأكاديمية ، افتتحت الكاتبة ثلاثيتها بالرواية الأولى "ذاكرة الجسد" التي صدرت عام 1993م واعتبرت من أفضل مائة رواية عربية ، بلغ عدد طبعاتها أكثر من 34 طبعة ، وبيع منها أكثر من مليون نسخة ، وحازت "ذاكرة الجسد" على جائزة نجيب محفوظ للإبداع الأدبي سنة 1997م من الجامعة الأميركية بالقاهرة ، كما نالت جائزة " نور" عن مؤسسة نور للإبداع النسائي م1996م بالقاهرة ، وأيضاً حصلت على جائزة "جورج طربيه للثقافة والإبداع" سنة 1999م، في بيروت لأهم إنتاج إبداعي، وتتحدث رواية ذاكرة الجسد عن قصة حب عاطفية تمتزج فيها

209 - الدكتورة لطيفة قرور: هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار، 174

الإثارة بالعشق، وقامت بسرد نصف قرن من تاريخ الجزائر والنضال والاستقلال وما بعده (210) وتدور أحداثها في فرنسا والجزائر عام 1981م ، وتحولت الرواية "ذاكرة الجسد" إلى مسلسل للمخرج السوري "نجدة أنزور" عام 2010م (211).

أما الرواية الثانية من "الثلاثية" فهي "فوضى الحواس" رواية عاطفية يغلب عليها مشاهد الحب و الهيام وتحكي الوضع السياسي في الجزائر والوطن العربي آنذاك، وتدور أحداثها في الجزائر عام 1992م، وتتحدث عن أحوال المسلمين والغلو في الدين في مجتمع الجزائر آنذاك (212)، و الرواية الأخيرة من "الثلاثية" فهي رواية "عابر سرير" التي تغلب عليها الإنسانية والقضايا الاجتماعية وحال المبدع العربي بين العاطفة والحب والإثارة، وتدور أحداثها في فرنسا ما بعد عام 1992(213)، وإضافة إلى ذلك صدرت لأحلام مستغانمي رواية "نسيان com" عام 2009م، و"الأسود يليق بك" عام 2012م.

وجاءت رواية "المراسيم والجنائز" لبشير مفتي عام 1988م و تناولت بعض ملامح الرعب الذي ساد النفسية الجزائرية أيام المحنة والدم(214)، وأيضا صدرت له رواية "أرخبيل الذباب" عام 2000م وأبدع فيها الكاتب كثيرا من الناحية الفنية والجمالية ، كما ظهرت له رواية "شاهد العنمة" عام 2002م، هي الرواية الغارقة في السوداوية والشاعرية ، علاوة على ذلك أخرج بشير مفتي رواية "بخور السراب" عام 2005م، و"أشجار القيامة" عام 2007م، و"خرائط لشهوة الليل" عام 2009م و"دمية النار" عام 2010م.

والجدير بالذكر هنا أن بشير مفتي تناول في رواياته مختلف الثورات والتحويلات التي مرت بها الجزائر ما بعد الاستقلال إلى غاية عشرية التسعينات،وقام بتركيز علي نهاية الثمانينات وعشرية التسعينات من وجهة نظر المثقف فبهذه الخصائص والميزات تنتمي روايات بشير

210 - الدكتورة أمينة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية، ص 158

211 - الدكتور مفقود صالح: المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 327

212 - الدكتورة سليمان فاطمة: الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية وهوية الانتماء، ص 42

213 - الدكتورة حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي، ص 38

214 - الدكتورة أمينة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية، ص 169-

مفتي إلى الرواية العربية الجديدة التي تضمنت من مظاهر التجريب علي مستوى التقنيات الفنية (215).

و أصدر أمين الزاوي رواياته باللغة العربية منها رواية "صهيل الجسد" 1982 م أحداث هذه الرواية تحاول أن تقرأ الماضي نفسه والحاضر والمستقبل وتقدم خطابا بديلا عن الخطاب السياسي السائد (216) و" رائحة الأنثى " 2002م و "الرعدة" 2005 م و"السماء الثامنة" 2008 م و" شارع إبليس " 2009م و"حادي التيوس" 2012م و"لها سر النحلة" 2012م. و أما رواية "شارع إبليس" فهي شهيرة نالت رواجا كبيرا و تركز على بناء يمزج بين سردين يتقاطع فيهما الحقيقي والرمزي والمتخيل ويتشابك فيهما تاريخان: تاريخ الحكاية العائلية الخاصة والتاريخ الجزائري العام في حبكة متينة وساخرة. (217)

و أخرج في هذه الفترة رشيد بوجدره عدة أعمال روائية نذكر من بينها على سبيل المثال "فوضى الأشياء" عام 1990م و " تيميمون" التي ظهرت عام 1994م خلال الفترة الساخنة من الجحيم الإرهابي بالجزائر، و الرواية " تيميمون" هي جولة طويلة عبر الصحراء الشاسعة رحلة وسط الرمال الصفراء والسماء الصافية، بحيث لا يبقى سوى الكاتب مع هواجسه وحواراته الداخلية ، ويقول الأستاذ مخلوف عامر عن هذا الرواية : أن أثر الإرهاب في رواية " تيميمون " لم يجعل منه محرك التاريخ بل ظاهرة طارئة على التاريخ حدثاً عارضاً، قد يعيق الحركة كما يقطع حبل التسلسل في القراءة، وسيبقى محطة سوداء في طريق التاريخ، كما تظهر الأخبار بقعاً سوداء في جسد الرواية ولكنها عقبات لا تحول دون قراءة الرواية كما لم تحل دون كتابتها. (218)

أما الكاتبة زهور ونيسني فهي قد أصدرت في هذه الفترة روايتها الشهيرة " لونجة والغول "

215 - مخلوف عامر: الرواية والتحويلات في الجزائر، ص84

216 - مخلوف عامر: المرجع السابق، ص44

217 - رواية "شارع إبليس" منشورات الاختلاف 2009م، ص3

218 - 94 - مخلوف عامر: الرواية والتحويلات في الجزائر، ص94

1994م⁽²¹⁹⁾ التي تعالج العلاقة بين الثورة الجزائرية باعتبارها حدثا بارزا في تاريخ الجزائر المعاصرة، وتحكي عن المرأة التي تكافح من أجل الحق ، كما هي تستعيد سير البطولة والمقاومة في الجزائر وتركز على استرجاع قيم النضال والقيم الإسلامية العليا،⁽²²⁰⁾ وأيضا ظهرت لها رواية " روسيكادا " عام 1999م، و"جسر للبوح و آخر للحنين" عام 2006م .

كما أصدرت الكاتبة الجزائرية فضيلة الفاروق روايتها الأولى "لحظة لاختلاس الحب" عام 1997م والتي تعد من باكورة أعمالها، ثم صدرت لها رواية " مزاج مراهقة" سنة 1999م ، و" تاء الخجل" سنة 2003م و" اكتشاف الشهوة" 2006م⁽²²¹⁾ و" أقاليم الخوف" 2010م، ترجمت رواية "تاء الخجل " إلى اللغتين الفرنسية والإسبانية كما ترجمت بعض مقاطع منها إلى الإيطالية، أما روايتها " اكتشاف الشهوة" فيبدو أنها جاءت استجابة للدعوات الغربية التي تدعو إلى عولمة الثقافة، كما تتجلى الإباحية فيها في أكثر من موقع، لكن لغة الكاتبة سلسلة وقوية ،لها قدرة واضحة على التعبير والوصف والصور البلاغية التي تصور الأحداث بلغة ترتبط بالغريزة الجنسية بشكل فاضح.

علاوة على ذلك قام عبد الملك مرتاض بإصدار رواية "هشيم الزمن" عام 1988م، و"وادي الظلام" 2008م، أما رواية "مرايا متشظية" التي ظهرت عام 2000م هي تبدو كنسيج متشابك من الدوافع النفسية والرغبات للوصول إلى أهداف معينة ، وتتجلى في عدة أشكال كالتأمل وأحاديث النفس والحوار، كما تمتاز بمحدودية الموضوعات والبرنامج السردية⁽²²²⁾، وأهدى الكاتب عبد الملك مرتاض هذه الرواية "إلى الذين كانوا يغتالون ولا يدرون بأي ذنب يغتالون ، وإلى الذين كانوا يغتالون ولا يدرون لأي علة يغتالون"⁽²²³⁾. وبجانب آخر أخرج جيلالي خلاص رواية " السفر إلي الحب" 1993، و"بحر بلا نورس" عام 1998م، و" زهور الأزمنة المتوحشة" عام 1998م ، وجاء مرزاق بقطاش برواية "خويا دحمان" عام 2007م ، و" دم

²¹⁹ - رواية "الونجة والغول " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1994م، ص 4

²²⁰ - الدكتور مفقود صالح: المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 376

²²¹ - رواية " اكتشاف الشهوة" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 2006م ، ص 3

²²² -الدكتورة أمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية ص 77

²²³ - الأستاذ عبد الملك مرتاض: رواية "مرايا متشظية " ص 3

الغزال" التي صدرت عام 2002 م و تعتمد على نوع من التداعي القائم على استعادة مراحل حياة الذات الساردة (224)، وأيضاً ظهرت له رواية " يحدث ما لا يحدث " و " رقصة في الهواء والطلق" عام 2011م .

وإضافة إلى هذه الروايات نشر الحبيب السائح في هذه الفترة رواية "ذاك الحنين" عام 1997 م التي تقوم في أغلبها على سرد الأقوال التي ارتبطت بماض جميل وكما ظهرت له رواية " تماسخت" سنة 2000م و"تلك المحبة" 2002م، و"مذنبون لون دمهم في دمي" 2009م، و"زهوة" 2011م، و"الموت في وهران" 2013م، ويغلب عليها موضوع العنف والمحنة، و أصدر محمد مفلح رواية "الكافية و الوشام" عام 2002م و"الوساوس الغربية" عام 2005م و"عائلة من فخار" عام 2008م، و"انكسار" عام 2010م و"شعلة المايدة" سنة 2010م هي رواية تاريخية عن تحرير مدينة وهران في العهد العثماني، كما يقول الروائي محمد مفلح: "شعلة المايدة" رواية تاريخية هي تتطرق إلى مرحلة تحرير مدينة وهران تحت قيادة الباي محمد الكبير كتبتها لإبراز دور الشعب الجزائري في مقاومة المحتل الإسباني" (225).

وأخيراً مع كل ذلك لا بد من الاعتراف بأن هذه الأعمال الروائية التي ظهرت في هذه الفترة معظمها تعالج موضوعات العنف و الحرب في مختلف المراحل التاريخية وتحاول أن تعكس ما يتعرض له المجتمع من قضايا العنف والإرهاب وموضوع الأزمة وآثارها التي تعرضت للمجتمع الجزائري بصيغة فنية، كما تذكر الدكتورة آمنة بلعلي قائلة: "الذي يجب الاعتراف به هو أن كثيراً من الروائيين الجزائريين في عشرينات التسعينات قد غلبتهم المحنة فأصبحنا نقرأ أخباراً لا تختلف عما نشاهده أو نقرأه في وسائل الإعلام المختلفة" (226)، وبالرغم من كل ذلك هذه هي حقيقة بارزة أن هذه الأعمال الروائية العربية الجزائرية التي نشرت وصدرت في التسعينات وبعدها ساهمت كثيراً في تطوير الرواية العربية في الجزائر وبفضلها اكتسبت الرواية شهرتها في العالم ونالت مكانة مرموقة ضمن المدونة الروائية العربية وأصبحت أن

224-الدكتورة آمنة بلعلي: المرجع السابق، ص142

225 - محمد مفلح:مجلة " النصر"، ص 2

226 - الدكتورة آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية، المقدمة، ص 103

تقارن مع الفن الروائي في الدول العربية المجاورة.

على كل حال هذه هي مسحة وجيزة حول نشأة وتطور الرواية العربية في الجزائر الذي كان بدأ بيد الأستاذ محمد إبراهيم الأمير مصطفى (1806-1886) الذي كتب أول رواية عربية جزائرية باسم "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" عام 1849م⁽²²⁷⁾، ونضج هذا الفن عند ظهور الرواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة عام 1971م⁽²²⁸⁾ وهي تعد أول رواية فنية ناضجة عرفها الأدب الجزائري الحديث وجاء الآخرون الذين لعبوا دورا كبيرا في نشأة وتطور الرواية العربية في الجزائر وبفضل جهودهم الجهدية حققت الرواية العربية الجزائرية ذروة الكمال في الأدب الروائي.

²²⁷-الأستاذ واسيني الأعرج: في مقدمة رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" محمد إبراهيم الأمير مصطفى، ص 3
²²⁸ - الدكتور أحمد دغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 85

الفصل الثاني

الاتجاهات و القضايا للرواية العربية الجزائرية

الاتجاهات والقضايا للرواية الجزائرية:

إذا أمعنا النظر في الأدب العربي الحديث وعلى الأخص الرواية العربية وجدنا أنها قد تأثرت بالآداب الغربية ومذاهبها واتجاهاتها المختلفة كالكلاسيكية والواقعية والرومانسية والخيالية والرمزية وما إلى ذلك ، ورغم التباين بين البيئات الثقافية والسياسية والاجتماعية والفكرية في العرب والغرب انتقلت هذه المذاهب الأدبية الغربية بملامحها وخصائصها إلى الأدب العربي ، إما بواسطة البعثات الدراسية من البلاد العربية إلى البلاد الغربية وإما عن طريق ترجمة الآداب الغربية إلى اللغة العربية ، أو عن طريق قراءة الآداب الغربية في لغاتها الأصلية بعد انفتاح الوعي وتعلم الطلاب العرب باللغات الأجنبية.

أما الأدب الجزائري فهو فرع من فروع الأدب العربي ولذلك تأثر الكتاب الجزائريون أيضا بالمذاهب والاتجاهات الأدبية الغربية فتحمل أعمالهم الروائية ملامح وخصائص بعض المذاهب الغربية، وعلاوة على ذلك نرى أن الرواية الجزائرية لها بيئتها الخاصة وأوضاعها المختلفة من الغرب لذلك ومن هنا نجد معظم الأعمال الروائية الجزائرية تبدو أكثر التصاقا بالمجتمع وأكبر تركيزا على الواقع المعاش وتطرح الكثير من الهموم والقضايا المرتبطة بالبيئة الاجتماعية المحلية ولعل ذلك هو السبب خلو أجوائها من رواية الخيال العلمي والرواية البوليسية وقلة إنتاج الرواية التاريخية والرمزية وغيرها من المذاهب والاتجاهات الروائية.

وبالإضافة إلى ذلك لا يخفى على دارسي الأدب الجزائري الحديث أنه أدب ثوري عايش الثورة بكل أبعادها ومفاهيمها، الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي والثورة ضد الاستغلال والثورة في مرحلة البناء والتحول الاجتماعي ، وهذا يعني أنه لم يكن أدبا محايدا أمام واقعه ، بل عمل على تغيير الواقع من خلال التزامه بقضاياها وتجلي ذلك في سائر الفنون الأدبية ، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ أحمد دوغان "إذا كانت الصور الثورة مختزلة في الشعر والقصة القصيرة بشكل ما، فإن الرواية الجزائرية استطاعت أن تبلور معالم الواقع الثوري

إبان الثورة الجزائرية المسلحة وفي زمن الاستقلال ، ولعل هذا الواقع بحركته قدم للروائيين الجزائريين مادة غنية ساعدتهم في عملية الإبداع والتكوين، والرواية الجزائرية لم تتمكن من التخلي عن الواقع وأحداث ثورة ، فهي مد كبير للروائي الجزائري الذي مازال يستفيد من أحداث واقعها حتى في معاناته لواقع البناء وحركة التغيير الاجتماعي". (229)

اتجاهات الرواية العربية الجزائرية

قد ذهب الكتاب والباحثون للرواية العربية الجزائرية إلى مذاهب شتى في تحديد اتجاهاتها، وذلك لأن عملية التصنيف نسبية تختلف من دارس إلى آخر بحسب رؤية كل واحد منهم للرواية ذاتها، فبعضهم يقوم بتصنيف الرواية اعتمادا على المضمون الروائي . ويذهب البعض إلى تصنيف الرواية نظرا لأساليبها وتياراتها الفكرية والأدبية والبعض الآخر يهتم بالمحتوى والمضمون ، كما يعتمد بعض الدارسين على إحدى السمات الغالبة على العمل الروائي ، فهناك توجد الاتجاهات المتعددة التي كتب فيها الروائيون الجزائريون، و حصيلة الروايات الجزائرية العربية تكون في الاتجاه الإصلاحية والاتجاه الرومانتيكي والاتجاه الواقعي النقدي والاتجاه الواقعي الاشتراكي ، بينما خلت الساحة الروائية المحلية من الخيالية والعلمية إلا ما ندر وهذا من ناحية المحتوى والمضمون.

الاتجاه الإصلاحية

الاتجاه الإصلاحية الموروث عن الحركة الإصلاحية والمتأثر بالثقافة العربية والإسلامية التقليدية كان أسبق الأنواع ظهورا في الجزائر واستمر حتى بعد الاستقلال وعن أصحابه بنقد المجتمع ونقائده وعاداته ولعل هذا الاتجاه كان غالبا في الروايات التي ظهرت في الخمسينات والستينات في الجزائر، لذلك نجد أن أكثر من الكتابات الإبداعية ذات التعبير العربي قبل الاستقلال وبعده بقليل تكون ذات نزعات إصلاحية إلا فيما ندر(230)، و بالرغم

229 - الأستاذ أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 86

230 - الدكتور واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية الجزائرية، ص 126

من أن معظمها من الروايات التي كتبت بلهجة عربية دارجة تهدف إلى إصلاح المجتمع وتدعو إلى التحرر من سيطرة الماضي والتخلص من رواسبه ، كما أنها تهاجم الاستعمار وأفكاره التي غزت البيئة الجزائرية بسبب الاحتلال ، و يمكن أن نجد مثل هذه الموضوعات التي لها صلة بالمجتمع وما يتصل به من قريب أو بعيد في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو ورواية "الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي ورواية " صوت الغرام" لمحمد منيع ورواية " حورية " لعبد العزيز عبد المجيد ، و " رواية " نار ونور" لعبد الملك مرتاض وغيرها .

وتجدر بالإشارة هنا إلى أن تلك الروايات التي صدرت تحت هذا الاتجاه الإصلاحية ليست رواية بالمعنى الكامل لتأثرها بالأدب العربي القديم أكثر من تأثرها بالأدب العربي الحديث، و معظمها قد اتخذ شكل المقامات ، فلا يوجد من بينها عمل واحد اكتملت له عناصر الوحدة الفنية أو ارتسمت فيه الأحداث والشخصيات رسماً دقيقاً ، وفي هذا الصدد يكتب الأستاذ واسيني الأعرج : " هذا الاتجاه قد أسس للرواية المكتوبة باللغة العربية فهو لم يضيف شيئاً إلى رصيد الرواية في الوطن العربي لإصراره على التعامل مع الوقائع الجاهزة التي تتضاءل فيها معاناة العمل الإبداعي " (231) ، ويرى الدكتور مخلوف عامر: أن الحركة الأدبية قبل حرب التحرير قد غيبت أدبية الأدب وجماله بمنح الصدارة للعمل الإصلاحية والنضال السياسي.....والكتابة الروائية بالعربية بقيت سجيبة النظرة الإصلاحية والنضال السياسي المباشر وما تخلصت إلا بعد سنوات في ظل الاستقلال" (232) ولكن بالرغم من كل ذلك لا بد من الاعتراف أن هذه الروايات التي ظهرت ظل الاتجاه الإصلاحية قد لعبت دوراً كبيراً في ميلاد الرواية العربية في الجزائر.

الاتجاه الرومانتيكي

الاتجاه الرومانتيكي بدأ ينمو في الأدب الجزائري في الواقع الاجتماعي الذي كان يعيشه هذا

²³¹ - المرجع السابق : ص 128

²³² - الدكتور مخلوف عامر: الرواية والتحويلات في الجزائر، ص 107

البلد ذلك الوقت ،وأخذت هذه الحركة الرومانتيكية الجزائرية مداها في الاتساع قبل الثورة التحريرية خصوصا في الشعر ومع حلول السبعينات من القرن الماضي اتخذ هذا التيار توجهها آخر وحاول من خلاله التعبير عن مختلف القضايا الوطنية وعلى رأسها المرأة ، ويقول " الدكتور مخلوف عامر: "إن الاتجاه الرومانتيكي الجزائري الذي ينادي بالثورة ويتغنى بها بعيداً عن الدلالة الاجتماعية الواقعية للثورة، فالرواية تحت هذا الوعي الرومانتيكي أحياناً تسعى إلى اكتساب شرعية وجودها عن طريق التغني بالثورة وخاصة حرب التحرير، وهذا يشكل أحد العوامل التي جعلت الثورة موضوعاً سائداً متكرراً في الأعمال الروائية" (233).

أما الروايات التي ظهرت تحت ظل هذا الاتجاه الرومانتيكي فقد هاجمت الاستبداد والظلم النظام الإقطاعي وطالبت بشكل عام بتحرير المرأة من القيود الإقطاعية التي كانت مفروضة عليها ، وقدمت دور الشباب الجزائري أيام الحرب التحرير كما تناولت الواقع الجزائري والتحويلات الجديدة ، وواقع المهجر أيام حرب التحرير وزمن الاستقلال ، وأيضاً أبرزت قضية ذلك من خلال الصراع القائم بين الثورة من جهة الأقطاع من جهة أخرى، ويمكن أن نذكر هنا أن الروايات التي صدرت تحت ظل هذا الوعي الرومانتيكي فهي رواية : "مالا تذرؤه الرياح" لمحمد عرار و" نهاية الأمس" لعبد الحميد بن هدوقة " و"دماء ودموع" لعبد المالك مرتاض و" حب أم شرف" لشريف سناتلية و" الشمس تشرق على الجميع و" الأجساد المحمومة" لإسماعيل غموقات وغيرها من النصوص الروائية الأخرى.

مع هذا كله تجدر بالملاحظة هنا أن هذه الروايات لم تستطع أن تخرج عن الضعف والعجز الكلي الذي يحكم الرؤية الرومانتيكية في تعاملها مع وقائع الحياة اليومية ويظل رفض أبطال هذه الروايات رفضاً قاصراً عن أن يتحول إلى عمل ثوري حقيقي كما في رواية : "مالا تذرؤه الرياح" لمحمد عرار و" نهاية الأمس" لعبد الحميد بن هدوقة ، فالثورية هنا تنساق حول المغامرة والارتجال والعاطفة والحماس، وفي هذا الشأن يكتب لنا الأستاذ واسيني الأعرج :"

هذا العجز هو الذي ميز معظم روايات هذا الاتجاه الرومانتيكي التي أغرتنا المشاكل اليومية في مشاعر اليأس والقلق والفوضى، والأمر الذي دفعها إلى البحث عن الحرية، عن طريق المعالجة الفردية والارتداد إلى داخل الذات وعن طريق تدمير العالم تدميراً أساسه الوهم⁽²³⁴⁾، ولكن هذا الاتجاه بالرغم من عثرته المشار إليها آنفاً، يبقى هو المؤهل لتخليص الرواية من الخطاب الرسمي السائد دون أن تفقد الرواية أدبيتها.

الاتجاه الواقعي النقدي

الاتجاه الواقعي النقدي الذي يعد من أكبر المدارس الأدبية ظهر في الرواية الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى وأهم ما يميز الرواية الجزائرية فهو ارتباطها الوثيق بالواقع الذي يشتمل على مظاهر الوجود الإنساني في مجتمع معين، وواقع الجزائر في فترة ما بعد الحرب العالمية كانت تسوده المتناقضات والعزلة والحرمان وقد كثر فيه من دواعي الحرية والوطنية والديمقراطية والرخاء في هذا الوقت سادت الواقعية التي كانت تسعى إلى تصوير الواقع وكشف أسرارهِ وإظهار خفاياه وتفسيره وكان فيها وصف مادي وتعبير صريح لنفوس الأفراد وحياة المجتمع⁽²³⁵⁾.

و من جانب آخر نرى أن الدكتور عبد الله الركبي يقول: " إن الرواية الواقعية في الجزائر لم تنجح إلا بعد جمعها بين الواقع الاجتماعي وبين التجربة الخاصة للأديب، فهو يلح على التجربة الذاتية التي ليست انفصالاً عن واقع الناس بل معايشة له⁽²³⁶⁾ ويقول الأستاذ واسيني الأعرج: " وفي هذا الصدد ظهرت القدرة على التلاؤم مع أزمت الواقع ورصدها بشكل واقعي في الرواية الجزائرية ، وكان ذلك إيذاناً بتبلور اتجاه أدبي واقعي يحمل نسقا جديداً واستمر ذلك مع جملة من الكتاب حتى اندلاع الثورة التحريرية ثم بعد الاستقلال على يد جماعة من

²³⁴ - الدكتور واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية الجزائرية، ص 230

²³⁵ - الدكتور محمد مندور: الأدب ومذاهبه، ص 93

²³⁶ - أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب لجزائري الحديث، ص 298

الكتاب منهم عبد الحميد بن هدوقة عرعار محمد العالي و نور الدين بوجدرة وغيرهم" (237) فهؤلاء الكتاب استطاعوا بشكل قريب أو بعيد أن يجسدوا أكثر فأكثر سمات الواقعية النقدية في الأدب الجزائري. (238)

ومن أهم الجوانب التي يميل إليها الأديب الواقعي في الجزائر هي الجانب الاجتماعي ولذلك هو يركز عنايته الكاملة على الصراع الطبقي ويقوم بتحديد الأزمات الاجتماعية وبيان أسبابها وتأثيرها مع عناية كبيرة ، وهذا كله يظهر في الروايات الجزائرية التي اتخذت الاتجاه الواقعي النقدي فمثلا رواية " الطيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش ورواية " الحريق" لنورالدين بوجدرة ورواية "على الدرب" لحاجي محمد الصادق كلها تعالج موضوع الصدام الحضاري في المجتمع الجزائري ، وأما عبد الحميد بن هدوقة فهو يبدو أقرب إلى الواقعية النقدية في كتاباته الروائية في رواية " ريح الجنوب " ونهاية الأمس".

وبالرغم من ذلك كله لم تغب الثورة الوطنية التي كانت وما تزال تمارس حضورا قويا عند أدباء الواقعية ، فحاول الأستاذ مرزاق بقطاش أن يستفيد من تاريخ بلاده، ومن زخم الثورة الجزائرية في روايته " طيور في الظهيرة" مثلما فعل الكاتب محمد عرعار العالي في رواية " مالا تذروه الرياح " وتحت هذا الاتجاه الواقعي النقدي ظهرت رواية " الحريق" لنور الدين بوجدرة ، و" ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة و "طيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش و" الطموح " لمحمد عرعار العالي ، و" قبل الزلزال" بوجادي علاوة ، و"على الدرب " لحاجي محمد الصادق وغيرها من التجارب الروائية، فهذه هي الروايات العربية الجزائرية التي يغلب عليها الاتجاه الواقعي وتكون تعبيراً عن الحياة بمختلف أوضاعها خاصة الاقتصادية والاجتماعية .

237 - الدكتور واسيني الأعرج: النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية ، ص 28
238 - الدكتور واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 371

الاتجاه الواقعي الاشتراكي

الواقعية الاشتراكية هي تيار أدبي شاعت وانتشرت في الأدب العربي مع بداية القرن العشرين وركز على دور الفقراء والطبقة الكادحة وتعبّر عامة عن الطبقة العاملة بالدفاع عن حقوقها ومصالحها وتستمد مادة الأدب من حياة الناس ومشاكلهم وتعتمد على تحليل الواقع تحليلاً دقيقاً ثم تقبل ما يوافقها وتطرح ما عدا ذلك وتؤكد الوجود الإنساني كنشاط وإبداع وأن هدفها الأساسي يكمن في تنمية مواهب الإنسان، ويتحدث الدكتور محمد مندور عن هذا الاتجاه: "إن الواقعية الاشتراكية تتخذ مضمونها من حياة الشعب ومشاكله إلا أن روحها متفائلة تؤمن بإيجابية الإنسان وقدرته بالخير"⁽²³⁹⁾.

ويكتب الأستاذ واسيني الأعرج مدافعاً عن الواقعية الاشتراكية: "من هنا تظهر القوة اللامحدودة في الواقعية للتعبير عن موقفها ووعيتها الواقعية الاشتراكية التي تتيح لكل النماذج البشرية التعبير عن موقفها ووعيتها وحالتها من خلال واقعها الطبقي المعيش"⁽²⁴⁰⁾، وأيضاً الواقعية الاشتراكية تعتبر كمنهج مستقل عن الأدب الجزائري لأنها تمتلك خصوصية النمو الإيجابي والانفتاح على المستقبل الإنساني الزاهر⁽²⁴¹⁾.

بدأ هذا الاتجاه في الظهور على ساحة الرواية الجزائرية في السبعينات وصور الأدباء الجزائريون هذا الاتجاه بكل صدق وإيمان نظراً لتجاربهم في الحياة ومعاناتهم اليومية، وظهر ذلك بشكل واضح في روايات الطاهر وطار الذي قد استطاع بتجربة ثورية جيدة أن يفتح مرحلة جديدة لتطور الواقعية الاشتراكية في الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي، فهو يعد خيراً من يمثل هذا الاتجاه في الرواية العربية الجزائرية الحديثة لأن الواقعية الاشتراكية تتجسد في روايات وطار وهذا من خلال معاناته للواقع ففي روايته "الزلال" نجد أن الحدث

²³⁹ - الدكتور محمد مندور: الأدب ومذاهبه، ص 105

²⁴⁰ - الدكتور واسيني الأعرج: الطاهر وطار وتجربة الكتابة الواقعية، ص 47

²⁴¹ - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 600

يعيش قضايا الثورة الزراعية بجزئياتها (242)، وأيضا رواية " اللاز " التي استطاعت بكل قوة أن تعيد إلى سطح حقبة تاريخية غامضة إلى حد بعيد وشخصياته في مختلف رواياته تكون دائما من الحقيقة الاجتماعية بحسها الطبقي التاريخي، ومن الأعمال الرواية الجزائرية الناجحة المكتوبة باللغة العربية والتي تحمل أبعاد الاتجاه الواقعي الاشتراكي هي الأعمال الروائية للظاهر وطار" كاللاز" والعشق في الزمن الحراشي" والحوات والقصر" و"عرس بغل" والزلال".

بالرغم من كل ذلك تجدر بالإشارة هنا إلى أن الاتجاه الواقعي الاشتراكي لا يبقى مقصورا على روايات الطاهر في الجزائر بل هناك توجد أعمال روائية أخرى تظهر فيها الواقعية الاشتراكية منها رواية " نورالوز" و" ما تبقى في سيرة لخضرحمروش" ومصرع أحلام مريم الوديعه لواسيني الأعرج و" ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي وغيرها من الأعمال الروائية (243) .

أهم القضايا التي عالجتها الرواية العربية الجزائرية

إذا نظرنا إلى الرواية الجزائرية وجدنا أن معظم الأعمال الروائية الجزائرية منذ بدايتها التاريخية براوية " حكاية العشاق في الحب والاشتياق" حتى نهاية القرن العشرين تبدو أكثر التصاقا بالمجتمع وأكثر تركيزا على الواقع وتتناول الهموم والقضايا والأوضاع المرتبطة بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والمحلية وتحولاتها بالجزائر في المراحل المختلفة،وعلاوة على ذلك نجد أن الموضوع الذي يغلب عليها هو القضايا السياسية سواء أكانت هذه القضايا مرتبطة بحدث المستعمر الفرنسي أو بعد الاستقلال الجزائري ، وتهتم أغلب الروايات الجزائرية بالثورة وأحداثها وتناقش كل مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية ومنها الثورة التحريرية والزراعية والاشتراكية .

²⁴²- الدكتور أحمد دوغان : الأدب العربي الجزائري الحديث ، ص 94

²⁴³- الدكتورة لينة عوض: هكذا تكلم الطاهر وطار، ص 477

على كل حال ، أما الرواية العربية الجزائرية التي صدرت قبل الاستقلال فمعظمها تعالج القضايا الاجتماعية والثقافية والعاطفية والثورة المسلحة على العموم ، كما نرى رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" للكاتب محمد إبراهيم الأمير مصطفى التي تعد أول رواية شعبية جزائرية (244) تتناول القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية للجزائر قبل الاستقلال، وتدور أحداثها حول مغامرات عاطفية جرت بين العاشقين والرواية (245)، ورواية غادة أم القرى لأحمد رضا تهتم بالقضايا الاجتماعية و هموم المرأة وحاول الكاتب أن يقدم المشاكل التي تواجهها بها المرأة فهو يقول في عبارة الإهداء " إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب ونعمة العلم ، وإلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في الوجود إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية سلوى " (246)، و رواية "الطالب المنكوب" للعبد المجيد الشافعي هي تركز على قضية اجتماعية عاطفية ، وتدور أحداث الرواية حول طالب جامعي عاش في تونس في أواخر الأربعينيات وشغف بحب فتاة تونسية 'ورواية "الحريق" لنور الدين بوجدرة تحكي قصة شاب "علاوة" وفتاة "زهور" وقد اهتم الكاتب بحماسة كبيرة في تصوير مظاهر البؤس والاضطهاد والقتل الجماعي، أما رواية " صوت الغرام " فهي رواية رومانسية وتدور أحداثها في الريف الجزائري حول الشابين ينشأ الحب بينهما أي بين بطلين وتقدم الرواية العادات القديمة والتقاليد البالية التي تحرم أية علاقة الحب بين شاب وشابة. (247).

على أية حال فهذا بالنسبة للرواية التي ظهرت قبل الاستقلال وأما الرواية التي كتبت بعد الاستقلال في السبعينات والثمانينات فنرى أن أغلب الروايات لهذه الفترة حاولت أن تتناول مرحلة الثورة المسلحة والتحريرية أو الزراعية أو الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عليها، وتعكس المرحلة التاريخية المؤيدة للثورة الزراعية و تصور التناقضات والصراع والتضارب بين المصالح في المجتمع الجزائري و تقدم لنا عن طريق سلبيات وإيجابيات صراعات تتعلق بالثورة الزراعية .

244 - الأستاذ واسيني الأعرج: في مقدمة رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" محمد إبراهيم الأمير مصطفى، ص 3

245 - الدكتور شاذية بنت يحي: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع ، ص 2،

246 - أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، ص 5

247 - محمد البصير: الموقف الثوري في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 35

فبعض الروايات العربية الجزائرية "كاللاز" و "نار ونور" و "الطموح" تعالج إلى حد كبير بالثورة وأحداثها ، وإن كانت الثورة في آخر الأمر هي إطار زمني أو اجتماعي فهناك يعالج الكاتب من خلاله موقفا إيديولوجيا كما فعل الطاهر وطار في روايته " اللاز" أو يبحث شؤون الفكر والحياة والموت والخلود والحب كما فعل محمد عرعار في رواية " طموح" أو شؤون الاستعمار والحضارات والحب كما حاول عبد المالك مرتاض في رواية " نارونور" وابن هدوقة في رواية " نهاية الأمس" ورواية " مالا تذروه الرياح" فهي تعالج آثار الثورة الاجتماعية والنفسية التي عانى منها الشعب الجزائري بعمامة وطبقاته المحرومة بخاصة⁽²⁴⁸⁾.

وأیضا طرحت بعض الروايات التي نشرت في هذه الفترة قضية الإقطاعية ووقوفها في وجه المشروع الإصلاحی كما نرى في رواية "ريح الجنوب" لابن هدوقة الذي كتبها في فترة الحديث عن الثورة الزراعية عام 1970م،⁽²⁴⁹⁾ فهي تثير قضايا كثيرة تتصل بالأرض وبالمراة و الثورة الزراعية وبنضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل كما تعالج الدوافع الشخصية والتصرفات التي تحرك الإنسان وتقوده إلى مصيره ويدور أحداثها حول إقطاعي يملك الأراضي الكثيرة وبعد صدور قانون الإصلاح الزراعي في الجزائر يخاف عليها ويفكر طويلا في حل لمشكلتها وأخيرا يقع اختيارها على حل نهائي وهو زواج ابنته مع مالك رئيس البلدية وفي رواية "نهاية الأمس" التي ظهرت عام 1975م⁽²⁵⁰⁾ أعاد عبد الحميد بن هدوقة طرح قضية الإقطاعية ووقوفها في وجه المشروع الإصلاحی إذ صور لنا الروائي الصراع القائم بين البشير النموذج الإصلاحی و ابن صخري النموذج الإقطاعی.

ومعظم روايات الطاهر وطار التي نشرت في هذه الفترة تهتم بالثورة وأحداثها وتناقش كل مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية منها الثورة التحريرية والزراعية والاشتراكية و الآثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على هذه الثورة⁽²⁵¹⁾، كما تعالج القضايا الاجتماعية الملحة

²⁴⁸- الدكتور محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة، ص8

²⁴⁹- عبد الحميد بن هدوقة: رواية "ريح الجنوب" ، ص 2

²⁵⁰- عبد الحميد بن هدوقة: "نهاية الأمس" ، ص 3

²⁵¹- الدكتور محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، ص 9

يعني قضايا الجوع والمرض والثقافة والديمقراطية والسكن والمرأة والتخلف والظلم والعنف عبر العالم، فنجد ثورة المناضل الشيوعي الجزائري في رواية " اللاز" التي تطرح بكل واقعية وموضوعية قضية الثورة الوطنية، وتتناول الصراع بين الفرنسيين والثوار الجزائريين أثناء الثورة التحريرية، وقضية الصراع بين الاتجاهين الشيوعي والإسلامي داخل الثورة التحريرية حيث ذبح بعض الشيوعيين والمتفقين بسبب انتماءاتهم الأيديولوجية واختلافاتهم العقائدية والفكرية.

ومن أهم التجارب الروائية الشهيرة لهذه الفترة التي تشير إلى أحداث الثامن مايو 1945م، وتعالج مأساة متأصلة بعض الهوية العربية من سوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن مصالح العباد، (252)، روايات واسيني الأعرج مثل " نوار اللوز" و"البوابة الحمراء" و"طوق الياسمين" و"ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" أيضا منها رواية "الجازية والدرأويش" لعبد الحميد بن هدوقة التي ظهرت عام 1983م (253)، تتحدث عن تقاليد وعادات الشعب، وتحتوي على كثير من التحولات الاجتماعية التي عاشها الجزائري في ظروف البناء الاشتراكي وبداية الإصلاح الزراعي وانطلاق الثورة الزراعية الحملات التطوعية في بناء القرى الاشتراكية ويقول الدكتور حمدي السكوت " هذه رواية أخرى تؤكد مدى ما وصلت إليه الرواية العربية الجزائرية من رقى فني، ورواية تفضح في شاعرية واقع البلاد الذي يموج بالفساد والتسلط بعد الاستقلال" (254).

على كل حال فهذه هي التجارب الروائية وغيرها من النصوص الروائية التي ظهرت خلال في السبعينات والثمانينات وهي تتناول ثورة التحرير قبل الاستقلال و الثورة الزراعية وإعلان الميثاق الزراعي في الجزائر بعد الاستقلال، كما تقدم مسألة الإقطاع وقضية التأميم الاشتراكي للأراضي الزراعية والقضايا الراهنة سواء داخل العالم العربي أو خارجه وتتميز الروايات التي كتبت خلال هذه الفترة بالشجاعة والمغامرة الفنية، وهذا يرجع إلى الحرية التي

252 - الدكتور سعيد سلام: التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجا)ص417

253 - عبد الحميد بن هدوقة: رواية"الجازية والدرأويش" ص 2

254 - الدكتور حمدي السكوت: الرواية العربية الحديثة ببلوجرافيا ومدخل نقدي، ص 226

حصل الكتاب والروائيون عليها بعد الاستقلال ، لأن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية و الانفتاح⁽²⁵⁵⁾.

أما الرواية التي صدرت في التسعينات وبعدها فهي تحمل في طياتها العديد من التطورات و الأحداث والتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية التي شهدت الجزائر، كما عرف المجتمع الجزائري على مر الأزمنة التاريخية المتعاقبة عنفا متعدد الجوانب، ولكن بالرغم من كل ذلك ظهرت هناك كتابة أدبية جديدة لجيل جديد من الشباب الجزائري لم يكن معروفا من قبل.

وتجدر بالإشارة هنا إلى أن الجزائر مرت بمرحلة طويلة من الاستعمار الفرنسي (1830-1962)، واستخدمت فيها قوات الاحتلال الفرنسي كل أساليب القهر والإذلال والقمع و القتل الوحشي و التحقير الثقافي ضد الشعب الجزائري، وأيضاً قد وقعت مجزرة الثامن مايو 1945م وقتل فيها 45 ألفاً من الجزائريين الأبرياء، ثم جاءت مرحلة الحرب التحريرية (1954-1962)، حيث ذهب ضحيتها الآلاف من السكان الأصليين للجزائر، وبعد الاستقلال وقعت حادثة "انتفاضة أكتوبر"⁽²⁵⁶⁾ في عام 1988م و ذهب ضحيتها حوالي 500 شخص وتم اعتقال حوالي 3500، ثم جاءت " العشرية السوداء " ⁽²⁵⁷⁾ في الجزائر التي بدأت في يناير عام 1992 عقب إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية لعام 1991 بالجزائر حيث حققت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فوزاً مؤكداً مما دفع الجيش الجزائري إلى التدخل لإلغاء الانتخابات التشريعية في البلاد مخافة من فوز الإسلاميين فيها، فتم الحظر على الجبهة الإسلامية واعتقل آلاف من أعضائها⁽²⁵⁸⁾ ، ومن جانب آخر بدأت الجبهة الإسلامية حملة مسلحة ضد الحكومة واستمرت هذه الأحوال السيئة إلى 2002م ،حيث قامت الجماعات الإسلامية بتسليم

²⁵⁵ - الدكتور حسين خمري: فضاء المتخيل - مقاربات في الرواية- ص191

²⁵⁶ - في أكتوبر 1988م بدأت سلسلة من إضرابات طلابية وعمالية والتي أخذت طابعا عنيفا بصورة تدريجية وانتشرت أعمال تخريب للممتلكات الحكومية فقامت الحكومة بإعلان حالة الطوارئ وقامت باستعمال القوة وتمكنت من إعادة الهدوء في 10 أكتوبر بعد أحداث عنيفة أدت إلى قتل حوالي 500 شخص واعتقال حوالي 3500 شخص وسميت هذه الأحداث من قبل البعض "بأكتوبر الأسود" كما يصفها البعض الآخر ب"انتفاضة أكتوبر".

²⁵⁷ - هي صراع مسلح قام بين الدولة الجزائرية و فصائل متعددة تتبنى أفكار موالية للجبهة الإسلامية للإنقاذ والإسلام السياسي.

²⁵⁸ - الحبيب سويدية: الحرب القذرة، ص 15

أسلحتها⁽²⁵⁹⁾ هكذا انتهت هذه "العشرية السوداء" أو "فترة المحنة" بعد حوالي عشر سنوات وأثرت على الأدب الجزائري أثرا عميقا. (260)

على كل حال، فالأدب الجزائري هو فرع فروع من الأدب العربي وله أيضا شأن كشأن الآداب العالمية التي تتأثر بالتغيرات والتحويلات في المسارات التي تصنع التجربة، فتأثر الأدب الجزائري بالعنف و الإرهاب الذي ظهر بشكل لافت في التسعينات ، وفي هذا الشأن يكتب الأستاذ شادية بن يحيى: "العنف و الإرهاب الذي برز بشكل لافت في التسعينات، و قد أثر بوجه أو بآخر على النص الجزائري، ويعنى ذلك أنه ينطوي على متغيرات جديدة في مسار الإبداع الجزائري، و خاصة في الجنس الروائي الذي تجسده النصوص الإبداعية الروائية التي نتفق على تسميتها من البداية بـ"أدب المحنة"، والواقع أن فترة التسعينات تجلت فيها المحنة وفرضت حضورها بقوة في الكتابة الأدبية" (261).

فالأعمال الأدبية والروايات العربية التي كتبت في فترة التسعينات أو فترة المحنة في الجزائر هي شهدت العديد من التطورات والتغيرات وتعرف بـ"أدب المحنة" ومعظمها تعالج موضوعات العنف والحرب في مختلف المراحل التاريخية وتحاول أن تعكس ما يتعرض له المجتمع من قضايا العنف والإرهاب وموضوع الأزمة وآثارها التي تعرضت للمجتمع الجزائري بصيغة فنية، كما فعل الأستاذ واسيني الأعرج في روايته " سيد المقام " التي تتحدث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها⁽²⁶²⁾، وفي رواية " ذاكرة الماء " التي تدور أحداثها حول طقوس أداء البيعة لدى الجماعات الإسلامية المتطرفة ، كما تذكر الأستاذة هنية جوادي "إن الوثيقة بهذه الصورة تمثل إدانة صريحة للجماعات الإسلامية التي تستغل الدين لتكريس التحجر الفكري والظلامية وسفك الدماء" (263).

259 - يحي أبو زكريا: المرجع السابق ص 55

260 - الدكتورة آمنة بلعلي : المتخيل في الرواية الجزائرية، ص 5

261 -الأستاذ شادية بنت يحيى : الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، ص 7

262 - الدكتورة آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية ، ص 77

263 - الأستاذة هنية جوادي: التمثيل السردي للتاريخ في روايات واسيني الأعرج، ص 258

وعلاوة على ذلك نرى أن بعض الروايات تعالج الخلافات الداخلية التي عرفتها الحرب الأهلية وتتحدث عن مختلف التحولات التي ميزت مسار التجربة السياسية في الجزائر خلال هذه الفترة، كما فعل الطاهر وطار في ثلاثيته الشهيرة وهي "الشمعة والدهاليز" و"الولي الطاهر يعود على مقامه الزكي" و"الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" فحاول الطاهر وطار أن يؤرخ مأزق السلطة زمن قيام الإيديولوجيا الدينية السلفية وانحسار الإيديولوجيا الاشتراكية الشيوعية ويعبر عن الأبعاد والخلفيات المتشابكة التي ساهمت مجتمعة في شحن الواقع الجزائري واندلاع العنف، ويرسم لوحة سوداء خلال الأزمة الكبرى وروايته "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" هي تركز على الراهن العربي مع أحداثه وتحولاته المتسارعة (264).

ومن جانب آخر قدمت بعض الروايات الأخرى ملامح الرعب الذي ساد النفسية الجزائرية أيام المحنة والدم، كما قام بشير مفتي برواية "المراسيم والجنائز" التي صدرت عام 1988م (265) وحميد عبد القادر برواية "الانزلاق" التي ظهرت عام 1998م (266) وتروي قصة عبد الهامل الصحافي المهتد بالقتل من الأئمة الجدد، وتنقل القارئ إلى أجواء الرعب الذي تعيشه فئة الصحافيين في بداية انفجار الأزمة السياسية و بداية الإرهاب المسلح اعتبروها عانقا يحول دون وصول الإسلاميين إلى السلطة، كما تتضمن هاتان الروايتان موضوع انبثاق الكتابة في ظل أجواء الاغتيال والقتل وموضوع الكتابة كممارسة اجتماعية و سياسية خاصة بفئة اجتماعية حيث احترفت القلم وسخرته لفضح الواقع المرير.

وبالإضافة إلى ذلك شهدت فترة التسعينات مجموعة من النصوص الروائية المكتوبة باللغة العربية التي تعالج المصائر الفردية و الجماعية في ظل الأوضاع الرهيبة التي عاشتها الجزائر في بداية العنف المسلح ضد الفئات الاجتماعية المختلفة و ضد رموز الدولة الجزائرية، وتحمل هذه النصوص في مضمونها أطروحات جديدة و تعيد النظر في العديد من القضايا الفكرية و

264 - الدكتورة لطيفة قرور: هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار، ص (174-176)

265 - مفتي، بشير: المراسيم و الجنائز، ص 3

266 - حميد عبد القادر: رواية " الانزلاق " ص 5

الأيدولوجية التي سادت الساحة الثقافية. (267)

فوجد عديدا من الروايات لمختلف الأجيال التي عالجت موضوع العنف السياسي منها رواية " لونجة والغول " لزهور ونيسني وهي تحكي عن المرأة التي تكافح من أجل الحق وتركز على استرجاع قيم النضال والقيم الإسلامية العليا، (268) ومنها رواية "فوضى الحواس " لأحلام مستغانمي التي تتحدث عن أحوال المسلمين والغلو في الدين في مجتمع الجزائر آنذاك (269)، ومن خلال رواية "تاء الخجل" تحاول فضيلة فاروق أن تتناول حياة صحافية جزائرية في شرق البلاد التي اغتصبت من طرف الأيدي الآثمة (270).

هذه الأعمال الروائية وغيرها التي ظهرت خلال فترة التسعينات وبعدها التي تعرف بـ " فترة المحنة " أغلبها تتناول قضايا العنف والإرهاب والحرب وموضوع الأزمة وآثارها و تطرح وظيفة الأدب ، كما تظهر هذه الكتابة و تبيّن عن عجزها أمام عنف و هول الحرب الموجهة ضد ممارسيها، وتحمل هذه التجارب الروائية العديد من القضايا و الإشكالات التي واجهتها الجزائر منذ الاستقلال والتي تعد من أحد الأسباب الرئيسية للأزمة التي شهدتها الجزائر في التسعينات.

على كل حال هذه هي دراسة وجيزة للقضايا الرئيسية والموضوعات الأساسية التي تهتم بها معظم الروايات العربية الجزائرية في مراحلها المختلفة،والجدير بالذكر هنا أن الرواية الجزائرية نشأت متصلة بالواقع السياسي المضطرب ولذلك نجد أن الموضوع الذي يغلب عليها هو القضايا السياسية سواء أكانت هذه القضايا مرتبطة بحدث المستعمر أو بعد الاستقلال، وإضافة إلى ذلك كما أوضحنا أن الأدب الجزائري الحديث هو أدب ثوري عايش الثورة بكل أبعادها ومفاهيمها، الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي والثورة ضد الاستغلال و الثورة في مرحلة البناء والتحول الاجتماعي ، فالرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية

267 - أمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من الممتثل إلى المختلف، ص 77.

268 - الدكتور مفقود صالح: المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 376

269 - الدكتورة سليمان فاطمة: الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية وهوية الانتماء، ص 42

270 - مخلوف عامر: الرواية والتحويلات في الجزائر، ص 305

خاصة بالثورة التحريرية، وتتجلى فيها أحداث ثورة الشعب الجزائري ضد المستعمر الفرنسي .

لذلك نجد أن أغلب الروايات الجزائرية تهتم بالثورة وأحداثها وتناقش كل مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية منها الثورة التحريرية والزراعية والاشتراكية و الآثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على هذه الثورات كما يكتب لنا الأستاذ أحمد دوغان " إن الرواية الجزائرية استطاعت أن تبلور معالم الواقع الثوري إبان الثورة الجزائرية المسلحة وفي زمن الاستقلال، ولعل هذا الواقع بحركته قدم للروائيين الجزائريين مادة غنية ساعدتهم في عملية الإبداع والتكوين، والرواية الجزائرية لم تتمكن من التخلي عن الواقع وأحداث ثورة، فهي مد كبير للروائي الجزائري الذي مازال يستفيد من أحداث واقعه - حدثا وتاريخا - حتى في معاناته لواقع البناء وحركة التغيير الاجتماعي" (271).

علاوة على ذلك تتناول الرواية الجزائرية موضوعات عديدة وترتبط بمختلف السياقات السياسية و التاريخية التي عرفتها الجزائر ولذلك تقول الدكتورة شادية بنت يحيى: " وهذا ما جعل الرواية الجزائرية أن تتفاعل مع واقع متعدد اتجاهاته الإيديولوجية مما فرض على المبدع الجزائري موقفين اثنين، إما الالتزام بفنه و الإبداع فيه، و بقاءه خارج التغيرات الحادثة في مجتمعه أو أن يتبنى موقف إيديولوجي معين و يسير وفقه في عمله الفني وهذا ما حدث لجل الروائيين الجزائريين" (272).

271 - الأستاذ أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 86
272 - الدكتورة شادية بن يحيى: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، ص 9

الفصل الثالث

الأعلام البارزة للرواية العربية في الجزائر

أعلام الرواية العربية في الجزائر

الجزائر هي أرض خصبة أنجبت في عصورها المختلفة عددا كبيرا من الكتاب البارزين والروائيين البارعين الذين لعبوا أدوارا ملموسة في إثراء اللغة العربية وآدابها وبذلوا جهودا مشكورة في تأسيس الرواية العربية وتطويرها و إغنائها بتقديم الروايات القيمة التي تعد علامات متميزة في تاريخ الرواية العربية وبفضلها اكتسبت الرواية الجزائرية شهرتها في العالم كله ونالت مكانة مرموقة ضمن المدونة الروائية العربية وأصبحت أن تقارن مع الفن الروائي في الدول العربية المجاورة، ومن هنا يبدو من المناسب أن نعرف فيما يلي ببعض من الروائيين الذين لهم جولات وصولات في تاريخ الرواية العربية الجزائرية وبفضلهم احتلت الرواية العربية منزلة رفيعة في الأدب العربي الجزائري الحديث ومن هؤلاء الروائيين.

عبد الحميد بن هدوقة

الأستاذ عبد الحميد بن هدوقة هو صوت بارز من الأصوات التي واكبت الحركة القصصية في الجزائر ويعد من رواد الرواية العربية الجزائرية كما يعتبر من الجيل الذي أرسخ أصول الرواية العربية في الجزائر وأوجد لها أسسها الفنية وسماتها الواقعية، أنه ساهم في تأسيس الرواية العربية منذ مطلع السبعينات وعمل علي إغنائها من خلال إبداعاته الفنية واتخذ الواقعية مذهباً في الكتابة وكتب القصة القصيرة ونظم الشعر قبل أن يتفرغ لممارسة الرواية(273) .

ولد هذا الكاتب الكبير في التاسع من شهر يناير عام 1925م بقريّة "المنصورة" في الجزائر(274) وتلقى دروسه الابتدائية بالمدرسة الفرنسية ثم واصل دراسته باللغة العربية في معهد الكتانية بقسنطينة قبل الالتحاق بجامعة الزيتونة بتونس ما بين 1954-1955، ثم التحق بالقسم العربي في الإذاعة العربية بباريس فرنسا، حيث عمل كمخرج إذاعي ومنها انتقل إلى

273 - الدكتور أحمد دوغان: شخصيات من الأدب الجزائري ، ص117

274 - الدكتور أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص409

تونس وعمل في إذاعة تونس منتجا ومخرجا، و مع فجر الاستقلال عاد عبد الحميد بن هدوقة إلى الجزائر سنة 1966م ومارس وظيفة التعليم بمعهد الكتانية ثم عمل في الإذاعتين الجزائرية والأمازيغية لأربع سنوات ورأس بعدها لجنة إدارة دراسة الإخراج بالإذاعة والتلفزيون والسينما⁽²⁷⁵⁾.

وأصبح الأستاذ عبد الحميد بن هدوقة مديرا في الإذاعة والتلفزيون الجزائري سنة 1970م⁽²⁷⁶⁾ وعلاوة على ذلك فإنه ناضل في صفوف الثورة التحريرية مما عرضه إلي مضايقات ومتابعات من طرف البوليس الاستعماري واضطراره الهجرة إلي فرنسا عام 1955م، وبعد فترة التحق بجهة التحرير الوطني بتونس عام 1958م في حين ساهم في بعث إذاعة صوت العرب و كتب تمثيلات إذاعية أذيعت أكثرها من تونس والجزائر وصوت العرب وألف عدة كتب في القصة والرواية كما له مؤلفات شعرية ومسرحية ، تقلد الأديب البارع عبد الحميد بن هدوقة عدة مناصب منها: مدير المؤسسة الوطنية للكتاب، رئيس المجلس الأعلى للثقافة، عضو المجلس الاستشاري الوطني ونائب رئيسه، وتوفي في أكتوبر 1996م⁽²⁷⁷⁾.

ظهرت روايته الأولى "ريح الجنوب" عام 1971م، و يتفق الباحثون والمؤرخون و الدارسون علي أن رواية "ريح الجنوب " هي أول رواية فنية ناضجة عرفها الأدب الجزائري⁽²⁷⁸⁾ وإضافة إلى ذلك صدرت له رواية "نهاية أمس" عام 1975 و "بان الصبح" عام 1980م و"الجارية وال دراويش " سنة 1983م و"غدا يوم جديد" سنة 1993م⁽²⁷⁹⁾ وقد ترجمت رواياته إلى عدة لغات. ⁽²⁸⁰⁾

275 - عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، دا القصة للنشر، 2012م

276 - بوشوشة بن جمعة : الرواية العربية الجزائرية أسئلة الكتابة والصور، ص 31

277 - الدكتورة سليمان فاطمة: الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية، 37

278- الدكتور عبد الله الركبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص 208، وأحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 85

279 - الدكتور أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 410

280 - الدكتور أحمد دوغان: شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، ص 119

الطاهر وطار

يعتبر الأستاذ الطاهر وطار واحدا من أعلام الثقافة الجزائرية المعاصرة وذلك نظرا لاعتبار جهوده الجادة في الأدب العربي ويعرف برائد الرواية العربية الجزائرية أو "أبو الرواية الجزائرية" بفضل ما ساهم في تأسيسها و إغنائها بتقديم رواياته القيمة التي شكلت علامات متميزة في تاريخ الرواية العربية في الجزائر، وحظي بشهرة واسعة ليس على الصعيدين الجزائري والعربي فحسب، بل على الصعيد العالمي أيضا فهو يعد في طليعة الروائيين الذين كتبوا أعمالهم باللغة العربية الفصحى (281).

ولد الطاهر وطار في بيئة ريفية وأسرّة أمازيغية في الخامس عشر من أغسطس عام 1936م بقرية " امداوروش" الواقعة في بادية الشرق الجزائري من ولاية "سوق أهراس" في الجزائر (282) وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية بمدرسة مداوروش التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي فتحت في عام 1950م، ثم أرسله أبوه إلى قسنطينة في معهد الإمام عبد الحميد بن باديس في عام 1952م، حيث اطلع على الأدب العربي فعكف عليه وقرأ كل ما تصل إليه من الكتب الأدبية و يقول الطاهر وطار في هذا الصدد: "الحدّثة كانت قدرّي ولم يملها علي أحد" (283) مع بداية الثورة الجزائرية في 1954م سنحت له فرصة بالالتحاق بجامعة الزيتونية في تونس لكن بعد عامين انقطع عن الدراسة وغادر قبل أن ينال أية شهادة كما يقول هو بنفسه : أنهيت السنة الرابعة من دراستي الثانوية ... لم أنل شهادة في حياتي سوي شهادة الجنسية وشهادة سيطرة السيارة (284).

عاد الطاهر وطار إلى الجزائر في مطلع الاستقلال عام 1962م وأصدر من قسنطينة جريدة " الأحرار" و جريدة " الجماهير" بمدينة الجزائر العاصمة في العام 1963م (285) ثم انضم إلى جبهة

281 - هكذا تكلم الطاهر وطار: ج 4 ص 469

282 - الأستاذ بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية ص 11

283 - الأستاذ علي ملاحي: المرجع السابق، ج1 ص 10

284 - مجلة "الثقافة الجديدة" العدد 8، أكتوبر 1981م وأيضاً هكذا تكلم الطاهر وطار، ج1 ص9

285 - الأستاذة سلمى محمود: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 19

التحرير الوطني عضوا في اللجنة الوطنية للإعلام وعمل مراقبا وطنيا حتى أحيل إلى التقاعد كان عمره في ذلك الحين سبعة وأربعين عاما (286) وقام بتأسيس الجمعية الثقافية الجاحظية الشهيرة عام 1989م لنشر الثقافة والدفاع عن اللغة العربية مع مجموعة من الكتاب والأدباء (287) و كرس حياته كلها وبذل ما في وسعه لتطوير جمعية "الجاحظية" الثقافية .

توفي الأستاذ الطاهر وطار 13 أغسطس عام 2010م (288) بعد أن نال عدة جوائز أدبية منها جائزة الشارقة لخدمة الثقافة العربية لعام 2005م و جائزة الرواية لمؤسسة سلطان العويس الثقافية في عام 2009م (289) كما ترجمت بعض رواياته إلى بعض اللغات العالمية منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية(290) ومن أعماله الروائية رواية "اللاز" عام 1974م التي حققت شهرة كبيرة في الأوساط العلمية والأدبية، وأيضا صدرت له رواية "الزلال" عام 1974م، و " الحوات والقصر" عام 1975م و"عرس بغل" عام 1978 م و"العشق والموت في زمن الحراشي" عام 1982م و "تجربة في العشق" لعام 1989م و"ورمانه" سنة 1981م و "الشمعة والدهاليز" سنة 1995م، و رواية "الولي الطاهر يعود على مقامه الزكي" في العام 1999م ورواية "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" في عام 2005 م و"قصيد في التذلل" عام 2010م.

عبد الملك مرتاض

يعد الأستاذ عبد الملك مرتاض من الأعلام البارزين والكتاب البارعين الذين بذلوا جهودا قيمة ومشكورة في تطوير اللغة العربية في الجزائر، ولد عبد الملك مرتاض عام 1935م في "مسيرة" بولاية تلمسان، وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الفقه والنحو علي يد والده الشيخ عبد القادر بن احمد، ثم التحق بمعهد ابن باديس بقسنطينة عام 1954م وواصل دراسته بجامعة

286 - الطاهر وطار: أراه (سيرة ذاتية)، ص5

287 - الأستاذ بوشوشة بن جمعة: المرجع السابق ص 12

288 - الأستاذ عمار مرياش: هكذا تكلم الطاهر وطار ص 598

289 - بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية أسئلة الكتابة والصور، ص 12

290 - سلمى محمود: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 31

الرباط حيث تخرج عام 1963م من كلية الآداب ثم نال شهادة الدكتوراه من جامعة الجزائر في عام 1970م (291).

نال الأستاذ عبد الملك مرتاض عدة شهادات تقديرية وفخرية، وعين عضواً في المجمع الثقافي العربي ببيروت عام 1999م وسجل اسمه في موسوعة "لاروس بباريس" مصنفاً في النقاد، كما سجل في موسوعات عربية وأجنبية أخرى، وتولى عدة مناصب في سلك التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي، وقد عين سنة 1974م مديراً لمعهد اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران، حيث انتخب سنة 1981م عضواً في الهيئة الإدارية لاتحاد الكتاب الجزائريين، كما عينه رئيس الجمهورية الجزائرية في منصب رئيس المجلس الأعلى للغة العربية من 1998م إلى 2001م، ويشغل حالياً عام 2014م كأستاذ لمقياس الأدب الجزائري. (292)

يتميز الأستاذ عبد الملك مرتاض بأسلوب علمي رزين في الكتابة حول الموضوعات العلمية والأدبية وتجاوزت كتبه المطبوعة الأربعين وكان أول كتاب صدر له سنة 1968م بعنوان القصة في الأدب العربي القديم، ومن أهم أعماله " نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر" و" فن المقامات في الأدب العربي" و" الأمثال الشعبية الجزائرية" و" النص الأدبي من أين وإلى أين" و" فنون النثر الأدبي في الجزائر" و" القصة الجزائرية المعاصرة" و" الكتابة من موقع العدم" و" أدب المقاومة الوطنية" و" معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين" (293)

إلى جانب هذه الإبداعات القيمة نشرت له عدة روايات منها: رواية " نار ونور" عام 1975م ورواية " الخنازير" عام 1985م ورواية " صوت الكهف" عام 1986م، ورواية " هشيم الزمن" سنة 1988م، ورواية " مرايا متشظية" عام 2000م، ورواية " وادي الظلام" عام 2008م ورواية

²⁹¹ - الأستاذ عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص 289

²⁹² - الدكتور محمد مخفي: الكاتب والناقد عبد الملك مرتاض، ص 4

²⁹³ - الدكتور رشيد عالم: اللغة الواصفة في نقد عبد الملك مرتاض، ص (129-133)

" رباعية الدم والنار " عام 2010م⁽²⁹⁴⁾.

زهور ونيسي:

تعتبر الأستاذة زهور ونيسي من أول امرأة قاصة وروائية وأديبة جزائرية ومجاهدة في الثورة الجزائرية، هي من مواليد مدينة بقسنطينة سنة 1936م⁽²⁹⁵⁾ درست في المدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونالت إجازة في الأدب والفلسفة وتخصصت في علم الاجتماع بجامعة الجزائر، وشاركت مشاركة فعالة في ثورة التحرير وناضلت في صفوف جبهة التحرير الوطني⁽²⁹⁶⁾.

علاوة على ذلك قد لعبت زهور ونيسي دورا فعالا في تأسيس الإعلام الوطني بعد الاستقلال و تقلدت مناصب عليا ثقافية وإعلامية واجتماعية وسياسية، بدأت حياتها المهنية بالتدريس واستهلت حياتها الأدبية في حين أصدرت أعمالها الإبداعية في الصحف والمجلات العربية والأجنبية و ترأست مجلة "الجزائرية النسائية" التي صدرت في الجزائر من سنة 1970م إلى 1982، و لها مقالات كثيرة في السياسة والأدب والمجتمع وعلى الأخص فيما يتعلق بالوضع الاجتماعي للمرأة الجزائرية ونشرت مقالاتها القيمة في العديد من الصحف العربية و الأجنبية، وسجل اسمها ككاتبة مغربية في القاموس الأدبي النرويجي والفرنسي في الموسوعة الأدبية "أدبيات عربيات في القرن العشرين" وترجمت أعمالها إلى عدة لغات أجنبية منها الفرنسية والإيطالية.⁽²⁹⁷⁾

تعد زهور ونيسي أول امرأة جزائرية عينت عضوا قياديا في الحكومة بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية مرة كوزيرة للحماية الاجتماعية ومرة كوزيرة للتربية، كما هي تحمل عدة أوسمة منها وسام المقاوم في ثورة الاستقلال الوطني ووسام الاستحقاق الوطني، وشهادة تكريم

294 - الدكتور سعيد سلام:التناص التراثي للرواية الجزائرية أنموذجا، ص 251

295 - الدكتور أحمد دوغان: شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ص-104

296 - الدكتور أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 377

297 - الدكتور أحمد معراج : مساهمة المرأة العربية في الرواية العربية، ص 181

الأعمال الأدبية، ولها مؤلفات كثيرة في الرواية والقصة والمقالة ويمتاز أسلوبها في المقالة والقصة والرواية بالوضوح ، وهي تكتب بأسلوب علمي منطقي وشاعري ، وتعالج القضايا الاجتماعية والمعاناة الإنسانية حتى أصبحت روايتها إرهاصات بكل ما فيه من أمل ويأس وحزن وفرح وحب وكراهية ، ومن أعمالها الروائية "من يوميات مدرسة " التي ظهرت عام 1978م ، ورواية " لونجة والغول " التي صدرت سنة 1994 م ونالت شهرة فائقة وأيضا نشرت روايتها " روسيكادا " عام 1999م و رواية " جسر للبوخ و آخر للحنين" عام 2006م (298).

واسيني الأعرج

يعتبر الأستاذ واسيني الأعرج من أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه فهو يكتب باللغتين العربية والفرنسية وتنتمي أعماله إلى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد وثابت، إنما تبحث دائما عن سبلها التعبيرية الجديدة والحية بالعمل الجاد على اللغة و تقنياتها، كما هو يعد واحدا من أحد أعلام الثقافة الجزائرية المعاصرة باعتبار جهوده الجادة في مجالات القصة القصيرة والرواية والنقد الأدبي.

أبصر النور واسيني الأعرج عام 1954م بقرية سيدي بوجنان الحدودية وهي إحدى الضواحي لمدينة تلمسان في الجزائر، ونشأ في بيئة فقيرة و أبوه الذي كان من عمال المناجم استشهد في حرب التحرير عام 1959م (299)، تلقى واسيني الأعرج تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه ومنها انتقل إلى مدينة تلمسان للدراسة الثانوية، وبعد ذلك سافر إلى دمشق ومكث هناك عشر سنوات وحصل على شهادة الماجستير برسالة بحث عنوانها "اتجاهات الرواية العربية في الجزائر" ثم نال شهادة الدكتوراة تحت عنوان "نظرية البطل في الرواية" و عاد إلى الجزائر في عام 1985 وعين أستاذا للمناهج والأدب الحديث بجامعة الجزائر المركزية ، وقام بالأشراف على فرق البحث العلمي ومن أهمها فرقة رواية المجتمع والأشكال ويشغل حاليا بمنصب أستاذ

298 - الدكتور أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص504

299 - بوشوشة بن جمعة : الرواية العربية الجزائرية أسئلة الكتابة والصور، ص74

كرسي في جامعتي الجزائر المركزية والسوربون بباريس، وحصل عام 1989 م على الجائزة التقديرية من رئيس الجمهورية للجزائر. (300)

حصل واسيني الأعرج على جائزة الرواية الجزائرية لمجمل أعماله الأدبية سنة 2001 م ونال جائزة المكتبيين الكبرى سنة 2006 م لروايته "كتاب الأمير" التي تمنح عادة لأكثر الكتب رواجاً واهتماماً نقدياً في السنة، وحصل على جائزة الشيخ زايد للآداب سنة 2007، واختيرت روايته "حارسة الظلال" عام 1997 م ضمن أفضل خمس روايات صدرت بفرنسا، ونشرت في أكثر من خمس طبعات متتالية بما فيها طبعة الجيب الشعبية (301).

ومن أعماله الروائية رواية "البوابة الحمراء" سنة 1980 م، ورواية "طوق الياسمين" سنة 1981 م، ورواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" عام 1982 م، و"نوار اللوز" سنة 1983 م ورواية "مصرع أحلام مريم الوديعة" عام 1984 م ورواية "ضمير الغائب" عام 1990 م ورواية "الليلة السابعة بعد الألف" سنة 1993 م، ورواية "سيدة المقام" عام 1995 م و"حارسة الظلال" سنة 1996 م، ورواية "ذاكرة الماء" عام 1997 م، ورواية "مرايا الضرير" سنة 1998 م ورواية "شرفات بحر الشمال" عام 2001 م، ورواية "مضيق المعطوبين" عام 2005 م، ورواية "كتاب الأمير" عام 2005 م ورواية "البيت الأندلسي" سنة 2010 م، ورواية "جملكية أرابيا منشورات الجمل" عام 2011 م ورواية "مملكة الفراشة 2013" م، ترجمت رواياته إلى العديد من اللغات الأجنبية.

رشيد بوجدره

يعد الكاتب والروائي رشيد بوجدره من أقرب الروائيين العرب إلى تيار الرواية الجديدة بل هو أحد أعلامها حتى أنه يعتبر نفسه ممثلاً لهذا التيار في العالم العربي وهو ينتمي إلى الجيل الثاني من الروائيين الجزائريين و يستطيع أن يكتب باللغة الفرنسية والعربية معاً.

³⁰⁰ - الدكتورة سميرالروحي الفيصل: الرواية العربية مصادرها ونقدها، ص57

³⁰¹ - الدكتور صالح مفقودة: أبحاث في الرواية العربية، ص101

ولد رشيد بوجدره عام 1941م في مدينة العين البيضاء وتلقى دروسه الابتدائية في مسقط رأسه أي مدينة العين البيضاء في الجزائر ثم تابعها في فرنسا حيث نال شهادة عليا برسالة وتخرج من جامعة السوربون في قسم الفلسفة، وبقي في باريس حتى عام 1975م و اشتغل بالتعليم وكتب ست روايات باللغة الفرنسية، كما تقلد مناصب كثيرة منها أمين عام لرابطة حقوق الإنسان، وأمين عام لاتحاد الكتاب الجزائريين، كما سنحت له فرصة لإلقاء خطبة في الجامعات الغربية باليابان والولايات المتحدة الأمريكية وحصل على جوائز كثيرة من إسبانيا وألمانيا وإيطاليا. (302)

تأثر رشيد بوجدره بألف ليلة وليلة والقرآن الكريم وبالرواية الجديدة في الغرب وبشكل خاص الرواية الفرنسية هذه التأثيرات جعلته يكتب رواية ثائرة ليس فيها محرمات (303) فكتب عدة رواية شهيرة باللغة الفرنسية ثم رغب عن الكتابة الفرنسية وعاد إلى العربية كما يقول: "عدت إلي العربية بالجزيرة وكنت منذ 1969م عندما بدأت الكتابة بالعربية أشعر بعقد ذنب وحنين للعربية وكان انتقالي ناجحا عن ضغوط نفسية، وكنت عندما أكتب بالفرنسية أعيش تحت وطأة كوابيس أراني فيها فقدت النطق بالعربية أمام جمع حشد" (304)

وقد أخرج رشيد بوجدره عدة أعمال روائية باللغة العربية نذكر هنا من بينها رواية "التفكك" سنة 1982م، ورواية " المرث" سنة 1984م، ورواية" ليليات امرأة أرق" عام 1985م، ورواية" معركة الزقاق "سنة 1986م، ورواية"فوضي الأشياء" عام 1990، ورواية " تيميمون" سنة 1994م، والجدير بالذكر هنا أن رواية " التفكك" هي أول رواية كتبها رشيد بوجدره بالعربية بعد استغنائه عن الكتابة بالفرنسية وهي تدور حول قصة الاستقلال الجزائري .

302 - الدكتور صالح مفقودة: المرجع السابق، ص 181

303 - رشيد بوجدره : الحلزون العنيد، ص 110

304 - الدكتور صالح مفقودة: تيار الوعي في رواية التفكك ، ص 63

أحلام مستغانمي

هي كاتبة وروائية جزائرية حققت نجاحا جماهيريا في العالم العربي بثلاثيتها " كما صنفتها مجلة فوربس الأميركية في العام 2006م الكاتبة العربية الأكثر انتشارا في العربي بتجاوز مبيعات كتبها المليون نسخة" (305) وقال أحمد بن بلة الرئيس السابق الجزائري : "إن أحلام مستغانمي شمس جزائرية أضاءت الأدب العربي لقد رفعت بإنتاجها الأدب الجزائري إلى قمة تليق بتاريخ نضالنا فإخترنا كجزائريين بعروبتنا" (306).

أبصرت أحلام النور عام 1953م في تونس و تنتمي أصولها إلى مدينة قسنطينة بالجزائر وكان أبوها محمد الشريف من هواة الأدب الفرنسي و شارك في الثورة الجزائرية التي حدثت عام 1945 م (307) وبعد الاستقلال عادت أسرة أحلام مستغانمي إلى الجزائر، فنالت تعليمها الابتدائي في مدرسة الثعلبية للبنات في العاصمة بالجزائر، ثم التحقت بمدرسة ثانوية "عائشة أم المؤمنين" حيث تخرجت سنة 1971م في كلية الآداب، ونالت شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون في فرنسا (308) ثم عملت في الإذاعة الوطنية الجزائرية و اكتسبت شهرة كشاعرة، وفي السبعينات للقرن الماضي انتقلت إلى فرنسا حيث تزوجت من صحفي لبناني (309) وتعيش حاليا في بيروت .

حصلت أحلام مستغانمي على العديد من جوائز منها جائزة نور سنة 1996 التي تمنح لأحسن إبداع نسائي باللغة العربية وجائزة نجيب محفوظ للرواية التي منحت لها من قبل الجامعة الأمريكية بالقاهرة سنة 1998م وأيضا نالت جائزة "جورج تراباي" كأفضل أدبي منشور في لبنان، وأصدرت أحلام مستغانمي رواية " ذاكرة الجسد " في عام 1993 م التي نالت رواجا كبيرا في الأوساط العلمية والأدبية بالعالم، واعتبرت من أفضل مائة رواية عربية ، بلغ عدد

305 - أحلام مستغانمي: رواية "الأسود يليق"، ص 332

306 - أحلام مستغانمي : نفس المرجع، ص 332

307 - الدكتورة كريمة بلخن: شعرية اللغة في رواية فوضى الحواس، ص 47

308 - الدكتورة كريمة بلخن: المرجع السابق، ص 48-

309 - غادة السمان: إسرانيات بأقلام عربية ، ص 219 ،

طبعتها أكثر من أربع وثلاثين طبعة وبيع منها أكثر من مليون نسخة⁽³¹⁰⁾ كما أدخلت رواية "ذاكرة الجسد" في المقرر التعليمي للعديد من الجامعات الدولية وترجمت إلى لغات عديدة، وفي عام 2010م تحولت روايتها بنفس اسمها ذاكرة الجسد إلى مسلسل للمخرج السوري "نجدة أنزور"⁽³¹¹⁾ ومن رواياتها "فوضى الحواس" عام 1997م، و"عابر سرير" عام 2003م، و"نسيان com" عام 2009م، و"الأسود يليق بك" عام 2012م.

بشير مفتي

بشير مفتي هو كاتب صحفي وروائي جزائري وقد تولد عام 1969م بمدينة الجزائر العاصمة ويعد من أشهر الكتاب البارعين في الجزائر لخدماته البارزة في تطوير اللغة العربية في الجزائر كما له مساهمات عديدة في الصحافة العربية وهو يعمل حاليا 2015م في مؤسسة التلفزيون الجزائري كمساعد مشرف على حصة ثقافية وكان رئيسا لفرع رابطة إبداع بالجزائر العاصمة في العام 1992م وأميناً عاماً لرابطة كتاب الاختلاف عام 2002م.⁽³¹²⁾

تناول الكاتب بشير مفتي في رواياته مختلف الثورات والتحويلات التي مرت بها الجزائر بعد الاستقلال إلى غاية عشرية التسعينات وقام بالتركيز على نهاية الثمانينيات وعشرية التسعينيات وتنتمي رواياته إلى الرواية العربية الجديدة "وذلك لما تضمنته من مظاهر التجريب على مستوى التقنيات الفنية والتي صبت في مجري رؤية الروائي"⁽³¹³⁾.

ومن أعماله الروائية "المراسيم والجنائز" عام 1988م التي تصور بعض ملامح الرعب الذي ساد الجزائر خلال التسعينات وهذه الفترة تعرف بالعشرية السوداء بالجزائر، وعلاوة على ذلك صدرت له رواية "أرخيبيل الذباب" عام 2000م قام الكاتب فيها بالتركيز على الناحية الفنية والجمالية كثيرا وأيضا له رواية بعنوان "شاهد العتمة" عام 2002م، كما ظهرت له

³¹⁰ - الدكتورة كريمة بلخن: شعرية اللغة في رواية فوضى الحواس، ص 50

³¹¹ - الدكتور مفقود صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، ص 327

³¹² - بشير مفتي: أشجار القيامة، ص ص 2-3

³¹³ - الدكتور سعاد حمدون: صورة المثقف في روايات بشير مفتي، ص 191

رواية "بخور السراب" عام 2005م، ورواية "أشجار القيامة" عام 2007م ورواية "خرائط لشهوة الليل" سنة 2009م ورواية "دمية النار" سنة 2010م ترجمت بعض أعماله الروائية إلى اللغة الفرنسية.

جيلالي خلاص:

جيلالي خلاص هو روائي ومثقف ويعتبر واحدا من أعلام الرواية العربية الجزائرية وينتمي إلى جيل السبعينات الذي يتميز بإتقانه اللغتين العربية والفرنسية هو أول كاتب عربي فاز بجائزة "نادي الحضارة" أبصر جيلالي خلاص النور بقرية "عين الدفلي" بالجزائر عام 1952م وخلال الثورة رفض أبوه وأمه إدخاله إلى المدرسة الفرنسية فبهذا السبب تأخر تعليمه ودخل المدرسة الابتدائية في سن الثانية عشرة 1963م، ثم سُنحت له فرصة للالتحاق بدار المعلمين وتخرج منها معلما، ثم حصل علي البكالوريا بالمراسلة عام 1973م، وقام بوظيفة التدريس لعدة سنوات في الأرياف قبل أن تتابع دراسته بكلية الحقوق بالجزائر وهو يشغل حاليا أي عام 2015م بمنصب مستشار في وزارة الثقافة والإعلام كما يعمل في الصحافة والنشر منذ مطلع السبعينات. (314)

بدأ الأستاذ جيلالي خلاص بقراءة الرواية البوليسية الفرنسية قبل العربية وذلك لأنه لم يكن عنده فلوس مال لشراء كتب أدبية وأول روائي عالمي أعجب به جيلالي خلاص وتأثر به هو دوستوفسكي، أما بالنسبة للتراث العربي القديم فهو يقول " فقد كنت معجبا جدا بالمعري كما قرأت للمتنبى ولمعظم الشعراء العباسيين" (315)، ومؤلفاته الأدبية تشتمل علي خمسة عشر كتابا منها ثلاث مجموعات قصصية للأطفال وست روايات عربية (316) وقد ترجمت بعض قصصه ورواياته إلى العديد من اللغات الأجنبية منها الفرنسية والروسية والإنكليزية وغيرها. وبالإضافة إلى ذلك له مساهمات قيمة في مجال الرواية العربية الجزائرية، فأصدر روايته

314 - بوشوشة بن جمعة : الرواية العربية الجزائرية أسئلة الكتابة والصورورة، ص 54

315 - المرجع السابق : ص 55

316 - الدكتور أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 221

الأولي بعنوان "رائحة الكلب" عام 1985 م ونال جائزة "عبد الحميد بن هدوقة" لهذه الرواية سنة 2000م وبعد ذلك ظهرت له رواية "حمام الشفق" عام 1986م ورواية "عواصف جزيرة الطيور" عام 1988م ورواية "السفر إلي الحب" عام 1993م ورواية "بحر بلا نورس" عام 1998م، ورواية "زهور الأزمنة المتوحشة" 1998م.

مرزاق بقطاش

الروائي والكاتب مرزاق بقطاش يعتبر واحدا من أعلام الكتابة القصصية والروائية ذات التعبير العربي في الجزائر وهو من مواليد عام 1945م بالجزائر العاصمة، تعلم في صباه اللغة العربية في المدارس الحرة التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أما الفرنسية فقد درسها في المدارس الرسمية الفرنسية النظامية، ونال تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة الشبيبة الإسلامية ومدرسة التهذيب العربية⁽³¹⁷⁾، ثم أتاح الله له فرصة للالتحاق بكلية الآداب في جامعة الجزائر للدراسة العليا حيث حصل علي شهادة الليسانس في الترجمة، واشتغل عند تخرجه صحفيا في مجلة "الشعب" و"المجاهد" لسان حزب جبهة التحرير الوطني وكذلك في كتابة الدولة للثقافة والفنون الشعبية، كما أنه كان عضوا سابقا في المجلس الاستشاري الوطني و في المجلس الأعلى للتربية و في المجلس الأعلى للغة العربية وفي المجلس الأعلى للإعلام، وهو حاليا يساهم بكتاباته الأدبية والنقدية في العديد من الصحف الجزائرية والعربية.⁽³¹⁸⁾

والجدير بالذكر هنا أن مرزاق بقطاش أعجب بالأدب العربي عن طريق الرسم والموسيقى قبل أن يجد طريقة إلي القصة القصيرة والرواية، و نشر أول قصة سنة 1963م في صحيفة "الشعب" بعنوان "دماء علي الرصيف" ثم تابع قصصه قبل أن يتأثر بالكتابة الروائية، وأصدر روايته الأولى الشهيرة "طيور في الظهيرة" عام 1981م التي تحكي أحداث الثورة

³¹⁷ - بوشوشة بن جمعة : الرواية العربية الجزائرية أسئلة الكتابة والصورورة، ص 63-

³¹⁸ - المرجع السابق، ص ص 65-66

الجزائرية،⁽³¹⁹⁾ ويتحدث الأستاذ مرزاق بقطاش عنها " عشت الثورة لذلك عندما تري في رواية طيور في الظهيرة أن الطفل يرصد الأحداث بعين الصغير فإن غرضي من ذلك الصدق في المقام الأول فالطيور وهم الأطفال والظهيرة هي الثورة"⁽³²⁰⁾ ومن مؤلفاته الأخرى في الرواية هي رواية " البزاة " 1983م ورواية " عزوز الكابران " عام 1989م ورواية "خويا دحمان " عام 2007م و رواية " دم الغزال "سنة 2002م ، ورواية " يحدث ما لا يحدث " و " رقصة في الهواء والطلق "سنة 2011م وقد ترجمت بعض أعماله الروائية إلى الفرنسية.

الحبيب السائح:

يعد الكاتب والروائي الحبيب السائح من أبرز الروائيين الجزائريين المبرزين علي الساحة الروائية الجزائرية والمغاربة من جيل السبعينات، أبصر الحبيب السائح النور عام 1950م بمنطقة "سيدي عيسى" في ولاية معسكر بالجزائر،نشأ وترعرع في مدينة "سعيدة" وتخرج من جامعة وهران، اشتغل بالتدريس وساهم في الصحافة الجزائرية والعربية، وسافر في العام 1994 م إلى تونس حيث أقام بها نصف سنة قبل أن يذهب إلى المغرب الأقصى ثم عاد بعد ذلك إلى الجزائر وركز عنايته على الإبداع الأدبي قصة ورواية.⁽³²¹⁾

قام الحبيب السائح بالتدريس في المعاهد التكنولوجية للتربية بالجزائر، وعين أستاذا مشاركا في جامعة "التكوين المتواصل" و في معهد "اللغة الفرنسية" كما أنه كان مؤسسا للنادي الأدبي في جريدة الجمهورية ومؤسس فرع اتحاد الكتاب في سعيدة ومؤسسا لمهرجان القصة القصيرة في سعيدة و مؤسسا لفرع الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان في سعيدة و عضوا مؤسسا لجمعية الجاحظية، و حصل على جائزة الرواية الجزائرية عام 2003م⁽³²²⁾.

قد ألف الأستاذ الحبيب السائح عدة كتب باللغة العربية الفصحى وأصدر روايته الأولى بعنوان

319 - مرزاق بقطاش: رواية طيور في الظهيرة، ص 3

320 - الدكتور جاب الله: الرواية العربية في فترة السبعينات، ص 7

321 - الأستاذة نواردة لحرش: حوار مع الروائي الحبيب السائح نشر بمجلة " جزيريين "في التاسع من شهر كانون الأول 2010م

322 - كمال الرياحي: حوار مع الروائي الحبيب السائح نشر بمجلة " دروب" في السادس وعشرين من شهر تشرين الأول 2007م

"زمن النمرود" عام 1985م، وهذه الرواية قد كتبها تحت مظلة الخطاب السياسي الذي كان سائداً ذلك الوقت ومن رواياته الأخرى "ذاك الحنين" ظهرت سنة 1997 م، و " تماشخت" عام 2002م ورواية "تلك المحبة" عام 2002م، ورواية "مذنبون لون دمهم في دمي" عام 2009م، ورواية "زهوة" عام 2011م ورواية " الموت في وهران" عام 2013م.

ياسمينه صالح

ياسمينه صالح هي قاصة وروائية جزائرية تعد من كتاب الرواية الجدد من جيل الاستقلال الثاني الذين تزخر بهم الجزائر، ولدت في حي بلكور "بلوزداد" العتيق بالجزائر العاصمة عام 1969م وتنتمي إلى أسرة جزائرية مناضلة معروفة، شارك والدها في الحرب التحريرية الجزائرية العظيمة، كما استشهد عمها في نفس الثورة التحريرية و استشهد خالها سنة 1967 في الأراضي الفلسطينية. (323)

التحقت ياسمينه صالح بجامعة الجزائر بعد إكمال تعليمها الابتدائي حيث درست العلوم الاجتماعية و نالت شهادة البكالوريوس في علم النفس كما حصلت على الدبلوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة الجزائر وقامت في بدايتها بالتدريس لكنها انقطعت عنه بسبب اشتغالها بالصحافة المكتوبة منها جريدة المجاهد، كما أنها أشرفت على القسم الثقافي في مجلة نسائية جزائرية وحتى الآن مازالت تزاوّل مهنة الصحافة.

وبدأت ياسمينه صالح كتابتها الأدبية بالقصة القصيرة و نالت حتى الآن عدة جوائز أدبية من السعودية و العراق و تونس و المغرب و الجزائر، واتجهت بعد ذلك كلية للكتابة الروائية واشتهرت بروايتها الأولى "بحر الصمت" التي ترجمت إلى اللغة الفرنسية وتوجد فيها ما يشبه محاكمة لماض وحاضر في الجزائر كما هي تبحث عن أسباب الانحراف عن الحرية، (324) وكانت ياسمينه صالح شاهدة على ما دار في وطنها من سلب ونهب ومن حزن وتعذيب

323-الأستاذ معراج أحمد: مساهمة المرأة العربية في الرواية العربية الحديثة، ص 308

324-الأستاذة هينة شفق: تجليات الحس الاغترابي في رواية بحر الصمت لياسمين صالح، ص 13

ومن أسر واعتقال فصورته كل ما رأته بعينها كأنها تريد من ذلك أن تعبر عن الواقع المر بعد التحرير والنصر المبين.

ظهرت لياسمينه صالح روايتها الأولى "بحر الصمت" عام 2001م، ونالت جائزة "مالك حداد الروائية" كما صدرت روايتها الثانية "أحزان امرأة" عام 2002م، وروايتها الثالثة "وطن من زجاج" عام 2006 م عن الدار العربية للعلوم ببيروت، ونشرت روايتها الرابعة "لخضر" عام 2010 عن المؤسسة العربية للدراسات ببيروت، كما أخرجت ثلاث مجموعات قصصية ، ومن الملاحظ هنا أن بعض أعمالها قد ترجمت إلى الفرنسية والإسبانية. (325)

محمد مفلح

محمد مفلح هو روائي وقاص وباحث ولد بولاية "غليزان" في الجزائر سنة 1953م، أنجز مفلح عددا من الأعمال الإبداعية والأبحاث المتعلقة بتاريخ منطقة غليزان وتراثها الثقافي. (326) نشأ محمد مفلح بأسرة فقيرة حيث توفي والده في صغر سنه فعاشت حياة صعبة ، في هذا الصدد يقول بنفسه " إنني ولدت في أسرة متواضعة ولم تكن المطالعة من تقاليدها، وعند وفاة والدي كان عمري إحدى عشرة سنة، عشتُ كجمل أبناء جيلي المحروم حياة صعبة، ولهذا السبب لم أجد من يأخذ بيدي ويثري معارفي لتفتح موهبتي الأدبية ومن حسن الحظ إنني لجأت إلى أساتذة كانوا مهتمين بالأدب فشجعوني على المغامرة ولكن أكبر أستاذ لي تعلمت منه كثيرا ودعمني على مواجهة هذه الحياة القاسية، كان ولا زال هو الكتاب" (327).

على كل حال نشر الأستاذ محمد مفلح مقالاته الأولى بالملحق الثقافي لجريدة الشعب، والتي كان يشرف عليها الروائي الطاهر وطار (1973-1976)، كما أنه أصدر قصصه الأولى في بداية السبعينات من القرن الماضي بالجرائد والمجلات الوطنية وطبعها سنة 1983م تحت عنوان "السائق" وبعد ظهور اسمه وصوره في الجرائد والمجلات وسماع صوته في الإذاعة

325-الأستاذ معراج أحمد: مساهمة المرأة العربية في الرواية العربية الحديثة، ص 309

326-الأستاذة نوار لحرش: الكاتب محمد مفلح ، ص 6

327-المرجع السابق، ص 5

الوطنية ذاع صيته في العالم فوجد حرارة الاهتمام والإعجاب من طرف كل أفراد عائلته وأقاربه ومن الأصدقاء والمهتمين بالأدب والكتابة.

بدأ الأستاذ محمد مفلح عملية التدريس منذ سنة 1971م بمدرسة سعيد في غليزان ، وقام بالعمل النقابي عام 1972م ثم انتخب أمينا عاما "للاتحاد الولائي بغليزان" وأصبح عضوا للمجلس الوطني "1984-1990"، ثم انتخب عضوا بالأمانة الوطنية للاتحاد العام للعمال الجزائريين "1990-1994" كما عين عضوا بالأمانة الوطنية لاتحاد الكتاب الجزائريين "1998-2001"، وبالإضافة إلى ذلك تولى عدة مسؤوليات بالمجلس الشعبي الوطني منها نائب رئيس المجموعة البرلمانية لحزب جبهة التحرير الوطني، ونائب رئيس لجنة الثقافة والسياحة والاتصال، ونائب رئيس اللجنة القانونية.

ألف الأستاذ محمد مفلح إحدى عشرة رواية، وثلاث مجاميع قصصية، وثلاث قصص للأطفال، وسبعة كتب في التراجم والتاريخ والتراث الثقافي. أما أول رواية له فهي "الانفجار" التي ظهرت في العالم 1982م و نالت الجائزة الثانية في مسابقة نظمتها وزارة الثقافة سنة 1982م بمناسبة الذكرى العشرين للاستقلال الجزائري (328) قد مال الأستاذ محمد مفلح منذ البداية إلى الكتابة الواقعية متأثرا بالروايات العربية والعالمية، فيقول في هذا الصدد: ولا شك أن هذا الميل يناسب طبيعتي النفسية ويعبر عن توجهاتي الفكرية ورؤيتي الفنية، فالتزمت بهذا الأسلوب الذي أراه ملائما للتعبير عن عوالمي الخاصة ومشروعي الثقافي" (329).

ومن أعماله الروائية الأخرى رواية " هموم الزمن الفلاقي " عام 1984م، التي حصلت عليها الجائزة الأولى بمناسبة الذكرى الخمسين للثورة الجزائرية عام 1984م ، كما ظهرت له رواية " زمن العشق والأخطار" عام 1986م ورواية " بيت الحمراء" عام 1986م ، ورواية "الانهيار" سنة 1986م ، ورواية " خيرة والجبال" عام 1988م ، ورواية "الكافية والوشام" عام 2002م ، ورواية "الوساوس الغربية " عام 2005م ، ورواية "عائلة من

³²⁸ - الأستاذ أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 509
³²⁹ - محمد مفلح: تحولات الخطاب السردي في الجزائر ، ص 15

فخار" عام 2008 م، و رواية "انكسار" عام 2010 م، أما رواية "شعلة المائدة" التي صدرت عام 2010م فهي تتحدث عن تاريخ التحرير لمدينة وهران في العهد العثماني.

أمين الزاوي

هو كاتب ومفكر وروائي جزائري لقد ولد بتاريخ 25 من نوفمبر سنة 1956م ببلدة "مسيردة" في ولاية تلمسان في الجزائر، حيث تلقى دروسه الابتدائية ثم سُنحت له فرصة للالتحاق بمدرسة ثانوية الشهيد الدكتور بن ورجب في مدينة تلمسان، ومن هنا انتقل إلى جامعة وهران وحصل على شهادة الليسانس من معهد اللغة والأدب العربي مما أهله وساعده في الالتحاق بجامعة دمشق، حيث نال شهادة الدكتوراه في الأدب على أطروحته المعنونة بـ "صورة المثقف في رواية المغرب العربي" (330).

نقلد الأستاذ أمين الزاوي عدة مناصب ومن أهمها أستاذ الأدب المغاربي والترجمة بكلية الآداب بجامعة وهران، ثم مدير قصر الثقافة بوههران في الجزائر، كما عمل كمدير عام للمكتبة الوطنية الجزائرية ومارس مهنة التدريس في جامعة باريس، كما أنه زار كثير من الدول الأوروبية كأستاذ زائر ويشغل حالياً أي عام 2016م أستاذاً بجامعة الجزائر المركزية في مادة الأدب المقارن.

كتب الأستاذ أمين الزاوي اثنتي عشرة رواية، نصفها باللغة الفرنسية ونصفها الآخر باللغة العربية، وبالرغم من أنه يستطيع أن يكتب باللغتين العربية والفرنسية (331) إلا أنه يحب الكتابة باللغة العربية ومن رواياته العربية رواية "سهيل الجسد" عام 1982م، ورواية "رائحة الأنثى" عام 2002م، ورواية "الرعدة" عام 2005م، ورواية "السماء الثامنة" عام 2008م، ورواية "شارع إبليس" عام 2009م، ورواية "حادي التيوس" عام 2012م، و"لها سر النحلة" عام 2012م، وترجمت بعض أعماله الروائية إلى لغات مختلفة مثل الفرنسية والإنجليزية

330 - " حوار مع الامين الزاوي - حاوره ياسين تملالي، نشر في مجلة " الصباح الجديد" سبتمبر 2015م، ص 1-2

331- محمد الداوي: رجع الصدى في وليمة الكذب، ص 2

والإيطالية واستأثرت باهتمام المثقفين ووسائل الإعلام. (332)

فضيلة الفاروق

فضيلة الفاروق هي كاتبة روائية وإعلامية جزائرية تنتمي إلى أسرة بربرية عميقة مثقفة بمهنة الطب ، ولدت 20 نوفمبر عام 1967م بولاية باتنة في الجزائر (333) وعاشت حياة مختلفة عن غيرها، أنها كانت بكر والديها ولكن والدها أهداها لأخيه الأكبر لأنه لم يرزق أطفالا، وتلقيت دروس الكتب الابتدائية بمدرسة البنات في مسقط رأسه، ثم غادرت بعدها إلى قسنطينة حيث التحقت بثانوية مالك حداد.

ونالت فضيلة الفاروق شهادة البكالوريا سنة 1987م من قسم الرياضيات والتحقت بجامعة باتنة في كلية الطب لمدة سنتين، ولكن أخفقت في مواصلة دراسة الطب الذي كان يتعارض مع ميولاتها الأدبية، ومن هنا عادت إلى جامعة قسنطينة والتحقت بمعهد الأدب حيث حصلت علي شهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها في سنة 1994م، والماجستير في اللغة العربية وآدابها سنة 2000م من جامعة قسنطينة، كما نالت شهادة الدكتوراه من جامعة وهران بالجزائر. (334)

وبدأت الأستاذة فضيلة الفاروق حياتها المهنية في حقل الصحافة المكتوبة والمسموعة بالجزائر من عام 1990م إلي عام 1995م ومارست العمل الإذاعي في الجزائر حيث كان لها برنامج أدبي بعنوان "مرافئ الإبداع" (335) و تعد فضيلة الفاروق اليوم من بين أشهر الروائيات العربيات المتميزات جدا لأنها تناقش قضايا هامة في المجتمع العربي وتنادي بتعايش الأديان وتدين الحروب بكل أنواعها كما لها آراء مختلفة وأحيانا صادمة حول المساواة بين الرجل والمرأة.

وأصدرت الكاتبة فضيلة الفاروق روايتها الأولى "لحظة لاختلاس الحب" عام 1997م التي تعد

332 - حوار مع الامين الزاوي، المرجع السابق، ص 2-

333 - فضيلة الفاروق: رواية "تاء الخجل"، ص 97

334 - المرجع السابق، ص 98

335 - نفس المرجع، ص 98

من باكورة أعمالها، ورواية " مزاج مراهقة" عام 1999م ، ورواية " تاء الخجل" عام 2003م، ورواية " اكتشاف الشهوة" عام 2006م، ورواية " أقاليم الخوف" عام 2010م، ترجمت تاء الخجل إلى اللغتين الفرنسية والإسبانية، كما ترجمت مقاطع منها إلى الإيطالية وانتقلت فضيلة الفاروق إلي لبنان سنة 1995م بعد أن تزوجت برجل لبناني (336).

هذه هي مسحة وجيزة ومتواضعة حول الأعلام البارزة التي ساهمت ولا تزال تساهم مساهمة عظيمة في نشأة وتطور الرواية العربية في الجزائر وبفضل جهود هؤلاء الكتاب البارعين بلغت الرواية العربية الجزائرية ذروة الكمال واحتلت ولا تزال تحتل مكانة مرموقة في الأدب العربي الجزائري الحديث.

الباب الثالث

دراسة تحليلية لبعض أشهر الروايات العربية الجزائرية المنتخبة

الفصل الأول

رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة

رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة

رواية " ريح الجنوب " قد ألفها الروائي الكبير عبد الحميد بن هدوقة⁽³³⁷⁾ الذي كتبها عام 1970م⁽³³⁸⁾ وهي روايته الأولى التي تمثل الريادة الحقيقية والتأسيس الفعلي لفن الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر كما هي تعتبر علامة فائقة في تاريخ الأدب العربي الجزائري وإحدى الركائز الأساسية في تاريخ الرواية العربية في الجزائر و تعد أول رواية فنية ناضجة عرفها الأدب الجزائري⁽³³⁹⁾ كذلك أنها أصبحت واحدة من أكثر الروايات العربية شهرة في تاريخ الأدب الجزائري بعد مرور أكثر من أربعة عقود على صدورها بطبعتها الأولى . وأما على الصعيد العالمي فنالت هذه الرواية شهرة واسعة وترجمت إلى حوالي عشر لغات عالمية من بينها الفرنسية و ألمانية والإسبانية والروسية وفي عام 1976م تم تحويل هذه الرواية بنفس العنوان " ريح الجنوب" إلى فيلم سينمائي للمخرج محمد سليم رياض مع تغيير في نهايتها بصورة خاصة و تقع هذه الرواية في سبعة فصول وتحتوي على ثلاثمائة وسبع عشرة صفحة، وتعالج قضية المرأة والإقطاع في إحدى القرى الجزائرية في الفترة ما قبل اندلاع الثورة الزراعية في أواخر الستينات.

أحداث الرواية:

تدور أحداث هذه الرواية حول قصة فتاة شابة مثقفة اسمها " نفيسة " التي تدرس في جامعة الجزائر وتعيش بالعاصمة عند خالتها وتعجب بالحياة الحضرية ولا ترغب في زيارة القرية حيث يسكن أهلها إلا في أيام العطلة ، فمرة حينما زارت " نفيسة" القرية لقضاء عطلة الصيف وفق العادة ما كانت سعيدة بشدة الحرارة وبتقاليد القرية التي لا تمنح أن تخرج من البيت "لأنها

³³⁷ - هو عبد الحميد بن هدوقة كاتب روائي وشاعر جزائري معروف ولد عام 1925 تلقى تعليمه الابتدائي بالمدرسة الفرنسية ثم واصل دراسته باللغة العربية ، عمل في التنشيط الإذاعي وناضل في صفوف الثورة التحريرية الجزائرية، التحق بجهة التحرير الوطني بتونس عام 1958 حيث ساهم في بعث إذاعة صوت العرب وتوفي عام 1996ومن أهم مؤلفاته: ريح الجنوب ، نهاية الأمس ، الجازية و الدراويش ، بان الصباح وغيرها . (التفصيل عن سيرته الذاتية موجود على صفحة 109-110 لهذا البحث)

³³⁸ - عبد الحميد بن هدوقة: رواية " ريح الجنوب" دارا لقصة للنشر عام 2012م، ص 317

³³⁹ - الدكتور عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص 208، وأحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص 85

أصبحت امرأة كاملة من كل شيء"⁽³⁴⁰⁾ فتعاني "نفيسة" الضيق و الشعور بالضجر وتفكر في أن كل الطلبة يفرحون في أيام عطلم لكن هي تقضي أيام إجازتها في منفى⁽³⁴¹⁾ ففاضت عيناها بالدموع و قالت " أود أن أرى الدنيا أنني اختنقت في هذا السجن"⁽³⁴²⁾ ولا ترتاح نفيسة في هذه القرية إلا بخالة " رحمة" وهي امرأة عجوزة ساذجة صانعة الفخار وخبيرة بحياة القرية وتقاليدها وثقافتها وكانت نفيسة معجبة بها بسبب حكاياتها وصفاء روحها وقناعتها وسذاجتها وحسن كلامها مثلا هي تقول لنفيسة: "لست أدري أرجلاي هما اللتان تحملان جسمي، أم جسمي هو الذي يحمل رجلاي"⁽³⁴³⁾ وأضافت قائلة "يوم أن كنت صحيحة حقا كنت لا أخاف الشوك ولا أضره، أما اليوم فالعشب اليباس يؤلم قدمي، فضلا عن الشوك"⁽³⁴⁴⁾ فكل ذلك يجعل نفيسة أن تحبها بقلب .

أما والد نفيسة فهو إقطاعي يملك أراض كثيرة لكن بعد صدور قانون الإصلاح الزراعي في الجزائر بدأ يخاف عليها ويفكر طويلا في حل لمشكلتها وأخيرا يقع اختيارها على حل نهائي وهو زواج ابنته مع مالك رئيس البلدية لكن حينما سمعت "نفيسة" هذا الخبر شعرت أن الصاعقة قد نزلت عليها من السماء، لأنها تريد إكمال الدراسة ولا تحب أن تعيش في القرية وتتزوج مع شخص لا تعرفه جيدا ويكبرها سنا. وبالإضافة إلى ذلك أن أختها " زليخة " كانت خطيبة لها التي لقيت حتفها إثر حادث تفجير قطار أثناء الثورة الجزائرية، فقالت لأمها خيرة " قولي له لن أتزوج ولن أقطع دراستي سأعود إلى الجزائر مهما كان الحال"⁽³⁴⁵⁾.

ومع هذا كله أصر أبوها على زواجها وأنكر عودتها إلى الدراسة بالجزائر وقال لزوجتها " أنا قررت أن نفيسة تتزوج وقراري قضاء"⁽³⁴⁶⁾ وأضاف ذلك " إن قراري ينفذ مهما كان

³⁴⁰ - عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ،ص 17

³⁴¹ - عبد الحميد بن هدوقة : المصدر السابق ، ص 9

³⁴² - المصدر السابق ، ص 21

³⁴³ - المصدر السابق ،ص 15

³⁴⁴ - المصدر السابق،ص 16

³⁴⁵ - المصدر السابق،ص 103

³⁴⁶ - المصدر السابق،ص 106

الأمر" (347) هناك تشعر نفيسة باختناق شديد وتحزن بحزن شديد فكتبت رسالة إلى خالتها التي تسكن في عاصمة الجزائر وتطلب منها التدخل ومساعدتها على العودة إلى دراستها ، وتسلمت رسالتها إلى الراعي رابح لوضعها في صندوق بريد البلدة ، لكن من سوء حظها يعجب بها رابح لأنها تكلمت معه بلطف وظن أنها معجبة به فقرر زيارتها ليلا وبالفعل يقوم بذلك ، وعندما نفيسة تجده فجأة أمام سريرها أحست كأن صاعقة نزلت عليها فتدفعه بشدة وتشتمه " أخرج من هنا أيها المجرم أيها القذر أيها الراعي القذر" (348) فخرج رابح مطأطأ رأسه حزينا وبقيت تلك الكلمة المؤلمة تدوي في سمعه " أيها الراعي القذر " ومن يومها يقرر ترك الرعي ويشغل حطابا.

تمر الأيام و الأب لا يزال مصمما على تزويج ابنته لمالك شيخ البلدة وفي أثناء ذلك تموت العجوز خالة "رحمة" فتحس بضيق ووحشة وتفكر دائما في حل مشكلتها وأخيرا يقع اختيارها على حل نهائي وهو " الفرار " فتضع خطة محكمة للهروب وقررت تنفيذ خطتها يوم الجمعة لأن الرجال يتوجهون إلى السوق و النساء إلى المقبرة فتخرج متنكرة مرتدية برنس والدها حتى لا يعرفها أحد وتتجه إلى المحطة عبر طريق ذا طابع غابي لكن من سوء حظها تلدها حية (349) إثر مرورها بالغابة فهنا فقدت نفيسة وعيها حتى يجدها رابح الراعي القديم الذي أصبح حطابا ويكسب رزقه من الأحراش والغابات فيتعرف عليها ويعود بها إلى بيته الذي كان يعيش فيه مع أمه البكماء ونسى غلطتها السابقة ويحتفظ بها ويعالجها عنده دون علم أبيها لأنها لا تريد العودة (350)، يشاع الخبر أن نفيسة هربت مع عشيقته ولذلك كان أبوها ابن القاضي في مأزق شديد.

وذات يوم أخبر أحد سكان القرية ابن القاضي وأشار إلى بيت الراعي رابح الذي تتواجد فيه نفيسة منذ فترة ، فيذهب ابن القاضي إلى بيته غاضبا ويعزم على ذبح ابنته وهناك يتدخل

347- المصدر السابق، ص 108

348- المصدر السابق، ص 125

349- المصدر السابق، ص 316

350- المصدر السابق، ص 292

رابح فوجه ابن القاضي خنجره إلى عنقه وحينما رأت أم رابح هذا المنظر بدأت تصيح رغم أنها كانت بكاء وتأخذ الفأس وتهجم على رأسه ، فتنفجر الدماء من رأسه ومن عنق رابح ويصاب الرجلان بجروح ثم قامت الأم ودفعت نفيسة إلى خارج البيت وبدأت تصرخ (351)، فأقبل الناس فزعين خطيرة وتتدخل سلطات واتجهت نفيسة راجعة إلى بيت أبيها بعد أن فشلت محاولتها في الهرب هكذا انتهت الرواية.

الشخصيات الرئيسية لرواية ربح الجنوب:

والجدير بالملاحظة هنا أن موضوع الثقافة هو أحد الموضوعات الأساسية لرواية "ربح الجنوب" ويتضمن الموضوع الثقافي في الرواية بعدة شخصيات ومنها:

نفيسة: هي بطلة الرواية وشخصية متمردة وفتاة شابة وطالبة جامعية بعاصمة الجزائر يكثر حضورها على البساط السرد، كما هي نموذج للمرأة المتعلمة والمتقفة والمرأة الساذجة والريفية وتتميز بالشجاعة إذ أنها أرادت أن تغير عقلية المجتمع، فحينما أبوها إقطاعي يريد زواجها برئيس البلدية لأجل الحفاظ على أراضيها بعد صدور قانون الإصلاح الزراعي فهي ترفض أن تكون كبش فداء لحسابات لا علاقة لها بها و تثور على وضعها وتأبى الانصياع لأوامر والدها وقالت لأمها بالشجاعة " قولي له لن أتزوج ولن أقطع دراستي سأعود إلى الجزائر مهما كان الحال" (352) وتحاول أن تهرب من بيت أبيها.

عابد بن القاضي: هو صاحب الأراضي الواسعة وقطعان الماشية ، يشغل الناس كالعبيد ويقوم بمعاملة سيئة مع العمال و يحب أن يبقى الناس عبيدا إلى الأبد ويقف في وجه كل تغيير من شأنه أن يحول حياة القرية التي تعاني البؤس والشقاء إلى حياة كريمة (353) ولو استطاع لأكل لحومهم وشرب دماءهم " (354) كما هو الأب المتسلط في أسرته والمالك لمستقبل أبنائه

351- عبد الحميد بن هدوقة : المصدر السابق،ص 287

352-: المصدر السابق،ص 103

353-: المصدر السابق،ص 213

354- المصدر السابق،ص 214.

فهو يصرخ في وجه زوجته " أنا قررت أن تتزوج نفيسة برئيس البلدية وقراري قضاء" (355) و " إن قراري ينفذ مهما كان الأمر " (356) وأضاف قائلاً " إذا أنت لا تستطيع التصرف حتى في ابنتك فلماذا تبقين بين الناس إذن" (357).

العجوز "رحمة": هي شخصية ساذجة ولطيفة حلوة ومترجمة لحياة القرية وتقاليدها وثقافتها وخبرة بصناعة الفخار لا تعرف الكتابة والقراءة فقد استعانت بهذه الصناعة لتسجيل بعض الأحداث الهامة التي عرفتها القرية، ولم تتوقف ثقافة رحمة عند صنع الأواني وتسجيل التاريخ والحفاظ عليه، وإنما تجاوزت هذا الحد إلى مجال آخر ثقافي علمي له أهمية كبيرة في حياة القرية، هو الطب و ظهرت مهارتها العلاجية وخاصة أثناء الثورة التحريرية (358) وهي حبيبة إلى الناس بسبب أخلاقها و صفاء روحها وقناعتها وسذاجتها وحلو كلامها فحينما ماتت " تلقى سكان القرية نبأ وفاتها بتألم وتأثر بالغين فقد كانت شخصيتها تمثل في كل خيال نموذجاً للمرأة العاملة للأحزون" (359).

"مالك": يعد من أهم الشخصيات الرئيسية للرواية هو شيخ البلدية ورجل مثقف ومؤيد للإصلاح الزراعي يريد بتغيير أفكار الناس وتحريرهم من الأوهام بعد أن حررتهم الثورة من الاستعمار ويفكر في "أن الثورة المسلحة حررتنا من الاستعمار ولم تحررنا من الأوهام يجب القيام بثورة أخرى" (360) ويقول " الشعب هؤلاء الفقراء آه لو عرفوا فقط قوتهم الحقيقية واستعملوها كما ينبغي لأدركوا أن الأرض مهما كان أديمها فهي صالحة للخصب" (361) كما أنه لا يحب ابن القاضي الإقطاعي الذي يشغل الناس كالعبيد فيقول له مرة " إن الناس لا يحبون خدمة أرض الغير ولا يحبون أن يبقوا عبيدا إلى الأبد" (362) وأيضا في حين ابن القاضي

355- المصدر السابق، ص 106

356- المصدر السابق، ص 108

357- المصدر السابق، ص 108

358- المصدر السابق، ص 179.

359- المصدر السابق، ص 200.

360- المصدر السابق، ص 208

361- المصدر السابق، ص 200.

362- المصدر السابق، ص 213

يغضب يوماً على العمال فيقول مالك في نفسه" ما أشد حقه على العمال إنه لو استطاع لأكل لحومهم وشرب دمائهم " (363) ورغم أن ابن القاضي يريد زواج ابنته به لأجل الحفاظ على أراضيها لكن لم يكشف مالك عن موقفه منه بوضوح حتى انتهاء الرواية، وأيضاً كان "مالك" وارثاً وحيداً للعجوز "رحمة" لكن رفض أن يأخذ أي شيء بل قدم ما خلفته من أوان إلى معرض الصناعة التقليدية وقرر بناء مدرسة ببيتها(364).

" الراعي رابح " : هو شخص ساذج طيب وأنوف يعيش تحت الفقر والذل مع أمه البكماء في القرية يرعى الغنم لابن القاضي منذ طفولته، ذات مرة تكلمت نفيسة ابنة القاضي معه بلطف فظن أنها تحب فتسلل إلى غرفتها ليلاً فشتمته وعيرته وقالت "أخرج من هنا أيها المجرم ! أيها القدر أيها الراعي القدر" (365) فخرج مطأطأ رأسه حزينا ، وبقيت تلك الكلمة المؤلمة تدوي في سمعه " أيها الراعي القدر" هناك حدث بذلك أول تغيير عميق وأساسي في حياته فترك من يومها رعي الأغنام واشتغل بعمل الحطاب ، وكان على هذا الطريق حتى وجد " نفيسة " في الغابة بحالة خطيرة فحملها إلى بيته وبذل جهده في معالجته بإخلاص طيب وقلب وظاهر وأيضاً نجد أنه يقدم ما في وسعه للعجوز رحمة" ، فهو من هذه الناحية على الأقل يعتبر من الشخصيات الرئيسية التي ازدادت بها "حسن الرواية وجمالها ورونقها.

وبالإضافة إلى ذلك توجد شخصيات أخرى في الرواية ولكنها أقل حضوراً على البساط الروائي لكن لا يمكن إغفالها ، منها شخصية المعلم الطاهر التي لا تضيف إلى العمل الأدبي شيئاً من الناحية الفلسفية بل ترفع قيمتها من الناحية الفنية فهو عضو في الحركة الإصلاحية ومعلم اللغة العربية ولا يعرف من اللغات غير العربية و ما زار بلدانا غير البلدان العربية لذلك يفكر كعدد من زملائه وشيوخه أن اللغة العربية هي أغنى اللغات، وأن العربي هو أشجع البشر وأكرمهم وأذكاهم وأطهرهم وأشرفهم... إلى آخر أفعال المبالغة التي تتعلق بالسجاي

³⁶³ - المصدر السابق، ص214.

³⁶⁴ - المصدر السابق، ص231.

³⁶⁵ - المصدر السابق، ص125.

والفضائل. (366) وكانت الحرية في نظره شيئاً جميلاً جداً لا يمكن الحصول عليه بالسلاح ولكن بإعداد المجتمع نفسياً وخلقياً وثقافياً ليكون في مستوى الحرية (367).

وأيضاً شخصية الطالب الشيخ حمودة فهي شخصية روحانية تقدم خدماتها لسكان المنطقة، وتمثل عالم الغيب امتداداً لعالم الواقع بثقافة أهل القرية، والشيخ حمودة من المشهورين بقهر الجن مهما كان الجنس الذي ينتمي إليه" (368) واتضح هذا الدور الاجتماعي الهام للطالب حمودة لما استقدمه عابد بن القاضي إلى بيته ليعالج ابنته نفيسة، هو يعتقد أن جنياً أصابها بمرض الصرع أو الجنون و الشيخ حمودة في نظر ابن القاضي وزوجته خيرة أحسن وأشهر من الآخرين، كما يقول ابن القاضي "هل هناك من هو أحسن من الشيخ حمودة؟ فقالت الزوجة موافقة" الشيخ حمودة يكتب جيداً، قل من لا يجد الشفاء على يده" (369) وحينما رأت خيرة "دلائل شفاء ابنتها بفضل علاج الشيخ حمودة فتفرح وترتاح وتخبر زوجها فسرره هذا الخبر ويقول: "الشيخ حمودة من الشيوخ القلائل الذين حافظوا على حكمة الجدود فاستفادوا منها وأفادوا" (370).

علاوة على ذلك توجد في الرواية امرأتان يقل حضورهما على البساط السردى وهي "خيرة" وأم رابع الراعي، أما خيرة زوجة ابن القاضي فهي امرأة ساذجة ومثقفة بثقافة القرية و خاضعة لرغبات زوجها و تؤمن بأن كلمة الرجل تنفذ وأيضاً لا تعرف أهمية الدراسة والتعليم في نظرها أمرى ثانوي، (371) وأما أم رابع الراعي فهي المرأة البكماء التي تصيح فجأة بسبب حنون الأم حينما رأت سدد موسى عنق ابنها (372).

366- المصدر السابق، ص 85.

367- المصدر السابق، ص 85.

368- المصدر السابق، ص 214.

369- المصدر السابق، ص 248.

370- المصدر السابق، ص 259.

371- المصدر السابق، ص 100.

372- المصدر السابق، ص 315.

وصف الرواية:

ظهرت رواية " ريح الجنوب " كعمل أول في تأسيس رواية فنية جزائرية بكل الملامح المعروفة واقعيا وفنيا وأيديولوجيا أو بكل السلبيات أيضا التي لا يخلو منها أي عمل رائد، وتحمل هذه الرواية أبعاد عدة و تثير قضايا كثيرة تتصل بالأرض وبالمرأة وبنضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل كما تعالج الدوافع الشخصية والتصرفات التي تحرك الإنسان وتقوده إلى مصيره و أيضا موضوع الثقافة هو أحد الموضوعات الأساسية في "رواية ريح الجنوب" ويحاول عبد الحميد بن هدوقة أن يستخدم الصور والتشبيهات والأمثال الملائمة للموضوع والملتصقة بالأرض وبهموم الفلاح فيكتب " كانت زليخة بلغت سن الزواج فتاة جميلة لونها يشبه القمع"⁽³⁷³⁾ وأيضا " كانت العجوز فارغة كالقفص الفارغ"⁽³⁷⁴⁾ ومثل هذه الأدوات الفنية تسهم في تأكيد الصلة القائمة بين الشكل والمضمون .

و استطاع الكاتب عبد الحميد بن هدوقة أن يقدم صورة المرأة في الرواية حسب ما اقتضته الضرورة بمختلف نماذجها المحتجة والمذعورة المقهورة ، فنفيسة هي صورة المرأة المحتجة التي تبحث عن ذاتها وحين راحت تبحث عن تلك الهواجس التي كانت تتحكم فيها، اتخذت من حل التمرد عن قانون المجتمع وسيلة تخطو إليها بعد أن هربت من المنزل وصورة المرأة المذعورة فهي " خيرة " زوجة القاضي خاضعة لأوامر زوجها و تؤمن بأن كلمة الرجل تكون لتنفيذ، وصورة المرأة المقهورة فهي "رحمة" التي تتصف بالأصالة والمحافظة على التراث بحب وتفاني وإخلاص . هذه هي الخطوط العامة التي رسمها المؤلف من خلال الرواية بعربية فخمة وبلاغة تراثية وعبارات فصيحة .

وبالإضافة إلى هذا اتضح لنا مما سبق أن ابن هدوقة قد أبرز قضية الأرض كما عمق الصراع بين الثورة من جهة وبين الإقطاع من جهة أخرى ثم جعل الثورة تنتصر على الإقطاع وهذا يعني انتصار الجماهير الكادحة ،فهكذا بذل كل ما كان في وسعه من السعي و المحاولة

³⁷³ - المصدر السابق، ص 50

³⁷⁴ - المصدر السابق، ص 120

لتطوير شكل الرواية العربية بالجزائر واجتهد لأجل إخراجها من قالب التابوت اللغوي الذي ظلت حبيسة له مدة طويلة، يكتب الأستاذ محمد السعيد في هذا الصدد " ابن هدوقة كتب رواية "ريح الجنوب" في فترة الحديث عن الثورة الزراعية فأنجزها في 1970م، مساندة للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة لفك العزلة عن الريف الجزائري و الخروج به إلى حياة أكثر تقدما و ازدهارا ورفع اليأس والشقاء عن الفلاح ومناهضة كل أشكال الاستغلال عن الإنسان" (375).

والجدير بالذكر هنا أن الكاتب ركز عنايته في الرواية على حياة الناس بالقرية وتحدث عن الفرد وروح الجماعة عن الماضي القريب والبعيد و تحدث أيضا عن الواقع المستقبل، وكان معلما أحيانا وفنانا أحيانا كثيرة وفي كل ذلك كان رائده خدمة الأدب والمجتمع والتأصيل لفن الرواية العربية وما هذا بالقليل (376)، فالرواية إذن واقعية بسيطة تعالج قضية الريف الجزائري بروية مسطحة تصف جوانب من المعاناة فيه وهي معاناة يتقاسمها الرجل والمرأة وإن كان نصيب هذه الأخيرة من هذه المعاناة أشد وأقسى على أكثر من جهة وعلاوة على ذلك هذه الرواية بمحيطها وشخصياتها أولا وأخيرا هي تعبير عن وضع ريفي (377).

ولكن بالرغم من ذلك كله نرى أن المؤلف لم يكن حاسما في نهاية الرواية حتى أن القارئ يخرج بتساؤل كبير حول مصير الراعي رابح والإقطاعي عابد بن القاضي فهل توفيا معا ؟ أم توفي أحدهما وعاش الثاني؟ وما هو مصير الذي صارت إليه نفيسة بعد حادثة أبيها ومجيرها رابح؟ و يبدو من المؤكد أن المؤلف أراد أن يتم روايته بنهاية مفتوحة (378) حتى اضطر المخرج محمد سليم رياض إلى تغيير في نهايتها بصورة خاصة حينما تم تحويل الرواية بنفس اسمها " ريح الجنوب" إلى فيلم سينمائي عام 1976م.

أما أسلوب الروائي عبد الحميد بن هدوقة في هذه الرواية فهو يمتاز بوصف الأشياء والناس و

³⁷⁵ - الأستاذ محمد السعيد: موضوع الثقافة في رواية ريح الجنوب ، ص 8

³⁷⁶ - الدكتور عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 252

³⁷⁷ - الدكتور عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث ، ص 218

³⁷⁸ - الدكتور محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة ، ص 208

نفسياتهم ومما يروق كثيرا في هذا الوصف ما يتعلق بالمحيط ومظاهر الناس ، فيصف المؤلف بيت العجوز رحمة " قائلا : كان الموقد حفرة صغيرة في الأرض بزاوية البيت وإلى جانبه أثافي ثلاث ما تزال نظيفة لم يسودها الدخان ، وعلى أنفية منها قنديل صغير مصنوع من علب أغذية المصبرات التي راجت بالجزائر بعد الحرب العالمية الثانية ، ذبالتة ترسل بصيصا من نور أحمر مائل إلى الصفرة يظهر وجه العجوز من خلاله كورقة تين في أواخر الخريف تعلوه صفرة داكنة " (379) ، يوجد مثل هذا الأسلوب في الرواية بأماكن كثيرة ، وإضافة إلى ذلك نجد أن الأساطير والتقاليد والأوهام والخرافات لها مكانة بارزة في أسلوب الرواية وهذا شيء يضيف قيمة كبيرة للرواية ، لأن الموضوع هو المجتمع الريفي الجزائري ومن هذه الخبرات والحكم والقصص التي تناقلها الأجيال بعضها عن بعض هي قدرة المؤلف على توظيف هذه الثقافة في العمل الأدبي (380).

هكذا نرى أن المؤلف بذل جهوده القيمة ليصوغ أفكاره بأسلوب واقعي وباستخدام اللغة الشاعرة أحيانا واللغة المباشرة أحيانا أخرى خاصة إذا حاول التأكيد على غرضه كقوله "وكانت ريح الجنوب قد أخذت تستعد للوثوب على القرية النائمة" (381) كما يقول الأستاذ عبد الله ركيبي : " أفضل ما في رواية " ريح الجنوب " في تصوري هو أسلوب الكاتب ولغته السلسلة الشاعرة في كثير من المواقف ، خاصة حينما يصف الطبيعة المتمرمة المتمثلة فيه هذه الرياح الساخنة التي لا ترحم الإنسان والحيوان والنبات" (382)، هذه هي تقنيات ابن هدوقة في رواية " ريح الجنوب" وهي تقنيات جيدة تجعل هذه الرواية أن تحتل مكانا بارزا من بين الروايات الجزائرية الحديثة.

379- عبد الحميد بن هدوقة : ريح الجنوب: ص 173

380- الدكتور محمد مصاييف:الرواية العربية الجزائرية الحديثة ، ص-206

381- عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب: ص 47

382- الدكتور عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 252

الفصل الثاني

رواية "طيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش

رواية " طيور في الظهيرة "

رواية " طيور في الظهيرة " هي أول عمل روائي للروائي مرزاق بقطاش⁽³⁸³⁾ ظهرت عام 1981م وتعد من أنجح وأهم الروايات الواقعية التي كتبت في عهد الاستقلال الجزائري⁽³⁸⁴⁾، كتب الطاهر وطار مقدمة أولى هامة طويلة لرواية " طيور في الظهيرة " التي عرفت رواجاً كبيراً وشهرة على الساحة الأدبية، وتعالج أحداث الثورة الجزائرية والحديث عن المدينة ونشاط الأطفال وتطلعاتهم فالطيور وهم الأطفال والظهيرة هي الثورة، فهذه هي الرواية الأولى التي تلفت إلى المدينة في شخص طفولتها الصاعدة وتحدث عن أطفال المدينة أكثر مما تتحدث عن المدينة ذاتها، فقد حاول مرزاق بقطاش أن يغطي فنياً إنجازات الثورة الوطنية، ويرسم بريشة دقيقة معاناة الطبقة المسحوقة إبان الاستعمار الفرنسي، والهموم الكبيرة التي يعيشها الأطفال، فالرواية تعتبر جيدة على صعيد مضامينها وجمالياتها بقدر ما أدت دورها التاريخي المسؤول بأمانة وشرف⁽³⁸⁵⁾.

أحداث الرواية

تنطلق أحداث الرواية حول يوميات الطفل الجزائري اسمه " مراد " والذي يسكن في أحد من أحياء الجزائر العاصمة إبان الفترة الاستعمارية ويصور الروائي من خلال هذه اليوميات تفاعل هذا الطفل مع قضايا الثورة والمجاهدين وأيضاً قضايا الحي الذي يعيش فيه " مراد "، وتبدأ الرواية من آخر أيام العطلة الصيفية وتقدم مشهد الأطفال وهم مستعدون للعودة إلى المدارس، في إبان هذه الفترة ذلك يقع أمر في الحي ويأخذ اهتمام سكانه جميعاً فهو يتمثل في صورة قضية اختطاف واغتصاب فتاة من قبل أربعة شبان من سكان الحي، فجاءت الشرطة

381 مرزاق بقطاش يعتبر من أحد أعلام الكتابة القصصية والروائية ذات التعبير العربي، ولد عام 1945م في الجزائر ونال تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة الشبيبة الإسلامية ومدرسة التهذيب العربية⁽³⁸³⁾، ثم التحق بكلية الآداب لجامعة الجزائر للدراسة العليا حيث حصل على شهادة الليسانس في الترجمة، هو كان عضواً سابقاً في المجلس الاستشاري الوطني وفي المجلس الأعلى للغة العربية وفي المجلس الأعلى للإعلام، ومن رواياته الشهيرة " طيور في الظهيرة " 1981 و" البزاة " 1983م و" عزوز الكابران " 1989 و" خويا دحمان " 2007م و" دم الغزال " 2002م (التفصيل عن سيرته الذاتية موجود على صفحة 121 لهذا البحث)

384 -الأستاذ محمد مصايف: " الرواية العربية الحديثة بين الواقعية والالتزام، ص 238

385 - الأستاذ واسيني الأعرج : المرجع السابق ص 416

الفرنسية وألقت القبض على هؤلاء الشبان بعد أن قام أحد من سكان الحي بالوشاية بهم، فنتضارب آراء سكان الحي حول القضية بمن فيهم " مراد " .

ومن جانب آخر نرى أن هناك علاقة دافئة تنمو بين عاشقين صغيرين : هما "مراد" و " فتيحة" و لكن بسبب هذه العلاقة يبدأ التنافس القوي بين "مراد" و"علي" حتى وصل هذا التنافس إلى الحد فمراد علي صغر سنه يدرك جيدا بأن علي ليس عدوه الطبقي أبدا فالعدو الرئيسي "معروف" ، وكل هذه الأمور على صغرها وبساطتها تشكل محطات ضرورية في وعي مراد التاريخي وتفتح عيناه على تناقضات مجتمعه أكثر ومع تتالي الوقائع والأحداث وضمن الدائرة الاستعمارية نجد أن "مراد" وأصحابه يواجهون مضايقات جمة من طرف بعض الأوربيين الذين كانوا يمنعونهم من اللعب في الحي بدعوى الإزعاج فتتوالي الأحداث والمشاكل في الحي في حين يرافق " حسين " و أحد من شباب الحي فتاة ويمر بها أمام أنظار الجميع ، فنتيجة هذا التصرف يقع شجار بينه وبين سكان الحي الذين استنكروا هذا التصرف.

ثم تتطور الأحداث بعد استجابة الأطفال للإضراب الذي دعا إليه المجاهدون لمقاطعة التعليم بالفرنسية ومن بينهم " مراد" الذي وقف أمام المعلمة رافضا التعلم باللغة الفرنسية غير أن قوات الجيش الفرنسي اقتحمت الحي لأجل إجبار الأطفال على العودة إلى مقاعد الدراسة بهدف كسر الإضراب وبعد استقرار الأمور في الحي يلاحظ "مراد" أن سكان الحي يتوجهون إلى المقبرة ،حيث قام الخطيب بإلقاء الخطبة بمناسبة مرور سنة تقريبا على انطلاق الثورة التحريرية شارحا أبعادها وأهدافها⁽³⁸⁶⁾ فهنا اكتشفت لمراد وأترابه المعاني الرمزية لهذا اليوم التاريخي الذي لم يدركه كما يجب، فأحساسهم الغريب بوجودهم ضمن دائرة مغلقة من المجاهدين وعليهم أن يمارسوا دورهم التاريخي كمناضلين يهتمهم استقلال بلادهم ، ومن ذلك كله يقدم مراد على كتابة النشيد الوطني بكل جرأة ، ويكون هذا بداية لزوال الخوف ومركبات النقص التي عمل الاستعمار على زرعها في هذه النماذج الصغيرة ليشلها عن القيام بأي فعل

³⁸⁶ -مرزاق بقطاش: رواية" طيور في الظهيرة" ص110

ثوري حقيقي ، ومقدمة للتفكير في الانضمام إلى صفوف الثورة وفي ظل هذه التحولات التي يخضع لها مراد يبدأ نمو إنسان جديد يحمل وجهة قسامات المستقل.

وإضافة إلى هذه الأحداث والأجواء الفقيرة هناك في الرواية توجد العائلة الفرنسية التي تعيش في سعادة و رخاء كبير على حساب قوت الفقراء اليومي ، وهذه العائلة تكون دائما في خصام مع عائلة نوربيرر الاسبانيتين (387) ، وهذا الأمر يدفع الأطفال إلى الانتباه إلى أكثر الموقف وممارسة لذة اكتشاف منقطعة النظير ، وبذلك تتكون لديهم القناعة النهائية بحيث أن العائلات الأوروبية كغيرها من عائلات العالم ليست مثالية ، مقدسة لا تقدم على ارتكاب الخطيئة أبدا كما تعلموا ذلك في المدرسة ، وربما كانت هذه العائلات الأوروبية أكثر شراسة من عائلات الأحياء القصديرية ، فكلما تعلموه لم يكن إلا كذبا وتلفيقا ، لا صلة له بالواقع اليومي فيتبلور هذا الموقف في الأطفال ويصممون على الإضراب والتوقف عن دراسة اللغة الفرنسية التي لم تلقنهم إلا الكذب المقنع بالحضارة الغربية وهذا ما زاد "مراد" كرها شديدا للعدو الفرنسي والمدرسة والنفور منها" إلا أن مسألة الامتناع عن دراسة اللغة الفرنسية ظلت على حدتها إنه لا يمكن الرضوخ لا للمدير ولا للمعلمين والمعلمات وقال في ذات نفسه أن التلاميذ سيكونون خونة إن هم رضخوا" (388)وعندما اقتربت المعلمة من مراد ورأت عبوسة صوبت نحوه سبابتها متوعدة و سألته " لم لا تريد أن تتعلم اللغة الفرنسيةيجيبها بقوله إنني لا أحب الفرنسية" (389)، وتنتهي الرواية بمشهد " مراد" وهو يخط الكلمات التالية على كراسته " من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا، ينادينا للاستقلال، لاستقلال وطننا" (390).

الشخصيات الرئيسية لرواية " طيور في الظهيرة":

الطفل مراد: هو طفل متمرّد على الاستعمار غيور على وطنه محب للحرية يكره الاستلام والرضوخ للعدو، ويلعب دور الروائي والبطل الرئيس في الرواية فهو طفل واع منذ صغره

387 - مرزاق بقطاش: رواية " طيور في الظهيرة" ص78

388 -المصدر السابق: ص66

389 -المصدر السابق: ص67

390 -المصدر السابق: ص146

وكان حافظا لجزء لا بأس به من القرآن الكريم ، كما جاء في الرواية " إنه الوحيد الذي يحفظ عددا كبيرا من الأناشيد الوطنية ، بدأ الحفظ وهو لا يتجاوز ثلاث سنوات من العمر على حد ما قالتها أمهلقد عجب المدرس يومها بنباهته فهو ما كاد يبلغ السادسة حتى كان قد تعلم الحروف الأبجدية كلها وحفظ حزبين من القرآن، أما الأناشيد فقد كانت ترسخ في ذاكرته بمجرد سماعها " (391).

يعد مراد من الشخصيات المحورية لرواية " طيور في الظهيرة" وتدور حولها أحداث الرواية، لكن مع كل ذلك لم يصف لنا الروائي شخصية مراد وصفا دقيقا من الخارج، إلا أنه وفق إلى حد بعيد في وصفها من الداخل من كل جوانبها ،فالطفل "مراد" الذي غابت عنه أحلام الطفولة ووعى منذ نعومة أظافره ضرورة الكفاح لطرد المستعمر و قد تربي على الحرية وقد تشرب حب الوطن من صباه ونشأ عليه ،وكل هذا يظهر في تفكير " مراد" في خطواته وملامحه وتحليلاته الجادة لكل ما يجري حوله من أحداث ومحاولة إيجاد تفسيرات جادة ومناسبة لكل تساؤلاته ، وقد صور لنا الروائي سمو تفكيره من خلال التساؤلات القيمة التي يطرحها حول المجاهدين والشعب الفرنسي وكذا عن مصير الجزائر، وهذا ما يؤكد الروائي في قوله " مراد كغيره من أطفال الحي يشعر بنفور شديد من الفرنسيين دون أن يدري سببا لذلك ، فهو عندما بدا يفهم الحقائق في الحياة أدرك أن هناك فرق بين الفرنسيين والعرب لقد قيل له دائما أنهم مستعمرون احتلوا البلاد بقوة"(392).

إضافة إلى ذلك نجد الفضول الشديد الذي كانت تمتاز به شخصية الطفل مراد، وذلك في محاولته للتعرف علنذ كل صغيرة وكبيرة ، خاصة عن أمور المجاهدين واشتباكهم مع العدو الفرنسي " وفي هذا السبيل السكينة لم تعد تعرف الطريق إلى نفسه منذ أن بدأ يطرح تساؤلات حول من في الحي جميعهم ، قد يكون هناك بعض المجاهدين في الجانب العلوي ، من الحي من يدري ؟ هو لم يجد الشجاعة الكافية للتعرف على ما يجري فيه، حاول مرة لكنه عاد خائبا

³⁹¹ -مرزاق بقطاش: رواية" طيور في الظهيرة" ص21

³⁹² -مرزاق بقطاش: رواية" طيور في الظهيرة" ص21

بعد إن ضربه بعض الأطفال بمحضر أبيه " (393) وهذا ما زاد "مراد" كرها شديدا للعدو الفرنسي والمدرسة والنفور منها حتى عن دراسة اللغة الفرنسية وحينما سألته المعلمة " لم لا تريد أن تتعلم اللغة الفرنسية فأجابها بقوله إنني لا أحب الفرنسية " (394).

وبالرغم من كل هذا نرى أن مراد يحب فتاة اسمها " فتيحة " لكنه لا يجراً على مصارحتها لخضله الشديد في مثل هذه المواضيع " وأحس بقلبه يخفق بعنف ، ثم طأطأ رأسه كعادته كلما تشابكت أنظارهما قبل أسبوع صادفها في أحد أزقة الحي ، فبادرته بالتحية لكنه لم يرد عليها ، بل أحس وكأن الدماء تزرع في وجهه دفعة واحدة وبصوته يحتبس في حلقه " (395).

جوزي : هو طفل يمتاز بالحنكة والنبوغ و بالرغم من أنه ليس من أصل العرب فهو شائع الثقافة خبير بكل شئ ، فجوزي يعتبر من بين الشخصيات التي تلعب دورا رئيسيا في رواية " طيور في الظهيرة" ويمثل الطفل ذو الجسم الضخم صديق حميم لمراد حتى اعتمد مراد عليه للرد على تساؤلاته لأنه يمثل بالحنكة والخبرة في الأمور الثقافية والسياسية وهذا ما توارثه من والده " وانتظر مراد كغيره من الأطفال أن يبدأ جوزي بالحديث ، فهو خبير في مثل هذه المسائل ، لا من قراءة الصحف الفرنسية ، ثم إن أباه كثيرا ما يحدثه عن الجرائم واحتيال رجال الشرطة للقبض على المجرمين ، لقد تعرف مراد من جوزي على سبيل المثال على أوضاع فكرة الهنود الحمر في أمريكا ، وعلى الرقصات الاسبانية والبواخر التي ترسو في ميناء الجزائر " (396).

وأیضا وصف الروائي مرزاق بقطاش شخصية جوزي بالمرحة والمساهمة والمسؤولة في الترفيه عن الأطفال وتبادل معهم مجمل ألوان اللعب ، كما أنه يمثل شخصية رئيسية فيما بينهم وغيابه يترك فجوة عميقة في داخلهم من أنه ذو أصل إسباني " وتساءل مراد في ذات نفسه ما إذا أن والد الجوزي قد حذر ابنه من التلفظ بشيء حول القضية ، لكنه تراجع عن تساؤلاته لأنه

393 -مرزاق بقطاش: رواية " طيور في الظهيرة" ص47

394 -المصدر السابق: ص67

395 -المصدر السابق: ص67

396 - المصدر السابق: ص19

يعلم أن جوزي هو صديق حميم لأطفال الحي ولا يمكن له أبدا أن يقول شيئا يمس عواطفهم"⁽³⁹⁷⁾.

أحمد: هو يمثل الطفل الناضج والمحك ويمتلك على مخزون المعلومات لا بأس بها عن المجاهدين، فهو يعتبر من الأصدقاء المقربين للبطل " لمراد " و"جوزي" وبقية الأطفال ، فوصفه الروائي بالطفل المنزوي والمنطوي على نفسه ، خاصة بعد فشله في الدراسة بعد أن بلغ من العمر 14 سنة مما أدى بوالده إلى تأنيبه وشتمه في البحث عن عمل جاد .ركز مراد نظراته على أحمد فأفاه منكمشا على نفسه ، ما أراد أن يقول شيئا ، ليست هذه أول مرة يراه فيها على هذه الحالة من التجهم ، وقد أيضا لاحظ تغيير طباعه خلال الأيام الأخيرة خاصة بعد أن وبخه والده على تصرفاته وأمره بالبحث عن عمل أو يتعلم مهنة ما، فأخرجوه من المدرسة في إذن أن يجد في البحث عن الموسم الماضي بعد أنه بلغ أربعة عشرة عاما من حقه أن يبقى في الحي بلا عمل ولا دراسة⁽³⁹⁸⁾ ، كما نجد أنه كان دائما إلى جانب صديقه "مراد" يسرد له أحيانا أحداث الحرب وينصحه أحيانا.

الشخصيات الثانوية:

توجد في رواية"طيور في الظهيرة" شخصيات ثانوية متنوعة ومتعددة نذكر بعضها منها كما يلي:

روني : هو شخص انتهاري ومعاد للحرية والوطن، يصف الروائي هذه الشخصية بأنها شخصية ماهرة وحاقدة على المجتمع الجزائري والعرب بصفة عامة ، فهي شخصية مؤثرة بشكل جلي وسط أحداث الرواية وتعمل على مساعدة العدو من الشرطة الفرنسية في طمس شخصية العرب والجزائريين يقول عنه الروائي " فليتبصر في المسألة إذن ولينتظر ما يقوله روني ذلك المالطي القذر لقد قدم مساعدات للشرطة لكي تلقي القبض على الفتيان

³⁹⁷ -مرزاق بقطاش: رواية" طيور في الظهيرة" ص19

³⁹⁸ - المصدر السابق: ص19

الأربعة⁽³⁹⁹⁾ وأيضا كان حريصا على مراقبة تصرفاتهم " وتجمع الناس على طول الطريق الترابي، وهم ينظرون بعيون ساخطة إلى السيارات ، لاحظ مراد أن روني أطل من إحداها وصرخ بأعلى صوته بالعربية الدارجة إننا سنقتلهم جميعا هذا هو جزاؤهم"⁽⁴⁰⁰⁾.

فتيحة : هي الفتاة الشقية المرححة أحلامها عادية كباقي الفتيات ، أحبها مراد وشغف بحبه لها ، حينما يراها يشعر كأن أبواب الجنة انفتحت⁽⁴⁰¹⁾ كانت فتيحة تمثل في شخصها الحيوية النشاط والجمال مما منحها مكانة مرموقة بين أطفال الحي ، لكن بالرغم من كل ذلك هي تعد من الشخصيات الثانوية لأنها لم تسهم كثيرا في تحريك أحداث الرواية إلا عندما بادرت بأرائها المختلفة عن الأوربيين من خلال ما شهدته من الأحداث والوقائع.

علي : هو طفل كباقي أطفال الحي علاقته بمراد وبقيه الأطفال سطحية، يهتم الروائي بمنظره الخارجي من حيث الأناقة والنجومية ويتميز بالوسامة والأناقة لذلك هو طفل محبب عند عديدة من الفتيات التي كانت تتهافت عليه للفوز به و" فتيحة" أيضا أعجبت بوسامة " علي" مما دفع بمراد بالغيرة الشديدة ، وهكذا بدأ التنافس القوي بين "مراد" و"علي" حتى وصل الأمر إلى الحد" كما يقول الروائي" هذه الغيرة الشديدة والخوف نتيجة أناقة " علي" و الاعتناء بجماله كان علي قد مشط شعر رأسه فبدأ براقا كعادته وما أكثر ما حاول مراد أن يقلده"⁽⁴⁰²⁾.

محمد: هو الغيور على وطنه والمحب للحرية والتخلص من عبودية المستعمر و الصديق الوفي للبطل مراد وحبیب إليه، كان طفلا بسيطا ينتمي إلى عائلة بسيطة تعمل والدته على رعايته وهو يشارك الأطفال باللعب في الغابة و يتبادل الأفكار المختلفة عن الحرب والعساكر. ويمتاز محمد بالشيطنة في اللعب مع الأطفال واقتصر نمو شخصية في لعبه وسط الغابة مع الأطفال فقط.

399 -مرزاق بقطاش: رواية" طيور في الظهيرة" ص21

400 - المصدر السابق: ص31

401 - المصدر السابق: ص61-62

402 - المصدر السابق: " ص22

وإضافة إلى ذلك توجد في الرواية شخصيات أخرى هامشية يقل حضورها على بساط الرواية منها شخصية "شيخ المسجد" فهي بمثابة القدوة التي يقتدي بها مراد في قرار نفسه من خلال النصائح التي يسديها له شيخ المسجد في المحافظة على الأخلاق والدين، ومنها شخصية "العجوز" التي لم يرد ذكرها إلا نادرا حيث تكاد تنعدم . تمثلت في صورة عجوز محبة لأمر السحر والشعوذة مما أدى بمراد إلى النفور منها وعدم احترامها بالرغم من كبر سنها ، وأيضا من الشخصيات الهامشية "العم عبد الله" فهو رجل بسيط يملك دكانا في وسط الحي ويعمل على حث الأطفال وينصحهم بعدم ارتكابهم للشيطنة والأعمال المخزية ، أما "أمقران" فهو الطفل الغبي الذي يعرف بكذبه الشديد ولسانه الذي يتلثم به كثيرا وبسبب غبائه أخرج من المدرسة في سن مبكرة . وأيضا نجد في الرواية ذكر "والد مراد" هو بحار يكسب خبزه اليومي من متاعب الأمواج التي تهدد حياته في كل لحظة ، كما أنه يتمتع بالقوة والصمود وهو محب للجهاد مثابر على متابعة الأخبار بالرغم من أنه لا يعرف القراءة والكتابة إلا قليلا ولكن مع ذلك كله لا تخفي عنه أمور المجاهدين.

هذه هي التفاصيل البسيطة للشخصيات الرئيسية والثانوية التي لعبت دورا كبيرا في رواية "طيور في الظهيرة" و نجحت الرواية بمساهمتها القيمة ونالت رواجاً في الأوساط الأدبية، وبعد ذلك نحاول أن نذكر الخصائص الأسلوبية واللغوية والميزات الأدبية لرواية "طيور في الظهيرة".

وصف الرواية

اتضح لنا مما سبق من الدراسة أن الشخصية الأساسية لهذه الرواية هي "مراد" وأول شيء ما يميزه هو أن شخصيته مرهفة الإحساس كثيرة التأمل تعيش في ظروف نفسية أقل ما يقال عنها أنها مضطربة وأسباب هذا الاضطراب النفسي عديدة ومتنوعة بعضها شخصي وبعضها غير شخصي. وفيما يتعلق بعوامله الشخصية تفكيره الدائم في " فتحة" وهذا التفكير ليس

بسبب الحب (403) بل غيرة على "فتيحة" التي أعجبت بوسامة وأناقة "علي" كما جاء في الرواية "فقد أحس "مراد" خلال الأيام الأخيرة بأن هناك ميلا من "فتيحة" إلى علي وهذا شيء يظنيه" (404)، وإضافة إلى ذلك نرى بعض الخصائص الأخرى في شخصية "مراد" والتي لا تناسب معه و منها أنه لا يعرف البحر ويجهل السباحة فليس من المعقول أن يعيش طفل في سن العاشرة أو الحادية عشرة في حي على شاطئ البحر ولا يحسن السباحة ، ومن الطريف أنه ينتمي إلى عائلة بحارين ولم يمنع من طرف أبيه من السباحة كما يفعل الأولياء الآخرون مع أبنائهم (405).

و كذلك درسنا أن " مراد" متصل بالوطنية منذ سنه الأولى فثأن اتصاله بالوطنية يدفعه إلى الجرأة ويجعله مثالا للشجاعة لكن لم نشاهده في أي موقف من المواقف التي نسبت إليه بل نرى أن الخوف والجبين يغلب عليه في أكثر الأحيان نراه في المقبرة عندما جمع المجاهدون سكان الحي بمناسبة الذكرى الثانية لاندلاع الثورة ففي هذا الوقت أحس "مراد" بالخوف من القوم المحتمل الشاحنات العسكرية " وهذا الخوف بدأ يساوره "مراد" الآن حد أنه قرر أن يفر إذا حدث شيء مريب" (406)، وأيضا عندما كان هو والأطفال يلعبون لعبة الباخرة في الغابة ورأوا جنديا يتقدم نحوهم فهناك نرى "مراد" غير متردد من بين الأطفال الآخرين في أن يعلن " أنني سأهرب يا جماعة" (407). وذات مرة جنود الاحتلال كانوا يجوبون الشوارع ويدخلون المنازل بحثا عن المجاهدين "فأحس مراد بأن رجليه ترجفان وحلقه يزداد جفافا حتى أنه ما عاد يقوي على التنفس" (408).

ولا ريب في أن هذا الخوف الشديد ينافي تماما للبطل الذي يعرف بحبه للوطن وحفظه للأناسيد التي تدعو في أغلبها إلى التمسك بالحق والتضحية من أجله بالراحة والحياة، وأيضا نجد أن

403 -الأستاذ محمد مصابف: الرواية العربية الحديثة بين الواقعية والالتزام، ص 216

404 -مرزاق بقطاش: رواية" طيور في الظهيرة" ص30

405 - المصدر السابق: ص30

406 - المصدر السابق: ص133

407 - المصدر السابق: ص117

408 - المصدر السابق: ص97

الخوف لم يغادره حتى في الصفحات الأخيرة للرواية (409) وهذا الأمر يدل على أن الجبن هو شيء أصيل لمراد، فهذا يضعف دور هذه الشخصية الرئيسية في أحداث الرواية ، ومن جانب آخر يظهر مراد في معظم أحداث الرواية كإنسان عادي لا قدرة له على التفكير ولا على التأثير في رفاقه من الأطفال(410)، وفي هذا الصدد يكتب لنا الأستاذ واسيني الأعرج : " مع هذا كله وبالرغم من رؤية بقطاش النقدية والاجتماعية والواقعية إلى حد بعيد فقد سقط في الكثير من المواقف المثالية واللحظات الهروبية في رسمه لتحركات تشكل وعى مراد"(411).

وعلاوة على ذلك يبدو لنا من خلال دراسة الرواية أن نزعة أخلاقية غيبية تسيطر على الكاتب في الكثير من الأحيان ويسقطها مباشرة على أبطاله، حتى قضية سرقة الحوزة ينهبها الكاتب بدرس في الوعظ والإرشاد وكذلك صراع مراد مع والد روني ، فهو صراع بين الإسلام والمسيحية كما يبدو من خلال صراعات مراد ولم يعمل الكاتب على تصحيح هذا الموقف حتى مع تطور الأحداث وتطور تصورات الطفل ذاته فهذا الأمر الذي يدفعنا إلى الزعم أن أبطال الكاتب مع تطورهم واستماتتهم لأجل القضايا الوطنية لم يصبحوا ثوريين بالمعنى الدقيق للكلمة ، وفي الحقيقة لا يمكن خلق بطل ثوري بدون نظرية ثورية(412).

وبالرغم من كل ذلك نرى أن رواية " طيور في الظهيرة" تعالج الحقائق التي لها صلة بالمقاومة الشعبية وبالتحديد الإضراب الوطني عام 1957م ، وتقف عند عالم الأطفال وتطرح أمامهم مفهوم الثورة ، وكأن الكاتب يريد بهذا أن يعرفهم حقيقة الصراع ويجعلهم بذلك منخرطين في أعمال بطولية تبين أن الوعي الثوري قد امتد إلى الأطفال ونضالهم لا يتمثل بقذف الحجارة فقط بل أنهم يؤدون دورا مهما يضايق العدو فينقلون الأخبار وينصبون الكمائن ويضعون المتفجرات بعيدا عن أعين الرقيب كما كان يجري ذلك بعيدا عن الآباء والأمهات

409-مرزاق بقطاش: رواية" طيور في الظهيرة" ص133

410 -الأستاذ محمد مصايف: الرواية العربية الحديثة بين الواقعية والالتزام، ص 219

411 - الأستاذ واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 403

412 - الأستاذ واسيني الأعرج : المرجع السابق ص 413

(413).

أما أسلوب الكاتب مرزاق بقطاش في هذه الرواية فهو يعد من الأساليب الناجحة في الفن الروائي ويقوم على الدقة والاختصار وحواره كذلك حوار فني لا يمله القارئ ويميل إلى السرد والصف والتحليل أكثر من الحوار وأيضا هو يرجح الأسلوب المباشر الذي يركز على الوصف الدقيق والتحليل الفني، لكنه يميل من حين لآخر إلى نوع من الرمز الخفيف كما نجد من الرمز الجميل في الرواية تسمية مراد لباخرته " بجبل الأوراس " فنلاحظ أن الباخرة عندما توقفت الباخرة في وسط البركة استهزأ بعض الأطفال بمراد قائلين: " الكل يعلم أن جبل الأوراس عتيد لا يركع بهذه السهولة التي ركعت بها باخرة مراد...جبل الأوراس عتيد وسيبقى عتيدا(414) " و يقول مراد حينئذ مضيفا إلى ما سبق من القول " ليس هناك إلا طريق واحد لإخضاعهم يجب أن يشبعهم أبناء الحي ضربا وركلا حتى يتسرب الذعر إلى قلوبهم فيدركوا بعد ذلك قيمة العرب" (415) فهذه العبارات الرمزية على قلتها تدل على أن المؤلف نجح في بعض الأحيان باستخدام الأسلوب الرمزي الذي يزيد مكانة الرواية عند القارئ.

ولكن مع كل ذلك نرى من جانب آخر أن الأستاذ واسيني الأعرج يقول: " بدأت الرواية بطريقة كلاسيكية محترمة بذلك كل التقاليد الروائية العربية وعلى الرغم من ثقافة الكاتب المتعددة وعلى رأسها الثقافة الفرنسية فقد اختفت انجازات هذه الروافد الأجنبية من عالمه الروائي حتى على الصعيد الشكلي الذي كان بإمكانه الاستفادة منه بشكل جيد وإعطاء الشكل الروائي بالجزائر نفسا جديدا ومثمرا فلا عيب أن يحسن الكاتب من أدواته الجمالية بالاستفادة من تجارب غيره بدون أن ننتقص من الجماليات الكلاسيكية ، فهي تمتلك القدرة الكافية وربما أحسن من الأدوات الفنية الحديثة " (416).

على كل حال فبالرغم من كل ذلك تجدر بالملاحظة هنا أن الكاتب مرزاق بقطاش استطاع

413 - الدكتور أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث ، ص 89

414 -مرزاق بقطاش: رواية" طيور في الظهيرة" ص115

415 -المصدر السابق : ص72

416 - الأستاذ واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 413

أن يستخدم في رواية " طيور في الظهيرة" اللغة الفصحى ولا يميل إلى الدارجة إلا ماندر ، لذلك لغته تعد من أرقى اللغات والرواية تعتبر من أنجح الروايات التي ظهرت في عهد الاستقلال فيقول الدكتور محمد مصايف:" لغة بقطاش هي من أرقى لغات كتابنا في فترة الاستقلال ومهما يكن من أمر فإن الرواية "طيور في الظهيرة" تعد من أنجح الروايات التي كتبت في عهد الاستقلال والبناء الروائي واللغة والأسلوب كلها تجعلنا نشيد بهذه الرواية "(417) وأيضا يصف الأستاذ واسيني الأعرج" بقدر ما كانت الرواية جيدة على صعيد مضامينها وجمالياتها بقدر ما أدت دورها التاريخي المسئول بأمانة وشرف" (418) وكذلك أكد الأستاذ الطاهر وطار في المقدمة الطويلة القيمة التي وضعها لرواية" طيور في الظهيرة" أن مرزاق بقطاش تخلص من عقدة(419).

417 -الأستاذ محمد مصايف: الرواية العربية الحديثة بين الواقعية والالتزام، ص 237

418 - الأستاذ واسيني الأعرج : المرجع السابق ص 416

419 - المقدمة لرواية " طيور في الظهيرة، ص 15

الفصل الثالث

رواية ألف وعام من الحنين لرشيد بوجدره

رواية " ألف وعام من الحنين "

رواية " ألف وعام من الحنين " كتبها الروائي الشهير رشيد بوجدره (420) في عام 1979م باللغة الفرنسية ثم ترجمها الأستاذ مرزاق بقطاش إلى اللغة العربية ونشرتها المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1981م وهي تعد من النصوص التأسيسية للرواية الجزائرية فاخترها اتحاد الكتاب العرب ضمن قائمة أفضل مئة رواية عربية في تاريخ الأدب العربي رغم أن رشيد بوجدره ألفها باللغة الفرنسية. و تشتمل هذه الرواية على سبع وثلاث مائة صفحة و تعالج الطبقة الأرستقراطية في المجتمع وتحتوي على الخيال الذي يلتحم بالواقع التحاما قويا إلى درجة نحن لا نستطيع الفصل بينهما بل تظهر كل محاولة للفصل بينهما مجرد عبث ،والكاتب يحاول أن يربط تاريخ الماضي بالحاضر من خلال ما جرى في التاريخ الإسلامي وما يجري فيه حاليا كما هي تتقرب من واقع العالم العربي الذي يعرف سيطرة واضحة للاستبداد الغربي.

و يتحدث الكاتب رشيد بوجدره عن رواية ألف وعام من الحنين ويقول "هي رواية الشخصية الجزائرية التي تفقد حتى اسمها من خلال الاستعمار وهناك شخص جزائري اسمه محمد عديم اللقب فعندما كنت صغيرا في المدرسة الابتدائية في قسنطينة، رأيت شخصا اسمه مصطفى عديم اللقب وقد استغربت الأمر واعتبرته عيبا وقد أفهمني أبي أن الاستعمار انتزع الأملاك من الناس ومن القبائل التي تمتلك الأرض انتزع من القبيلة اسمها من أجل انتزاع أراضيها ويبقى أفراد القبيلة (SNP) "عديم اللقب" (421).

أحداث رواية

تبدأ أحداث رواية " ألف وعام من الحنين " حول شخص اسمه محمد عديم اللقب لأن الاستعمار انتزع لقبه فهو يبحث عن البيت الذي كتب فيه عبد الرحمن بن محمد "ابن خلدون " (1332 -

⁴²⁰ - هو كاتب وروائي جزائري ولد في 5 سبتمبر سنة 1941 م بالجزائر، تخرج من جامعة السور بون بياريس و اشتغل بالتعليم وتقلد عدة مناصب منها مستشار بوزارة الثقافة وأمين عام لرابطة حقوق الإنسان و أمين عام لاتحاد الكتاب الجزائريين ، يكتب باللغتين العربية و الفرنسية، ويعد من أهم الوجوه الروائية في الساحة الأدبية الجزائرية ومن أهم مؤلفاته الروائية: "التفكك" "ليليات امرأة أرق" "ألف عام وعام من الحنين" "تيميمون" . (التفصيل عن سيرته الذاتية موجود على صفحة 115-116 لهذا البحث)

⁴²¹ - مجلة "منابر ثقافية" ملئتي المثقفين العرب، ص 56

1406م) جزءا كبيرا من مقدمته الشهيرة وسيرته الذاتية ، فمحمد عديم اللقب يستقر لمدة أربع سنوات بقرية تسمى المنامة هي قرية عربية صغيرة في الصحراء تعيش منعزلة على هامش الحياة والتاريخ وتعاني مشاكل الفقر والعزلة التي ورثتها منذ غابر الأزمان ، و يبذل قصارى جهوده الجبارة في بحث البيت ويحاول حتى ما استطاع، لأنه لا يعرف بالضبط المكان المحدد فقد قام بالبحث عنه في المنامة دارا دارا وشبرا شبرا وفي النهاية تكللت جهوده بالنجاح ووجد الدار التي حرر فيها ابن خلدون جزءا كبيرا من مؤلفه وقضى هناك أربع سنوات(422)، فمنذ ذلك الحين جعل عديم اللقب يعلن أنه قد سمى نفسه بابن خلدون وطلب من حاكم المنامة أن يعطيه شهادة رسمية تثبت صحة نسبه إلى ابن خلدون وانتمائه إليه بعد أن عاشت أسرته محرومة من الهوية عدة قرون، وواجه هو وإخوانه وأخواته وأبوه وجده المشاكل والمصاعب بسبب فقدان الهوية، فالآن وجد الدليل على أنه من نسل المؤرخ الكبير(423)، لكن في نهاية الرواية نرى أن السلطة الجديدة تطالب محمد عديم اللقب "بأن عليه العثور على شاهدي عيان عرفا سلفه هذا العظيم معرفة شخصية ومثينة" (424) حتى تسلم له شهادة رسمية تثبت هويته المسترجعة وبهذا العبارة انتهت الرواية.

و يجري الصراع في الرواية بين طرفين متناقضين أولهما تمثله عائلة محمد عديم اللقب وثانيهما يمثله حاكم المنامة والسلطان الخليجي ، وتقدم الرواية " عديم اللقب " كأنه نتيجة طبيعية للقرون العشرة الماضية التي عانى فيها الإنسان العربي من الضياع والتخلف والاستبداد ثم الاستعمار وقد أصبح بدون اسم وبدون هوية وصار ديدنه البحث عن الهوية الثقافية والحضارية وجذورهما ،هكذا نرى أن الرواية تمتد عبر العصور كثيرة وتنتقل إلى عدة أماكن ورغم هذا الخلط فهي تصور الوضع الذي تعيشه شعوب كثيرة ، كما نرى في الرواية كثيرا من الرموز والإيحاءات التي تصل إلى حد الألباز وأيضا الإسراف في الغموض بعض الأحيان فيجد القارئ صعوبة جمة في فك طلاسمها وفهم الغاية التي يتوخاها الكاتب من

422- رشيد بوجدره : رواية ألف وعام من الحنين ص 12

423- المصدر السابق، ص 306-307

424- المصدر نفسه، ص 307

كل ذلك، هذا هو المغز الحقيقي لهذه الرواية.

الشخصيات المركزية في الرواية

محمد عديم اللقب : هو بطل الرواية المحوري يكثر حضوره على بساط السرد وكان يتمتع بخوارق فمن أهم ميزاته أنه أينما يذهب لا يكون له ظل ويكف الدجاج عن القوقاة والرحى عن الجعجة والأطفال يكفون عن الضحك كلما مر على مسافة مائة وست وستين مترا منهم (425) يتميز عديم اللقب بعينين خضراوين ويرتدي سروالا أسود قطنيا، كما أنه كان مولعا بتاريخ الثورات في العالم الإسلامي منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا (426) ويهتم بالبحث في الكتب وقراءة الجرائد وكتابة رسائل الغرام للآخرين وتدريب طيور القرية القادمة من كل أنحاء العالم ويسكر في غالب الأحيان ليره جده ، حرم عديم اللقب من اسم عائلي قبل أن يولد لذلك طيلة حياته يبحث عن المكان الذي كتب ابن خلدون فيه شيئا عن مقدمته الشهيرة فيزور عديم اللقب قرية " المنامة" الفقيرة البائسة التي توقف فيها ابن خلدون وقضى أربع سنوات من حياته المباركة وأخير يجد ذلك المكان فأعلن بأنه يسمى نفسه بابن خلدون وطلب من الحكومة أن تسلم له شهادة رسمية مكتوبة فيها هويته وبعد ما عاشت أسرته محرومة من الهوية، هكذا أصبح عديم اللقب محل تقدير عند أهل المنامة بسبب خوارقه وحيله وشجاعته (427) و تعتبر عملية البحث عن البيت الذي كتبت فيه المقدمة لابن خلدون تجسيدا لعلاقة البطل محمد عديم اللقب كوجه لامع في بحيرة من قرون الظلام والعبودية كما يتبين من كلمته هذه " إننا نعاني من وطأة سبعة قرون من الانفصام إن لم أقل عشرا ذلك لان الدولة في المنطقة عشر قرون في ظرف عشر أسابيع" (428).

الأم مسعودة: هي أرملة تعيش مع أبنائها الذين يحملون لقب عديم اللقب، لها تسعة عشر طفلا

425- رواية ألف وعام من الحنين: ص 5

426- المصدر السابق: ص 143

427- المصدر السابق: ص 261

428- المصدر نفسه ، ص 261

(429) وكان اسمها الحقيقي " مسعودة السعيدة" . هي تمثل الطبقة الأرستقراطية في المجتمع و لها أثاث تستدعي أنه أهدى لأحد أسلافها من قبل سلطان محمود الثاني ومسعودة تنتمي إلى أصل ساحلي تحمل بين نهديها علامة الخصب ومن ميزاتنا أنها الوحيد التي تفرض سيطرتها على حاكم البلدة لأنها تعرف نقطة ضعفه المتعلقة بتاريخه ولذلك يخاف منها حاكم البلدة ويحاول رضاها عن طريق توفير الأسمدة المستورة من كاليفورنيا لأجل خصوبة حديقته التي تسقيها بدماء الطمث التي تجمعها شهريا من البيت، ومرة عرض بندر شاه عليها تزويج ابنته الصغرى لابنها فرفضت مسعودة واقترحت أن يعطيها ابنته " ليلي " التي يريد تزويجها من حاكم خليجية.

مسعودة زوجة محمد عديم اللقب: هي زوجة محمد عديم اللقب و تدعي مسعودة نظرا لأم الزوج تحمل الاسم نفسه ، ثم تم تغيير اسمها إلى " شجرة الدر " وذات صباح وجد عديم اللقب لزوجته اسما جديدا ...وقال فليكن اسمها شجرة الدر " (430) وقد أنتت هذه الزوجة من إحدى بيوت الدعارة وتم الزواج رغم معارضة أمها في البداية و هي أنجبت لمحمد عديم اللقب عدة أولاد، وقد انشغلت مسعودة في الرواية بنسج الأكفان حيث تحصل على ربح كبير (431).

الحاكم بندر شاه: هو حاكم المنامة (432) القمعي والمستبد يقضي أكثر أوقاته في بيوت الدعارة، في الأصل هو الأداة الطيبة التي يتسرب عن طريقها الاستعمار الثقافي والاقتصادي ويدرك داخل كيان الشعوب المضطهدة التي رفضت من قبل الحكام فيتنكر لهوية الشخصية ، كما يقصد إلى معول التشويه والهدم لقيمها الحضارية والتاريخية، فيقول الراوي " وسرعان ما صدم أهل المنامة بهذه الحيلة الماكرة التي استخدمها بندر شاه وتنتج عن الحرمان الجنسي وانعدام التوازن بين الأزواج وسقوط نسبة المواليد أن أجمع الناس أمرهم ضد المسبح العظيم " (433) أيضا هو يبيع النفط سرا إلى الخارج ولا يعلم أحد عنه سوى مسعودة عديم اللقب لذلك هو يخشاها ،ولديه

429 - رشيد بوجدره : رواية ألف وعام من الحنين ص 257

430 - المصدر السابق : ص 74

431 - المصدر السابق : ص 52

432 - المصدر السابق : ص 206

433 - المصدر السابق : ص 79

بنتان إحداهما " ليلي " التي أرسلها بندر شاه إلى أستراليا لتدريب الرقص ثم تم تزويجها بحاكم خليجية ليزوده بما شاء من الأموال والثروات لأنه كان أغنى رجل في ذلك الوقت " واحتفل بعرس ليلي بندر شاه بملك خليجية"⁽⁴³⁴⁾، وأما ثانيهما "صغرى" فهي تحب محمد عديم اللقب حبا شديدا كما تقول " أنه أرسل شقيقتها لتعلم الرقص الكلاسيكي وتركها في بلدها لتتعلم الطرز"⁽⁴³⁵⁾، وأراد بندر شاه أن يزوجه لمحمد عديم اللقب لكن رفضت مسعودة أمه ، وأيضا من صفاته القبيحة استغلال ثروات المجتمع لأغراضه الشخصية بمساعدة الأجانب والاصطدام مع المجتمع والتفكير في وسائل السيطرة .

وإضافة إلى ذلك نجد في رواية "ألف وعام من الحنين" بعض الشخصيات التراثية التي لها علاقة بشخصيات الرواية منها الحجاج بن يوسف⁽⁴³⁶⁾ والمعتمض بالله⁽⁴³⁷⁾ ويتحدث الكاتب في الرواية عن طريق الخطاب المعروف الطارئ عن سيرة الحجاج خلال حكومته على بعض المدن العراقية وأيضا دور المعتمض بالله في إخماد ثورة "الزنج"⁽⁴³⁸⁾ التي اجتاحت بغداد وأدخلت الرعب والفرع في قلوب المجتمع العراقي كما يتبلور من قول الروائي الثاني: " الحجاج بن يوسف ترسم صورته بصفة شنيعة وهذا كل ما يستحق أفلم يسمى بجلاد العراق؟ المعتمض وقد عرفه التاريخ لقساوته إزاء السود ومطاردته لهم وهو الذي قضى على أول ثورة حقيقية عرفها الإسلام"⁽⁴³⁹⁾ .

أيضا من الشخصيات التراثية " المتنبي"⁽⁴⁴⁰⁾ ويتحدث الكاتب عن المتنبي على لسان بطل الرواية بين الحين والآخر وهو لا يتحدث عما يمتاز به من الكبرياء والجودة الشعرية بقدر ما يتحدث عن ثورته على الأوضاع وإدعائه النبوة فبطل الرواية يجد في السقاية التي كانت مهنة

⁴³⁴ - رشيد بوجدره : رواية ألف وعام من الحنين ، ص 114

⁴³⁵ - المصدر السابق :ص 52

⁴³⁶ - أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (660 - 714 م) كان حاكم العراق في العهد الأموي.

⁴³⁷ - أبو إسحاق محمد المعتمض بالله بن هارون الرشيد ثامن الخلفاء العباسيين (179-227م)

⁴³⁸ - ثورة الزنج (869 - 883م) اندلعت في جنوب العراق وامتدت لإيران وبغداد ودامت خمس عشرة سنة وهزت بغداد من قواعدها وكانت أطول ثورات العصر العباسي وأخطرها (أنظر الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج/7 ص، 145)

⁴³⁹ - رشيد بوجدره : رواية ألف وعام من الحنين،ص232

⁴⁴⁰ - شاعر عربي (303-354م) اشتهر بمدح السيف الدولة

والد المتنبي قرينة ملائمة للقول بأن مهنة والد لا تمنع الابن من إدعاء للعظمة والكبرياء و الشرف " كان شاعرا يعرف كيف يوقف المطر عندما يرغب في ذلك وهل في الأمر من غرابة وقد كان والده سقاء وكان في كل الصباح يذهب إلى النهر للإتيان بالماء ويوزعه في قرب من جلد الماعز"⁽⁴⁴¹⁾ و دعا المتنبي للثورة على الطبقة الارستقراطية والتقليد والإتباع بعد أن مهنة والده كانت متواضعة ،هذه هي المشكلة التي يواجهها بطل الرواية الذي تكبّد المشاق والمصاعب في سبيل البحث عن أصله وهويته بسبب بمهنة والده ، ومن شدة إعجاب الكاتب بالمتنبي نجد ذكره بمواضيع كثيرة في رواية ألف وعام من الحنين.

وأیضا من تلك الشخصيات "ابن خلدون" التي تدور حولها الرواية كلها وقد ركز الكاتب كثيرا على أدوار حياته ودوره في كتابة التاريخ والعمران البشري،فالبطل لم يعرف المكان المحدد بالضبط الذي حرر فيه ابن خلدون جزءا من مقدمته⁽⁴⁴²⁾ لذلك هو يبذل قصارى جهده في البحث والتنقيب عن المكان الأصلي في "المنامة" منذ بداية الرواية حتى نهايتها وأخيرا يهبط على البطل وعي صاعق يكشف له أن ابن خلدون قام بتأليف مقدمته الشهيرة في الحديقة الغناء التي تملكها أمه⁽⁴⁴³⁾ فأعلن أنه يسمى نفسه بابن خلدون والتمس من حاكم المنامة أن يشرفه بشهادة رسمية تثبت صحة نسبه إلى ابن خلدون وانتمائه إليه ، فابن خلدون في الرواية هو يعد رمزا للهوية العربية الضائعة الباحثة عن نفسها بعد أنه كان مؤسس علم الاجتماع وفي الحقيقة هذا هو أكبر رمز للحديث عن الهوية.

وصف الرواية

اتضح لنا مما سبق أن أحداث الرواية لا تخضع لسرد منطقي ولا تترابط أحداثها في انسجام تفكيراً وتعبيراً بل هي تداعيات تتجسد عبر أبطال الرواية الأساسيين على سبيل المثال بطل الرواية عديم اللقب يتذكر أن والده قد توفي في مصنع للورق حيث سقطت عليه رزمة ورق

⁴⁴¹ - رواية ألف وعام من الحنين: ص 194

⁴⁴² - المصدر السابق: ص 194

⁴⁴³ - المصدر السابق: ص 63

كبيرة⁽⁴⁴⁴⁾ وهذا الحادث يذكر بوفاة العالم العربي الجاحظ الذي كان مصابا بالفالج وتوفي بدوره تحت مجموعة كبيرة من الكتب ، فاختيار الكاتب لهذه الشخصية يدل على تعلقه بها روحيا وعقليا ومن هنا نجد أن القضية تراثية بالدرجة الأولى وليست قضية مجرد عديم اللقب بأبيه بل يكمن في الموضوع التراثي الذي يمثل الجاحظ أحد أطرافه البارزة ولذلك نرى أن الكاتب يكرر ذكره أكثر من مرة في الرواية⁽⁴⁴⁵⁾ .

وإضافة إلى ذلك نرى أن الرواية تحمل القضية الطبقيّة التي تتبلور واضحة وصريحة تماما في الرواية فحاكم بندر شاه يتصف أول ما يتصف به بالعمالة فهو يبيع النفط إلى الخارج وأراد مرة تحويل بلدة المنامة إلى بحيرة عن طريق استيراد المطر الصناعي ومسعودة عديمة اللقب تنتمي إلى هذه الطبقة رغم علاقتها السيئة بالحاكم ، وأما الطبقة الثورية فيمثلها محمد عديم اللقب ورفقاؤه وزوجة عديم اللقب بدورها واحدة من أفراد هذه الطبقة الكادحة ، وأيضا كما نرى في الرواية بعض الثورات الشعبية في التاريخ العربي منها "ثورة الزنوج" و"ثورة القرامطة"⁽⁴⁴⁶⁾.

ومن هنا تحولت الرواية إلى شكل حكايات خرافي مناقض لما كان سائدا في العصر الملوكي الظلامي الذي طبع الحياة بطابع خرافي حالم وهي إن كانت حكاية خرافة مضادة فهي لا تستعين بالخرافة إلا من أجل نقص الوهم والخرافة القائمين في التاريخ العربي الإسلامي قديما وحديثا، وأيضا تحاول الرواية أن تعيد كتابة التاريخ المضاد للخرافة بأسلوب الخارق العجائبي والأسطوري والجمالي وتهدف إلى اكتشاف التاريخ الحقيقي للشعوب الإسلامية، وهكذا استطاع الروائي رشيد بوجدررة إعادة صياغة العالم العربي والإسلامي التي تكون مملوءة بالأعاجيب والغرائب كما يتجلى ذلك في الأساطير القديمة⁽⁴⁴⁷⁾.

⁴⁴⁴ - رواية ألف وعام من الحنين:ص16

⁴⁴⁵ - المصدر السابق: ص (6، 16، 149)

⁴⁴⁶ - القرامطة نسبة للدولة القرظية التي انشقت عن الدولة الفاطمية وقامت إثر ثورة اجتماعية وأخذت طابعا دينيا،و تنسب دولة القرامطة إلى حمدان بن الأشعث كما هي تعد من أوائل الثورات الاشتراكية في العالم(الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج/12 ص ص 70-71)

⁴⁴⁷ - الدكتور سعيد سلام: التناسل التراثي، ص ص 240 - 241.

لكن بالرغم من كل ذلك لأريب في أن رواية "ألف وعام من الحنين" ليست رواية تاريخية بصريح العبارة بل أنها رواية واقعية أو خيالية تستوعب الماضي لتفسير الحاضر فهي بكل هذه الخصائص رواية البعد العجائبي بأتم معنى الكلمة (448) وأن استيعاب التاريخ في هذه الرواية لم يكن من قبل الاستيعاب الكمي المؤكد على حضور مرحلة تاريخية معينة أو عهد سياسي معين بل هذا الاستيعاب كان من منطلق تحليل وعى الأسرة عديم اللقب وما تختص به من ميزات ثقافية لأن هذه الرواية ليست رواية تاريخية بالمقياس الفنية المتعارف عليها، وأيضا نرى أن التراث في رواية "ألف وعام من الحنين" هاجس ليس مستحدثا كما أنه ليس بالغريب عن العقلية العربية وبالخصوص النصوص الروائية كما أنها كانت ألفت بخصائص عالمية لكن الأصول تبقى في الذاكرة الأصيلة (449).

وعلاوة على ذلك يبدو من المناسب أن نذكر هنا أن لغة الكاتب رشيد بوجدره تمتاز بلونها المليء بالروائح العتيقة والكثافة والتركيز والرمز وتختلف لغته حسب الموضوع الذي تتناوله الرواية وأيضا أنه لا يجد أي حرج في استخدام بعض الألفاظ الفاحشة والقبیحة (450) والتي لا يتحدث الناس عنها في حياتهم العملية واليومية، فهو يسمي الأشياء بمسمياتها ويصف وصفا دقيقا كما نجد أن لغة رشيد بوجدره في هذه الرواية ليست لغة السرد القصصي وال جذاب بل هي لغة الإيحاء وكثافة الرمز، لذلك يشعر القارئ أنه أمام الحقائق العلمية وتاريخية كما يجد نفسه أمام مفردات يعسر فهمها، لكن بالرغم من ذلك أن لغته غير متداولة بين الناس وليس لها دور كبير في حياة كل منهم فالكاتب يوقض هذه اللغة المسكوت عنها التي تدل على ثقافته الواسعة.

على كل حال فقد حظيت رواية "ألف وعام من الحنين" بأهمية بالغة من طرف النقاد والدارسين فيقول الأستاذ علي دغمان "إن رواية ألف وعام من الحنين هي رزمة الذات نتيجة فشلها في البحث عن هويتها الضائعة في متاهات القرون والتاريخ كما هي تمزق الذات، نتيجة

448- الدكتور فتحى بوخالفة : الرواية والنص التاريخي، ص 143

449- الدكتور فتحى بوخالفة : نفس المرجع ص 143

450- رواية ألف وعام من الحنين:ص56

فجيعتها باليتم، كون هويتها توقع نفسها بنفسها، هي تاريخ الفقد فقد الهوية لأنها خارج التاريخ واستحقت "ألف وعام من الحنين" هويتها الأدبية كونها تكملة لتجربة الكتابة" (451) ويحرر الدكتور فتحى بوخالفة "إن خصوصية التناص في رواية "ألف وعام من الحنين" تعكس مستوى الوعي بالتراث التاريخي والثقافي في الآن نفسه للذاكرة العربية من خلال النماذج المقدمة وقد أراد النص في هذا الصدد مزج دلالات جديدة لتلك العناصر التاريخية والثقافية لذاكرة الأمة العربية الإسلامية من خلال اقتباس نصوص تراثية بعينها والاستفادة منها في ثنايا البناء الروائي" (452). هذه هي أهم الملاحظات والنتائج التي وصلت إليها من خلال دراسة هذه الرواية ومطالعتها .

⁴⁵¹ - الدكتور علي دغمان : رواية البطل من سيرة الذات إلى توقيع هوية النص، 18

⁴⁵² - الدكتور فتحى بوخالفة : المرجع السابق، ص 170

الفصل الرابع

رواية " ذاكرة الجسد " لأحلام مستغانمي

رواية " ذاكرة الجسد " لأحلام مستغانمي

رواية " ذاكرة الجسد" من تأليف الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي⁽⁴⁵³⁾ صدرت عام 1993م ، ونالت شهرة واسعة على الصعيد العالمي وحصلت على جائزة "نجيب محفوظ" للإبداع الأدبي من الجامعة الأميركية بالقاهرة عام 1998م⁽⁴⁵⁴⁾ كما نالت جائزة "نور" عن مؤسسة نور للإبداع النسائي عام 1996م وأدخلت الرواية في المقرر التعليمي للعديد من الجامعات الدولية، الجامعات العربية، كما ترجمت إلى لغات عالمية عديدة، و في عام 2010م تحولت بنفس اسمها "ذاكرة الجسد" إلى مسلسل للمخرج السوري " نجدة أنزور"⁽⁴⁵⁵⁾. تقع هذه الرواية في أربعمئة وست صفحات وتشتمل على ستة فصول غير معنونة كما جزئت هذه الفصول إلى واحد وعشرين جزءاً، وتحدث عن قصة حب عاطفية تمتزج فيها الإثارة بالعشق و سرد نصف قرن من تاريخ الجزائر والنضال والاستقلال وما بعده .

أحداث الرواية

وتدور أحداث الرواية حول "خالد بن طوبان" بطل الرواية وفتاة اسمها " حياة" التي من أجلها كتبت الرواية ، أما خالد فهو شخص محوري وثوري أفرغ حياته من كل معنى لم يبق سوى الوطن هو الأكبر دائما ، كان يتمنى الموت و يبحث عنه لذلك التحق بمعسكرات التدريب ومما ساعده في ذلك حبه الشديد لأستاذه ومدربه وقدوته " سي"⁽⁴⁵⁶⁾ الطاهر" الذي كان رجلا مهيبا لا هموم له سوى هموم الوطن ومن أحد القادة المخلصين للثورة الجزائرية ضد فرنسا ، هناك شارك خالد في صفوف جبهة التحرير الوطني وفي معسكرات التدريب تغيرت حياته وشعر أن الثورة عوضته عما فقده .

⁴⁵³ - هي كاتبة وروائية جزائرية من مواليد تونس عام 1953م،ترجع أصولها إلى مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري ،حصلت تعليمها الابتدائية في مدرسة التبليبية بالجزائر،ونالت شهادة الدكتوراه من جامعة السور بون في فرنسا ،عملت في الإذاعة الوطنية، تقطن حاليا في بيروت ،حازت على جائزة نور وجائزة نجيب محفوظ للرواية ومن أهم مؤلفاتها " ذاكرة الجسد " "فوضى الحواس " "عابر سرير" "نسيان com" و"الأسود يليق بك " وغيرها. (التفصيل عن سيرتها الذاتية موجود على صفحة 117 لهذا البحث)

⁴⁵⁴ - أحلام مستغانمي : رواية" ذاكرة الجسد" ص 1

⁴⁵⁵ - الدكتور صالح مفقودة: أبحاث في الرواية العربية، ص 115، و الأستاذ مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، 254

⁴⁵⁶ - كلمة " سي" هي اختصار لكلمة " سيد" تستعمل لمخاطبة من هو الأعلى شأنا والأرفع منزلة.

ولكن في إحدى معارك هذه الثورة أُصيب برصاصتين في ذراعه اليسرى ولم يكن هناك بد من بتر يده فاضطر إلى ذهاب تونس للمعالجة وعند مغادرته إلى تونس جاء " سي الطاهر " دس ورقة صغيرة في جيبه وبعض الأوراق النقدية وقال: "لقد وضعت في جيبك عنوان العائلة في تونس و شيئاً من الدراهم ولو قدر لك أن تصل إلى هناك أتمنى أن تذهب لزيارتهم حين تشفى وتسلم هذا المبلغ" (457) كما أوصاه بأن يحمل باسم طفله التي قد ولدت قبل شهر في تونس ويقول لوالدها بأن والد الطفلة قد اختار لها هذا الاسم ، فيجب أن يسجل هذا الاسم لها في الدفاتر الرسمية .

وصل خالد تونس حيث بتر ذراعه فشعر بألم عجيب ،كأن الدنيا أصبحت مظلمة وهو إنسان بلا أم ولا أب ولا ذراع ولا وطن لكن الطبيب واساه وشجعه ونصحه أن يركز عنايته على فن الرسم فشكر خالد للطبيب، وبعد أن شفى ذهب إلى البيت "سي الطاهر " كما وصاه فسجل ابنته في دار البلدية وأعطاه اسم "أحلام" كما أراد والدها ، لتبدأ في ذلك اليوم علاقته بأحلام وبعد ذلك بأشهر استشهد "سي الطاهر" في ساحة الفداء قبل استقلال الجزائر بقليل دون أن يتمتع بالنصر ولا بقطف ثماره. (458)

تمر السنة مر السحاب وهاجر خالد إلى فرنسا بعد الاستقلال وبدأ مرحلة جديدة وأصبح هذا المجاهد رساما بارعا ورسم أول لوحة سماها " حنين" وهي جسر معلق في مدينته الحبيبة قسنطينة ،ربما مثل حالته المعلقة بين الحياة والموت ،اشتهرت لوحاته الرائعة لأنه كان يرسم بقلبه وليس بريشة وقام معرضا للوحاته بباريس حيث حضر كثير من الناس لزيارة المعرض وذات يوم جاءت فتاتان ملامحهما كانت جزائرية وعرف خالد بن طوبان بعد اللقاء والحوار معهما أن واحدة منهما بنت " سي الطاهر" وعادت ذاكرته عمرا إلى الوراء أنها " هي تلك الصغيرة التي كانت تجلس على ركبتى وتبعث بأشياءى وتقول لي كلاما لا أفهمه و قبلتها نيابة

457- أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 36

458- المصدر السابق: ص 48

عن أبيها " (459) واسمها " حياة " الذي اختاره خالد أن يسميها به.

منذ هذا اللقاء تطورت علاقته مع " حياة " وتتوالى بعد ذلك زيارتها له فتعمقت بينهما علاقة الحب و نشأت واشتدت حتى يقع خالد في غرام فتاة وبدأ يحبها لدرجة العشق الجنوني مع أنها كانت أصغر منه بخمس وعشرين سنة واستمر الحب على ذلك حتى تعرف خالد على الشاعر الفلسطيني " زياد " هو يدرس في الجزائر مكثفياً بدخله البسيط كأستاذ للأدب العربي، ويوجد بينهما رباط نضالي وثقافي مشترك كان زياد لسانا يقول الشعر وخالد يدا ترسم لوحة فتطورت العلاقة بينهما وأصبح زياد تدريجياً صديقاً حميماً للبطل خالد (460) ثم تحسنت أحوال زياد وحصل على شقة وكان على وشك الزواج من الفتاة التي يحبها بجنون لكن فجأة ترك كل شيء وانخرط في السلك الفدائي.

وفي يوم من الأيام تحدث خالد بالفتاة عن شخصية زياد وشعره ويعطيها ديوانين من شعره فأعجبت " الفتاة " بشعره وكلامه وتأثرت بشخصيته الساحرة وتطورت علاقتهما حتى أصبحا رفيقين يتناقشان ويلتقيان في بيت خالد وغيره، هذا ما يثير ارتياب خالد وربما ندم على تعارفهما ثم يأتي سفره لغرناطة لإقامة معرضه لمدة عشرة أيام وهناك لا يفكر إلا بأمر أحلام وزياد، وكان يكتب لأحلام عن غرناطة عن الحب وكأنه يحاول أن يقيم حولها سياجا من الرسائل وطوقا من الكلمات .

ازداد شك خالد يوماً بعد يوم ولكن حينما رحل زياد باريس تغير ظنه و انخفض ارتيابه وأصبح سعيداً لكن بعد ذهاب الشاعر بدأت زيارات حياة و اتصالاتها بخالد تقل شيئاً فشيئاً حتى ذات يوم اتصل " سي الشريف " عم "حياة" بخالد وطلب منه أن يحضر لعرس ابنة أخيه وهي حياة وسيكون زواجها مع "سي مصطفى" الذي كان صديقاً قديماً ورفيق كفاح ونضال في الثورة الجزائرية ضد فرنسا لكنه بعد الاستقلال تولى المنصب الأعلى وقام بالفساد واستغلال النفوذ فأحس خالد بحزن عميق وكأن صوته انفصل عن جسده والدنيا كلها أصبحت

459 - أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 55

460 - أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 145

مظلمة ويقول : " أيمن للكلمات أن تنزل صاعقة على شخص بهذه الطريقة ؟ أيمن للجسد أن يصبح إثر كلمة عاجزا عن الإمساك بسماعة" (461) و مع تكدر خاطره حضر خالد عرسها بقسنطينة وحاول أن يتشاغل بالحضور عن التفكير فيها لكنها أمامه "ها هي تزف بالأغاني التي طالما أحب تطل كأميرة أسطورية يدير نظره في الحضور فلا يجد سوىسيرك لا مكان فيه إلا المهاجرين" (462) ويعيش الألم والخيرة التي تملأ الصدر وتقطع القلب لكن بالرغم من كل ذلك هو يبارك لسي الشريف ويسلمها على العرس وأهداها لوحة من لوحاته الرائعة " صورة " جسر " قسنطينة التي كانت تحبها للغاية .

ويغادر خالد لباريس وتمرست سنوات بلا لقاء يحاول فيها أن ينساها ولا يعود إلى قسنطينة أبدا لكن فجأة جاء نبأ وفاة أخيه حسان فعاد مرة ثانية إلى قسنطينة ويقول " إن قسنطينة فرغت من أهلها الأصليين لقد أصبحوا لا يأتونها سوى في الأعراس أو في المآتم ، لقد مات أخي في الواقع مثلما مت أنا منذ ذلك العرس قتلنا أحلامنا " (463) وبعد وصول قسنطينة وإتمام مسؤوليته بدأ يكتب قصته ورحلته مع الفتاة " حياة " وهكذا انتهت رواية ذاكرة الجسد.

الشخصيات المحورية لرواية " ذاكرة الجسد "

احتوت رواية " ذاكرة الجسد " على العديد من الشخصيات المختلفة التي لعبت دورا فعلا في البساط السردى ونهضت أحداث الرواية على كواهلها في أدوارها وأفعالها وتأثيرها ، فمن الشخصيات المركزية التي تتجلى في الرواية :

خالد بن طوبان: شخصية خالد بن طوبان تعد من الشخصيات الرئيسية لرواية "ذاكرة الجسد" هو بطل الرواية ، تروى الأحداث على لسانه، كما هو مثل الجسر الذي يربط الحاضر بالماضي وهو رمز للمناضل الجزائري الذي حارب الاحتلال وفقد ذراعه في القتال ومع ذلك تخلت عنه الثورة بعد انتصارها ودفعته إلى منفى اختياري في فرنسا ويقع في غرام فتاة "

461- أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 268

462- المصدر السابق:ص 358

463- المصدر السابق: ص 403

حياة" وبدأ يحبها لدرجة العشق الجنوني مع أنها كانت أصغر منه بخمس وعشرين سنة .

"الأحلام" أو "حياة" : شخصية "الأحلام" أو "حياة" هي بنت سي الطاهر و فتاة مثقفة وكاتبة روائية متميزة (464) تكتب العربية وتستخدم الفرنسية للتخاطب. هي شخصية مركزية في الرواية بل لأجلها كتبت الرواية ويكثر حضورها على البساط السرد وهي تبعث روحا جديدة في خالد وتدعي بحبه ولكن تعجب بشخصية زياد وتتزوج بسي مصطفى.

وشخصية "زياد": هو شاعر فلسطيني وصديق لخالد بن طوبان الذي يرتاح إليه لكنه يشكل عقبة بين خالد والأحلام ومارس تأثيرا كبيرا على أحلام وجعلها تتوقف عن حبها وتخوض تجربة عشيقة معه، وعلاوة على ذلك كان حاسما في قراراته ونموذجا للمثقف الواعي، كانت شخصيته استثنائية حتى في موتها. استشهد في ساحة القتال كما تمنى (465).

سي الطاهر: هو والد فتاة "حياة" ومثال المناضل الثوري العنيد الذي جعل انتصار الثورة وقضية الوطن فوق كل الاعتبارات ويقول خالد بطل الرواية" لقد خلق سي الطاهر ليكون قائدا كان فيه شئ من سلالة طارق بن زياد والأمير عبد القادر " (466) استشهد في ساحة القتال قبل استقلال الجزائر دون أن يتمتع بالنصر ولا يقطف ثماره (467).

سي الشريف: هو أخو سي الطاهر ودبلوماسي، وسي مصطفى هو زوج "حياة" ونضال في الثورة الجزائرية ضد فرنسا لكنه بعد الاستقلال تولى المنصب الأعلى وقام بالفساد واستغلال النفوذ، شخصية حسان شقيق خالد يمثل فئة من أنصاف المثقفين مطامحهم قليلة وتطلعاتهم محدودة رمزية مثلت رمز الجزائر ذاتها ، ولد بقسنطينة تربي ودرس وهنا أصبح مدرسا لم يغادرها إلا نادرا (468) إنه مدرس أنهكته متاعب الحياة وهمومها فشلت قدراته على التفكير.

464 - أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 54

465 - المصدر السابق: ص 238-237

466 - المصدر السابق: ص 32

467 - المصدر السابق: ص 48

468 - المصدر السابق: ص 104

"كاترين": هي امرأة فرنسية عشيقة لخالد وهي ثانوية جعلتها الكاتبة رمزاً لفرنسا وعلاقتها المتنبتة مع الجزائر، لها علاقة جنسية مع خالد وشأنها شأن المرأة الغربية بصفة عامة اقتنعت بأن الجسد هو رأسمالها وظنت بأن استثماره جنسيا يحقق لها حريتها جسدها دائما يطالب بالمزيد ويفرط حرية التعبير في حرية الإضراب (469)، وعلاوة على ذلك توجد في الرواية امرأة اسمها عتيقة هي زوجة حسان، تعد من المرأة الجزائرية الساذجة.

وصف الرواية:

من خلال هذه الدراسة اتضح لنا أن رواية "ذاكرة الجسد" تمتاز بلغتها الشعرية وسردها الحكائي البصري وزخم أحداثها المتواصلة وتاريخيتها السرية وأيضا بالسردي الإبداعي الشيق والممتع والسلس هي تشد القارئ شدا لمتابعة قراءتها بدون توقف لقوة تعبيرها ولذتها وصورها المجازية الكثيرة وجملها المنتقاة بعناية ودقة براعتها الوصفية، كما تمكنت الكاتبة أحلام مستغانمي من ترصيع روايتها بالدرر والذهب والألماس عن طريق غنائها بجمل ماثورة ومعبرة وقد أبدعت في الكتابة التي تجمع بين الواقع والخيال الأدبي (470)، وإضافة إلى ذلك نجد أن الكاتبة أحلام مستغانمي بنت روايتها على قصة حب مشوقة وجريئة سردتها على شكل مذكرات وقد تلاعبت بالزمن فنيا تأخيرا وتقديما وتداخلها في الماضي والحاضر والمستقبل الذي جعل الحكمة في غاية التشويق وقد اختلطت خلال الأحداث المشاعر الوطنية وذكريات الماضي الكفاحي مع تخيلات جنسية وشهوانية لا تخلو من الجرأة.

ومن جانب آخر نرى أن رواية "ذاكرة الجسد" تحمل أبعاد عدة ففيها بعد تاريخي ومن خلاله استعرضت الكاتبة تاريخ الجزائر وعرضت لأحداث في الوطن العربي و قدمت في روايتها خطوطا عريضة للثورتين الجزائرية والفلسطينية وهما أهم ثورتين في تاريخ العرب الحديث وبلمحات سريعة أحييت في نفوس القراء مزيجا من مشاعر الاعتزاز والأسى معا، كما يقول خالد بطل الرواية " إثر مظاهرات 8 مايو عام 1945م التي قدمت فيها قسنطينة و سطيف

469- أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 399

470- الأستاذ أحمد محمود القاسم: قراءة في رواية أحلام مستغانمي، ص 3

وضواحيها أول عربون للثورة متمثلا في دفعة أولى من عدة آلاف من الشهداء سقطوا في مظاهرات " (471) كذلك تكشف الرواية عن وعي سياسي واجتماعي كبير تتسلح بهما الكاتبة وتواجه بهما التباسات الواقع العربي والجزائري وأشكال الانحراف والفساد وسوء السياسة وتقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة والتسلط على الناس وتجاهل إرادة الجماهير ومصادرة الحريات بكل أنواعها وأشكالها، كذلك تضمنت الرواية بعدا مجتمعيًا وعقائديًا انتقدت فيه الكاتبة معظم المظاهر المجتمعية الشكلية وكذلك العقائد الدينية المزيفة في الأوطان العربية عموما وفي الجزائر تحديدا.

ومن خلال دراسة الرواية يتجلى لنا أيضا أن أهم المحاور التي انطوت عليها الكتابة السردية في هذه الرواية هي السرد والذاكرة والقضايا الاجتماعية والسياسية، والرواية هي إبداع جديد يبعث نوعا من الأمل في العملية الفنية الجزائرية. وعلاوة ذلك نجد أن رواية " ذاكرة الجسد" أثارَت مسائل مهمة كمسألة الأنواع الأدبية، فكانت هذه الرواية بذلك عملا مفتوحا على أنواع أدبية مختلفة كالشعر والملحمة والأدب الشعبي المحلي والعربي والمأثورات مثل الحكم والأمثال العربية والغربية فهناك إذن حوارية في الأنواع الأدبية وهذا الموضوع في الحقيقة يفتح آفاقا جديدة لدراسة أخرى يمكن القيام بها مستقبلا(472).

والجدير بالذكر هنا أن رواية "ذاكرة الجسد" لقد حظيت بأهمية بالغة من طرف النقاد والدارسين لعدة أسباب ومن أهمها هي أول رواية في الوطن العربي كاتبها امرأة تتحدث على لسان رجل فهي واحدة من روايات نسائية قليلة يحكيها رجل بينما كاتبها امرأة وقد تراءى لبعض من الدارسين على تسمية هذه الرواية ب" الرواية الملحمية " كونها عبارة عن سيرة ذاتية للكاتبة، (473) فيقول الشاعر نزار قباني عن رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي " إن روايتها دوختني وأنا نادرا ما أدوخ أمام رواية من الروايات وسبب الدوخة أن النص الذي قرأته يشبهني إلى درجة التطابق ، فهو مجنون ومتوتر ومتوحش وإنساني وشهواني

471- أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 30

472- الدكتورة فتيحة شفيرى: الحذف والإضافة في رواية ذاكرة الجسد، ص ص285-284

473- الدكتور سليم بركان: النسق الإيديولوجي وبنية الخطاب الروائي، ص 46

وخارج عن القانون مثلي فالرواية قصيدة مكتوبة على كل البحور بحر الحب ، بحر الجنس وبحر الإيديولوجية وبحر الثورة الجزائرية لمناضليها ومرتزقيها وأبطالها وقاتليها وملائكتها وشياطينها وأبنائها وسارقها هذه الرواية لا تختصر ذاكرة الجسد فحسب ، بل تختصر تاريخ الوجد الجزائري، والجنون الجزائري والجاهلية التي آل أن تنتهي " (474).

فهي من أبرز الخصائص والتقنيات التي وجدتها خلال الدراسة لرواية " ذاكرة الجسد" والتي تجعلها أن تحتل مكانة مرموقة من بين الروايات الجزائرية الحديثة وبفضلها تعتبر وثيقة تاريخية واجتماعية وسياسية وثقافية للواقع الجزائري و تعد من أفضل مائة رواية عربية.

⁴⁷⁴ - ذاكرة الجسد، ظهر غلاف الرواية، دار الآداب، ط1 بيروت 1999

الفصل الخامس

رواية " كتاب الأمير " لواسيني الأعرج

رواية " كتاب الأمير " لواسيني الأعرج.

رواية " كتاب الأمير... مسالك أبواب الحديد " للروائي الكبير الأستاذ واسيني الأعرج (475) ظهرت عام 2005م عن دار الآداب للنشر والتوزيع ببيروت ، وهي تشتمل على أربع وخمسين وخمسة مائة صفحة وقد اختيرت للنشر ضمن مشروع " كتاب في جريدة " الذي رعته منظمة اليونسكو في مارس عام 2005 م لمليون نسخة، وقد حصلت الرواية على جائزة الشيخ زايد في العام 2007م وجائزة المكتبيين الكبرى التي تمنح عادة لأكثر الكتب رواجاً واهتماماً نقدياً في السنة كما ترجمت إلى اللغة الفرنسية عام 2006م و عرفت رواجاً كبيراً في الساحة الأدبية ونالت شهرة واسعة وإعجاباً بالغاً من الدارسين والباحثين.

أحداث الرواية

تتحدث الرواية عن تاريخ المقاومة الوطنية خلال الفترة الممتدة بين 1830-1847 وقد ركزت على مسيرة الأمير عبد القادر النضالية إلا أنها سلطت أضواءها أيضاً على كفاح الشعب الجزائري وعلى مقاومته للاستعمار الفرنسي ، فهي تعد وثيقة من الوثائق ومن أهم الوسائل التي استغلها الكاتب لأجل في هذا الغرض كما هي أول رواية كتبت وألفت حول شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الذي جمع بين قوة السيف و قوة القلم والحكمة و كرس حياته كلها لخدمة الدين والقوم وبذل مجهودات جبارة في سبيل الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي وقام بتأسيس الدولة الإسلامية في الجزائر (1832-1847) ومن جانب آخر أنه قام بتأليف عدة كتب ذات قيمة كبيرة في فنون مختلفة.

تحتوي هذه الرواية على ثلاثة أبواب كبرى وهي باب المحن الأولى و باب أقواس الحكمة

⁴⁷⁵ - هو واسيني الأعرج كاتب وروائي كبير ، من مواليد عام 1954م تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة القرية و سافر إلى دمشق حيث على شهادة الماجستير برسالة بحث حملت عنوان "اتجاهات الرواية العربية في الجزائر" ثم نال شهادة الدكتوراة تحت عنوان "نظرية البطل في الرواية ، حصل عام 2001م على جائزة الرواية الجزائرية ونال عام 2006م جائزة المكتبيين الكبرى على روايته كتاب الأمير ، وحصل على جائزة الشيخ زايد للآداب سنة 2007، ومن أهم أعماله الروائية هي رواية "البوابة الحمراء " 1980، و "طوق الياسمين " 1981 ، و "نوار اللوز " 1983 ، و "سيدة المقام " 1995 ، و "حارسه الظلال " 1996، و "كتاب الأمير " 2005 ، " البيت الأندلسي " 2010، ترجمت أعماله إلى العديد من اللغات الأجنبية . (التفصيل عن سيرته الذاتية موجود على صفحة 115 لهذا البحث)

وباب المسالك والمهالك و لعبت هذه الأبواب دورا بارزا في حياة الأمير وكفاحه ضد الاستعمار الفرنسي وصادقته مع "القس" مونسينيور أنطوان ديبوش. وتشتمل هذه الأبواب على مجموعة من الوقفات عددها اثنتا عشرة وقفة ، كما اتخذ الكاتب من مكان تاريخي هام هو " الأميرالية" بناية قديمة على مقربة من ميناء الجزائر العاصمة (476) وقام بتوزيع السرد على "أميراليات" أربع .

تبدأ الرواية بتوصيف الأميرالية وتحدث عن كل ما يحيط بها من بحر وجبال وغيرها من المناظر فيذكر الكاتب موجات البحر والسفن والسماء في الثامن والعشرين من شهر يوليو عام 1864م صباحا حين ظهر الراوي " جون موبي" الفرنسي خادم القس مونسينيور هو أول قس للجزائر في منتصف القرن التاسع عشر(477) الذي أوصى خادمه أن تزرع تربته في البحر ، فلقى " جون موبي" بالصياد المالطي في زورقه الصغير وبدأ بسرد الحكاية للصياد الذي كان شغوبا لسماع قصة القس مونسينيور وخلال الحوار الذي دار بينهما تحدث جون موبي عن تفاصيل حياة الأمير بالاعتماد على تقنية الاسترجاع منذ تولية الإمارة إلى أن وقع وثيقة " استسلامه" بشروط أملاها على الجنرال " لامورسيير".

وتنتقل الرواية ضمن أبوابها ووقفاتها عند أكثر من محطة فتحكي عامة تحولات حياة الأمير والجزائر منذ أن بويع أميرا ثم تأسيسه الدولة الوطنية الإسلامية وكفاحه ضد الاستعمار الفرنسي و حبه للعلم وأهله وتفانيه في خدمة الإنسانية وجهوده في إصلاحات اجتماعية ومساعدة سلطان المغرب ثم رفضه من مساعدة الأمير " طلبت من سلطان المغرب مساعدتي فباع رأسي لأعدائي" (478) كما يذكر الراوي خلال حوارهم مع الصياد المالطي أن الأمير اضطر في النهاية إلى التفاوض مع القائد الفرنسي "الجنرال لامور يسيار" على الاستسلام على أن يسمح له ومن أراد من أتباعه بالهجرة إلى الإسكندرية أو مدينة عكا، لكن هذا كان وعدا زائفا فأسر الأمير وحبس في مختلف السجون الفرنسية حتى استقر أخيرا في قلعة

476- الأميرالية هي قاعدة بحرية ترجع لعهد الاستعمار الفرنسي بالجزائر العاصمة وهي مقر القوات البحرية الجزائرية.

477- واسيني الأعرج: رواية كتاب الأمير: ص 546

478- المصدر السابق: ص 408

أمبواز، وسلم الأمير أمره لقضاء الله وتفرغ لما اختار من الموضوعات العلمية من قبل الأسر واشتغل بالعبادة والتدريس والتأليف والكتابة وألف كتابه الشهير " ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" (479).

ولقي "بواسوني" وزير الشؤون الاجتماعية بالأمير في قلعة أمبواز وقال " أتمنى أن تصل إلى قرار تبني فرنسا كوطن لك وتطلب من الحكومة أن تمنحك أنت وعائلتك قطعة أرض غنية وستكون لك حياة مساوية لحياة أي مواطن فرنسي محترم ، وأنا أعرف جيدا أن مقترحا مثل هذا لا يغريك أبدا ولكن فكر أكثر في مستقبل أبنائك وحاشيتك أنت ترى إنهم يموتون يوميا مللا وكمدا"(480) فأجاب الأمير " والله لو جمعت كل كنوز الدنيا في برنسي وطلب مني أن أضعها مقابل حريتي لاخترت حريتي لاأطلب شفقة ولا منة ، أطلب فقط تطبيق الالتزامات التي اتخذت تجاهي"(481).

ثم زار " البرينس لويس نابليون"(482) الأمير في سجنه وعلى الرغم من العراقيل والصعوبات التي وضعت أمام هذه الخطوة بغرض عدم إتمام الزيارة قال " جئت لأخبرك بحريتك ستقاد إلى بروسيا في دولة السلطان، و ستلتقي من الحكومة الفرنسية معاملة كريمة تليق بمقامك العاليلقد كنت خصما وعنيدا لفرنسا ولكن هذا لا يمنعني من الاعتراف بشجاعتك وقوتك وتواضعك في مأساتك " (483)وطلب من الأمير لكي يتخذ من فرنسا وطنا ثانيا له، ولكن الأمير رفض هذا الطلب (484)فسمح له السفر إلى الشرق براتب من الحكومة الفرنسية .

وإضافة إلى ذلك يذكر الراوي جون موبي سيده "القس" مونسينيور أنطوان ديبوش الذي كانت له علاقة وطيدة بالأمير عبد القادر الجزائري فالتمس هذا القس مرة من الأمير بإطلاق سراح السجناء الفرنسيين الذين سجنوا بالجزائر في عهد الأمير وكتب رسالة إنسانية ملتصا

479- المصدر السابق: ص 474

480- المصدر السابق: ص 473

481- المصدر السابق: ص 473

482- هو كان رئيسا لفرنسا من 1848 إلي 1852 ثم إمبراطورا لفرنسا تحت اسم نابليون الثالث من 1852 إلي 1870

483- رواية كتاب الأمير: ص 499

484- المصدر السابق: ص 499-502

من الأمير مساعدته في إطلاق سراحهم فقال الأمير عبد القادر الجزائري " كان من واجبك أن تطلب منى المساجين المسيحيين الذين حبسناهم منذ عودة الحرب بعد فسخ معاهدة تافنة وليس سجيناً واحداً كائناً من يكون . وكان لفلعلك هذا أن يزداد عظمة لو مس كذلك السجناء المسلمين الذين ينطفئون في سجونكم . أحب لأخيك ما تحب لنفسك" (485) وأيضاً طلب من القس أن تزور سجن " القصبه" حيث كان السجناء الجزائريون فاستجاب القس لرغبة الأمير وزار سجن " القصبه" ولقي السجناء ووجدهم في حالة سيئة (486) فقام بما في وسعته حتى تم إطلاق سراح السجناء الجزائريين .

وعلاوة على ذلك تتحدث الرواية عن جهود القس الفرنسي لإطلاق سراح الأمير من منفاه بقصر أمبواز ولإنقاذ شرف فرنسا من تهمة عدم الوفاء بالعهد، وأيضاً تفتح الرواية باباً واسعاً لحوار الحضارات بين الأمير عبد القادر الجزائري و"القس" مونسينيور أنطوان ديبوش حول قضايا عدة دون وقوع في التعصب الديني، وهذه هي الحوارات القيمة التي تدل على التسامح الديني والبعد الإنساني والتوسع القلبي لهذين الرجلين على الرغم من انتمائهما لدينيين مختلفين.

الرواة والشخصيات لرواية " كتاب الأمير":

في رواية كتاب الأمير نجد ثلاثة رواة ، فالراوي الأول هو الكاتب الذي يروي قصة "جون موبى الفرنسي " خادم القس "مونسينيور أنطوان ديبوش حيث يفتح الكاتب روايته بجون موبى وقت الفجر في الثامن والعشرين من شهر يوليو عام 1864م في زورق صغير للصيد المالطي الذي كان على حافة الأميرالية ومعه تربة قبر ديبوش ينثره في بحر الجزائر وينتظر وصول رفات ديبوش لدفنها في الأرض التي أحبها وأثناء ذلك يحكى جون حكاية القس ديبوش والأمير للصيد المالطي الذي كان شغوفاً بسماع قصتهما .

485- رواية كتاب الأمير: ص 284

486- المصدر السابق: ص 50- 51

أما الراوي الثاني فهو جون موبى الذي يروي عن سيده "القس ديبوش" الذي له علاقة صداقة وأخوة عميقة مع الأمير عبد القادر الجزائري منذ أن جاءت امرأه عارية الصدر تريد به أن ينقذ زوجها الضابط الفرنسي من سجن الأمير⁽⁴⁸⁷⁾، فهناك يرسل ديبوش إلى الأمير رسالة يطلب فيها تحقيق رجاء هذه الزوجة باسم الإنسانية، فأجاب الأمير من الواجب أن تلتمس منى المساجين المسيحيين لكن تزداد عظمتك إذا أنت تفكر في السجناء المسلمين و عليك أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك⁽⁴⁸⁸⁾ أيضا يروي جون كيف أن هناك تشابها كبيرا بين الرجلين الأمير والقس في نبليهما وإخلاصهما للمبادئ العليا وإيمانهما بالله على الرغم من انتمائهما لدينيين مختلفين في الحقيقة لهما عقيدة واحدة هي عقيدة الأخوة الإنسانية والموقف المبدئي.

كما أن جون يروي أن القس كتب رسالة مرافعة للأمير الرئيس إلى لويس نابليون بونابرت وبين فيها مدى نبلي وشجاعة وكرم الأمير الذي تحلى بأخلاق الفرسان في جهاده للاحتلال الفرنسي و سلم نفسه مقابل تعهد من فرنسا بإرساله إلى بلد إسلامي، لكن فرنسا تخون شرفها كدولة عظمى بإبقائها على الأمير مسجوناً لديها دون أن تفي بتعهداتها وبسبب هذه الرسالة أقر لويس نابليون على أن يذهب إلى زيارة الأمير بنفسه في السجن⁽⁴⁸⁹⁾، حيث هو أخبر الأمير بحصوله على حريته وأعطاه صك الحرية بنفسه، وقال " جئت لأخبرك بحريتك، ستقاد إلى بروسيا في دولة السلطان⁽⁴⁹⁰⁾" والتمس منه لزيارته في القصر الجمهوري بباريس وأهداه حصانا وسيفاً، أما الراوي الثالث هو القس بيبوش الذي يقوم برواية قصة حياة الأمير عبد القادر بن محيى الدين الجزائري منذ تولية الإمارة إلى استسلامه أمام القائد الفرنسي "الجنرال لامور يسيار" ثم من إطلاق سراحه وهجرته إلى "دمشق".

الشخصيات المركزية:

يوجد في رواية "كتاب الأمير" كثير من الشخصيات التاريخية والمتخيلة لا يمكن حصرها

⁴⁸⁷ - رواية كتاب الأمير: ص 47

⁴⁸⁸ - المصدر السابق: ص 50

⁴⁸⁹ - المصدر السابق: ص 498

⁴⁹⁰ - المصدر السابق: ص 499

لذلك اخترت الشخصيات المركزية التي تدور الرواية حولها ويكثر حضورها على بساط السرد وهي شخصية الأمير عبد القادر والقس مونسينيور أنطوان ديبوش أول قس للجزائر باعتبارهما الشخصيتين المحوريتين في النص الروائي إضافة إلى ذلك أنهما ينتميان إلى عقيدة واحدة هي عقيدة الأخوة الإنسانية والموقف المبدئي.

أما الأمير عبد القادر فهو بطل الرواية الذي اختاره أهل الجزائر أميرا للمؤمنين وقائدا عليهم لكي يجمع كلمة القبائل المشتتة ويقوم بقيادتها في حركة جهاد لتحرير الجزائر من الفرنسيين، فالأمير اعتبر هذه المبايعة أمانة كبرى حمله الشعب إياها وطوقا شريفا أحاط الأهالي عنقه بها وكرس حياته كلها لخدمة القوم والوطن وبذل مجهودات قيمة في سبيل الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي وسعى إلى التآليف بين القبائل ورفض النزاعات بينها كما حاول أن يجمع قومه على قلب رجل واحد فاحتاج إلى أن يحارب الكثير من القبائل، كان بعضها يدين له بالولاء اليوم ويعلن العصيان غدا، كما أنهم يعتبرونه أميرهم حينما يكون منتصرا قويا، ويخرجون عليه عندما تصيبه هزيمة كما يقول الأمير " بناء الدولة يحتاج إلى حالة استقرار ما تزال العصبية القبلية هي سيد العلاقات وهي التي تحرك الناس كل واحد يظن نفسه هو سيد نفسه" (491).

ومن جانب آخر الأمير بإصلاحات اجتماعية كثيرة وأنشأ مصانع للأسلحة وبنى الحصون والقلاع لكن من الأسف خانته القبائل وغدر به سلطان المغرب (492) فاضطر الأمير بعد جهاد دام لأكثر من خمسة عشر عاما إلى تسليم نفسه للفرنسيين لكي يحافظ على أرواح قومه، ولكن الفرنسيين لم يوفوا بعهدهم معه وهكذا أسر الأمير و قضى خمس سنوات في المنفى حيث قام بمناقشات كثيرة حول الدين والإنسانية والمرأة في الإسلام مع ديبوش وغيره من الفرنسيين، حتى تم إطلاق سراحه بفضل القس ديبوش وكتب الأمير في رسالته لهذا القس " صاحب الغبطة العالي أستطيع اليوم أن أقول لكم أن خيركم قد تم وأن الله قد سد خطاياكم وأن

491- رواية كتاب الأمير: ص 146

492- المصدر السابق: ص 356

ما زرعموه قد نبت"⁽⁴⁹³⁾ ثم هاجر إلى دمشق حيث توفي ، ويقول القس للأمير " عرفت الأمير في أيام عزه وقت كانت الجزائر كلها تحت سلطانه وقوانينه ، ستجد اليوم أكبر وأكثر إدهاشا في نقاشاته لا يطلب الشيء الكثير من الدنيا ولا يشتكي أبدا ويجد الأعذار حتى لخصومه في الميدان ولا يسمح لأحد أن يمسهم بسوء " ⁽⁴⁹⁴⁾.

أما القس مونسينيور أنطوان ديبوش الذي تم تعيينه كأول قس للجزائر من طرف غريغوار السادس عشر سنة 1838م ⁽⁴⁹⁵⁾ وكان يحب الجزائر حتى أوصى خادمه جون موبى بأن يعمل على تحقيق حلمه في رد أترابه لأرض الجزائر بعد ما نفى منها وقوله "كم أحلم عندما أموت أن تخرج يا حبيبي جون وأن تزرع تربتي في البحر فجرا، فقد غادرت تلك البلاد في حالة جوع منها وأنت تعرف جوع المحب لا يشفيه إلا الموت أو اللقاء المستحيل"⁽⁴⁹⁶⁾ كما له علاقة وطيدة مع الأمير عبد القادر وفي البداية حاول القس أن يتقبل الأمير بالمسيحية كما يقول " في البداية تمنيته مسيحيا نزهو به كأخ ونلقنه تعاليمنا ليذهب بها عند ذويه ويشيعها ولكن مع الزمن تأكدت أن هذا الرجل الذي يشبهنا في كل شيء لا يمكن أن يكون إلا هو رجل محب لكل شئ يقرب الإنسان من المحبة والله" ⁽⁴⁹⁷⁾.

وأعجب القس بشخصية الأمير العملاقة حينما طلب من الأمير بإطلاق سراح السجناء الفرنسيين فجاء الرد من جانب الأمير " هذا فعل مبارك أن تلتمس منى المساجين المسيحيين لكن تزداد عظمتك إذا أنت تفكر في السجناء المسلمين يجب عليك أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك" ⁽⁴⁹⁸⁾ فاستجاب القس لرغبة الأمير وزار سجن " القصبه" ولقي السجناء فوجدهم في حالة سيئة ⁽⁴⁹⁹⁾ وسعى بما في وسعته حتى تم إطلاق سراح السجناء الجزائريين .

⁴⁹³ - كتاب الأمير: ص 501

⁴⁹⁴ - المصدر السابق: ص 41

⁴⁹⁵ - المصدر السابق: ص 546

⁴⁹⁶ - المصدر السابق: ص 542

⁴⁹⁷ - المصدر السابق: ص 218

⁴⁹⁸ - المصدر السابق: ص 50

⁴⁹⁹ - كتاب الأمير: ص 50.

و كان القس يزور الأمير في سجنه ويسمع منه قصته ومعاناته، وله حوارات قيمة مع الأمير حول القضايا المهمة والحقائق التاريخية و من أهم أعماله أنه كتب رسالة مرافعة للأمير إلى لويس نابليون بونابرت (500) وقد تسببت هذه الرسالة عن إطلاق سراح الأمير فالفضل يرجع إلى القس مونسينيور أنطوان ديبوش الذي سخر كل حياته للآخرين، تمت تمنيته وأخيرا حينما وضع خادمه جون موبى رفاتة في البحر 28 جويلية 1864م فجرا(501).

وأيضا نجد في الرواية شخصية جون موبى هو الراوي الثاني وخادم القس مونسينيور أنطوان ديبوش ويظهر جون موبى في بداية الرواية كشاهد على الأحداث ملازم للقس ومساعد له في كل تنقلاته وتحركاته في كل مكان ويروي قصة سيده القس ديبوش مع الصياد المالطي من نهاية القصة بانتظار وصول رفات القس على ضفاف الأميرالية وشاطئي بحرها، ثم تنتفتح الحكاية على تفاصيل قصته مع الأمير والناس المستضعفين ومع المنفى والظلم والقهر، وحينما سأله الصياد المالطي عن القس ديبوش أنك كنت تعرفه جيدا فقال جون موبى " كان أبي وأخي .. كان كل شئ في حياتي .. خدمته أكثر من عشرين سنة، جئت معه إلى هذه الأرض عندما عين أسقوفا على الجزائر وصاحبته في كل مكان إلى أن مات" (502)

وبالإضافة إلى ذلك توجد في الرواية شخصيات عديدة لكن يقل حضورها على البساط السردي منها والد الأمير محي الدين وأمه لآلة الزهراء وصهره مصطفى والبرينس لويس نابليون رئيس فرنسا الذي لقي بالأمير في قلعة أمبواز والتمس منه لزيارة قصره بباريس هناك أكرم نزله وأقام له المآدب الفاخرة وطلب من الأمير أن يتخذ فرنسا وطنا ثانيا له و بواسوني " هو وزير الشؤون الاجتماعية لفرنسا الذي بذل جهده في مساعدة الأمير ومهد الطريق لزيارة نابليون إلى الأمير وعلاوة على ذلك توجد شخصيات أخرى في جيش الأمير والجيش الفرنسي وقادته وأيضا الشخصيات المتخيلة التي زادت بسبب الانسجام الواقع بالغوص في أدق تفاصيله وساهمت في نمو الأحداث وتطورها على سبيل المثال سيدي الأعرج والقوال والبراح

⁵⁰⁰ - المصدر السابق: ص 498

⁵⁰¹ - المصدر السابق: ص 546

⁵⁰² - المصدر السابق: ص 10

والأطفال الذين كانوا يطاردون كلابا يسدون بها رمقهم والمربية نورا والعجوز خناتة والرجل الأحذب وغيرهم.

وصف الرواية:

اتضح لنا مما سبق أن رواية " كتاب الأمير " حاولت بحق إنصاف شخصية الأمير التاريخية العملاقة التي لم تحظ في حظ السرد الروائي بمثل ما حظيت به في السرد التاريخي وعمدت على الخصوص إلى الإشادة به وكفاحه المرير ضد الغزاة الفرنسيين وهما العنصران الرئيسان اللذان تحاول الرواية إثارتها، كما استطاعت الرواية أن تستوعب شكلا سرديا مستمدا من التاريخ وتضمنه في طياتها وتستلهم منه مادتها الحكائية بشخصياتها وفضائها وزمانها وأحداثها ، لكن هي لا تقول التاريخ لأن الكاتب ليس مؤرخا بل تستند فقط إلى المادة التاريخية وتدفع بها إلى قول ما لا يستطيع التاريخ وأيضا نجد في هذه الرواية أنها لا تقع في فخ الأساطير أي أنها لا تعرض الأمير كأسطورة من الأساطير بل تعيد وصله بيوميات صعبة وحقيقية بشكل جرح.

وبالإضافة إلى ذلك حاول الراوي واسيني الأعرج أن يجعل التناغم بين التاريخ والفن باللجوء إلى طرق عديدة من خلال سرد الوثائق التاريخية فلا نحس بصرامة التاريخ بل نجد يطل من خلف غطاء السرد الشفاف، فيقدم الراوي الأحداث في شكل حوار بين الشخصيات، كما تفتح الرواية آفاقا لنشر ثقافة السلم والحوار الحضاري وتغيير المواقف بالتخلي عن بعض السلبية الموروثة ،واستطاع الكاتب أن يبين من خلالها بعض الحقائق المتصلة بشخصية الأمير ويغوص في عمق نفسيته، حيث حاول إعادة بناء التاريخ الصامت لهذا الرجل العظيم الذي قام بمقابلة أولى موجات الاستعمار الفرنسي وأخذ المنفى والاعتراب لفترة طويلة في فرنسا .

ومن خلال كل ما سبق يتجلى لنا أن الكاتب أصبح شخصية الأمير عبد القادر البطولية بصيغة العجائبي والأسطوري من منظور الذاكرة الشعبية كما جاء في الرواية " الشاب هذا يا سادة يا كرام عليه بركة سيدي عبد القادر الجيلاني والأولياء الصالحين،عوده مثل البراق ويطير

حصانه للسماء عندما يحاصره الأعداء ، سيفه البتار يطفئ من حدة لمعانه ، والقرآن في القلب وفي يده سيفه الذي لا ينزل إلى الأرض ولا ينام وناره ما تروح في الفراغ" (503) هكذا يترصد الروائي إكمال صورة الأمير بحسب منظورات مختلفة ، كما يقول الأستاذ حسبية شكاط: " إن تضمين واسيني الأعرج لهذا الخطاب العجائبي وجعل شخصية الأمير أسطورة إلا دليل على رؤية حدثية تجريبية تضي على النص الروائي نوعا من الجمالية والانزياح عن الواقعي كضرورة فنية" (504).

علاوة على ذلك نرى أن هذه الرواية استخدمت لغتها على أكثر من مستوى خطابي وتستمد مادتها من التاريخ الجزائري في البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي وتجنب الكاتب واسيني الأعرج إلى حد كبير عن اللغة الشعرية الأدبية فقد حوصرت الرواية من طرف الخطاب التاريخي بما يتضمنه من وثائق ورسائل ونصوص باللغتين العربية والفرنسية إلى جانب الخطاب الديني ولغة السياسة والصحافة ولغة الخطاب ، وأيضا وردت في الرواية بعض المقاطع باللغة الفرنسية إلا أن الكاتب لم يترجمها سواء في متن النص أو هامشه، وهذا يعوق تواصل القارئ غير الناطقين باللغة الفرنسية مع النص ، وإن كان لا يقلل من استمتاعه بالرواية وإفادته منها معا تاريخا وفكرا وفنا جميلا.

كذلك نلاحظ أن رواية " كتاب الأمير " هي درس في حوار الحضارات ومحاورة كبيرة بين المسيحية والإسلام ، بهذه الخصائص والميزات حظيت رواية "كتاب الأمير" بأهمية بالغة من طرف النقاد والدارسين فيكتب الدكتور العلمي المسعودي " استطاع واسيني الأعرج تقديم عمل روائي اتكأ فيه على المادة التاريخية وجعلها عجينة شكل من خلالها بناءه الفني ... فأكسب الرواية مسحة جمالية تعرفنا فيها على براعة الكاتب والمكانة التي يحتلها عمله الروائي في الساحة الإبداعية العربية" (505)، ويقول الأستاذ واسيني الأعرج " هي أول رواية عن الأمير عبد القادر المغامرة من الناحية تستحق كل الاهتمام لأنها تلغي الحافات، حافة

⁵⁰³- كتاب الأمير: ص 44

⁵⁰⁴- الأستاذ حسبية شكاط: سردية التاريخ في رواية كتاب الأمير ، ص 418

⁵⁰⁵- العلمي المسعودي: الفضاء المتخيل في رواية " كتاب الأمير" ص 193

التاريخ وحافة المتخيل فهي لا تقول التاريخ لأنه ليس هاجسا ولا تنقصي الأحداث والوقائع لاختبارها فليس ذلك من مهامها الأساسية أنها تستند فقط إلى المادة التاريخية وتدفع بها إلى قول ما لا يستطيع التاريخ قوله " (506).

وفي نهاية المطاف تجدر بالإشارة هنا إلى أن الأمير عبد القادر كان من أوائل شعراء الجزائر وله دين خاص لكن مع كل ذلك ما ذكرت الرواية شعرا واحدا له ومن الطريف أن مرة مدحه رجل من أتباعه بالشعر فقال " آه لو كان الشعر يحرر البلاد والنفس" (507) كما لا نجد أي حديث نبوي أو أية قرآنية يستخدم الأمير في الرواية مع أن لغة القرآن والحديث و تعابيرهما قد رسخت في ذهنه وغلبت كلماتهما وأساليبهما على لسانه بسبب ثقافته الدينية وتكوينه الصوفي.

⁵⁰⁶ - واسيني الأعرج " كتاب الأمير " ظهر غلاف ، ص 542
⁵⁰⁷ - رواية كتاب الأمير: ص 261

الباب الرابع

الكاتب الروائي الطاهر وطار و مساهماته في الرواية العربية

الفصل الأول: الطاهر وطار - حياته العلمية و الثقافية.

الفصل الثاني روايات طاهر وطار- دراسة تحليلية..

الفصل الثالث: التقييم الأدبي لروايات الطاهر وطار.

الفصل الأول

الطاهر وطار – حياته وجهوده العلمية والأدبية ونشاطاته الثقافية والاجتماعية

الفصل الأول

حياة الطاهروطار ودراسته ووظيفته

الكاتب والروائي والناقد الطاهر وطار يعد واحد من أعلام الثقافة الجزائرية المعاصرة وذلك نظرا لاعتبار جهوده الجادة في مجالات القصة القصيرة والمسرحية والرواية والنقد الأدبي، فهو معروف "برائد الرواية العربية الجزائرية" أو "أبو الرواية الجزائرية" أو "مؤسس الرواية العربية الجزائرية" وذلك بفضل ما ساهم في تأسيسها وإغنائها ورفع مستواها فكانت حياته ذات أبعاد متنوعة لها نواح عديدة وجوانب شتى اتصفت بصفات جمة ووردت جميع مناهل المعرفة واغترفت من كل الينابيع غرفة فهو في وقت واحد كان مفكرا وكاتبا وناقدا وعلمنا من أعلام الأدب الجزائري والعربي قام بجهوده الإبداعية في كتابة نصوص قصصية ومسرحية وروائية وجاءت جميعها باللغة العربية.

أبصر الطاهر وطار النور في الخامس عشر من شهر أغسطس عام 1936م (508) بقرية " امداوروش" الواقعة في بادية الشرق الجزائري من ولاية "سوق أهراس" في الجزائر (509) وهذه القرية قد أنجبت أذهانا وعقولا خصبة ناضرة ذات حساسية وشعور منهم الكاتب الشهير "مادوروس أبوليوس" (510) صاحب الحمار الذهبي "والفيلسوف الكبير "القديس أغوستين" (511) صاحب أول سيرة ذاتية في الغرب وهي "الاعترافات" التي لا تزال مقروءة في شتى أنحاء العالم والروائي الكبير "كاتب ياسين" صاحب الرواية الشهيرة المترجمة عن اللغة الفرنسية إلى العربية وغيرهم .

وأما أسرته فهي كانت فلاحية متوسطة الحال لقبيلة "أمازيغية" من قبائل "الحراكتة"، وكان

508 - الأستاذ نورسلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتغيير، ص 207

509 - الأستاذ بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية ص 11

510 - هو "مادوروس أبوليوس" (125 ق.م - 180 ق.م) فيلسوف وعالم طبيعي وكاتب أخلاقي وروائي، يعتبر صاحب أول رواية في تاريخ الإنسانية وهي "الحمار الذهبي".

511 - هو القديس أغسطينوس (13 نوفمبر 354 - 28 أغسطس 430) كاتب وفيلسوف شخصية مركزية في المسيحية وتاريخ الفكر الغربي على حد سواء، صاحب أول سيرة ذاتية في الغرب "الاعترافات" هي مجموعة من مؤلفاته.

جده صاحب نفوذ كبير و حضور اجتماعي قوي يقصده كل عابر سبيل كي ينال المأوى والأكل والأمان، وكان هو معارضا عنيدا للسلطات الفرنسية وقام بإنشاء المدارس لتعليم القرآن الكريم مجاناً وكان يوقد النار في رمضان إيداناً بحلول ساعة الإفطار لمن لا يبلغهم صوت المؤذن، فاتصف الكاتب الطاهر وطار بصفات من الكرم والأنفة والزهد والتواضع والطموح كإبراهيم الكابر وأبا عن جد وقد أشار إلى هذا الجانب في موضع قائلاً: " إنه ورث عن جده الكرم والأنفة، وورث عن أبيه الزهد والقناعة والتواضع، وورث عن أمه الطموح والحساسية المرهفة، وورث عن خاله الذي بدد تركة أبيه الكبيرة والزهو والرفق والأعراس ". (512)

نشأ وترعرع الطاهر وطار في كنف والديه حيث حظي بالعناية والرعاية منذ طفولته فكان في قلب والده موضع خاص له إذ كان هو يتوسم فيه المجد ويحس أنه سيكون لهذا الفتى شأن عظيم واشتهر الطاهر وطار في صباه بحدة الذهن وذكاء القلب وصفاء النفس والأخلاق النبيلة وأشرب قلبه حب العلم والأدب والمعرفة والحكمة وتحصيل المعارف حيث امتزج العلم بلحمه ودمه منذ نعومة أظفاره كما أنه كان كثيراً الحفظ سريعاً في كسب المعلومات والمعارف.

التحق الطاهر وطار بمدرسة " أمداوروش " التابعة لجمعية العلماء التي فتحت عام 1950م حيث تلقى تعليمه الابتدائي والمبادئ الأولى في اللغة والشرعية والمواد الأخرى، (513) وكانت ملكاته العقلية على نبوغ غير عادي فكان طالباً نجيباً واسع الخاطر سريع البديهة كثير الفهم وسليم الصدر، فبعد أن اكتملت للطاهر وطار المؤهلات الجسمانية والعقلية قرر أبوه الحاج " علي وطار " إرساله إلى " قسنطينة " بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس في 1952م للأخذ عن علمائها وتوسيع معارفه فهناك تعرف على ثقافة أخرى موازية للفقهاء والعلوم الشرعية وهي الأدب فركز عنايته الكاملة على الأدب وقرأ كل ما وصلت إليه يداه من كتب جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وزكي مبارك وطه حسين والرافعي وألف

512 - الأستاذ علي ملاح: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 4 ص 9

513 - الأستاذ واسيني الأعرج: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 4 ص 573

ليلة وليلة وكليلة ودمنة وغيرها من الكتب الأدبية الأصيلة القيمة كما يقول: "الحدائث كانت قدري ولم يملها علي أحد" (514) وبعد هذا الانفتاح الذي عرفه وطار على هذه الكتب والكتابات الحديثة قام بمراصلة إلى بعض المدارس المصرية وحيث تعلم الصحافة والسينما في مطلع الخمسينات.

ومع بداية الثورة الجزائرية في عام 1954م انتقل الطاهر وطار إلى جامعة الزيتونية في تونس (515) حيث درس نحو عامين وقبل أن ينال أية شهادة انقطع عن دراسته بسبب مشاركته في الإضراب الذي قام به الطلبة الجزائريون كما يقول هو بنفسه: "أنهيت السنة الرابعة من دراستي الثانوية ..لم أنل شهادة في حياتي سوى شهادة الجنسية وشهادة سياقة السيارة التحقت بالثورة الجزائرية منذ يومها الأول وبقي زملائي في الدراسة وهم الآن دكاترة في الجامعات الجزائرية" (516).

جهوده في الصحافة والأدب

الكاتب الروائي الطاهر وطار الذي ينتمي إلى الرعيل الأول من جيل الكتاب والروائيين الجزائريين الذين نالوا شهرة عالمية من خلال الأعمال الإبداعية بدأ مسيرته الأدبية في تونس أواخر الخمسينات حيث تعرف على الأدب الجديد هو أدب السرد الملحمي في عام 1955م، (517) واهتم بالروايات والقصص والمسرحيات العربية والعالمية المترجمة التي غذى في وجدانه روح الإبداع فنشر بعض قصصه في الجرائد التونسية مثل جريدة "الصباح" وجريدة "العمل" وفي أسبوعية "لواء البرلمان التونسي" وأسبوعية "النداء" وأيضا في مجلة "الفكر" التونسية، وكما عمل في صحيفة "لواء البرلمان التونسي" وشارك في تأسيس صحيفة باسم "النداء" وشغل في الإدارة لجريدة "الصباح" اليومية التي قد نشرت باكورة إنتاجه بعنوان

514 - الأستاذ علي ملاحي : هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 4 ص 10
 515 - بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية ص 12، وأيضا نورسلطان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتغيير، ص 207
 516 - مجلة "الثقافة الجديدة" العدد 11-12، أكتوبر 1981م، ص 157 - وأيضا هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 4 ص 10
 517 - الأستاذ واسيني الأعرج: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 4 ص 573

الحب الضائع" في منتصف الخمسينات (518).

عاد الطاهر وطار إلى الجزائر في مطلع الاستقلال عام 1962م وأصدر من قسنطينة جريدة "الأحرار" الأسبوعية التي تعد أول جريدة عربية في الجزائر المستقلة ولكن السلطات الجزائرية قامت بتوقيفها بسبب حدة لغتها وحماس أفكارها، فقام بإنشاء جريدة "الجمهير" بمدينة الجزائر العاصمة في عام 1963م لكنها أيضا توقفت بعد سبعة أشهر للأسباب السابقة (519).

ومن الملاحظ هنا أننا عندما نذكر أحوال الطاهر وطار لا بد لنا أن نتحدث عن الجمعية الجاحظية للثقافة الشهيرة التي أسسها وطار في عام 1989م (520) لنشر الثقافة والدفاع عن اللغة العربية مع مجموعة من الكتاب والأدباء ومن بينهم الروائي الكبير طاهر جاووت والأستاذ الجامعي بختي بن عودة والشاعر اللامع يوسف سبتي وغيرهم تحت شعار بارز " لا إكراه في الرأي" ويقول الطاهر وطار: "إن الجمعية الجاحظية هي نزوع إلى القوة الثالثة وفلسفية حضارية في الجزائر والعالم العربي، شعارنا هو " لا إكراه في الرأي" (521) وأيضا يقول " وهدفنا هو ذكرى جمال الدين الأفغاني والجواهري ومفدي زكريا والجابري والفكر.. والفكر كله" (522) وقد بذل وطار ما في وسعه لتطوير الجمعية "الجاحظية" الثقافية ورفع مستواها.

واستطاع الأستاذ الطاهر وطار أن يجمع برعاية هذه الجمعية معظم الكتاب والأدباء والمتقنين الجزائريين وأصدر مجلات رائدة كـ"التبيين" و"القصيدة" و"القصة"، وقام بإنشاء جوائز مهمة كجائزة مفدي زكريا للشعر المغاربي وجائزة الهاشمي سعيداني للرواية الجزائرية وكما تأسست برعاية هذه الجمعية فرقة مسرحية باسم " فرقة مصطفى كاتب" عام 1990م،

518 - الأستاذ بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية ص 11
 519 - الأستاذة سلمى محمود: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 19
 520 - الأستاذ بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية، ص 12
 521 - محمود أبو بكر: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 4 ص 2014
 522 - الأستاذة سلمى محمود: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 20

وتفرغ في السنوات الأخيرة من حياته للعمل الثقافي ضمن هذا المشروع الذي كان يسعى إلى أن يكون منبرا للحوار بين جميع أطياف الثقافة الجزائرية، وبذل ما في وسعه للجاذبية التي لعبت دورا حقيقيا وطليعيا مهما في الحراك الثقافي وتنشيط الحياة الفكرية والإبداعية في الجزائر.

أعماله الفكرية والسياسية

لا يختلف الاثنان في أن الطاهر وطار يعرف في الأوساط السياسية والاجتماعية والثقافية بجرأته النادرة ومواقفه الحاسمة وتدخلاته الحادة وأفكاره الشديدة . شارك في الثورة الجزائرية منذ يومها الأول وانضم إلى حزب جبهة التحرير الوطني منذ بداية شبابه وهو لم يبلغ العشرين عام 1956م وعمل في صفوفها من 1963م إلى 1984م عضوا للإعلام ثم مراقبا وطنيا (523) كما شغل الطاهر وطار بمنصب مدير عام للإذاعة الجزائرية عامي 1991 و1992، كما عارض انقلاب 1965م بشدة وكتب في سياق ذلك الموقف "الزنجية والضابط" وبسببها أُحيل إلى المعاش وهو في السابعة والأربعين فهو يقول "أُحلت على المعاش وأنا في السابعة والأربعين، إحالة سياسية واضحة بينة فقد سبق ذلك مراسلات من المؤسسة العسكرية إلى مسؤول جهاز حزب جبهة التحرير الوطني تشكو مما ورد في قصة "الزنجية والضابط" المنشورة في مجلة الآداب ببيروت وتلفت النظر إلى وجود عنصر خطير ضمن إطارات الحزب" (524)، كما أنه اتخذ موقفا رافضا لإلغاء انتخابات عام 1992م وإرسال آلاف الشباب إلى المحتشدات في الصحراء دون محاكمة فلكي معارضة ونقدا لاذعا بسبب هذا الموقف الذي أدى في النهاية إلى أن يعيش على الهامش سياسيا، لكن ساعدته الظروف السياسية والعمل في جبهة التحرير الوطني ونشاطه الأدبي وحضوره الإعلامي في زيارة أغلب البلدان العربية والأوربية الغربية إلى جانب الاتحاد السوفيتي والهند .

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الطاهر وطار رغم تلقى ثقافته الأولى بطابع إسلامي، وذلك في

523 - الأستاذ واسيني الأعرج: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 4 ص 573

524 - الطاهر وطار: أراه، ص 3

مدرسة كانت تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسسها عبد الحميد بن باديس ومن ثم بمعهد ابن باديس وجامعة الزيتونة في تونس ، قد تأثر بالفكر الماركسي واعتنقه حينما كان يعمل بحزب جبهة التحرير الوطني (525) إلا أنه قام بإخفائه عن جبهة التحرير الوطني مع أنه كان يكتب في إطاره، وهو يقول في هذا الصدد مستخدماً ضمير الغائب " في سن الثانية والعشرين هو تعرف على الفلسفة الماركسية فتنابها وكرس لها حياته" (526) ورغم يساريته فإنه لم ينقطع عن مكونات ثقافته الأولى بفضل مكانة أسرته الدينية والاجتماعية ذات الأصول البربرية كما يذكر لنا الأستاذ عبدو المعلم " مع هذا كله لم يكن هو ملحدًا بل يتبنى الاشتراكية من ناحيتها السياسية والاقتصادية فحسب باعتبارها معبرة في نظره عن العدل الاجتماعي الذي كان ينشده لأسباب كثيرة أهمها الظلم الطبقي الاستعماري العنصري الذي عاناه في طفولته وشبابه والذي يأبى أن يمارس بين الجزائريين أنفسهم" (527).

وعلى كل حال فإن الطاهر وطار كان من أكثر الكتاب الجزائريين إثارة للجدل والسجال والأسئلة سواء لجهة مواقفه أو تحولاته اللافتة ومعاركه الكثيرة طيلة حياته وربما كان هذا من أهم الأسباب التي أدت إلى تقاعده مبكراً من العمل ويكتب لنا الأستاذ محمد شعير في هذا الصدد: " كان الطاهر وطار في كل حالاته مثيراً للجدل يتهمه المعارضون بأنه أحد أركان السلطة وتتهمه السلطة بأنه معارض دائم و يتهمه العلمانيون بأنه أصولي، وتتهمه الجماعات الإسلامية بأنه علماني ويتهمه الكتاب الشبان بأنه أعاق تطور الرواية الجزائرية، وبأن ذائقته كلاسيكية..... وهو يعتبر أغلب الكتابات الجديدة كتابات بلا طموح مرة تراه بذقن أخرى حليقا.... لكنه في كل هذا يحظى بتقدير الجميع ..إنه باختصار حالة استثنائية، معاركة ضد التعصب سواء أكان التعصب يسارياً أو يمينياً " (528)، ومن جانب آخر نرى أن موقف الطاهر وطار يعتبر من الجماعات الإسلامية في الجزائر إثارة للجدل بسبب اختلافه الجذري في هذا الأمر مع مواقف أغلب المثقفين الجزائريين الذين كانوا يفضلون قمع السلطة

525 - الأستاذ علي ملاحي : هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 4 ص 12

526 - الأستاذة سلمى محمود: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 21

527 - الأستاذ عبدو المعلم : الطاهر وطار علو في الحياة وفي الممات، ص2

528 - الأستاذ محمد شعير: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج4 ص 581

للإسلاميين، كما رفض استخدام مصطلح "الإرهاب" مفضلاً لمصطلح "العنف والعنف المضاد"، رغم أنه كان ظل شيوعي الفكر طوال حياته.

وإضافة إلى ذلك يعد الطاهر وطار من أشد الأصوات المعارضة لتيار الثقافة الفرانكفونية في بلاده الذي هيمن على الساحة الأدبية في الجزائر قبل الاستقلال وبعده ، ومن هنا كان هو يعارض توغل هذا التيار في أجهزة الدولة فيقول بهذا الخصوص: "للأسف، تحررنا سياسياً ولم نتحرر ثقافياً في فترة الاستقلال. أسسنا ملايين المدارس التي تعلم الفرنسية حتى إننا نشرنا الفرنسية أضعاف ما قامت به فرنسا خلال الاحتلال الذي استمر قرناً ونصف قرن، وأصبحت البورجوازية الحاكمة نخبة تستعمل الفرنسية لغة للحديث" (529) وأيضاً كان يقول بنفسه: "أنا مشرقي لي طقوسي في كل مجالات الحياة وأن معتقدات المؤمنين ينبغي أن تحترم" (530)، فكان يدافع عن عرويته قائلاً: " إذا استولى الفرانكفونيون على الحكم في الجزائر وانفردوا بقيادة الشعب الجزائري وتوجيهه، فسيجعلون من الجزائر بعد فترة من الزمن سينيغالا أبيض، وبعد عشر سنوات فقط سنفقد كل شيء: لغتنا و آدابنا و أعلامنا وتاريخنا، أما إذا استولى على الحكم غير هؤلاء وليكونوا إسلاميين فإنهم قد يعبثون ، ويعيثون فساداً، بل قد يُسيلون الدماء رقراقة، لكنني واثق من أنه حتى بعد قرن، سيبقى الشعب الجزائري محافظاً على شخصيته" (531).

إسهاماته الأدبية:

كان الطاهر وطار يتميز بحساسية مرهفة وعاطفة قوية حادة منذ اللحظات الأولى من صباه حتى فقد عوامل الانسجام مع من حوله وجعله الضعف البدني يتحاشى اللعب مع أترابه ولذلك كان يتفادى الاختلاط بالآخرين ويميل إلى العزلة والانطواء مع التأمل وصقل الروح بالأفكار الجديدة وأسرار الكون والمجتمع والعلاقات التي تحكم الناس والمجتمع ولم يشف غليله من

529 - مجلة " الحياة الثقافية" العدد:5315، أغسطس، 2010م، ص 2

530 - المرجع نفسه، ص 2

531 - المرجع نفسه، ص 2

ذلك إلا ما كان يقع بين يديه من كتب أدبية وفكرية كانت تسحره فيحاول تقليدها والنسج على منوالها (532).

وقد قام الأستاذ الطاهر وطار بتأليف عدة كتب ذات قيمة كبيرة في فنون مختلفة ونالت هذه المؤلفات شهرة عظيمة ومكانة رفيعة وساهمت في إغناء الثروة الأدبية والفنية باللغة العربية وكلها تنم عن دقة ملاحظته وقوة ذاكرته وتبحر علمه وسعة اطلاعه على الذخائر الأدبية والفكرية، وقد اعترف الأدباء والعلماء من العرب والعجم بخدماته الجليلة ومساهمته العلمية.

وفي البداية حاول الطاهر وطار أن ينظم الشعر لكنه لم ينل ما يرضاه فبدأ تجربته السردية في أوائل الستينات بكتابة القصة القصيرة أثناء دراسته في جامعة الزيتونية وكتب أول قصة بعنوان "الحب الضائع" التي قد نشرت بجريدة "الصباح" اليومية في منتصف الخمسينات، (533) وبعد نشر قصته الأولى بدأ يقرأ كل ما تقع عليه من روايات وقصص لنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وسهيل إدريس وغيرهم من الأدباء، حتى أنجز ثلاث مجموعات قصصية، فصدرت مجموعته الأولى " دخان من قلبي " في تونس عام 1961م التي تشتمل على ثماني قصص قصيرة كتبها خلال حرب التحرير الجزائرية (1954 - 1962) وقد حولت قصة " نوة " من هذه المجموعة إلى السينما من إنتاج التلفزة الجزائرية ونالت عدة جوائز وطنية وغربية خاصة، ومجموعته الثانية "الطعنات" التي تحتوي على إحدى عشرة قصة قصيرة أنجزها بين عام 1960 إلى 1969 وهي تعد أطول مجموعة قصصية في الجزائر بعدد قصصها وصدرت في عام 1969م في الجزائر. (534)

أما مجموعته القصصية الثالثة فهي " الشهداء يعودون هذا الأسبوع" التي تضم سبع قصص طبعت ببغداد 1974م ، وتعد هذه المجموعة من أهم أعماله القصصية خاصة قصة "الزنجية والضابط " وقصة " الشهداء يعودون هذا الأسبوع " التي نالت شيوعا واسعا عندما

532 - الأستاذ علي ملاح: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 4 ص 12

533 - الأستاذة سلمى محمود: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 23

534 - الطاهر وطار: " رواية " رومانة " ص 3

حولت إلى مسرحية وحصلت على الجائزة الأولى في مهرجان قرطاج بتونس عام 1978م وبذلك أصبح الطاهر وطار أول كاتب جزائري باللغة الوطنية عرض أحد أعماله في المسرح (535)، كما ألف الطاهر وطار مسرحيتين منها "على الضفة الأخرى" التي نشرت بمجلة "الفكر" التونسية في أواخر الخمسينات 1958م والثانية "الهارب" لها أربعة فصول صدرت بمجلة الفكر التونسية عام 1961م ومثلت في المغرب وتونس (536).

ومما يلاحظ أن أغلب قصص للطاهر وطار تعالج ما مرت عليه الجزائر من الظروف الصعبة والثورة والاستقلال في بداية الستينات غير أنها تمتاز بفتح زاوية عريضة على مساحات واسعة لطرح قضايا كبرى كالمعاناة وإبراز الفقر والظلم واستغلال مكتسبات الثورة ونقد سلوك بعض العسكريين الانتهازيين والثوار الذين أصبحوا أكثر ظلما وعنفا من المستعمر الفرنسي وتحليل تصرفات الناس ما بين قابض على الجمر وما بين مستغل للظروف والشعارات.

أما أعماله الروائية التي تعتبر قمة الإبداع في إنتاج الطاهر وطار فهي: اللاز، الزلزال، الحوات والقصر، عرس بعل، العشق والموت في الزمن الحراشي، تجربة في العشق، رمانة، الشمعة والدهاليز، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء وقصيد في التذلل. هذه هي إحدى عشرة رواية تعد من أهم إنجازاته التي شكلت علامة متميزة في تاريخ الرواية العربية الجزائرية و احتلت ولا تزال تحتل مكانة مرموقة وشهرة واسعة في أوساط العلماء والأدباء و بفضلها نال الطاهر وطار مكانة متميزة وشهرة كبيرة في الأدب العربي، فنظرا لهذه المكانة الرفيعة خصصت الفصل الثاني لدراسة تحليلية في روايات طاهر وطار، وفي هذا الفصل سأستعرض جميع رواياته بصورة دقيقة حتى تتضح لنا مساهمته في إغناء الثروة الأدبية والرواية العربية بالجزائر .

وعلاوة على ذلك كتب الطاهر وطار سيرته الذاتية والإبداعية تحت عنوان "أراه" التي

535 - الأستاذة سلمى محمود: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 24

536 - الأستاذ بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية، ص 14

صدرت عن دار الحكمة في الجزائر عام 1906م و أثارت كثيرا من الجدل في أوساط المثقفين الجزائريين لجرأته النادرة ومواقفه الحاسمة في طرح مذكراته على خلفية من قناعاته ورؤيته الشخصية لعدد من التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية العصبية التي عاشتها الجزائر في العقدين الأخيرين للقرن المنصرم بالتحديد، كما كتب الأستاذ نذير بولوقون في هذا الشأن "قرأت مذكراتكم التي شرفتموني بالإطلاع عنها قبل نشرها وقد وجدت فيها ما أثار في نفسي تساؤلات حائرة عن أشخاص وأحداث" (537)، وأيضا قام الطاهر وطار بإسهامات جلية في حقل الترجمة فإنه نقل ديوان الديوان للشاعر الفرنسي " فرنسيس كومب" إلى العربية تحت عنوان "الربيع الأرزق" ونشره من ضمن عن مطبوعات الجاحظية في العام 2006م.

ونال الطاهر وطار العديد ومن الجوائز من أهمها جائزة الشارقة لخدمة الثقافة العربية عام 2005م ، وجائزة الرواية لمؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية في دورتها 2008-2009م، كما حظي بالتكريم في العديد من المحافل الثقافية العربية والعالمية ، و ترجمت أغلب أعماله إلى أكثر اللغات العالمية منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والبرتغالية والفيتنامية واليونانية و الأوزبكية وغيرها من اللغات العالمية، وأيضا تدرس أعماله في مختلف الجامعات العالمية .

رحلته إلى دار الخلود:

توفي الكاتب الطاهر وطار عن عمر يناهز أربعة وسبعين سنة بعد صراع طويل مع المرض العضال في اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك 1431 من الهجرة، الموافق 13 أغسطس 2010 م (538) ووراءه أنه قد ترك لنا تراثا كثيرا وآثارا أدبية، وهكذا تحولت هذه العبارة "الموت لا يخيفني لأنني أو من به منذ صباي وأنتظره كل يوم كحق وواجب" (539) لحقيقة برحيل الأديب الجزائري الكبير الطاهر، وصلى عليه حشد كبير من الشعراء والأدباء

537 - الأستاذ نذير بولوقون: أراه ، ص 152

538 - الأستاذ عمار مرياش: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 4 ص 598

539 - مجلة " الحياة الثقافية" العدد: 5315، أغسطس، 2010م، ص 1

والوزراء و جماهير الجزائر ودفن بمقبرة العالية بالعاصمة في الجزائر، وقد أعلن عبد العزيز بوتفليقة رئيس الجزائر عن تحمله كافة مراسم جنازة الطاهر وطار كما أمر بدفنه بمربع الشهداء وقال " الأديب الجزائري الطاهر وطار أحد رواد الرواية العربية في بلادنا وأبرز الأعلام التي أضاءت صفحات الأدب الجزائري " (540).

وفي نهاية المطاف يستحسن لنا القول إن الطاهر وطار كان فنا كبيرا ومبدعا رائعا وروائيا شهيرا شغل الناس في مشارق الأرض مغاربها بإنتاجاته الإبداعية ورواياته الأنيقة ولعب دورا هاما وملموسا وساهم مساهمة جليلة في نشأة وتطور الرواية العربية في الجزائر ، و بفضل جهوده القيمة وصلت الرواية العربية الجزائرية ذروة الكمال واحتلت ولا تزال تحتل مكانة مرموقة في الأدب العربي الجزائري الحديث ، ونال الأستاذ الطاهر وطار شهرة فائقة في أرجاء البلاد وانتشرت شهرته في الأوساط العلمية والأدبية في العالم العربي كله حتى أعجب به كثير من الأدباء والعلماء والكتاب والنقاد إعجابا كبيرا وأشادوا واهتموا بالمادة الإبداعية والآثار القيمة التي تركها الطاهر وطار، يبدو من الملائم هنا أن نقدم بعض انفعالاتهم وانطباعاتهم تجاه هذا الأديب الكبير:

يكتب الأستاذ واسيني الأعرج : " لقد كان الروائي طاهر وطار حاضرا دائما في نقاشاته قد نختلف وقد نتفق و أحسن شيء فيه أنه لم يصمت أمام الأحداث سواء الأحداث السياسية التي مرت بها البلاد أو حتى القضايا الثقافية.... وأضاف قائلا " لم يكن وطار كاتباً هادئاً ومستقراً ببساطة كان إشكاليا ككل الكتاب الكبار" (541) ويعتبر الشاعر عمار مرياش الأديب الطاهر وطار شخصية نادرة في الأدب الجزائري ويقول " الروائي الطاهر وطار رجل دولة بقلب شاعر ويدي مهندس بارع ورجل في المستوى كخضم وفي المستوى كصديق وهذا ما سينقص بعده" (542) ويتحدث الروائي الكبير بشير مفتي عنه " سأذكر هذا الرجل بالتأكيد هذا الذي آمن بالحياة والعمل والإنسان وناضل في سبيل ذلك طويلا....وترك لنا مؤسسته الكبيرة

540 - جريدة " القدس العربي " العربية الجزائرية، - العدد 6589 - 15 أغسطس 2010م، ص 6

541 - الأستاذ علي ملاح: هكذا تكلم الطاهر وطار: ج 4 ص 574

542 - المرجع السابق: ج 4 ص 598

الجاحظية لكي تحمي العقل والحرية والإنسان" (543).

ومن جانب آخر يكتب الأستاذ بوشوشة بن جمعة: "يعد الطاهر وطار من أحد رواد الرواية العربية الجزائرية إذ أسهم تأسيسها جنسا أدبيا مستحدثا في الثقافة الجزائرية الحديثة والمعاصرة وفي إغنائها بفضل ما قدمه من روايات شكلت علامات متميزة في تاريخها" (544) كما تأسفت الأديبة زهور ونيسي لرحيل الروائي طاهر وطار واعتبرته مؤسس الرواية الجزائرية باللغة العربية بدون منازع ودعت الأجيال القادمة إلى الاهتمام بالأعمال التي تركها الروائي ، ويقول الأستاذ حسب الله يحيى: "يعد القاص والروائي الطاهر وطار في طليعة الروائيين الذين يكتبون أعمالهم باللغة العربية الفصحى" (545).

هذه هي أهم المكونات والملاحظات لحياة الطاهر وطار الذي له إسهام متميز في مجال الرواية العربية في الجزائر، وأنه غني عن التعريف بمعنى الكلمة يعرفه الأدباء والعلماء والكتاب و النقاد بجرأته النادرة وموقفه الحاسمة وتدخلاته القيمة وأفكاره الحساسة وبشيوخ اسمه ونفوذ شخصيته في الأوساط الثقافية والاجتماعية والسياسية، حتى رئيس الجزائر عبد العزيز بوتفليقة قال " الأديب الجزائري الطاهر وطار أحد رواد الرواية العربية في بلادنا وأبرز الأعلام التي أضاءت صفحات الأدب الجزائري" (546).

مع كل ذلك لا بد من الاعتراف أن هذا الفصل الذي هو في تعريف الطاهر وطار وإبراز فضله ليس إلا فصلا متواضعا يتضمن جوانب مهمة من حياته ونشأته وأسرته ومكونات تربيته الدينية والثقافية ومراحل دراساته وانشغاله في مجال الأدب والصحافة والساحة السياسية والاجتماعية وما ترك للجيل الجديد من مآثر أدبية وفكرية بما فيه من توجيهات قيمة تنير القلب وتذكي العقل وترشد الإنسان إلى آفاق جديدة ، هذه هي أهم مميزات أعماله الأدبية والفنية استطعت كباحث استخراجها في هذا المكان. وكل ما سواه عنه استوعبه في الفصول اللاحقة إن شاء الله تعالى.

543 - الأستاذ علي ملاح: هكذا تكلم الطاهر وطار:ص 597

544 - الأستاذ بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية ص 11

545 - الأستاذ علي ملاح: هكذا تكلم الطاهر وطار: ج 4 ص 469

546 - جريدة " القدس العربي" العربية الجزائرية، ص 6 - العدد 6589 - 15 أغسطس 2010م

الفصل الثاني

دراسة تحليلية لروايات الكاتب الطاهر وطار

رواية " اللاز "

رواية " اللاز " (547) هي الرواية الأولى للطاهر وطار التي تعد من بواكير الرواية العربية في الجزائر وقد لعبت هذه الرواية دورا بارزا في تطوير فن الرواية العربية في الجزائر فهي تعتبر علامة فائقة في تاريخ الأدب العربي الجزائري وإحدى الركائز الأساسية في تاريخ الرواية العربية بهذا البلد وأيضا تعتبر من أفضل مائة رواية عربية بفضل خصائصها البارزة وميزاتها الفنية، فهي نالت اهتماما بالغا وشهرة واسعة على الصعيد العالمي ونشرت وترجمت إلى عدة لغات عالمية، وأدخلت في المقرر التعليمي للعديد من الجامعات.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الطاهر وطار بدأ بالتفكير في هذه الرواية عام 1958م وشرع في كتابتها عام 1965م وهكذا قد استغرقت كتابة هذه الرواية سبع سنوات وتم تأليفها عام 1972م (548) وصدرت عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر 1974م، تقع رواية "اللاز " في خمس وعشرين ومائتين صفحة، وتعالج الأوضاع والمشكلات التاريخية والصراع بين الفرنسيين والثوار الجزائريين أثناء الثورة التحريرية، وتركز على الخلافات داخل الثورة وتصفية المجاهدين بعضهم لبعض تبعا لمصالحهم الذاتية ومن هنا ذبح بعض الشيوعيين والمتفقين بسبب انتماءاتهم الأيديولوجية، وتشتمل هذه الرواية على محورين أولهما تصوير الصراع الخارجي بين الشعب الجزائري والاحتلال الفرنسي، وثانيهما الصراع الداخلي بين المقاتلين الجزائريين نتيجة اختلافاتهم العقائدية والفكرية.

من الجدير بالذكر هنا أن رواية " اللاز " هي رواية ثورية نضالية تصور بشاعة الحرب في عنفها الشديد و صراعا المرير و تبرز بطولات و معارك جيش التحرير ضد قوات الاحتلال الفرنسي فيقول الكاتب في المقدمة للرواية : " إنني لست مؤرخا ولا يعني أبدا أنني قدمت على عمل يمت بصلة كبيرة إلى التاريخ رغم أن بعض الأحداث المروية وقعت

⁵⁴⁷ لعل هذه الكلمة تحريف للكلمة الفرنسية التي تعني إحدى أوراق اللعب الراحبة (L'ace) وهي تطلق في الجزائر " على الإنسان الذي لا تتمنى رؤيته تشاؤما منه أو نفورا لكن هنا فهي اسم بطل الرواية (الدكتور حمدي السكوت : الرواية العربية الحديثة ببلوجرافيا ومدخل نقدي، ص220)

⁵⁴⁸ - الطاهر وطار: رواية " اللاز، ص 7

أو وقع ما يشبهها إنني قاص، وقفت في زاوية معينة لألقي نظرة - بوسيلتي الخاصة - على
حقة من حقب ثورتنا" (549)

أحداث رواية:

تدور أحداث رواية "اللاز" في قرية من القرى الجزائرية التي تحيط بها عدة جبال حيث
توجد ثكنة عسكرية كان يرأسها ضابط فرنسي خلال الثورة التحريرية و كانت هذه القرية
مشملة على أناس من طبقات متنوعة وفئات مختلفة من بينهم "الشيخ الربيعي" والد الشهيد
"قدور" وتبدأ رواية "اللاز" حين وقف الشيخ "الربيعي" وبعض عائلات الشهداء أمام مكتب
المنح ليقبضوا ما خصص لهم من دريهمات فيمر "اللاز" في حالة من الجنون و يملأ القاعة
صوت قوي مررد... ما يبقى في الوادي غير حجاره... فيعطيه الربيعي نقودا ، ثم يتذكر ابنه
"قدور" ويقول " هذا اللاز... اللاز المسكين .قدور ابني استشهد معه استشهد في طريقه ..و
استند إلى الجدار، وأطلق العنان لمخيلته ، تتحسس الجرح شئ عشناه وشئ سمعناه وشئ
نتخيله" (550)

ومن هنا تنقطع العلاقة عن الحاضر ويعود بنا الروائي عن طريق الارتداد إلى سنوات الثورة
وإلى تلك القرية النائية التي كانت تعاني طغيان المحتل وجبروته حيث ولد ونشأ لقيط وابن
غير شرعي اسمه "اللاز" وأمه تدعي "مريانة" كان شريرا للغاية حتى يخشاه الجميع في
القرية هو يضرب ويسرق ويخطف باستخدام سلاحه الخنجر ، كما كان مولعا بالخمير ولعب
القمار ودأب على دخول السجن "حتى بلغ معدل دخوله السجن ثلاثين مرة في الشهر" (551)
ولما كبر "اللاز" اعتقد الجميع أنه سيتترك عاداته السيئة وشروره ولكنه خيب آمالهم فعندما
اندلعت الثورة التحريرية في الجزائر تمنى أهل القرية أن يهلك "اللاز" أو يتم القضاء عليه من
طرف الثورة ليستريح الناس من شروره ، لكن هو نجح بعقده صداقة مشكوكة مع الضابط

⁵⁴⁹ الطاهر وطار: رواية " اللاز، ص 7

⁵⁵⁰ - المصدر السابق، ص 10

⁵⁵¹ - المصدر السابق، ص 10

الفرنسي قائد الثكنة " توطدت بينهما علاقة متينة ، راجت حولها أقاويل كثيرة وتضاربت فيها آراء السكان" (552) فمن القائل إن "اللاز" كان واسطة بين أمه "مريانة" وبين الضابط ، وأن "مريانة" كانت تتاجر بأعراض السيدات البائسات مقابل أموال تتسلمها ، وأيضاً أن "اللاز" يخون بمساعدة الجيش الفرنسي ضد الثورة ورجالها ، وظهر الازدهار فجأة في حياة "مريانة" وأبنها "اللاز" فصارت مريانة تشتري السكر بالكيلو والقهوة بالعلبة وقبل ذلك كان الدخان قليلاً ما ينبعث من كوخها " هذا الازدهار لا مبرر له إلا أن اللعينة تتاجر بأعراض البائسات الفقيرات بواسطة ابنها ، ويقين أن الضابط لن يقتنع بهذه الخدمة المتواضعة من "اللاز" ولو لم تكن هناك خيانة ما وطئت قدماه الثكنة مكتب القيادة" (553).

ولكن عندما يتعرف " اللاز" على أبيه " زيدان " يأتي الانقلاب في حياته مجسداً في الإحساس بالكيان و الهوية الشخصية عند ظهور الأب المجهول و هو ليس أباً عادياً إنه زيدان عمي زيدان ، أنت أبي ؟ أنت.. أنت عندي أب إذن " (554) وتنقلب حياته من شرير إلى مناضل ومكافح بدأ يعمل لصالح الثورة ويقول " يجب أن لا أرجع إلى القرية. أريد أن التحق بالجبل معكم أريد أن أكون جندياً" (555).

وبعد التحاق بصفوف الثورة أحس " اللاز" أنه ولد من جديد ، ولذلك قرر أن يبدأ صفحة جديدة من حياته و قد وجد في المقاومة وسيلة لتحقيق ذاته و مجالاً لاستعمال خبراته السابقة في إطار شرعي، ولذلك استعمل علاقته بقائد الثكنة العسكرية ، لمساعدة المجاهدين و تمكين المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي من الهروب، ولما اكتشف أمره حبس في السجن وذاق ألواناً من التعذيب الوحشي على يد الضابط الفرنسي الذي طلب منه أن يعرفه على أسماء الذين يتعاونون معه من المجاهدين " كل الدلائل والوثائق تؤكد أنك تهرب الجنود من سريتي إلى الأعداء...أطلعني على الشخص الذي تعمل لفائدته أعدك أنني لن ألقى عليه

552- المصدر السابق: ص 11

553- المصدر السابق: ص 12

554- المصدر السابق: ص 65

555- المصدر السابق: ص 58

القبض " (556) غير أن "اللاز" رفض ذلك وصمد تحت الضغط والتعذيب ، وحينما أخذ الضابط مهلة قصيرة ليراجع فيها نفسه ، فاختر "اللاز" حيلة ذكية للفرار مع بعض المجندين الجزائريين والتحق بأبيه " زيدان " ثم انضم إلى صفوف الثوار المجاهدين في الجبل.

وفي اليوم التالي قام الضابط بجمع قواته وبدأ عمليات الانتقام ضد سكان القرية بعد مقتل مساعده " ستيفان " وهروب " اللاز " مع مجموعة من المجندين ، فينتقل مباشرة إلى بيت "قدور " في صحبة الخائن "بعطوش" وطلب منه أن يقتل بقرة ففعل، ثم أمره أن يقتل "مريانة" أم " اللاز"، ثم سأله عن والدته " قدور " لأنه يعرف بأنها خالته، فيطلب منه أن يضاجعها فوراً أمام الجمع المكون من القائد، " الشامبيط " و" الربيعي" زوجها فيفعل ذلك ولكن بعد العودة يصاب " بعطوش " بانهايار عصبي فلجأ إلى الخمر لنسيان ما حدث فيزداد هيجانه فقتل خالته بطريقة وحشية عنيفة، (557) ويذهب إلى الثكنة مفكراً بعمل انتقامي ضد الضابط.

ومن جانب آخر كان زيدان غارقاً في تفكيره مع جنده إلى أن قدمت فرقة من المجاهدين يقودها الشيخ مسعود المسؤول الكبير فأحس زيدان أن المسألة جادة حيث جرى نقاش بين زيدان والشيخ (558)، فطلب الشيخ من زيدان ورفقائه الأوروبيين الخمسة الذين عملوا في صفوف الثورة أن ينسلخوا من مذهبهم ويتبرأوا من عقيدتهم، لأن القيادة العليا أمرت حل جميع الأحزاب و تكوين حزب واحد هو حزب جبهة التحرير الوطني لكنهم رفضوا ذلك واختاروا الموت بمقابل التخلي عن المبدأ والعقيدة ، وقبل تنفيذ حكم القتل التمس زيدان من الشيخ مسعود " أن لا تحضروا اللاز للعملية ولا تخبروه ... اللاز ابني يا الشيخ " (559) لكنه أمر بتنفيذ العملية أمام اللاز فذبح " زيدان " والأوروبيون الخمسة بحد السكين فاللاز عندما رأى المنظر " ظل لحظات يقف مشدوها لا يصدق عينيه وعندما انفجرت الدماء من قفا أبيه صاح

556- المصدر السابق: ص 53

557- المصدر السابق: ص 181

558- المصدر السابق: ص 148

559- المصدر السابق: ص 187

في رعب : ما يبقى في الوادي غير حجاره"⁵⁶⁰) ثم صعق من هول الصدمة وأصابه الذهول والخبل.

وتصل الأمور إلى نقطة الانفجار حينما يدعو الضابط المخنث "بعطوش" إلى غرفته مساء ويرأوده للنوم معه لشذوذه الجنسي ومركب نقصه فيقترب منه وهو مستلق في فراشه، فينقض عليه ويخنقه بيديه، ثم يستل خنجره ويطعنه عدة طعنات و كأن هذا القتل أيقظه وأزال عن عينيه غشاوة الضباب التي كانت تكتنفهما، فيأخذ الرشاش وبعض القنابل وينطلق إلى الساحة ليضرم النار في الشاحنات والسيارات ، وفي هذه اللحظات يلتقي بأحد الفدائيين الذي جاء لاغتياله، ولكن الأمر قد تغير لصالحه بعد أن اختار موقفا جديدا للضابط وإشعال النيران في المعسكر فيلتحق معه بالجبل.

وتتخلص القرية من ذلك الأخطبوط الذي كان جاثما على صدرها و تغمر الفرحة جميع سكانها و يصبح "بعطوش" قائد الثورة بعد مقتل "زيدان" مباشرة ، و لما نالت الجزائر استقلالها انتقل "بعطوش" إلى العاصمة ليحتل مكانة مرموقة بين كبار المسؤولين في أجهزة الدولة ، أما سكان القرية فيبتهجون بهذا الحدث العظيم و لسان حالهم يردد "ما يبقى في الوادي غير حجاره"⁵⁶¹) العبارة الشهيرة ذات المعنى الرمزي العميق التي ترددها بعض الشخصيات باستمرار.

و هكذا تنتهي الرواية بحادثتين تتمثلان في موت البطلين الرئيسيين "زيدان" و "اللاز" ، أي الأب و الابن ، الأول يموت جسديا و الثاني يموت موتا معنويا بفقدان وعيه و عقله،و من نقطة الموت و العجز تلتقي الأحداث في خط دائري و كان "اللاز" يظل مشدودا إلى ماضي الثورة هروبا من صدمة الاستقلال كما جاء على لسان "الشيخ الربيعي" : " إنك الآن أفضلنا

⁵⁶⁰ - المصدر السابق: ص 189

⁵⁶¹ - المصدر السابق: ص 192

جميعا يا اللالز لأنك تحس لا بشيء لأنك ما تزال تعيش الثورة بل لأنك الثورة " (562).

الشخصيات الرئيسية في رواية اللالز :

من الملاحظ هنا أن رواية اللالز تمتاز بشخصياتها العديدة التي قد لعبت دورا فعالا في البساط السردى وقد نهضت أحداث الرواية على كواهلها في أدوارها وأفعالها وتأثيرها فمن أهم شخصياتها:

"زيدان " : هو يعد من الشخصيات الرئيسية في الرواية ، ويمثل صورة المناضل العقائدي تبدأ صفحة حياته من القرية الصغيرة ، وقد كان عمره ثماني عشرة سنة عندما قتلت الجبهة قائد هذه القرية، فهرب مع ابنة عمه "مريانة " إلى غابة مجاورة وبقي فيها شهرا كاملا فحملت "مريانة " منه خلال هذه الفترة" باللالز " ، ثم جند زيدان في جيش الاستعمار، و بعد ذلك عاد إلى القرية، وهاجر إلى فرنسا ، حيث تعرف على فتاة فرنسية "سوزان " فتزوجها ودخل الجامعة الشعبية بإيعاز منها فهو يذكر هذا قائلا " إلى أن وجدت نفسي ذات يوم أدرس الاقتصاد السياسي في الجامعة الشعبية وببساطة وجدتني في حلقة ماركسية ، ثم في خلية شيوعية إلى جانبها " (563).

ثم انتخب في مدرسة إطارات الحزب الشيوعي الفرنسي ، و سافر بعد ذلك مع زوجته إلى موسكو ليدخل مدرسة القيادات الحزبية وبهذا أصبح "زيدان " محل ثقة من طرف القيادة الشيوعية في فرنسا ثم من طرف القيادة الشيوعية بعد ذلك في روسيا، وحينما تندلع الحرب العالمية الثانية عاد إلى الجزائر حيث لقي ابنه "اللالز" بعد فترة طويلة ويروي له قصة علاقته بأمه (564) وقضى زيدان ست عشرة سنة عضوا دائما في الحزب الشيوعي ثم التحق بالثورة ، ولكن مع مرور الزمن ازدادت الخلافات السياسية بين زيدان و قادة الجبهة حتى طلبت منه جبهة التحرير حل كل الأحزاب و الانضمام إلى حزب جبهة التحرير أو

⁵⁶²- المصدر السابق: ص 192

⁵⁶³- المصدر السابق: ص 142

⁵⁶⁴- المصدر السابق: ص 65

القبول بتنفيذ حكم الإعدام (565) فاختر زيدان الموقف الأخير فذبح زيدان مع مجموعة من رفقاءه الأوربيين الخمسة الذين التحقوا بالثورة الجزائرية .

" اللاز " : هو بطل الرواية عنون به الكاتب روايته واعتبره من أهم الشخصيات في هذه الرواية هذه شخصية عنيدة متمردة ومنبوذة اجتماعيا فهو لا يهادن أحدا ينظر إليه الناس بازدراء وحذر لأنه لقيط ويتمنون موته والتخلص من شروره الكثيرة التي أدخلته السجن عدة مرات وكأنه يريد أن ينتقم لنفسه من الجميع لقد كان " لا يفارق أبواب وباحات المدارس يضرب هذا ويختطف محفظة ذلك ويهدد الآخر إن لم يسرق له النقود من متجر أبيه أو الطعام من مطبخ أمه" (566) ولكن عندما يتعرف " اللاز " على أبيه " زيدان " تغير مجرى حياته (567) وأصبح مناضلا ومكافحا في حركة الثورة ويقول " يجب أن لا أرجع إلى القرية أريد أن ألتحق بالجبل معكم أريد أن أكون جنديا" (568) لكنه في الأخير عندما رأى منظر الذبح لوالده زيدان يصاب باختلال عقلي "ظل لحظات يقف مشدوها لا يصدق عينيه وعندما انفجرت الدماء من قفا أبيه ، صاح في رعب : ما يبقى في الوادي غير حجاره" (569) ثم لا يزال يهذي بهذه الجملة في كل وقت.

بعطوش : هذه الشخصية تعد رمزا للتناقضات الداخلية للسلوك الإنساني وما تحمله من تشويهات عميقة ، بعطوش ينتمي إلى جذور اجتماعية فقيرة ، ولكنه مولع بالطموحات والأحلام المريضة فقد تحول من راعي عجول إلى مجند في الثكنة ويرتقى من رتبة رقيب إلى ملازم ثم إلى ضابط كبير لذلك فهو من أجل تحقيق أحلامه لا يتورع عن ارتكاب أفظع الجرائم ليرضي ضابطه فهو " ليس فرنسيا ، مع ذلك يأتي أعمالا لا يأتي إلا الفرنسي

565- المصدر السابق: ص 148

566- المصدر السابق: ص 12

567- المصدر السابق: ص 65

568- المصدر السابق: ص 58

569- المصدر السابق: ص 189

المخلص" (570).

فقد كانت حياته حافلة بالخيانة والعمالة حتى باع نفسه للاستعمار ، ثم انقلب حربا على الثورة فخانها وكشف أسرارها للعدو ولم يتوار عن ارتكاب أية جريمة سعيا وراء مآربه الدنيئة فاحرق دكان الشيخ "اربيعي" وقتل أم اللانز" مريانة" وضاجع خالته "حيزية" ثم قتلها (571) كما ارتكب جرائم أخرى ضد سكان القرية حيث أعدم عشرة من أعوانها فداء للرفيق "ستيفان" وكان "بعطوش" أشد وحشية وهمجية من الاستعمار ، لكن مع كل ذلك في نهاية الرواية يقوم بتغيير مجري حياته ، فقد أقدم على القيام بعمليات بطولية ضد الثكنة ، بعد ما قام بتهديب كل المساجين والتحق بالثورة ليكفر عن ذنوبه وشروبه القديمة ، وهكذا تحول في نهاية المطاف إلى مناضل في صفوف جيش التحرير وبعد الاستقلال ، و يصبح بعطوش من كبار المسؤولين واحتل أعلى المناصب في أجهزة الدولة .

"حمو": هو يعد من الشخصيات المهمة للرواية التي قامت بدور بارز في الثورة التحريرية الجزائرية، حمو هو صديق قدور وأخو زيدان ، نشأ فقيرا معدما ينتمي إلى الطبقة الكادحة ، كان يعمل عند البرجوازي صاحب الحمام بثمان بخس ليعيل أمه وزوجته وأخاه وأطفاله لكن مع كل ذلك فهو لا يكاد يستريح من عناء العمل حتى يتجه لتمضية ما يبقي من الوقت مع بنات العم الثلاث ، داخية ، مباركة ، وخوخة ، ثم ترك "حمو" هذه الحياة التلسة بكل ضنكها وآلامها والتحق بأخيه زيدان(572) وهكذا التحق بصفوف الثورة . هناك ازداد نشاطه وبدأ يبيث الحماس في نفوس المواطنين ويدعوهم للانضمام إلى الثورة والكفاح ضد العدو الغاصب ، وحصل "حمو" على منصب رئيس المسبلين" ثم أصبح قائدا لإحدى الفرق الفدائية ، لكنه عاد بعد الاستقلال إلى القرية ، ليصبح مجرد مجاهد بسيط بدون عمل لا يملك شيئا غير شرف الانتماء إلى الثورة ، ويتأمل "حمو" في الجزائر يحلم بكل ما يحدث في المرحلة ما بعد الاستقلال فيقول " يخرج الفرنسيون ويفقر الأغنياء وينعدمون ، ينام جميع الناس على الشبع

570- المصدر السابق: ص 101

571- المصدر السابق: ص 132

572- المصدر السابق: ص 107

نقرأ كلنا" (573)

" قدور": هو ابن الشيخ الربيعي وصديق حمو هو شاب ميسور الحال ، يقوم بالتجارة في دكانه بالقرية ، وكانت له طموحات وأمال وأماني يريد تحقيقها وبيذل ما في وسعه لتجارته وتوسيع دكانه ، حتى جمع كثيرا من المال وتزوج بفتاة أحلامه "زينة " بنت الشيخ "السبتي لذلك فهو مرتاح البال في دكان والده ويقوم ببيع المواد الغذائية ولا يلتفت كثيرا لما يدور حوله من آثار الاستعمار ولكن مع مرور الوقت اضطر "حمو" إلى اختيار موقعه لأن لا مجال هناك للحياد ، فإما أن يكون مع فرنسا أو مع الجبهة " فالحرب تعم يوما بعد يوم وفرنسا يقوي تكالبها يوما فيوما ولا أحد يستطيع أن يظل محايدا لأن بحد ذاته تحيز للعدو" (574) ،فاختار الانضمام إلى صفوف جيش التحرير حيث استشهد في إحدى المعارك ضد الاحتلال الفرنسي ، فهو من هذه الناحية بطل طموح يسعى دائما إلى تغيير أوضاعه من حسن إلى أحسن حتى سقط في ميدان الشرف وفاز بالشهادة وشرف الجهاد .

هذه هي الشخصيات الرئيسية التي يكثر حضورها في النسيج الروائي وعلاوة على ذلك توجد في الرواية شخصيات ثانوية يقل حضورها على البساط السردى ومن بين هذه الشخصيات الثانوية "عريف رمضان" الذي تمرد على الجيش الفرنسي والتحق بالمجاهدين في الجبال ،و"سي ناصر" هو الفنان السفاح الذي قتل سبع أنفس في ليلة واحدة بيد واحدة ، لقد كان تاجرا متجولا في الأسواق ينتقل من مكان إلى الآخر عبر السكك الحديدية ، وحين انضم إلى الثورة حصل على منصب قائد وحدة عسكرية وأيضا "سي الفرحي" هو صاحب البغلة الشهيرة التي حملت على ظهرها العشرات دون أن يكشف العدو سرها و شخصية الربيعي (575) الذي يظهر منذ بداية الرواية (اللاز) عند استلام منحة ابنه قدور "الشهيد" ومن خلاله يطرح الكاتب أفكاره للنقاش، حيث يعود به إلى ذكريات الماضي النضالي، وفي هذا الرواية نجد أيضا الشيخ المسعود الذي أمر بذبح " زيدان " أمام اللاز.

573- المصدر السابق: ص 43

574- المصدر السابق: ص 49

575- المصدر السابق: ص 7

وصف الرواية:

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن رواية "اللاز" تتناول الثورة التحريرية الجزائرية من وجهة نظر إيديولوجية خالصة و جمع فيها الروائي الطاهر وطار بين الإيديولوجية الشيوعية التي يمثلها "زيدان"، والإيديولوجية الوطنية التي يمثلها حزب جبهة التحرير الوطني، وذلك في محاولة من الكاتب للكشف عن مرحلة مهمة من حياتنا النضالية شهدت صراعات إيديولوجية معقدة، ورغم ذلك فإن قارئ الرواية يلمس بسهولة ذلك الانسجام والترابط بين شخصياتها وأحداثها، إذا كان على بينة من الأفكار والاتجاهات التي تسود الجزائر قبل الثورة، هذه هي المضامين الرئيسية التي تشكل شبكة العلاقات الاجتماعية و تربط بين شخصيات هذه الرواية التي يتجلى فيها البعد الاجتماعي بمآسيه، وذلك بتصوير حياة الناس عامة، والمناضلين خاصة.

ولكن بالرغم من كل ذلك يتجلى لنا بعد دراسة الرواية أن الكاتب الطاهر وطار ما ركز عنايته على الجانب النسوي في رواية اللاز فنجد ظهورها بشكل سطحي في البساط السردى وأيضا ليست لها أعماق ولا أبعاد على الصعيد الروائي، فكان دورها ضئيلا باهتا لا نرى في الرواية أية امرأة يمكن أن يطلق عليها صفة الشخصية الايجابية فهن ضعيفات عاجزات عن أي عمل ومن هنا لا نعثر على أية امرأة واحدة تشارك في العمل الثوري أو تتاضل ضمن صفوف الثورة فضلا عن أن تقا تل في ميادين القتال وهن : "مريم" أم اللاز" وحيزية" زوجة الشيخ الربيعي " وزينة" وبنات البرجوازي صاحب الحمام كلهن شخصيات ثانوية لا أهمية لها في الأحداث.

أما شخصية" سوزان " زوجة زيدان في الغربة فهي الوحيدة التي تنفرد عن بقية الشخصيات النسائية الأخرى فبفضل سوزان استطاع زيدان أن يدخل الجامعة الشعبية في فرنسا فهو يقول " إلى أن وجدت نفسي ذات يوم أدرس الاقتصاد السياسي في الجامعة الشعبية وببساطة

وجدتني في حلقة ماركسية ، ثم في خلية شيوعية إلى جانبها " (576)، وقد استعان بها المؤلف لتطوير فكر زيدان ووجدانه لكن سرعان ما اختفت " سوزان " عن مسرح الأحداث ولم نعرف عنها شيئاً حين أسدل المؤلف الستار على مصيرها الغامض .

يشير الأستاذ محمد البصير إلى غياب دور المرأة الثوري وعدم اهتمام المؤلف بها في رواية " اللاز " ويقول هذا الصدد : هناك عدة احتمالات منها " أن المؤلف يرجع عدم مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية إلى الحصار المضروب عليها من طرف سلطة المجتمع أو أنه اعتبرها مسجونة داخل أربعة جدران ليس لها دور في الحياة سوي الشغل والإنجاب حيث لم تتح لها فرصة المشاركة الفعالة أثناء ثورة التحرير الكبرى" (577).

وعلى كل حال فتمتاز الرواية بلغتها وأسلوبها لأن الكاتب الطاهر وطار اهتم باللغة عناية كبيرة فلم يلجأ إلى الجمل المعقدة ولا العبارات الملتوية، فكانت كلماته سهلة بسيطة وعباراته مشرقة جذابة تزيد الصورة وضوحا والشكل جمالا وتنقل المشاعر والأحاسيس بإتقان دون تكلف ، ويتحدد أسلوب الرواية في إطار الفصح الذي يقترب أحيانا من تركيب اللغة العامية مثل قول الكاتب في هذه الجملة : " وراس بن عمي ، فات الحال ، إما ... وإما ... الشامي شامي ... والبغدادي بغدادي الذبح من جهة .. والرصاص من جهة أخرى ... ويخيل لقدور أنه غائص في الأعماق ...أعماق الأعماق " (578).

و يذكر لنا الدكتور محمد مصايف " لغة اللاز " لغة سليمة فصيحة إلا ما يعثر عليه من عبارات شعبية يحسن المؤلف استخدامها في المواقف المناسبة مثل ما رأينا من ترداد عبارة " ما يبقى في الواد إلا احجاروا" وقول زيدان لأخيه حمو في غير مناسبة " وراس ولد أمي " والقصد من استعمال هذه العبارات الشعبية هو التعبير عن الحياة الواقعية الخاصة لشخصيات

⁵⁷⁶- المصدر السابق: ص 142

⁵⁷⁷- محمد البصير : الموقف الثوري في الرواية الجزائرية المعاصرة 1970-1982 - ص180

⁵⁷⁸- الطاهروطار: رواية اللاز ، ص33

الرواية فهي نوع مما يسميه بعض النقاد بالواقعية اللغوية" (579)

ولا ريب في أن الطاهر وطار قد اعتنى بالأسلوب في رواية اللاز " اعتناء اهتماما كبيرا واستخدم له جميع الوسائل الفنية الممكنة و ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، لهذا نجده يمزج بالرمز بالواقع والحقيقة بالخيال ، ويزاوج في أسلوبه بين المضمون الثوري والشكل المعاصر ، يضاف إلى هذا كله قدرة المؤلف الفائقة على دقة التصوير وبراعة التعبير وروعة التحليل ، يتجلي ذلك في هذه الرواية بدقة متناهية وأيضا نجد أن المؤلف يريد أن يزيد روايته رونقا وجمالا فاختر الأسلوب الذي يتسم بالبساطة والوضوح من جهة، والعمق الفكري والثوري من وجهة أخرى، فيقول الدكتور محمد مصايف في هذا الصدد" إن أسلوب الطاهر وطار بسيط يقدم المعنى كله منذ الوهلة الأولى وهو لا يميل إلى الرمزية إلا نادرا وحتى عندما يميل إليها تكون رمزية بسيطة تتعلق بالمحتوى العام أكثر مما تتعلق بالمعنى المفرد وهذا ما يسهل قراءة الطاهر وطار في روايته وقصصه (580).

مع كل ذلك فلا ريب في أن هذه الرواية بشكلها الفني البسيط قدمت نموذجا أوليا للواقعية الملحمية للرواية الجزائرية وساهمت في الإنتاج الروائي في الجزائر خلال السبعينات كما يتحدث الأستاذ إدريس بوديبة عنها " هذه الرواية مصدر إلهام للعديد من الروائيين الجزائريين بشكل مباشر أو غير مباشر .. إن هذه الرواية بشكلها الفني البسيط تقدم لنا نموذجا أوليا للواقعية الملحمية في الرواية الجزائرية وتسهم في تواتر الإنتاج الروائي في الجزائر خلال السبعينات لأن وجود أي نص أدبي يفترض وجود نص آخر سبقه ومهد له" (581) ويكتب الأستاذ واسيني الأعرج: "تعالج الرواية عن قرب موضوعا شائكا وربما يحدث هذا لأول مرة في الرواية الجزائرية يعني الإشكالات المعقدة التي صاحبت الثورة الوطنية بكل خلفياتها التاريخية

579- الدكتور محمد مصايف : الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ،ص 53

580- المرجع السابق ،ص 52

581- الأستاذ إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص 49

وطبيعة التحالفات التي طرحت على مختلف القوى التي كان يهمها استقلال الجزائر أولا " (582). وفي نهاية المطاف يطيب لنا أن نذكر أن رواية "اللاز" تمتاز بكل عناصر الكتابة الثورية و المغامرة الفنية والفن القصصي الأصيل الممتع إذ هي قصة رائعة، بارعة في التصوير الواقعي ، والتعبير الايجابي لذلك تبقى هذه القصة نموذجا عاليا للأدب الجزائري الحديث وللواقعية الاشتراكية وحاول وطار أن يركز قدراته الإبداعية على كل السلبيات التي صاحبت هذه الأحداث ، كما يصف الدكتور حمدي السكوت قائلا " إن الطاهر وطار بعلمه الأصيل المتميز هذا قد أعلن للملأ أن الرواية العربية في الجزائر قد شبت عن الطوق ووقفت في صف واحد مع الروايات في الوطن العربي كله" (583).

582 - الأستاذ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية، ص494
 583 - الدكتور حمدي السكوت : الرواية العربية الحديثة ببلوجرافيا ومدخل نقدي، ص226

رواية " الزلزال "

رواية "الزلزال" هي الرواية الثانية للطاهر وطار الذي كتبها عام 1973م⁽⁵⁸⁴⁾ وقد صدرت عن الشركة الوطنية للتوزيع والنشر في الجزائر عام 1975 وتشتمل على ثلاثة مائة وعشرين صفحة و تعتبر من أوائل الرواية الجزائرية التي كتبت باللغة العربية الفصحى بالجزائر وهي تتناول موضوع الثورة الزراعية وإعلان الميثاق الزراعي في الجزائر الذي بدأ تطبيقه في العام 1971م وتمثل صورة للمتضررين من هذا الميثاق عبر شخصية عبد المجيد الذي يمثل صورة نموذجية للمستغلين، كما تقدم مسألة الإقطاع بأسلوب فني قلما نجده في الروايات الجزائرية حتى بعد السبعينات، و تعالج قضية التأميم الاشتراكي للأراضي الزراعية ومرحلة من مراحل التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الجزائر وجانبا من حياة المجتمع الجزائري بعد الاستقلال.

و من الملاحظ هنا أن رواية "الزلزال" هي رواية موقف إيديولوجي تعكس الرؤية الإيديولوجية و الموقع الفكري و تعتبر سجلا تاريخياً في مرحلة من مراحل تاريخ الشعب الجزائري و لوحة فنية رسمها الروائي الكاتب الطاهر وطار بألوان كلماته وجملته وقسم روايته إلى سبعة فصول و سماها جميعا بأسماء جسور معينة ومعروفة في قسنطينة التي تزخر بتراث حضاري وثقافي وديني عريق، وأما أسماء الجسور فهي: باب القنطرة، سيدي مسيد، سيدي راشد، مجاز الغنم، جسر المصعد، جسر الشياطين، جسر الهواء، وتربط هذه الجسور بين شقي المدينة التي يتوسطها نهر عظيم.

أحداث الرواية:

تدور أحداث الرواية حول الشيخ "عبد المجيد بوالأرواح" هو تلميذ بن باديس وابن الأغا وحفيد الباشا ومتخرج جامعة الزيتونية ومدير لإحدى الثانويات بالعاصمة الجزائرية . يملك

أراضا واسعة في ولاية قسنطينة ما تقارب ثلاثة آلاف هكتار. لكن ليس له أولاد، فحينما سمع خبر تأميم الأراضي الزراعية اضطر إلى توزيع هذه الأراضي على أقاربه الذين لم يرهم منذ عقود من الزمن حتى لا تؤمم تلك الأراضي في إطار قانون الثورة الزراعية فسافر "عبد المجيد بوالأرواح" إلى مدينة قسنطينة بسيارته الخاصة (585) التي لم يزرها منذ أوائل الخمسينات وبهذه الزيارة هو يريد أن ينقذ أراضيها الزراعية قبل أن تأخذها يد التأميم وتوزع على الفلاحين الصغار في إطار الثورة الزراعية ويطوف هذا الشيخ مدينة قسنطينة بحثا عن أقربائه ليكتب لهم جزءا من هذه الأرض، على شرط ألا يجوزوها أو يتصرفوا إلا بعد وفاته فهو يقول " جنّت أن أقطع الطريق بين الحكومة وبين أراضي بتسجيلها على أقاربي شرط ألا يجوزها أو ينالوا ثمارها إلا بعد أن أموت" (586).

بينما كان الشيخ "عبد المجيد بوالأرواح" باحثا عن معارف قدماء يرى أن مدينة قسنطينة قد تغيرت وتغير كل شيء فيها ورجالها وتجارها الأصليين اختفوا ولم يبق منهم إلا القليل وهذا القليل تغير بكثير " قسنطينة الحقيقية قد انتهت و زلزلت زلزالها لم يبق من أهلها أحد كما كان . أين قسنطينة بالباي وبالفقون وبن جلول " تعجب الشيخ "عبد المجيد بوالأرواح" بالانقلاب الذي حدث في مدينة قسنطينة حيث تحسنت أحوالها و المستشفى الذي كان خاصا للأغنياء أصبح الآن ملكا للشعب والفقراء والعلاج فيه مجاني ،كما صار التعليم المجاني لأبناء الفلاحين ، والناس انتقلوا إلى أوضاع اجتماعية أفضل من الأوضاع التي تركهم عليها و" المساجد يؤذن فيها بالكهرباء والزوايا صارت تكميليات و ثانويات " (587).

وهكذا كان الشيخ مستغرقا في تأمله حتى ناداه صوت فهو " بالباي" الذي كان يدير مطعما بسيطا و تحول إلى مجرد شخص عادي وتم تغييره في شكله وهيئته وجسمه إلى حد أن الشيخ لم يعرفه إلا بصعوبة كما هو واضح من عبارة الرواية التالية " بالباي بدمه ولحمه غير أن

585 - رواية " الزلزال " ص 4

586 - المصدر السابق: ص 132

587 - المصدر السابق: ص 290

سواد الشعر خلفه البياض، وامتلاء البدن خلفه نتوء العظام سبحان مغير الأحوال" (588) ويدور حديث بين الرجلين اللذين تعرفا على بعضهما بعضا ويقول الشيخ في نفسه " لا حول ولا قوة إلا بالله ، أحقا هذا هو مطعم "بالباي" الذي عرف الإغوات والباشوات والمشائخ وكبار القوم أصحاب الأرض والأغنام والجام " يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ...صدق الله العظيم" (589) ظل بوالأرواح ينتقل في الشوارع وتقول في نفسه" أنا يا سي عبد المجيد بوالأرواح أحسست بالزلازل يوم كان الرعاة والحفاة والعراة يدخلون من الريف والقرى ليقتلوا الأسياد هنا ويخرجوا، يوم أحسست بالزلازل الحقيقي.إيه كم آغا وكم باشا أو خماس أو حطاب أو فحام أمام هذا المطعم ما يحدث اليوم ليس سوى ارتدادات" (590).

ومرة أخرى يفاجأ الشيخ بأن الناس الذين أرادبهم أن يوزع عليهم أراضيهم الزراعية كانوا فقراء لكن بعد الاستقلال تحسنت أحوالهم فبعضهم أصبحوا عسكريين لدي الحكومة أو موظفا سياسيا وآخرون تحولوا إلى نقابيين في الوحدات الصناعية ، ثم جلس الشيخ في إحدى المقاهي وتذكر أسماء أقاربه وفتح دفتره القديم وبدأ يتقلب صفحاته إلى أن عثر على اسم صهره " عمار" الحلاق الذي طرده شر طردة لأنه جاء ليفترض منه مبلغا من المال ، لم يراه الشيخ منذ تسع عشرة سنة ،سمع أنه استشهد في الثورة وصار بطلا من أبطال الثورة وفخرا لوطنه وأسرته ، ثم رجع الشيخ إلى الوراء مستغرقا في الماضي البعيد فتذكر ابن عمه " عبد القادر" الذي استولى بوالأرواح على مائة هكتار من أرضه بعد أن رفض قرضه مبلغا من المال ولم يتذكره منذ ثلاثين عام ، هو أصبح أستاذا في الثانوية (591).

وكذلك " عيسى " ابن خالة الشيخ الذي خدعه الشيخ وسجل أرضه باسمه بدون علمه ، هو تحول إلى نقابي اشتراكي بعد الاستقلال، ثم تذكر" البرادعي" ابن عمه الذي أصبح إماما

588- المصدر السابق: ص 24

589- رواية " الزلازل" ص 24

590- المصدر السابق: ص 33

591- المصدر السابق: ص 227

يشتغل عند الحكومة" المهم أن البرادعي لا يستطيع أن يكون موظفا لدى الحكومة لن يستطيع أبدا أن يكون جزءا من الحكومة " (592).

هنا يشعر الشيخ "عبد المجيد بوالأرواح" أن زلزالا حدث في مخه ولم يبق له إلا التسليم بالأمر الواقع" حدث كل هذا مرحبا وانتهى الأمر مرحبا بقضائه ورضائه والحمد لله على صحة الأبدان والعقول" (593) وازداد إحساسه بالغضب والسخط بعد فشله في لقاء أقربائه اللذين انتقلوا من حال إلى حال وبعد ما تصيبه حالة من الجنون وعقله لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه التغيرات الجذرية ويقول "أين عمار الحلاق صهري؟ عمار الحلاق شهيد.. أين عبد القادر الغرابلي ابن عمي؟.. عبد القادر بوالأرواح الغرابلي أستاذ.. أين الطاهر بوالأرواح النشال ؟ .. سبحان الله ... لا شهيد .. لا خائن .. لا .. إمام .. وزير ... رئيس ... سبحان الله" (594).

و في الأخير لا يعرف المكان الذي يوجد فيه فأجابه الأطفال " في جسر الشياطين، في جسر الشياطين" هناك عرف وأدرك بأنه في حي اليهود سابقا، فهو في جسر الشياطين فعلا، وشعر الشيخ بالذعر وراح يركض وينادي بأعلى صوته "يا سكان مدينة قسنطينة، الزلزال، الزلزال. يا آل بوالأرواح. الزلزال الزلزال " (595) وأراد الشيخ "عبد المجيد بوالأرواح" أن يقذف بنفسه من الجسر فقذف بسترته وقميصه وحقائه وسرواله وفي هذه اللحظة يهتف الأطفال الصغار والكبار "يا بوالأرواح " حتى جاءت الشرطة وتلقي عليه القبض وتمنعه من الانتحار وتنقله إلى المستشفى للعلاج هكذا تنتهي رواية "الزلزال" (596) .

الشخصيات الرئيسية لرواية " الزلزال ":

نهضت أحداث رواية الزلزال على كواهل شخصيات مختلفة في أدوارها وأفعالها وتأثيرها، فمن الشخصيات التي تتجلى في هذه الرواية وهي:

592- المصدر السابق: ص 285

593- المصدر السابق: ص 33

594- المصدر السابق: ص 297

595- المصدر السابق: ص 299

596- المصدر السابق: ص 319

عبد المجيد بوالأرواح : تعد هذه الشخصية من الشخصيات الرئيسية لهذه الرواية و ترجع إليها كل الدلالات المستخلصة، والشيخ بوالأرواح كان مديرا لإحدى الثانويات بالعاصمة الجزائرية وعالما في الدين والنحو والصرف (597) ويملك أراضا واسعة في ولاية قسنطينة ما يقارب ثلاثة آلاف هكتار ورثها أبا عن جد ، كما ورث معها من الخيانات العائلية للوطن أيضا لكن ليس له أولاد، ويحضر على كل صفحات الرواية فهو مركز الأحداث ،قد وصفه الكاتب الطاهر وطار وصفا خارجيا بقوله " أسند ظهره إلى جدار المسجد ، وراح يحتضن وجهه ، وعيناه الكبيرتان البارزتان تتسعان أكثر فأكثر ، بينما شفتان تتمتان بتلاوة القرآن ودعاء وعضلات وجهه تنقلص وترتخي " (598) فهذا الشيخ حينما سمع أن الحكومة ستوزع الأراضي على الفلاحين فسافر إلى مدينة قسنطينة بعد ستة عشر عاما لكي يكتب جزءا من أراضيه لأقاربه على شرط عدم حيازتهم لها إلا بعد وفاته لكنه يرى أن مدينة قسنطينة قد تغيرت وتغير كل شيء فيها وأيضا تحسنت أحوال أقربائه الذين أرادهم أن يوزع عليهم أراضيه الزراعية فقد كانوا فقراء قبل الاستقلال لكن بعده فبعضهم أصبحوا عسكريين لدي الحكومة أو موظفين سياسيين وآخرون تحولوا إلى نقابيين في الحداث الصناعية.

فتعجب وتحير بوالأرواح بهذا الحدث كما يقول " يا سيدي راشد، يا ولي الله، قضيتُ تسع ساعات في الطريق قادمًا من العاصمة في هذا الحرّ، لأمر يهمني، ويهم جميع الصالحين الذين أورثهم الله أرضه. لا أخفي عنك، فأنت تعلم ما في النفوس جنّتُ أقطع الطريق بين الحكومة وبين أرضي بتسجيلها على أقاربي بشرط ألا يحوزوها أو ينالوا ثمارها إلا بعد أن أموت لكن يا سيدي راشد، يا ولي الله، لم أعثر على أحد منهم. الأول استشهد، والثاني ضابط سام يحل ويربط، والضباط، يا سيدي راشد، حتى وإن لم يكونوا يقاسمون الحكومة آراءها، ويتقون في سياستها، فإنهم لسبب ما، مخلصون لها، ومن كان منهم يهتم بالمال والعمل على جمعه، فإنه يسعى إليه عن غير طريق الفلاحة أعمال ومشاريع، وآلات عصرية يا سيدي راشد والثالث، آه من الثالث بعد أن كان دليل العائلة نحو الجنة: زاهدا، متعبداً، مقدماً في زاوية سيدي عبد

597 - المصدر نفسه" ص 143
598 - رواية " الزلزال" ص 19

المؤمن، أه صار ماذا أقول يا سيدي راشد صار شيوعيا، يحرض العمال على الإضرابات، ويشوش أفكار الطلبة، ويحث الحكومة على المضي إلى أقصى حدّ في استيراد المشاريع والخطط الإلحادية الجهنمية"⁽⁵⁹⁹⁾ وفي الأخير تصيبه حالة من الجنون وأراد أن يقذف بنفسه من الجسر لكن الشرطة تمنعه من الانتحار، وتنقله إلى المستشفى للعلاج.

ومن خلال هذا المنطلق اتضح لنا أن الشيخ عبد المجيد بوالأرواح ليس إقطاعيا فقط في هذه الرواية بل كان مجرما كذلك، إذ أنه ورث النزعة الإجرامية عن أبيه، فهو رجل غير سوي على الإطلاق وفيه كثير من السلبية، يكفي أن نعرف أنه قد انعزل تماما عن أقاربه جميعا إلى درجة أنه لا يعرف شيئا عن هؤلاء الأقارب كما لا يعرف من توفي منهم ومن زال حيا ولا من دخل جيش التحرير مجاهدا بل لقد كان أنانيا منذ البداية ويتعامل مع أقاربه حسب مصالحه فقط، والغريب في الأمر أن الروائي الطاهر وطار لم يشر للبطل بوالأرواح كيف يتعامل مع تلاميذه وطلبته ومريديه في العاصمة لأنه مدير في التعليم الثانوي، فهل هو يقدم لهم علما صحيحا نافعا؟.

ومن جانب آخر نرى أن بوالأرواح يمثل صورة نموذجية للمستغلين الذين نموا من خلال استقلال الآخرين ويستخدم الدين لمصلحته كما يستعمله الأقطاع في معظم الأوقات لتمويه قضية الاستغلال، ويحاول أن يغير الآيات القرآنية وفقا لمصلحته الشخصية فهو يقول " لا شيء لمن يملكه والتملك ورد في القرآن الكريم ، ثم لا الناس راضون وبضعتمهم ، قانعون بما جاد به الله عليهم من فيئه وبما قسم عليهم الأرزاق ، وما دخلهم هم رجال السلطة لو أنهم يعجلون قيام الساعة بالمروق" ⁽⁶⁰⁰⁾ كما يستخدم الشيخ الدين ليزرع الذعر في قلوب الفقراء. لذلك يفسر ما ورد في القرآن الكريم بحسب رغبته الذاتية" فهو يقول "إنما الدين هو الدين وليس شياً آخر الدين الإخلاص للسلف وكل بدعة ضلالة"⁽⁶⁰¹⁾ كما نجد أنه يلعن الحكومة

⁵⁹⁹ - رواية " الزلزال " ص 13

⁶⁰⁰ - المصدر السابق: ص 285

⁶⁰¹ - المصدر السابق: ص 18

بقوله " لعن الله حكومة الكفار والملحدين أعوذ بالله" (602).

أما الشخصيات الأخرى لرواية الزلزال فهي كما يلي:

بالباي: هذه الشخصية لرواية الزلزال صديق حميم لعبد الحميد بوالأرواح وكان يعتبر من أعيان مدينة قسنطينة أيام الاستعمار لامتلاكه فندقا كبيرا حيث كان يجتمع أصحاب الشأن من الأغوات والباشاوات والمشايخ وذوي الأمر والنهي فيها، لكن بعد الاستقلال أحواله تفهقرت وتردت إلى الدرك الأسفل بسبب النزوح الريفي وظهور النظام الاشتراكي في الجزائر الذي له أثر سلبي على طبقات البورجوازية فتأثر بهذا الانقلاب "بالباي" واضطر إلى أن يعيش حياة وضعية وتم التغيير في شكله وهيئته وجسمه إلى حد أن الشيخ لم يعرفه إلا بصعوبة" وأصبح محاطا بالمتسخين وباعة ثمر الصبار والحمالين... وصار شيخا كبيرا بلحية كثة ونظرات صغيرة شفافة وعراقية بيضاء متسخة وقميص ممزق" (603)، أما مطعمه الذي كان حكرا على ذوي المال والجاه والطبقة المخملية فأصبح قبلة لحتالة المجتمع وبدل تقديمه للأكلات الفاخرة اكتفى بتقديم البيض المسلوق واللبن والبقول، كما يقول " بوالأرواح " أحقا هذا هو مطعم "بالباي" الذي عرف الإغوات والباشاوات والمشايخ وكبار القوم أصحاب الأرض والأغنام (604) لكن رغم هذا التغيير الجذري الذي لحق بهذه الشخصية نجده قانعا بما آل إليه يحمده الله على صحة البدن وطول العمر، " مرحبا بقضائه ورضائه والحمد لله على صحة الأبدان" (605) و في السلم الاجتماعي استطاع أن يهضم خيبته الكبرى ويدرك أن منطق الحياة هو " يوم لك ويوم عليك" (606) فاندمج في الواقع الجديد واستوعب التغيير ولو ببقائه على هامش المجتمع.

نينو: هو أيضا يعد من الصديق للشيخ بوالأرواح ومن طبقتة الاجتماعية كان معروفا بشرائه للقضايا في المحاكم فمن " قصده نينو يعرض عليه بيع قضيته ولم يبيعها له خسرها، القضية

602 - المصدر السابق: ص 26

603 - رواية " الزلزال" ص 24

604 - المصدر السابق: ص 24

605 - المصدر السابق: ص 33

606 - المصدر السابق: ص 96

التي يشتريها نينو تكون مربوطة مهما كانت" (607) وعلى حسب "البابي" فإن نينو سقط في " العالم السفلي" هو كذلك، فأصبح هذا المسكين" يدلل في السباط ببرنس قديم، وجبة ملبوسة ومذياص صغير وسلسلة ذهبية رقيقة" (608) ونجد نبرة الاقتناع نفسها تتكرر ولكن بأسف أقل، فهو يحمد الله على طول العمر وسلامة البصر راض بما قضت الظروف به كما يقول " ما فات مات كل شيء مر وولى، الحمد لله على طول الأعمار وسلامة الأبصار يا شيخ بوالأرواح" (609)، وكان على عكس بوالأرواح مقتنعا أن زمنه قد ولى واندثر، وأن الاستغلال الإقطاعي لم يعد موجودا في دولة اشتراكية لم يعد هناك أوصياء على الأرض فالأرض لم يخدمها، وليس لم يتخذها سلاحا للتسلط على الناس، ونينو كان يتعامل في الماضي مع المخابرات الفرنسية.

عمار الحلاق: وهو صهر "الشيخ بوالأرواح" وأيضا من الناس الذين استغلهم بوالأرواح، كما جاء في الرواية مرة عمار الحلاق التمس منه مبلغا من المال لكي يفتح محلا للحلاقة ويشتري لوازمها، لكن طرده بوالأرواح شر طردة وقال " اسمع يكفي أنني أعيل أختك، لا أريد أن أراك عندي مرة أخرى أغرب عن وجهي يا وجه النحس" (610)، وقال له " لماذا لا ينخرط في الجيش الفرنسي" (611)، لكن رفض عمار الحلاق و انخرط مع المناضلين في سلك الكفاح إلى أن استشهد مع صديقه "سليمان" استشهدا بطوليا" وصار بطلا من أبطال الثورة وفخرا لوطنه وأسرته (612).

عيسى: هو شخص ديني محض " لقد كان مثالا في التصوف والزهد والاستقامة حفظ الستين الأجرومية والرسالة في الزاوية" (613) ثم زهد، وأعلن نفسه تابعا للطريقة الشاذلية وبدأ يعلم القرآن ويكتب الرقى ويتلقى الزيارات" هو ابن خالة الشيخ لكن لم يره بوالأرواح منذ أن كان

607- المصدر السابق: ص 120

608- المصدر السابق: ص 96

609- رواية " الزلزال" ص 122

610- المصدر السابق: ص 130

611- المصدر السابق: ص 130

612- المصدر السابق: ص 175

613- المصدر السابق: ص 24

في الثامنة عشرة بعد أن سرق منه أرضه وسجلها باسمه دون علم منه،⁽⁶¹⁴⁾ لكن عيسى الذي كان مثلاً في الاستقامة والزهد والذي اعتبره "بوالأرواح" "دليل العائلة نحو الجنة" تحول بعد الاستقلال إلى نقابي" وأصبح شيوعياً يحرض العمال على الإضرابات ويشوش أفكار الطلبة، ويحث الحكومة على المضي إلى أقصى حد في استيراد المشاريع والخطط الإلحادية الجهنمية"⁽⁶¹⁵⁾

الرزقي البرادعي: هو ابن عم أب "بوالأرواح"، تصفه الرواية بكونه "شخصاً فاضلاً ملتزماً حدود نفسه، رغم ميوله إلى الخمر والغلمان"⁽⁶¹⁶⁾، كان "بوالأرواح"، متزوجاً بأخته لكنه طلقها بعد ثلاث سنوات وبنفس المنطق نجد هذا الشاب يتغير هو الآخر ويصبح إماماً لمسجد، ولكن لا تذكر الرواية كيف وصل إلى هذا المنصب، في الواقع أن بوالأرواح هو الذي لم يكن راضياً عن هذا التغيير الجذري وحنقاً للمفارقة العجيبة التي اتخذتها حياة أقربائه، كما يقول " المهم أن البرادعي لا يستطيع أن يكون موظفاً لدى الحكومة لن يستطيع أبداً أن يكون جزءاً من الحكومة"⁽⁶¹⁷⁾

الطاهر النشال: هو ابن أخ بوالأرواح ، مات أبوه فأصبح متشرداً ولم يجد من يرعاه ويكفله، قضى أربع سنوات في الجيش الفرنسي وثلاثة أخرى في السجن ثم اشتغل نشالاً منغمساً في السكر والعريضة رحبة الجمال، باع نصيبه من أرضيه "لبوالأرواح" بأبخص الأثمان وانهمك في الزواج والطلاق والسكر والسرقعة والدخول إلى السجن، لكن "بوالأرواح" اكتشف متأخراً أنه كان مناضلاً ومن الوطنيين الأوائل الذين يهربون الأسلحة والذخيرة لجبهة التحرير الوطني بسبب ذلك دخل السجن أكثر من مرة،⁽⁶¹⁸⁾ وبعد الاستقلال تقلد منصب ضابط في الشرطة " يحل ويربط"⁽⁶¹⁹⁾.

⁶¹⁴ - المصدر السابق: ص 85

⁶¹⁵ - رواية "الزلال" ص 24

⁶¹⁶ - المصدر السابق: ص 85

⁶¹⁷ - المصدر السابق: ص 285

⁶¹⁸ - المصدر السابق: " ص 141

⁶¹⁹ - المصدر السابق: ص 154

عبد القادر الغرابلي : هو ابن عم "بوالأرواح" كان يريد أن يشتري محلا لبيع الغرابيل فطلب من عمه "بوالأرواح" المساعدة والإعانة للشراء ولكنه رفضه ثم وافق على الطلب مقابل وثيقة أنه رهن أرضه لديه، ثم استعان "بوالأرواح" بأهل الحل والربط واستولى على مائة هكتار من أرضه نهائيا، من المعلوم أن عبد القادر الغرابلي لا يستطيع يقرأ ولا يكتب، وعندما اندلعت الثورة التحريرية سجنته القوات الفرنسية لكونه مسؤولا عن جمع الاشتراكات والأسلحة والأدوية،⁽⁶²⁰⁾ وفي السجن قرر أن يتعلم و"صار يكتب، وصار يحفظ الكتب والكلام المرصع"⁽⁶²¹⁾، وبعد الاستقلال واصل التحصيل العلمي بنجاح إلى أن تخرج من الجامعة هو أصبح أستاذا في الثانوية⁽⁶²²⁾.

وصف الرواية:

بعد أن درسنا رواية الزلزال وقمنا بتحليل شخصياتها وجدنا أن رواية الزلزال تتميز بالوضوح والسهولة وتقدم لنا غرضا واحدا هو يمد من بداية الرواية إلى نهايتها، وكأنه حبل تعلق عليه القضايا المهمة التي يهدف الكاتب إلى تحليلها يقول الطاهر وطار في الصدد "في الزلزال لا أرى خطابا سياسيا ، إنما بلورة لعاطفة الإقطاع تجاه مدينة صغيرة وجميلة قسنطينة وأعالج من خلال ذلك الناس عالم الفلاحة والبطالة في عالم غير مصنع فالرواية تضم سبعة فصول منها أربعة فصول عن واقع المدينة بينما الباقي تشكل رموزا يختلط فيها الماضي بالحاضر والواقع بوهمي وخيالي"⁽⁶²³⁾ والجانب الأكبر الأساسي الذي يركز عليه الكاتب في هذه الرواية هو التغيير الذي لا يفارق صفحات الرواية من بدايتها إلى نهايتها.

وأیضا تقدم لنا رواية الزلزال حقبة من تاريخ الشعب الجزائري، ومحاولاته في نهضة المجتمع، وازدهار الأمة في جميع مناحي الحياة، ففيها قيم كثيرة أهمها القيمة الفنية والتاريخية، فالأولى تتجلى في أسلوب الرواية الجميل البديع الرائع، والثانية، فالرواية تعد

⁶²⁰ - رواية "الزلزال" ص 227

⁶²¹ - المصدر السابق: ص 224

⁶²² - المصدر السابق: ص 227

⁶²³ - الطاهر وطار، في حوار مع عبد العالي رزاق، مجلة الجيل، قبرص، العدد 4، أبريل 1988م

سجلا تاريخيا في مرحلة من مراحل تاريخ الشعب الجزائري، وطور من أطواره، وتعالج التحولات الزراعية التي حدثت في الجزائر لا بالشكل السياسي التهريجي المباشر ولكن بكل ما يمكن أن يمنحه الفن الاشتراكي من إمكانات فنية للتعبير التي تسهم في الكشف عن خلفية كل الصراعات الدائرة على الساحة كما هي تحاول أن تستوعب جماليا واقعه المتحرك بكل تناقضاته الثنوية والجوهريّة (624).

و من الملاحظ أن الكاتب أراد في هذه الرواية أن يصور الآثار التي خلفتها حرب التحرير الجزائري في المدن والأصوار ويكشف من خلال هذا الوصف الملح العميق للحياة الاجتماعية الحل الذي يترأى في إطار الإيديولوجية التي يؤمن بها وهي الأيدولوجية الاشتراكية التي لم يكن المجتمع الجزائري مستعدا لتقبلها والنضال تحت لوائها أثناء الثورة المسلحة، ويحس القارئ منذ الصفحات الأولى أن الطاهر وطار اعتمد على أن ظروف الجزائر كبلد تقدمي قام بثورة تحريرية تفرض على حكومتها أن تتخذ الرؤية الاشتراكية أساسا لسياستها الاقتصادية والاجتماعية (625).

من الملائم أن نذكر هنا أن الطاهر وطار قام بتجربة ثورية جيدة واستطاع أن يفتح مرحلة جديدة لتصوير الواقعية الاشتراكية في الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي مستفيدا من ثقافته التراثية الحديثة الجيدة ومن واقعه الذي يعيشه بعمقه بحكم عمله السياسي كمراقب في الحزب، وأيضا نجد أن الكاتب منذ الوهلة الأولى يلزمنا على الوقوف أمام شخصية إقطاعية غارقة في الهموم طبقية كثيرة، والواقع الاجتماعي كان أكبر منها لأنه كان نتاج الجماهير الكادحة والسلطة الوطنية، أما الثورة الزراعية التي يصورها الروائي هي الوجه المشرق لهذه النضالات التي قادها الفلاحون في الجزائر فالطاهر وطار من خلال رواية "الزلال" حاول أن يتناول أحلام الإقطاع وطموحاته التقليدية والبؤس الذي يخلفه الإقطاع في حياة المواطنين.

وإضافة إلى ذلك نرى أن روح الإحساس بالمساوية التي تغلب على ذهن بطل هذه الرواية من

624 - واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، 536
625 - الدكتور محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة، 76

بدايتها حتى نهايتها على سبيل المثال " الشعور بالزلال " و الدنيا التي تغيرت بشكل كبير " والكفر الذي انتشر بين الناس " والناس الذين نزلوا من طبقتهم و صعدوا إلى طبقة غيرهم " ولا شك في أن هذه المأساوية موجودة بشكل كبير و واضح في نهاية الرواية ورمزية هذه النهاية واضحة ومحاولة البطل الانتحار هي تعبير عن تصدع طبقة الإقطاع وتزلزل كيان أفرادها مع مجيء مشروع الثورة الزراعية التي رسمت خطوطها في الميثاق الوطني والدستور وبدأ تطبيقها رغم عراقيل الرجعية الاشتراكية الداخلية والخارجية التي تدافع عن نفسها .

وتثير رواية الزلال مسألة الإقطاع بأسلوب فني قلما استطاعت الرواية الجزائرية أن تتجاوزه حتى بعد السبعينات ونجح الكاتب الطاهر وطار في هذا المجال بسبب تكوينه التراثي الذي سمح له بالإطلاع على الأساليب العربية وانفتاحه على الثقافات، وإضافة إلى ذلك نرى أن الكاتب يقوم بأسلوب فني راق سلس في الرواية حتى يجعلنا أن نتبع الأحداث بشغف وشوق بل يجرفنا شيئاً فشيئاً إلى مشاركة الوجدانية. لذلك يحس القارئ بالشخصية تتسابق مع الزمن إذ يصبح القبض عليه والرغبة في توقيفه هاجس الشخصية (626).

أما من الناحية الفنية فيحس القارئ أن رواية الزلال هي تقترب من العمل المسرحي الكلاسيكي وتظهر كأنها تمثل مشهداً مسرحياً وتصور حالة الذعر التي تصيب بوالأرواح على أثر علمه بمشروع الثورة الزراعية ، كما قام الكاتب باستخدام أسلوب الارتداد إلى الماضي حيث يتذكر بطل الرواية صلته القديمة مع أقاربه و يناقش الماضي والحاضر ويتحدث عن نفسه وعن الآخر يقلب الأمور على كل مستوياتها ووجوهها ، علاوة على ذلك ركز المؤلف عنايته على المزج بين عنصر الصراع والحوار الداخلي والارتداد إلى الماضي، كما يقول الأستاذ إدريس بودية " إن الأبعاد الفنية التي حاولت رواية الزلال أن تنهض بها سواء على مستوى الشكل أو المضمون أو في نسيج علاقتها أو قدرتها على النقاط الأجواء من داخلها، تقوم عملياً بإرساء الدعائم الأولى لمظاهر التحول والتحليل في شكل السرد التقليدي للرواية

الكلاسيكية عند الطاهر وطار" (627).

ولكن بالرغم من كل ذلك لا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن الكاتب يركز عنايته الكاملة في هذه الرواية على الفكرة التي يريد أن ينقلها بكل وضوح ودون أي تصنع ، لذلك لا يهتم بالأسلوب واللغة حق الاهتمام، فيقول الأستاذ محمد مصايف في هذا الشأن : " إن الرسالة الاجتماعية التي يريد المؤلف أن ينهض بها هي التي تجعله يتجنب الأسلوب الرمزي ... وفي بعض الأحيان تحس كأن المؤلف لا يولي أي اهتمام لأسلوب واللغة وكأن الأمر الوحيد الذي يهمله هو الفكرة ... وعدم الاهتمام هذا لا يأتيه من ضعف في اللغة ، بل من موقف واع من قضية الفن وقد يعثر القارئ هنا وهناك على بعض الاستعمالات الخاطئة للغة" (628).

على كل حال، في نهاية المطاف لا بد لنا من الاعتراف أن رواية الزلزال مع بساطة الأسلوب وبعض الاستعمالات الخاطئة للغة لا تقل أهميتها على الإطلاق، بل يمتاز هذا العمل الأدبي بالوضوح والسهولة وسلامة التعبير والأسلوب الفني السلس الناعم، وبهذه الخصائص و الميزات احتلت رواية الزلزال مكانة مرموقة في قائمة الروايات العربية و تعتبر من أوائل الرواية الجزائرية التي كتبت باللغة العربية الفصحى في الجزائر.

⁶²⁷ - الأستاذ إدريس بوديبة " الرواية والبنية في روايات الطاهر وطار، 107
⁶²⁸ - الأستاذ محمد مصايف: الرواية الجزائرية الحديثة ، ص 85-86

رواية " عرس بغل "

رواية " عرس بغل " هي الرواية الثالثة للطاهر وطار الذي كتبها في عهد الثورة الزراعية والاشتراكية وتم تأليفها عام 1975م⁽⁶²⁹⁾ وصدرت عن دار ابن رشد في بيروت عام 1978م، هي تعالج قضية الفساد الذي كان منتشرا في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال ، والرواية تصور حياة المومسات العاهرات داخل مواخير الدعارة ، وتحاكي تفاصيل مجتمع احتلت فيه الرغبات الجنسية مكانة بارزة إلى حد أنها صارت وظيفة مهمة وبدأت تقام احتفالات ومراسيم لأجلها، فتحمل رواية " عرس بغل " في طياتها دراسة عميقة تحليلا اجتماعيا لأحوال المجتمع الجزائري بعد الاستقلال ويقدم الكاتب الطاهر وطار صورة الإنسان الذي يهرب من أعباء الحياة وصراعاتها ويشعر أن الاشتراكية هي الحل الوحيد للخروج من الأزمة وإلغاء الفساد من المجتمع الجزائري.

أحداث الرواية:

تبدأ الرواية بالشاب الزيتوني "الحاج كيان" الذي كان طالبا مجدا في جامع الزيتونية حيث تلقى دروس المتون وأصول العربية ومبادئ الإسلام والبلاغة والتجويد كما له شغف زائد بحركة الشعر وخاصة شعر المتنبي ، وحدث شيخ التوحيد عن حسن البناء وقال " حسن البناء أسس حزبا أساسه الكتاب والسنة والجهاد في سبيل الله حسن البناء ليس عالما دينيا غارقا في النظريات والتفاسير وإنما هو قائد ومعلم ومجاهد... أنه يبث دعوته في كل مكان يمكن أن يتجمهر فيه الناس ، والشيخ يقتحم دور البغاء ويبث الدعوة هنالك" ⁽⁶³⁰⁾.

فتأثر الحاج كيان بأفكار الأمام حسن البناء الشهيد (رحمه الله تعالى) "الذي هدى الله على يده أكثر من بغى"⁽⁶³¹⁾ وتوجه إلى أحد المواخير في منطقته وبدأ ممارسة نشاطه ويحاول " الحاج كيان " أن يغير ما يمكن تغييره وفق الطريق الصحيح بالخطب والمواعظ الدينية كما

⁶²⁹ - الطاهر وطار: رواية " عرس بغل " ص 139

⁶³⁰ - المصدر السابق: ص 23

⁶³¹ - المصدر السابق: ص 24

يخطب يوما" يا من هنا يا أماء الله، أيتها المسلمات تعالين أحدثكن أنا صوت الله أنا صوت الهدى والرشاد تعالين أفقهكن وأحدثكن حديثا جميلا.....يا أماء الله أيتها البيئات لا أتحدث إليكن بالصفة التي ينعتكن بها المجتمع عاهرات أو مومسات ، ولا بالصفة التي تشعرن بها في قرارة أنفسكن ، حقيرات ، أنا صوت الله صوت الإسلام صوت الإمام حسن ، أتحدث إليكن ، أولا وقبل كل شيء كمسلّمات " (632).

كانت هناك " عنابية " واحدة من العاملات في هذا الماخور التونسي فهي أمرت بحمل الواظ " الحاج كيان " إلى غرفتها حيث حكّت له ماذا حدث بها كما تقول " دخل السنجال المنزل ، حملوا أبي إلى الخارج ، كان يصرخ عادوا إلينا، وضعوا في عنقه حبلا حمله أحدهم بين يديه ربط الآخر الحبل بغصن التينة كانت رجلاه تتخبطان ، فإننا أمي وأبي وأنا نراه جميعا طفلا في الخامسة أو السادسة كان حبنا له أكبر منه مليون مرة. ظل يتدلى من التينة طوال الفترة التي كان السنجال يعتدون على وعلى أمي ، كانت الفترة طويلة كنت في الخامسة عشرة أغمي على ، استنقت وأغمي على ، عندما استنقت أخيرا لم أجد أحدا ، لبثت يوما وليلة لا أقوى على الحراك من مكاني كنت جائعة خائفة القوى وجائعة كانت الدماء حولي ولم يكن هناك أحد" (633) بعد ذلك بدأت رحلة العهر للعنابية في تونس وها هي الآن قد جاوزت الأربعين وتملك ماخورا حيث تعمل عشرون عاهرة.

وأیضا هناك توجد " حياة النفوس هي" من إحدى أجمل المومسات في الماخور كما تصف بها رواية عرس بغل " أن حياة النفوس ليست من جنس بني آدم ، وإنما هي ملاك خلق في السماء السابعة ونزل إلى الأرض ليضفي البهجة على النفوس" (634) هي لا تزال تذكر أباهما الذي سافر إلى فرنسا وتزوج امرأة ثانية وترك أمها وحيدة وأخاها المشلول الرجلين الذي يعيل أمها، فاضطرت الأم بأن تتزوج برجل آخر بغية حل مشكلة الجوع لكن سرعان ما يمل هذا الرجل وطلب من " حياة النفوس" أن تنام معه في الفراش بدلا من أمها إلا أنه يتركهما

632 - الطاهر وطار: رواية " عرس بغل" ص 34

633 - المصدر السابق: ص 43

634 - المصدر السابق: ص 90

ويبحث عن غيرهما لكن "حياة النفوس" تظل مصررة على رفضها إلى أن تغادر الدار وشرعت حياة جديدة في التسكع والتشرد حتى تقع في يد الشرطة ثم تقاد إلى الماخور. (635)

حينما يتعرف الحاج كيان على هذه الظروف الاجتماعية والأحوال السيئة التي دفعت المومسات والعاهرات إلى ممارسة البغاء كما ذكرت له "عنايية" وحياة النفوس وغيرهما من العاهرات فيقف أمامها عاجزاً، ويلجأ إلى عالم الأفكار والتصورات الباطنية ويدرك أن هؤلاء المومسات لسن بحاجة إلى المواعظ الحسنة والخطب الدينية والنصائح القيمة بأن الفساد لا يحتاج إلى مواعظ بل إلى عدالة اجتماعية، وأيضاً يقف "الحاج كيان" موقف الحائر حينما تقول له عنايية: "اسمع عندما تكون واقفاً في موضع على حافة جرف مثلاً ويهوي بك ذلك الجرف من تلوم؟ هل تلوم نفسك أو تلوم الجرف أو تلوم من جعله يهوي؟ ماذا تقرأ في جامع الزيتونية" (636) فسرعان ما يقع الحاج كيان في هوى "عنايية" وأصبحت باقي الغانيات مثل حياة النفوس ومثيلاتها بطلات في قصة حياته بدلاً من أن يكون هو بطل في قصة حياتهن.

وإضافة إلى ذلك لقي الحاج كيان "ابنة بلاده" المنفية داخل أحد المواخير، فاللقاء بينهما كان مسألة ضرورية بدافع الموانسة وطرح الغربة والتوحد، لأنه عاش الماضي بكل هزاته لذلك لا يرغب في عيش حاضره فقد تعود "الحاج كيان" أن يزور "ابنة بلاده" كما يقول "سأعود لزيارتها سأقهر الجميع "زمردة" و" العين الزرقاء" والإمام حسن وأبي الحسن الأشعري" (637) لكن بعد أسبوعين تم قتل "زمردة" و" العين الزرقاء" ولم يتعرف على القاتل إلا أن السلطة أقت القبض على "الحاج كيان" الطالب الزيتوني الذي ترك طربوشه وجبته وشيخ التجويد والإمام حسن ليصير هزياً (638)، وبدأ يتبادل العشق مع غادة جميلة في الماخور" (639).

635 - المصدر السابق: ص 115

636 - المصدر السابق: ص 46

637 - المصدر السابق: ص 47

638 - الهزي يقال في اللغة العامية الجزائرية من الذي يحترف عشق العاهرات أو يتعشق عاهرة من عاهرات الماخور، ويفرض عليها حمايته.

639 - الطاهر وطار: رواية " عرس بغل" ص 48

هكذا نفي " الحاج كيان " إلى سجن " كيان " فاسم الجزيرة في تونس بسبب التهمة التي لم يرتكبها وقضى أكثر من عشرين سنة في السجن مع الأشغال الشاقة ، وبعد عودة من السجن يشرع مباشرة في البحث عن العنابية حتى يجدها لكنها تغيرت إلى حد بعيد ، وقد جاوزت الأربعين و تملك ماخورا حيث تعمل عشرون عاهرة فيكرر الحاج كيان زيارته إلى ماخور العنابية واشتهر " بالحاج كيان" ، وتنتهي الرواية بانتصار مؤقت وغامض على الهزي " خاتم" الذي كان يود سرقة العنابية وكل المدعويين للعرس .

الشخصيات المحورية للرواية:

الحاج كيان: هو بطل الرواية ويعد من الشخصيات المركزية التي تدور حولها رواية " عرس بغل " حصل الحاج كيان على دروسه الابتدائية في جامع الزيتونية وله شغاف زائد بحركة الشعر وخاصة بشعر المتنبي ، يبدأ نهار " الحاج كيان " مبكرا فهو يستيقظ على الساعة الثالثة صباحا "يستيقظ من نومه ملتاعا، يضع جبته الزرقاء البالية على كتفيه وطربوشه الأحمر المتسخ على رأسه، يحمل إضبارته ، ويغادر المأوى الخيري منطلقا نحو جامع الزيتونة، وجد نفسه أخيرا في رحاب جامع الزيتونة الأعظم" (640) وبعد الوضوء والصلاة، يعكف "الحاج كيان" على ديوان المتنبي ويرتله ترتيلاً وكأنه كتاب مقدس" يتوقف عند قصيدة مرثية تدور حول أخت سيف الدولة، فيقرأها مرات عديدة، ومن هذه القراءة كان الشاب، يتعلّق بأخت سيف الدولة كأنه عشيق لها وصار يحبّها إلى درجات الهذيان، وصارت تحضر وترتسم أمام عينيه طابعة قبلات على جبينه (641).

ومن جانب آخر أعجب "الحاج كيان" بشخصية الإمام حسن البناء الشهيد وتوجه إلى أحد المواخير في منطقته للدعوة والإرشاد وأراد أن يغير حياة المومسات والعاهرات وفق الطريق الصحيح بالخطب والمواعظ الدينية فبدأ يخطب ويزور إليه حتى لقي ب" العنابية" و" حياة النفوس" وغيرهما من المومسات داخل الماخور وحينما سمع أحوالهن المؤلمة وتعرف على

640 - الطاهر وطار: رواية " عرس بغل " ص 23

641 - المصدر السابق: ص 23

الظروف الاجتماعية والأحوال السيئة التي دفعت المومسات والعاشرات إلى هذا المجال كما ذكرت له " عنابية" و حياة النفوس وغيرهما من العاهرات فتحرير الحاج كيان ووقف أمامها عاجزا ولجأ إلى عالم الأفكار والتصورات الباطنية.

هناك أدرك الحاج كيان بأن الفساد لا يحتاج إلى مواظب الحسنة والخطب الدينية والنصائح القيمة بل يحتاج إلى عدالة اجتماعية، فترك وجبته وشيخ التجويد والإمام حسن وأصبح عاشقا لعنابية (642) ويقول " فلا صلاة ولا زكاة ولا وعظ ولا إرشاد يؤثر في قلوب الجياع دينهم العدل " (643) ثم اتهم بتهمة القتل ونفي إلى سجن " كيان " في تونس حيث قضى أكثر من عشرين سنة ، وبعد عودته من السجن بحث عن العنابية التي كانت تملك ماخورا حيث تعمل عشرون عاهرة فألزم عليه زيارة الماخور حتى اشتهر " بالحاج كيان" ، يعد الحاج كيان من أهم شخوص الرواية وأكثرها قابلية على النمو لكن نموه هذا يتم وفق ظروف اجتماعية ونفيسة مختلطة الأنسجة لا يستطيع تجاوزها.

العنابية: هي صاحبة الماخور وامرأة متسلحة بجمال حاد تحمل الذاكرة المعذبة عبرأزمة البؤس والحرمان لجأت إلى الماخور هروبا من الواقع بعد أن قتل "السينجال" زوجها أمام أعينها ، مهتمة بشكلها الخارجي هي أبعد الحدود فهي تخاف الشيخوخة لذلك دائما تحاول أن تهتم أكثر بشكلها الخارجي ، اعتدي عليها وسنها لم يتجاوز الخامسة عشرة إبان الثورة الوطنية (644) وتعلقت " بالحاج كيان" وأحبته بكل أحاسيسها وجوارحها ثم تميل إلى أحد حراس الماخور هو بخاتم، إنها تشتغل بالزوار إلى الماخور الذين يأتون هذا المكان لشراء اللذة ، وتقول: " أنا في حاجة إلى نقود أكثر إلى مزيد من النقود لن تكفيني عشرون عاهرة، ولا عشرون بيتا، لن يكفيني سكان هذا البلد ولا جيشها ولا طلبتها، ولا عمالها" (645).

حياة النفوس: هي شخصية فعالة في الرواية امرأة جميلة تحتل في الرواية حيزا معتبرا لأنها

642 - الطاهر وطار: رواية " عرس بغل" ص 48

643 - المصدر السابق:ص، 108

644 - المصدر السابق: ص 43

645 - المصدر السابق: ص 60

تكون مصدر إعجاب الكثير من الرجال داخل الماخور وخارجه، ولدت في أسرة فقيرة وذاقت طعم الفاقة واليتم في صغر سنه ، تزوج أبوها وترك أمها التي اضطرت بأن تتزوج مع شخص آخر يعينها وابنتها على العيش لكنه طلب من " حياة النفوس " أن تنام معه إلا أنه يتركهما فرفضت حياة النفوس وفرت من البيت وبدأت حياة التشرذم حتى وقعت في يد الشرطة ثم لجأت إلى الماخور⁽⁶⁴⁶⁾.

خاتم الهزية: هذه شخصية ورثت من عائلتها البؤس والدمار حيث أبوه تزوج من امرأة ثانية على أمه وأخوه الكبير قتل في الحرب ، كان يشتغل في مرسيليا ويتمتع بالقوة العضلية التي جعلته ماهرا في فن القتال والمشاجرة فوجد في الماخور مكانا مناسباً لإظهار قوته العضلية، حيث يقع الصراع بينه وبين حمود الجيدوكا لأجل التملك ثم هو اصطدم بالفلاح وانهزم وفي الأخير تعرف الحاج كيان على أن "خاتم النبوة " حاول أن يسرق من الأموال التي جمعت في اليومين الأولين من عرس بغل⁽⁶⁴⁷⁾.

حمود الجيدوكا:

هو رجل كريم صاحب طيب القلب،⁽⁶⁴⁸⁾ وقع في حب امرأة داخل أحد المواخير وأراد أن يتزوجها ويخرجها من فضاء الماخور، لكنها ترفض وتخاف مواجهة الحياة وتظل مصرة على موقفها حتى وقعت بينهما مشاجرة وامتد حمود الجيدوكا يده إليها فوقعت امرأة على رأسها وماتت، جاءت الشرطة وقبضت عليه حتى حكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة بجريمة لم يرتكبها ف قضى أكثر من نصف حياته في السجن وبعد إطلاق سراحه دخل ماخور العنابية بكل ثقله⁽⁶⁴⁹⁾.

هذه هي الشخصيات المركزية التي قد لعبت دورا كبيرا في تشكيل الرواية وارتكز عليها البناء

⁶⁴⁶ - الطاهر وطار: رواية " عرس بغل " ص 115

⁶⁴⁷ - المصدر السابق: ص 139

⁶⁴⁸ - المصدر السابق: ص 108

⁶⁴⁹ - المصدر السابق: ص 79

الدرامي لرواية "عرس بغل" وإضافة إلى ذلك توجد بعض شخصيات أخرى في الرواية لكنها تقل حضورها على البساط السردى منها الفلاح و الوهرانية وعليجة .

وصف الرواية :

على كل حال فاتضحت لنا من شخصيات رواية "عرس بغل" أن بطل الرواية "الحاج كيان" هو مجرد سجين يحمل على جبهته خاتم الظلم الاجتماعي، وأما العنابية فهي ليست إلا امرأة مهمومة تتبع الأسرة للزبائن خوفا من الفاقة، و"حمود الجيدوكا" مع مهارته وعقله أنه إنسان فاشل، وأما خاتم النبوة فهو وجه للظلم والتمرد على القوانين الوضعية حتى اسمه يحمل دلالات اجتماعية معينة، وحياة النفوس ليست سوى آلة رخيصة تباع بالتقسيت ويستخدمها من يشاء، كما هي تقول: "لقد رقصت أكثر من مائة مرة منذ بداية العروس لم تكن تتعب على كل حال، ذلك أنها لا تطيل، ولكن الرقص إلى جانب استقبال الطابور الواقف عند الباب شيء مريع. استقبلت أكثر من مائتي رجل شيء فظيع لم يحدث في تاريخ امرأة قط"⁽⁶⁵⁰⁾.

وأيا يبدو لنا من خلال هذا السرد أن الكاتب حاول أن يضع الموروث الديني المتشدد في مواجهة مع الظروف المعيشية الشاقة التي كان يعانيها منها الشعب الجزائري بعد الاستقلال وهذه الظروف تفرض عليه طريق الفساد و يؤكد خلال شخصية بطل الرواية بتلاشي الأفكار الدينية المتطرفة والضيقة، ومن هنا نرى أن الكاتب قد أشار إلى ضرورة نظام اجتماعي عادل أو على حد تعبيره قرمطة المجتمع⁽⁶⁵¹⁾ "فلا صلاة ولا زكاة ولا وعظ ولا إرشاد يؤثر في قلوب الجياع"⁽⁶⁵²⁾ فالنظام الفاسد عند الكاتب لا تصلحه المواعظ الدينية بل المجتمع الجزائري يحتاج إلى تطبيق نظام عادل.

علاوة على ذلك قد عمدت الرواية إلى رسم هوية ثقافية ارتبطت باجتهادات في الوعي

⁶⁵⁰ - رواية " عرس بغل" ص 138
⁶⁵¹ - تقوم النظرية القرمطية على أنه لا حاجة للناس في المال لأن الأرض هي لهم تعميما لا تخصيصا وكان هدف هذه النظرية إلغاء نظام الوراثة بين الأفراد (طه الولي: القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام)

⁶⁵² - رواية " عرس بغل" ص، 108

الجمالي و استطاعت أن تحقق تراكمات مهمة انتحت شكلا روائيا، كما نجد أن الإيديولوجي يشتغل في الرواية بالتكليف وخصوصا مع ثلاثة عناصر وهي : الذات والمجتمع والتاريخ ، وأيضا يقدم لنا الكاتب في رواية عرس بغل بصورة "الحاج كيان " شخصية دينية مخالفة لتلك الشخصيات الدينية التي وظفها الطاهر وطار في روايات "اللاز" و"العشق والموت في الزمن الحراشي" و"الزلزال"، فهي مختلفة في طباعها، وأهدافها، وحتى في نموها داخل النص.

يتناول الروائي الطاهر وطار في رواية عرس بغل مسألة تاريخية حساسية في تاريخ المجتمع الجزائري ويتمثل في فلسفة قراءة التاريخ في كيفية السبيل لجعل الماضي أداة حاسمة لقراءة الذات الممتدة في صراع مريز بين التاريخ كتصور والتاريخ كمواقف حاضرة، فهذه الرواية تتعامل مع التاريخ بوصفه جزء من وعي الشخصيات وخاصة بشخصية الحاج كيان الذي قرأ من خلاله الكاتب معنى التاريخ⁽⁶⁵³⁾، لكن مع كل ذلك نجد أن الطاهر وطار لا يعتمد على تفاصيل الحوادث التاريخية التي تزخر بها كتب التاريخ حول الحكم العباسي وثورة القرامطة و الزنج ولكنه انتقى منها ما يخدم مسار الرواية مستندا إلى لغته الخاصة ومبتعدا من زماننا وأبعدها عن زمن بعض الوقائع⁽⁶⁵⁴⁾.

أما لغة الرواية فهي تتصف بالتعدد والتنوع معجما وتركيبا ودلالة وقالبا أدبيا وبتعدد هذه اللغات تتنوع وسائل الأداء الأسلوبي ، فاستخدم الطاهر وطار في رواية عرس بغل أسلوب الخاص إلى العام فالماخور ليس سوى الجزائر التي عرفت في الفساد بعد الاستقلال و المومسات لسن سوى المؤسسات الجزائرية التي ألتمت بها ظروف اقتصادية سيئة بعد الاستقلال استلزمت عليها الانجراف في تيار الفساد⁽⁶⁵⁵⁾ ويقول المؤلف الطاهر وطار: " في عرس بغل لجأت إلى الرمز أو إلى المعادل الفني لواقع لا يمكن أن أعبر عنه إلا بهذا الأسلوب ، أردت أن أقول أن ما يجري في العالم على يد البورجوازية الصغيرة من ثورات ليس سوى

⁶⁵³ - عبد الرزاق بن دحمان: الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 92

⁶⁵⁴ - غنية سيد عثمان : هكذا تكلم الطاهر وطار، 564

⁶⁵⁵ - سلمى محمود : الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 67

عرس بغل عقيم ، الفائدة منه إقامة العرس وليس الزواج" (656).

ومن جانب آخر نرى أن الكاتب استخدم الأساليب الشعرية على مستوى بعض العبارات بحيث يتم إغراق ما هو تاريخي فيما هو شعري كما جاء في الفقرة " كم غيمة طافت وطافت ثم حلالها أن تنزل غيثا ، كم من رياح هبوب حملت السحساح ، كم من رعد واعد ، ومن برق صادق ، كم جلبت ربوتنا إليها وكم جلبت مع ذلك لما ينبت بها عشب" (657) ، وأيضا نجد أن اللغة الصوفية المكثفة تتداخل في ثنايا السرد عبر الشطحات العديدة للحاج كيان" أنت ذرة لا ترى بالمجهر، في هذا الهيكل الضخم الذي يسد كل الفراغ وأنت كل هذا الهيكل ما دمت لا تحدد موضعه منك فأنت هو وهو أنت، أنت الجبة ، والجبة أنت ، ما دمت لا تتحرر منه فأنت لا شيء بالنسبة إليه" (658).

من الملائم أن نذكر هنا أن رواية عرس بغل تتميز باهتمام النقاد بها مما زاد من قيمتها، وذلك نتيجة ابتعادها من تناول الأطروحي، والانزياح عن الموضوعات والأساليب السائدة، وباعتمادها على فضاء دينامي ذي انسجام تكويني ووظيفي، كما يقول الأستاذ واسيني الأعرج: " فقد استطاع الطاهر وطار في عرس بغل أن يخطو خطوة جديدة وجدية نحو ترصد هموم الجماهير الواسعة والعريضة والحديث إلى حد كبير بلغتها المبسطة والإيحائية واعتماد تراثها وتاريخها الفكري الايجابي والتنقيب داخل الفولكلور والأدب الشعبي عن أدق اللحظات تعبيراً عن الهم الاجتماعي الإنساني ليلبغ الذروة مع الأغنية الشعبية" (659)، ويكتب الأستاذ عبد الرزاق بن دحمان " تصور رواية عرس بغل مشهدا مكثفا من الأفكار والمواقف والسلوكات لشريحة من المجتمع الجزائري داخل "الماخور" متواجد في إحدى المدن وبداخله تدور القصص وتجتمع الأحوال وتتصارع الأفكار" (660).

⁶⁵⁶ - الطاهر وطار: في حوار مع زعتر جمال ، جريدة الجمهورية الأسبوعية ، وهران، 27، سبتمبر 1989، العدد 23، ص 23

⁶⁵⁷ - رواية عرس بغل: ص 76

⁶⁵⁸ - المصدر السابق: ص 9

⁶⁵⁹ - الأستاذ واسيني الأعرج: الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية، ص 114

⁶⁶⁰ - عبد الرزاق بن دحمان: المرجع السابق، ص 88

ويتحدث الكاتب الطاهر وطار عن هذه الرواية كما يلي " إن رواية " عرس بغل " أعراس البورجوازية الوطنية عندما تثور على الإقطاع باسم الطبقة العاملة هذه ثورة عميقة بدون دوافع فقط إحسان وتبني وليست دوافع طبيعية ، هي أعراس ثورة البورجوازية الصغيرة الاجتماعية والاقتصادية فمن أجل أن تستعيد العنابية أموالها تختن أولاد الفقراء ، هناك خلفية مزيفة تماما ، الحاج كيان تحيل على العنابية لكي يأخذ منها أموالا يسلمها للفقراء " (661).

رواية " الحوات والقصر "

رواية " الحوات والقصر " هي الرواية الرابعة التي كتبها الطاهر وطار عام 1974م (662) ويعود تاريخ صدورها إلى عام 1980م. هذه الرواية الشهيرة تتناول العقلية الشعبية والموروث الثقافي والتراث العربي في شتى مشاربه واتجاهاته المتباينة وتعد من أبرز الروايات التي كتبت حول التعامل مع السلطة لأنها تحل مباشرة طبيعة السلطة وتصدر عليها حكما (663)، فهي تختلف عن سابقتها حيث أنها خرجت بموضوعها من الإقليمية المحلية إلى الإنسانية العامة والموضوع الذي تعالجه هذه الرواية هو تحسيس الجماهير لكي تثور على الظلم والطغيان والعنف، و فهي تتناول طبيعة الصراع على السلطة وتمثل نموذجا سرديا يجسد مسعى كاتبها الهادف إلى الاستفادة من التراث وكيفية التعامل معه، ويحاول الكاتب الطاهر وطار من خلال هذه الرواية أن يبعث روح الكتابة الروائية التي تستلهم التاريخ والتراث العام، ويأخذ حضورا وموقعا خاصا عبر معظم تجليات الخطاب الروائي.

تدور أحداث الرواية حول شخصية " علي الحوات " الرجل الطيب الصالح الشجاع الذي يقوم بصياد السمك ويفيض قلبه حبا وخيرا ، فيقول الروائي الطاهر وطار إن " علي الحوات الشاب الطيب الذي شذ عن أخوته الثلاثة وعن كثير من أقاربه فابتعد عن طريق الضلالة، لم يسرق يوما ولم يكذب مرة و لم يتعد على أحد ، ولم يقذف في عرض، أو يتعرض بسوء لغيره " (664) كما أنه لم يتدخل في شؤون السلطة السياسية ولم يخرج من قريته ليتعرف على أهالي القرى المجاورة ، و علي الحوات كان من أصغر إخوته الثلاثة وهم سعد ومسعود وجابر الذين كانوا مشهورين بارتكاب الشر والظلم والجرائم ، أما مدينته فهي كانت مؤلفة من سبع قرى وكل واحدة منها تحمل اسما يدل على سياستها وموقفها ومن القرى السبع " التحفظ " و " الحظة " و " التصوف " و " أنصار الظلام " و " الأعداء " و " الأبأة " و " بني هرار " ويمسك بزمام أمور هذه القرى السلطان المجهول لا نجد تفصيله في الرواية.

662 - الطاهر وطار: رواية " الحوات والقصر " ص 3
 663 - بشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية ، ص 21
 664 - الطاهر وطار: رواية " الحوات والقصر " ص 4

تبدأ الرواية عندما يسمع " علي الحوات " بنجاة السلطان من محاولة اغتيال حين كان يتجول في الغابة " في اليوم الثامن من رحلة جلالته، تصدى له مجهولون قتل إنهم كمنوا وقيل إنهم هاجموا في المخيم مع طلوع الشمس، مات عدد كبير من حراسه وبعض أفراد حاشيته الحاجب ورئيس الحرس وكبير المستشارين اقترب المهاجمون من خيمة جلالته يهتفون بسقوطه وبموته ولم يبق بينهم وبينه إلا عدة أمتار في تلك الأثناء فبرز ثلاثة فرسان ملثمون، يهتفون بحياة جلالته وبسقوط أعدائه، ويُعملون السيف في رقاب المهاجمين الذين لم يلبثوا أن ولّوا هاربين وفي الحين تولى الفرسان الثلاثة مناصب الحجابة ورئاسة الحراسة والاستشارة وعاد الموكب إلى القصر " (665).

فهناك نُذر " علي الحوات " أن يصطاد أحسن سمكة ليهدئها إلى السلطان احتفاءً بنجاته، وبعد عدة أيام " علي الحوات " اصطاد سمكة تزن سبعين رطلا، لم ير أحد مثلها في الوادي منذ جرى الماء فيه" (666) فيقرر علي الحوات أن يبدأ رحلته نحو القصر داخل القرى السبع التي تفصل علي الحوات عن القصر وأيضا هذا الطريق كان أقصر من الطريق الآخر الذي يذهب إلى القصر، فقام برحلته انطلاقاً من قريته " التحفظ " هي القرية الأولى وموطن علي الحوات و أهل هذه القرية أصر على عدم التدخل في شؤون القصر فهم لا يتقدمون إلى السلطان بالشكاوى ولا يتقربون إليه بالهدايا .

ثم دخل " علي الحوات " القرية الثانية هي قرية "الاحتجاجات " و انتشرت أخبار علي الحوات في كامل القرى السبع الواقعة في طريق القصر وما أن دخل القرية الثانية حتى استقبلته جماهير غفيرة وتتطلع إلى السمكة المتدثرة في الرداء(667) ولكن بالرغم من كل ذلك لم تتحمس هذه القرية لفكرة علي الحوات ولم تقدم له شيئاً من الهدايا للسلطان إلا رجل شاب قدم هدية وقال " الفرصة ثمينة وسمكتك أثمن، وليست كل الرعية علي الحوات يكفينا علي الحوات واحد ، وتكفينا سمكة واحدة من وادي الأبار فكن سفيرنا لدى جلالته يا علي الحوات،

665 - الطاهر وطار: رواية " الحوات والقصر " ص2-3

666 - المصدر السابق " ص7

667 - المصدر السابق " ص13

وهذا ما أنا فاعل ، إنما أعلن بكل طيبة قلب، عن ابتهاج الرعية بنجاة جلالته من كيد العداء" (668).

ثم انتقل علي الحوات إلى القرية الثالثة وهي قرية "التساؤلات" حيث أنه استقبل في مدخل القرية بهتافات الأطفال و كان الناس يقفون على طول الشارع في صفين، صف للرجال، وصف للنساء، فظن على الحوات ولعل هذه القرية تخالف غيرها من القرى، لكن خاب ظنه لأن أهلها ما قدموا شيئاً ، وكان هدفهم الوحيد هو معرفة السمكة العجيبة " أيها الناس لن أطرح عليكم السؤال الذي طرحته في القرية السابقة، لقد سألتهم ما إذا كانت لديهم رسائل ولاء، وهدايا ود، فرفعوا أيديهم برقاع التظلمات والشكاوى" (669).

ثم قصد " علي الحوات " القرية الرابعة في طريق القصر وهي قرية بني هرار التي اشتهر أهلها بشروورها وعدوانيتها ونصح الناس علي الحوات أن لا يمر بها إذ " لا فائدة من التوقف في هذه القرية أو من توجيه السؤال لأي أحد ، أنهم كلهم في هذه القرية مصابون بعاهة الشر، يأكلون ولا يشبعون ، يتحدثون ولا يسمعون ، يأتون المنكر ولا ينهاون عنه" وأيضا "... يا علي الحوات إن كنت جادا في طريقك إلى القصر، وإن كنت مخلصا لجلالته ومواليا له حقا ، فلا تدخل قرية بني هرار "....." قد يأكلون سمكتك نيئة كالكلاب، قد يأكلونك أنت، قد يفحش صبيانهم في سمكتك قد يفحش شيوخهم فيك على مرأى من نسائهم وبناتهم" (670) ولكنه عزم أن يعبر هذه القرية فمر على الحوات على قرية بني هرار، ولم يصبه لا هو ولا سمكته أي أذى.

والقرية الخامسة التي كانت في طريق القصر هي قرية "التصوف" التي تعرضت كثيرا لغزو الأعداء وآخر غزوة لم يمر عليها شهر. هاجمها في رابعة النهار ألف فارس وفارس، كتفوا الرجال بأسلاك نحاسية وهجموا على النساء، اقتضوا جميع الأبقار، ولم تنج سوى

668 - المصدر السابق " ص13

669 - المصدر السابق " ص16

670 - المصدر السابق " ص19

عذراء واحدة، أطلق عليها من يومها اسم العذراء،" من يومها قرر المتصوفون أن تفتض بكاره كل وليدة، من طرف الشيخ الملتحي، قبل أن تبلغ أربعة أسابيع" (671) قال لهم علي الحوات أنا متجه إلى قصر جلالته أحمل له هذه السمكة، نذرا له على نجاته، وأدعوكم لأن تقدموا له الهدايا وقرابين الولاء والمحبة، فأجاب سكان القرية " نحن فقراء يا علي الحوات قريننا هذه قرية تصوف وعبادة.. أثنى ما نملكه هو عذراؤنا هذه، ونحن نقدمها هدية لك.. يا سيدنا يا علي الحوات، يا حبيب الله، تقبل منا هديتنا لك هذه العذراء الطاهرة النفس" (672).

أما القرية السادسة التي كانت في طريق القصر فهي قرية " الحظة" أقرب القرى إلى القصر لولائها وطاعتها فكل نساءها هن جواري للسلطان وأن حكيم القرية قد أعطى لرجالها عقارا أفقدوا رجولتهم وأصبحوا مخصيين، وعندما طلب علي الحوات منهم هدية لجلالته، فاخبروه "اعلم يا علي الحوات، إننا ما أن تقربنا من القصر بجارتنا الحظية، حتى تقربنا بكل حلائنا وبناتنا جواري لمباحات للسلطان ولحاشيته ولفرسانه ولحرسه. ولنقيم الدليل على إخلاصنا في ذلك، اقسمننا، على أن الأنثى في قريننا لن توطأ من رجال منا، ولنثبت صحة ذلك. حكمنا على كل رجل فينا بالخصى، نعم بالخصى....أوجد لنا حكيمنا عقارا ما أن يشربه ذكر حتى يصير خصيا، دون أن يعتريه أي ألم، وما أن تشربه أنثى حتى تهتاج أنوثتها، وتصبح للذكر، فلا تبرد إلا بالوطء أو بامتصاص الدم، ونهش اللحم النيئ" (673).

والقرية السابعة الأخيرة التي كانت في طريق القصر اسمها قرية " الأعداء" أقرب القرى إلى القصر باعتبار المسافة، وتتميز هذه القرية بمواقفها الصلبة المعادية للقصر لأنها تعرف بكثير من شؤونها كما هي على خلاف كبير مع القرية السادسة الموالية لجلالته باعتبار أن جارتها لدى السلطان والسلطانة، بالرغم من كل ذلك استقبل سكان القرية السابعة " علي الحوات" بلطف وحفاوة واقتادوه إلى مقر الضيافة وأحسنوا استقباله وأهدوه جوادا وبغلة ليحمل سمكته ويكمل طريقته، فيقول علي الحوات " المسافة بي قرية الأعداء وبين القصر، ليست

671 - الطاهر وطار: رواية " الحوات والقصر" ص25

672 - المصدر السابق" ص23

673 - المصدر السابق" ص23

بالبعيدة، والجواد الذي أعاره رئيس الأعداء لعلي الحوات من أحسن الجياد، كذلك البغلة، فوصل إلى القصر قبل الزوال" (674).

وبعد مسيرة ثلاثة أيام والتعرف على القرى السبع والتحاور مع أهلها يصل علي الحوات إلى القصر لكن عليه أن يمر على مراكز الحراسة السبعة فقطع مسافة قصيرة، حتى بدأت بعض مشاكل تعترضه استوقفه الحراس في المركز الأول، وطلبوا تفتيشه، " ثم راحوا يتبادلون نظرات غريبة، مع بعضهم ومعه وبعد وقت قصير سأله رئيس الحراس هذه هدية القصر، وأين هديتنا نحن؟ أعتقد أننا نسمح لك بالمرور بهذه البساطة" (675).

وأخيرا يصل علي الحوات بصعوبة إلى المركز السابع لكن هناك أصابته سيئة فوجد مغشيا في قرية التحفظ ويده اليمنى كانت مقطوعة فانتشر الخبر بين كافة الرعية، أن علي الحوات عوقب بدل أن يجازى استقبال المتصوفون علي الحوات استقبالا حزيناً يليق بالخيبة التي عاد بها، فكانوا يندبون وينوحون ويطلبون من العذراء أن تذرف من الدموع ما يليق بالحزن الكبير وبين الحين والآخر، تصدر عن أحدهم عبارة مواساة، لكن بالرغم من كل ذلك عزم علي الحوات أن سيعود ويحمل لجلالته سمكة بعد اصطادها بيده اليسرى كما يقول " أيها الأصدقاء، سأعود إلى القصر وسأرى جلالته هذه المرة، وسأقدم له نذري، سيفرح وسأحدثه فيما يأبى الأعداء أن يعلم" (676).

فاصطاد علي الحوات بيده اليسرى سمكة ثانية تشبه الأولى في سحرها وجمالها وقرر في ذات الوقت أن يجمع بعض الذهب ليقدمه لحراس المراكز حتى يسهل عليه الوصول بسرعة إلى السلطان، لكن من الأسف في هذه المرة أيضا لم يتمكن من مقابلة السلطان ووجد مرميا في قرية " الحظة" مقطوع اليد اليسرى، لكن مع كل ذلك أراد علي الحوات أن يصطاد سمكة في غاية الروعة والجمال ويقدمها إلى السلطان ، وفي المرة الثالثة قام سكان القرى السبع بتشكيل

674 - الطاهر وطار: رواية " الحوات والقصر" ص39

675 - المصدر السابق" ص40

676 - المصدر السابق" ص44

وفد يتكون من سبعة أعضاء لكن مكان الحراسة الأولى لم يفسح الإذن بالدخول سوى لعلّي الحوات فذهب إلى القصر وبقى الأعضاء منتظرين خارج القصر لكن عند اقتراب الغروب جاء حارس من قرية الأعداء وأخبرهم أن علي الحوات وجد مرميا ملطخا بالدماء ومقطوع اللسان ، فتيقن الجميع أن إخوته الثلاثة هم الذين يسيطرون على القصر ويقومون بهذه الأعمال الشريرة .

وبعد الشفاء ذهب " علي الحوات " إلى القصر ووصل إلى البيت الخاص بالسلطان دون أن يستوقفه حراس المراكز السبعة ، وهناك بدأ يسمع أصواتا دون أن يرى أشخاصا وهي أصوات لإخوته الثلاثة الذين قتلوا السلطان واحتلوا مكانه فأمروا الحراس بأن يطمسوا عينه ويرموه في مكان مجهول ، فانتشر الخبر بسرعة وتتحرك جميع القرى لأنها تريد أن علي الحوات يكون ملكا وسلطانا لها، هناك قرر سكان القرى السبع الثورة ضد القصر فهجموا على القصر و دكوا أسواره ، واكتشفوا الحقيقة أنهم الذين قاموا بالانقلاب هم " إخوة الثلاثة لعلّي الحوات المجرمون السفاحون لقد اعترفوا في الساحة وكشفوا عن سرائرهم الخبيثة هذا هو العرش إذن" (677).

هكذا رواية الحوات والقصر تنتهي على العبارة التالية " والمهم، في كل حكاية علي الحوات و المهم أكثر من أي شيء، أن الحقيقة تجلت، وأن أعداء علي الحوات لم يستطيعوا أن يمنعوه من التعبير عن الخير الذي جاء بسم العصر به" (678).

الشخصيات الرئيسية لرواية " الحوات والقصر "

"علي الحوات" : يعد من أهم الشخصيات لهذه الرواية حيث تدور حوله أحوال الرواية هو الرجل الساذج والطيب والبسيط الذي لا هم له إلا التقرب من السلطان والتعبير له عن الولاء المطلق والعبودية الكاملة وهي الشخصية بحضورها ومواكبتها لحركة السرد الروائي

677 - الطاهر وطار: رواية " الحوات والقصر" ص86
678 - المصدر السابق" ص86

يتمتع بعدة فضائل وصفات أخلاقية فمنذ الصغر "شد عن أخوته الثلاثة، وعن كثير من أقاربه فابتعد عن طريق الضلالة لم يسرق يوماً ولم يكذب مرة و لم يتعد على أحد. لم يثلب في عرض أو يتعرض بسوء لغيره ،كان مثال الشباب المستقيم، ولع بالصيد منذ صباه فلم يكن يفارق الوادي، يحمل قصبته وعدته على كتفه، ويتسرب مع الشعاب قبل طلوع الشمس، ولا يعود إلا بعد غروبها وأحياناً كثيرة يببب هناك " (679).

ومن جانب آخر أنه كان طيب النفس يوزع سمكه الذي اصطاده مجاناً على جميع الناس ، فكلما عاد بكيسين كبيرين من السمك يفتحهما في ساحة القرية، ووقف بينهما مزهواً و حينما يمر به أحد أو اقترب منه سأله عن عدد أفراد أسرته وأعطاه مقداراً من السمك، وذات مرة حاول أحدهم أن يدفع له نقوداً فغضب وانتزع منه السمكات وقال " الزيت من الزيتون والحوت من البحر، ولا حاجة لنقودكم" (680) فهذه الصفات الفردية يمتاز " علي الحوات" من الشخصيات الروائية الأخرى ولعل إصرار الروائي على صفات الكرم والصدق والوفاء والشجاعة تلميح وإشارة للقاري إلى بأن شخصية " علي الحوات " هي الشخصية الوحيدة المؤهلة للقيام بمهمة كشف الحقيقة وجمع شمل شتات القرى السبع التي كانت غارقة في مشاكلها وتعرضها للظلم وغارات حراس القصر.

وعلى الرغم من كل ذلك نرى أن بطل الرواية " علي الحوات " أراد أن يقدم نذره خالصة من كل الأطماع عبر مسيرته الشاقة التي تكون من أقرب الانتحار البطيء ، فقد كان يفقد في كل رحلة عضواً من أعضائه لكن هذا لا يمنعه من عزمه فاستطاع أن يكسر الصمت وحاول أن يضع حداً للإشاعات الرائجة حول مصير السلطان ويمر على القرى السبع ويتعرف على أخبارها وأحوالها إلى أن يتمكن في الأخير من تأليف القلوب وتحقيق التضامن بين القرى التي تتور ضد القصر مع أنها قبل ذلك منعزلة عن الأخرى ، فبدأت بوادر التضامن الأولى بوصول الوفد الطبي من قرية الأبوة لعلاج عيون المتصوفين ومن هنا بدأ التعاون الاجتماعي

679 - الطاهر وطار: رواية " الحوات والقصر " ص4

680 - المصدر السابق " ص4

والسياسي بين القرى السبع⁽⁶⁸¹⁾.

العذراء: هذه الشخصية تظهر في الفصل التاسع حين قدمها شيخ قرية التصوف هدية لعلي الحوات قائلاً "يا سيدنا يا " علي الحوات" تقبل منا هديتنا لك هذه العذراء الطاهرة النفس"⁽⁶⁸²⁾، و"العذراء" الوحيدة التي استطاعت أن تتخفى من براثن الفرسان الذين اقتضوا جميع الأ Bakar لقرية التصوف فأطلق عليها من يومها اسم العذراء، فهي تصاحب علي الحوات في رحلته إلى القصر وتسعفه وتواسيه في محنته وآلامه إذ هي تقول "يا علي الحوات، يا زوجي العزيز، ويا سيدي ومولاي، هل لي أن أسألك، لم لا تترك أمر القصر والسلطان جانبا، مثلما فعل أهل قريتك، ويفعل أهل القرى السبع"⁽⁶⁸³⁾ هذه هي الشخصيات المختلفة التي قد نهضت أحداث الرواية على كواهلها في أدوارها وأفعالها وتأثيرها.

ومن الشخصيات التي تحمل بكل معاني النفاق والانتهازية و كل أشكال الخداع والمكر هي شخصية "جابر" و"مسعود" و"سعد" هؤلاء إخوة علي الحوات، المجرمون السفاحون"⁽⁶⁸⁴⁾، كانوا مشهورين بارتكاب الشر والظلم والجرائم ويرمز الكاتب الطاهر وطار إليهم للشر والفساد فهم مولعون بارتكاب الآثام والجرائم واعتدوا على السكان الأمنيين وقاموا بقلب نظام الحكم واغتصبوا السلطان والحكومة ثم قتلوا واحتلوا مكانه، ومن جانب آخر قطعوا اليد اليمنى واليسرى واللسان لعلي الحوات كما يقول " وهم من كبار اللصوص القتلة عاقبوني شر عقاب، نزعوا عنى صفتي كحوات بقطع يدي ونزعوا منى صفتي كانسان بقطع لساني"⁽⁶⁸⁵⁾ وفي نهاية الرواية أمروا الحراس بأن يطمسوا عينه ويرموه في مكان مجهول.

وأیضا من الشخصيات الأخرى حراس المراكز السبعة الذين كانوا يستقبلون علي الحوات، وفي الرحلة الأولى سأله رئيس الحراس، "هذه هدية القصر، وأين هديتنا نحن؟ أتعقد أننا نسمح

⁶⁸¹ - إدريس بوديبة : الروية والنبية في روايات الطاهر وطاهر، ص 231

⁶⁸² - الطاهر وطار: رواية " الحوات والقصر" ص 22

⁶⁸³ - المصدر السابق: ص 50

⁶⁸⁴ - المصدر السابق: ص 81

⁶⁸⁵ - المصدر السابق: ص 80

لك بالمرور بهذه البساطة" (686)..... وفي المركز الثاني تركوه ينتظر وقتاً أطول، قبل أن يتحدثوا إليه كانوا يقولون فيما بينهم، وبأصوات مرتفعة، كيف يجوز أن يمر أحد بطريق القصر دون أن يحمل هدايا لرؤساء مراكز إذا قدر لهذا الغبي، أن يصل إلى القصر وأن ينال مكافأة على هديته، فعليه أن يقسم المكافأة بالتساوي على كل رؤساء مراكز الحراسة وإلا عرض نفسه للهلاك" (687).

أما حضور "السلطان" على البساط السردي فهو خفي بل ناب عنه الشخص في الكشف عن أعماله وما وصلنا عنه أنه نجا من عملية اغتيال بغاية الوعول ومنذ ذلك الوقت لا يعلم أحد شيئاً عنه ، وزوجته السلطانة هي تعيش شذوذاً جنسياً وهي خنثي " أصيبت بالتحول بعد سنة من زواج جلالته بها جعلتها كثرة الجواري التي تطوف بها تتعرض لعملية التحول ، لقد صارت الملكة تطلب الجواري أكثر من جلالته حتى امتلأ القصر ، كما أنها صارت تعترض على خصي الغلمان" (688).

وبالإضافة إلى ذلك نرى أن الكاتب الطاهر وطار قد استعان بعدة شخص ليحملها بعض الأدوار السياسية والاجتماعية ويظهر ذلك خاصة في شخصية الفرسان المثلثين ورؤساء القرى والحواتين والعدراء وهذه الشخصيات التي قامت بدور محدد في الرواية وظهرت على بساط السرد حسب الوحدات السردية ، والحواتون لم يظهروا سوى في الفصل الأول من الرواية حين دار بينهم حوار حول المؤامرة المحاكمة لاغتيال السلطان (689).

وصف الرواية:

يتجلى لنا مما سبق أن أكثر ما يلفت الانتباه في هذه الرواية هو فضاء المكان المثقل بالإيحاء، حيث قسم هذا الفضاء إلى سبعة قرى، كل واحدة منها عبارة عن كيان سياسي

686 - الطاهر وطار: رواية " الحوات والقصر" ص 40

687 - المصدر السابق: ص 40-41

688 - المصدر السابق: ص 27

689 - المصدر السابق: ص 1

وثقافي مغلق ومتفرد عن بقية العالم، وهو التقسيم الذي يحوي مضامين سياسية، فمن قرية التحفظ إلى قرية الإباء، ومن قرية التصوف إلى قرية الأعداء كل تسمية من هذه التسميات التي حملتها القرى هي ذات دلالة سياسية وفكرية وثقافية، أيضا وهذه الكيانات أيضا لا تتواصل فيما بينها، وخاصة بالقصر الذي يمكن اعتباره الكيان الأكثر غرابة، فللوصول إلى القصر حيث السلطان لا بد من اقتحام سبعة مراكز حراسة وخلال هذه المراكز سبع جوارى، ففضاء الرواية مقسم إلى سبع قرى، والقصر مقسم إلى سبعة مراكز وعدد الجوارى المنتشرات في هذا الفضاء سبعة، وأيضا نلاحظ تكرار الرقم سبعة في الرواية " تسعة و سبعون شهرا، سبعة أنبياء وسبعة رسل وسبعة مخترعين وسبعة حكماء" (690) " سبع قرى، سبعون رطلا" (691) "الردائل السبع والعيوب السبعة" (692) " سبعة خطباء" (693) وهذا التكرار لرقم سبعة يخلق جوا من النفاؤل في الرواية (694).

من خلال دراسة رواية "الحوات والقصر" وجدنا أن بعضا من أحداثها بالإضافة إلى بعض الأخبار والأحداث ذات الطابع الخرافي الواردة في أضعافها ذات صلة واضحة بفضاء ألف ليلة وليلة، ولاسيما في حكاية "الصيد" التي تتقاطع مع الحوات والقصر " في كثير من المواضع، فالقاري للرواية يشعر من خلال بعض أخبار الرواية ذات الطابع العجائبي بارتباطها بأجواء ألف ليلة وليلة وخاصة بالنسبة لقصتي "الصيد" و"السند باد البحري" التي تتناص معهما الرواية على أكثر من صعيد ومستوى و من هنا يقول الأستاذ سلام سعيد: " ليس من العيب في شيء أن يستعير مبدع لاحق نصوص غيره ويضمنها نصه بحيث يدخل عليها تغيرات وتحويرات مغايرة لأصلها الأول وذلك لتؤدي دلالات جديدة أخرى لم تكن موجودة فيها من قبل هكذا" (695).

690 - الطاهر وطار: رواية " الحوات والقصر" ص 88

691 - المصدر السابق: ص 227

692 - المصدر السابق: ص 54

693 - المصدر السابق: ص 81

694 - سلمى محمود: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 80

695 - سلام سعيد: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 2 ص 390

ويطيب لنا أن نذكر هنا أن رواية "الحوات والقصر" هي رواية ذات أبعاد وأسطورية كما يبدوا من خلال بنائها الدرامي، واستثمار الطاهر وطار لعناصر التراث السردي الشعبي والأدب الديني الشعبي وتوظيفه في شكل الأسطورة في رواية الحوات والقصر حتى جعلها تتميز عن نصوصه السابقة ، فالقرى السبع والحجاب والقصر والسلطان والحراس والجنيات والسمة السحرية ذات التسعة والتسعين لونا وانشقاق الماء إلى نصفين استجابة لقصة على الحوات كحادثة البحر لموسى عليه السلام ، وكلها معالم تعكس الصراع القائم بين الطبقة الحاكمة والرعية ، وترمز إلى الحكم الجائر والرعية المغلوبة على أمرها، ومن هنا نرى أن الرواية في تعاملها مع السلطة واكبت التغيرات التي كانت تمر بها الجزائر في الجانب الاجتماعي والاقتصادي.

مع كل ذلك تتناول هذه الرواية توصيفا لفترة هامة من تاريخ الجزائر وتعالج العلاقة القائمة آنذاك بين السلطة والعامّة من الناس فهي تصف رجال الدولة والمخابرات و أساليب حركاتهم وكثيرا من سلوكياتهم ولذلك نستطيع أن نقول بأن النص السردي لرواية الحوات القصر يمثل رؤية لعالم راكد وصلد، وبالإضافة إلى ذلك أن هذه الرواية بارتكازها على الاستعارة السردية سواء في تقديم المواقف أو الشخصوص تصبح في موقع يميزها عن الرواية التقليدية التي تميل إلى التفصيل والإسهاب في الوصف والتحليل ويقول الأستاذ إدريس بوديبة: "رواية الحوات والقصر بالإضافة إلى كونها نص فني يستلهم عوالم الحكاية الأسطورية بغية تفجيرها كأداة فنية للتدليل على معنى في الواقع الاجتماعي فإنها أيضا عمل أدبي يحمل روح الحداثة وهموم العصر" (696)

ولكن من جانب آخر نرى أن القارئ يواجه مسألتين أساسيتين في هذه الرواية ، أما الأولى فهي تتجلى بطبيعة البناء الفني الذي استلهم أسلوب الحكاية الشعبية ، والثانية فهي تقع في طبيعة المضمون الذي احتضن موضوع العلاقة بين السلطة والرعية دون ارتباط بزمان أو مكان محدد ، فتتنوي الرواية على صراع طريف بين المرجعية الأسطورية التي تطلب الرمز

وبين المرجعية الواقعية التي تؤثر الشفافية والوضوح والدقة والمباشر في الوقت نفسه .

وأما لغة الرواية فهي بسيطة وقد اختار الكاتب أسلوباً يلتحم مع بيئة المضمون بطريقة منسجمة مع النمط الحكائي القريب من الحكاية الشعبية التراثية ولذلك نجد أن المؤلف نفسه يصرح بقوله " رواية الحوات والقصر يمكن أن يقرأها الحلاق والفيلسوف ورجل السياسة وهذا القول نفسه ينطبق على روايتي اللاز والزلال " (697) وتكتب في هذا الصدد الأستاذة فهيمة زيادي " واختار الروائي الفصحى لغة مبسطة في تناول القارئ العادي متماشية مع لغة الأسطورة وهي تخاطب العقلية الشعبية معالجا بذلك حياة الرعية البائسة المقهورة ليكشف سلطوية القصر وقمعيته" (698)

وعلاوة على ذلك نجد أن الناحية الجمالية تأخذ كافة أبعادها في هذا العمل الروائي والذي إذا كان قد كتب في بدايات السبعينات فهو يشكل قفزة نوعية في إبداعات الطاهر وطار على صعيد المضامين والأشكال ليصبح الجمال يعني أكثر من مجال " (699).

⁶⁹⁷ - الطاهر وطار مع حوار بشير مفتي ، مجلة " الشروق الثقافي " العدد 88 ، 1993م ص 8
⁶⁹⁸ - الأستاذة فهيمة زيادي : التجريب والنص الروائي، مجلة " المخبر " العدد السادس 2010م ص 4
⁶⁹⁹ - واسيني والأعرج: الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية ، ص 135

رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي "

رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي " هي الرواية الخامسة للظاهر وطار الذي كتبها عام 1978م (700) وصدرت عن دار ابن رشيد في بيروت بطبعة أولى 1980م ، هي رواية من طراز جديد بين روايات الكاتب وتعتبر الجزء الثاني لرواية " اللاز " كما تعد واحدة من المؤشرات الهامة التي تحيل على المرجعية الفكرية والإيديولوجية للظاهر وطار لأنها تقدم تصوير حياة معظم شخصيات رواية " اللاز " في مرحلة ما بعد الاستقلال فنلتقي مرة أخرى باللاز وحمو والشيخ الربيعي و بعطوش الذين جاءوا في هذه الرواية بثوب جديد وبيئة جديدة بسبب اختلاف الأحوال السياسية الجديدة للجزائر ، تحكي هذه الرواية عن الحياة الاجتماعية للجزائر في أوائل السبعينات بعد الاستقلال، وتتناول الموضوع هو التطوع الطلابي لصالح الثورة الزراعية في إحدى البلديات من الريف الجزائري وتقدم ردود أفعال متباينة بين مؤيد و معارض وتحمل خلفيات الصراع بين الطلبة المتطوعين كما تتعرض للصراع بين إيديولوجيتين إسلامية متشددة متمثلة بمصطفى والإيديولوجية الاشتراكية متمثلة بجميلة (701).

أحداث الرواية:

يستهل الكاتب حديثه في هذه الرواية بإحدى القرية الجزائرية ويقدم لنا ثلاث فئات لهذه الرواية. أما الفئة الأولى التي تشتمل على الطلبة الاشتراكيين الذين يعملون في الميدان متطوعين لمساندة الفلاحين لنجاح الثورة الزراعية ويهتفون بعقيدهم " إيه شعبية ثورة زراعية، إيه شعبية معركة مع الرجعية ، إيه شعبية تسقط الرجعية" (702) ومن أهم شخصيات لهذه الفئة الأولى " جميلة" التي ترأسها هي تكون طالبة جامعية ومثقفة لها إطلاع على أهم الثورات الاشتراكية في العالم هي متطوعة قديمة يعرفها أهل القرية ويحبونها وتشعبت جميلة بروح الثورة ولذلك تبذل قصارى جهودها القيمة لمساندة الفقراء الفلاحين في البرد القارص رغم مرضها فهي تحمل قيم الثورة الديمقراطية ، وتكافح "لإعتاق الجزائر من هيمنة الإقطاع

700- رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي" ص 188

701- المصدر السابق: ص 5

702- المصدر السابق: ص 27

وتسلط الاستغلابيين" (703)

والشخصية الثانية للفئة الأولى هي "ثريا" المتطوعة اليسارية (704) تؤمن بالعنف الثوري وسيل الدماء لتطبيق الاشتراكية ، الشخصية الثالثة في الفئة الشريف رئيس فرقة المتطوعين للذكور (705) هذه الشخصية المثالية التي لا نلاحظ فيها إلا عملها في الميدان ولا يذكر لنا الكاتب الطاهر وطار تفصيل حياة الشريف كما ذكر لجميلة ، وهذه الفئة تنتمي إلى فكرة اليسارية .

أما الفئة الثانية التي تحتوي على الطلبة الأصوليين الذين يعتمدون على الفتاوى الدينية راجت في الريف الجزائري بسرعة فائقة وهي " أن الاستفادة من الأرض حرام وذلك لأن هذه الأرض مستولى عليها بالقوة وهي عند الله ، شاء العبد أم أبي ، ملك لأصحابها الأصليين ، ثمرتها حرام والاستفادة بها كفر " (706) وهذه الفئة تشتمل على ستة طلاب منهم مصطفى رئيس الفرقة هو الطالب في العلوم وينتمي إلى المكتب الثقافي والإخوان المسلمين ويصفه الكاتب بأنه " كان رقيقا ، طويلا ، نحيفا، محوق العينين ، جاف الشفتين كما لو أنه لم يذق طعما للنوم هذه ليال عديدة" (707) هو يمثل التيار السلفي المضاد لفكرة الفئة الأولى ويسعى بكل ما يملك من جهد للقضاء عليها متبنيا بعض الأفكار والاتجاهات الإسلامية حسب ما جاء به الرواية.

وأما الفئة الثالثة التي تمثل في الرواية فهي جيل المخضرمين من المجاهدين الذين شاركوا في ثورة التحرير و يواصلون الدفاع عن مبادئ الثورة المباركة لمساندة الفئة الأولى التي تقود بها " جميلة" ومن أهم الشخصيات لهذه الفرقة عبد القادر رئيس التعاونيات وعضو في اتحاد الفلاحين يعمل على تطبيق فعلى للثورة الزراعية بمشاركته يوميا مع الطلبة المتطوعين ،

703- المصدر السابق، ص 34

704- المصدر السابق، ص 44

705- المصدر السابق، ص 33

706- المصدر السابق، ص 30

707- المصدر السابق، ص 33

والشخصية الثانية هو "حمو" منسق المجاهدين مناضل وأخو زيدان في البطل الملحمي في رواية اللاز ، والشخصية الثالثة هو " عيسى بوعين" صاحب الدراجة النارية يعمل كاتباً في القسمة ويعرف كل شيء يحدث في القرية والشخصية الثالثة " بعطوش " المجاهد القديم الذي يعمل اليوم لمناصرة السلطة الثورية ، وتقوم هذه المجموعة بمساعدة الطلبة لنجاح الثورة الزراعية.

ويظهر الصراع بين الفئة الأولى والثانية من بداية الرواية ويقع اصطدام في إحدى التعاونيات حيث فرقة " جميلة " والفلاحين كانوا يعملون في الحقل ويهتفون بعقيدتهم " إيه شعبية ثورة زراعية، إيه شعبية معركة مع الرجعية ،أيه شعبية تسقط الرجعية"(708) ويصل هناك مصطفى وجماعته و بدأوا يهتفون بحياة الإسلام " ويحيا الإسلام أولاً وقبل كل شيء ، هتف مصطفى طالب كلية العلوم بنبرة منفعلة غاضبة وهو يلوح بقبضة يده يهدده عبد القادر رئيس التعاونية" (709) لكن جميلة تتصدى وتهتف هي الأخرى " يحي الإسلام تسقط الرجعية " (710) ويحاول مصطفى أن يجعل اشتباك مع مجموعة الشريف وجميلة لكن ما نجح فألقى خطبة دينية في المسجد وهاجم فيها الملحدين والكفار المتمثلين في كل الثورة المناصرين للثورة الزراعية ، وفي نهاية الرواية تصدى مصطفى لجميلة ويسعى أن يشوه وجهها بالحامض لكن فشلت محاولته إلا جرح ذراع جميلة وتناثرت بعض قطرات الدم ، فاللاز الذي كان في هذه الرواية صامتا وجامدا و هيبية ووقارا إلى درجة يصل فيها إلى التصوف، رأى هذه الدم المتناثر فتراءى له أبوه زيدان يتخبط والسكين تحز قفاه والدم يتطاير فصاح اللاز صيحته الواحدة "ما يبقى في الوادي غير حجاره" و زاغت عيناه واختلطت الصورة في ذهنه سقط على الأرض مغميا عليه ثم أفاق من إغمائه وفتح عينيه فيعود له عقله وترجع إليه ذاكرته " وهو يرسل شهيقا عميقا، تأملهم مليا وتساءل مذعورا...من أنتم؟ أين أنا؟ لماذا فعلتم ذلك

708 - المصدر السابق، ص 27

709 - المصدر السابق، ص 33

710 - المصدر السابق: ص 33

بعمي...أبي...زيدان"(711) فيزور دار "زيدان"، ودار "أمه" وساحة الشهداء في القرية، ويلتقي بعدة شخصيات كان يعرفها والتي تعود إلى الحياة التي هجرها أكثر من عشر سنوات،.... و" عم نبأ استيقاظ اللاز في القرية بسرعة فائقة ، كان الدليل اليقين، لمن يعلن استيقاظه ،أنه غير ثيابه. نزع القشابية المزيفة بالحرير الأحمر. ارتدى بدلة عصرية أعطاها له الشيخ مبارك ،خلق ذقنه قص شعر رأسه زار كوخ زيدان أول مرة كان يسلم على سكان القرية كأنما يلتقي بهم لأول مرة " (712)وهكذا انتهت الرواية بالنهاية السعيدة المفتعلة كما تنتهي المسرحيات والأفلام لأن حلم اللاز في تحقيق العدالة الاجتماعية قد تحقق .

الشخصيات الرئيسية لرواية العشق والموت في الزمن الحراشي"

لا مرأ في أن الشخصية الروائية تعد من العناصر الأساسية في بناء الرواية ولذلك لا يمكن أن يستغني عنها الكاتب لأنه لا يستطيع أن يصور حياة من دون أشخاص يتحدثون ويفعلون وتتعدد شخوص العالم الروائي بقدر تعدد وتشابك الأفعال والأفكار فكلما هذا العالم يكون واسعا يحتاج الكاتب إلى خلق شخصيات تملأ هذا العالم بصفة مضطرة، ولذا يبدو من المناسب أن نقدم بعض ملامح للشخصيات الرئيسية لرواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" وهي كما يلي:

" جميلة " : هي شخصية فعالة، فتاة مرهقة، طالبة جامعية ومتطلعة على أهم الثورات الاشتراكية في العالم.هي متطوعة قديمة يعرفها أهل القرية ويحبونها، كما أنها كانت متأثرة كثيرة بشخصية "زيدان" منذ بداية رحلة التطوع وتثق به ولذلك تطمئن بها البنات الأخريات، لكن تعيش جميلة في الصراع بين ماضيها وذكرياتها مع محيطها، وما يوحي به اسمها من دلالات، فهي تتذكر جميلة "الرمز " وجميلة "الثورة"، وجميلة "الديمقراطية" يعرفها أهل القرية ويحبونها إذ هي تمثل نموذج المرأة التي تضحي و تتفانى في لإنجاح الثورة الزراعية

711_ المصدر السابق، ص 185

712_ المصدر السابق، ص 186

والاشتراكية، و تبذل قصارى جهودها الجبارة لمساندة الفقراء الفلاحين (713) وبذلك يصبح هدفا "لمصطفى" وأنصاره، وتصير مهددة من قبلهم بتشويه وجهها بالحامض وتكتشف لنا طبائع جميلة وصفاتها من خلال الأوصاف والتعليقات التي تأتي من الشخصيات الأخرى كما هي في هذا المقطع " اغرورقت عينا جميلة تقلصت عضلات وجهها ، اهتز قلبها بعنف امتلاً بالغيظ والحقد معا ..إنها لم تكن تترجم نداء اللاز ولم تكن ترثى " زيدان" (714).

"مصطفى": هو رئيس فرقة الأصوليين وطالب كلية العلوم ينتمي إلى المكتب الثقافي والإخوان المسلمين يشارك في الثورة الزراعية تطوعا ،لكنه لا يؤمن بها ولا بالأفكار التي وراءها، بل يحاول أن يسيطر على بعض الطلبة والفلاحين لإقناعهم وجرهم إلى صفه، هو يمثل التيار السلفي المضاد لفكر الفئة الأولى ويسعى بكل ما يملك من جهد للقضاء عليها متبنيا بعض الأفكار والاتجاهات الإسلامية ، ويصعد من الصراع إلى درجة التفكير أنه يسعى إلى تشويه وجه "جميلة" بالحامض.

الشيخ مبارك: هو صاحب مدير التكميلية الذي يحمي "جميلة" عندما يهاجمها "مصطفى" عليها وأراد أن يشوه وجهها بالحامض، وهناك لعب الشيخ مبارك دورا بارزا في حسم الصراع، بحيث أنه يريد ينقذ "جميلة" ويبعد عنها شبح الخوف، وهاجس الرعب الذي كانت تعانيه، وتنتظر لحظته الحاسمة.

وإضافة إلى ذلك توجد في الرواية الشخصيات الثانوية بأفعالها وتأثيرها منها الطالبة " اليامنة " التي تتحدث عن هموم مصير الطالبة الجامعية في مجتمع لا يؤمن بحرية المرأة في الواقع في صورة للطالبة الجامعية التي تحاول أن تتحرر من القيود الاجتماعية وتقاليدتها التي تجاوز الزمن، ومنها " الشريف " هو رئيس فرقة المتطوعين للذكور (715) هذه الشخصية المثالية التي لا نلاحظ فيها إلا عملها في الميدان ، ويمتاز بالحركة والنشاط ويبذل ما في وسعه

713 - المصدر السابق، ص 34

714 - المصدر السابق، ص 43

715 - المصدر السابق، ص 33

لإنجاح المشروع ، هو ينتمي إلى عائلة فقيرة كادحة، وأيضا من هذه الشخصيات " ثوريا" طالبة متطوعة يسارية (716) تؤمن بالعنف الثوري وسيل الدماء لتطبيق الاشتراكية، كما تغار من جميلة وتنتقدها وتتهمها بالغرور والجنون وعدم التمييز وتتطلع إلى المستقبل حالمة بالقضاء على النظم الاستعمارية والرجعية والامبريالية، لكن رغم حسن نيتها أنها تضر بالتطوع كثيرا بسبب اندفاعها وتطرفها في أفكارها ، وأيضا من الشخصيات الثانوية "إبراهيم" هو خريج المعهد الإسلامي وطالب كلية الآداب ومن أهم أعماله أنه فكك جماعة "مصطفى" عند الاصطدام به و أعلن التحاقه بالمتطوعين رافضا الوصاية مهما كان مصدرها.

علاوة على ذلك هناك تبرز عدة شخصيات في الرواية و تتفاوت من حيث الأهمية ومنها " سي رضوان" وعبد القادر رئيس التعاونيات وعضو في اتحاد الفلاحين يعمل على تطبيق فعلى للثورة الزراعية بمشاركته يوميا مع الطلبة المتطوعين ، و " عيسى بوعين" صاحب الدراجة النارية يعمل كاتباً في القسمة (717) ويعرف كل شيء يحدث في القرية ، يصف الكاتب بأنه " أسمر العينين دقيق الأنف عريض الفم... طرد من المدرسة في السنة الثانية... ونال الشهادة الأهلية، كان عضو الاتحادية مداوما سياسية بالقسامة مستواه الثقافي ضعيف جدا " (718) و" قاسم " سائق السيارة المكلف بنقل الطلبة المتطوعين إلى الحقول وغيرها من الشخصيات الهامشية .

الشخصيات الثابتة" بين "اللاز " و"العشق والموت في الزمن الحراشي"

من الجدير بالذكر هنا أن رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" تتضمن بعض الشخصيات التي لعبت دورا هاما في رواية " اللاز" وقد عاشت هذه الشخصيات المرحلة الجديدة التي ظهرت فيها الثورة الزراعية، وبرزت فيها كثير من التناقضات والصراعات، وتضارب المصالح، والتغير في المواقف وفي المبادئ والأفكار القديمة التي

716 - المصدر السابق، ص 44

717 - المصدر السابق، ص 103

718 - المصدر السابق، ص 49

كانت معتنقة أثناء الثورة ،وبعض من الشخصيات توجد ثابتة في رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" لكن يقل حضورها على البساط السردى ،يمكن أن نوجز في تقديم ملامحها ، ومن أهم تلك الشخصيات المشاركة في المعركة الجديدة :

البعطوش: هو الذي يعمل موظفا ساميا في الحكومة وكان أخذ "البعطوش" هذا العمل في نهاية رواية "اللاز" ، وفي رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" يتذكر أعماله في فترة الثورة التحريرية و الاستعمار، وكيف تمكن له من أن يخدم الوطن والشعب الجزائري ، ورغم موقفه الطبقي نجد أنه كان حريصا على الدفاع عن تجارته وعقاراته وأسهمه في البنوك والشركات بعد الثورة و لكن كان يزور كثيرا القرية و عمه الربيعي المريض، ويتذكر الشهداء والثورة مع أهل القرية (719) .

و أيضا من الشخصيات الثابتة شخصية " اللاز" كما نعرف أنه كان بطلا فعالا في رواية "اللاز" لكن فقد وعيه بعد ما ذبح والده "زيدان" أما في رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" التي تعد الجزء الثاني رواية اللاز فهو يظهر في الرواية " ذراعه منفرجتان ، تنتشكان مع الرأس والصدر والعجز صليبا كبيرا "(720) يعيش بالغرابة و يرث آلام أبيه "زيدان" ويكون صامتا وجامدا من بداية الرواية حتى نال هيبة ووقارا إلى درجة أنه يصل في أغلب الأحيان بمستوى التصوف وتظهر عليه القداسة والوقار، فتحيط بها النساء ويتضرعن إليه فتناديه إحداهن بقولها "يا سيدنا اللاز يا ولد سيد عبد القادر .جئت أقصد من بلادة بعيدة يا ولي الله ويا روح جميع الصالحين"(721) وتناديه أخرى " إرحمني يا من لا يرحم سواك" (722) وأيضا تناديه " يا سيدي اللاز يا سيد الخبر يا مولى البرهان جئت قصدت وليس لي سواك من مقصد .أستغيث بك وأستجير وأطف بي" (723) هكذا ارتفع اللاز إلى مستوى الإله المخلص في الرواية ، وفي نهاية رواية العشق والموت في الزمن الحراشي يعود له عقله،

719- المصدر السابق،ص 176

720- المصدر السابق،ص 113

721- المصدر السابق،ص 72

722- المصدر السابق،ص 76

723- المصدر السابق،ص 73

وترجع إليه ذاكرته فيعود إلى الحياة التي هجرها أكثر من عشر سنوات، ويزور دار "زيدان"، ودار "أمه" وساحة الشهداء في القرية وتشرف بزيارة لعدة شخصيات كان يعرفها (724).

ومنها أيضا "حمو" هو المجاهد وأخو زيدان في البطل الملحمي في رواية اللار ، والنموذج الثوري والشعبي الذي أدرك تفاصيل الحياة، ولم يكن يدرك كلمة "الرجعية" التي كانت ترددها "زيدان" إلا من خلال الصراع "الجديد" بين الطلبة الجامعيين الأصوليين والاشتراكيين أثناء القيام بالتطوع للفلاحين ونجاح الثورة الزراعية في الجزائر، كما أنه لم يسرق مع اللصوص ولم يستفد من استقلال الجزائر مثل ما استفاد الأغلبية بعد الاستقلال.

ومن تلك الشخصيات " الشيخ الربيعي " هو التاجر الذي استشهد ابنه "قدور" خلال الثورة التحريرية وأصيب بالسرطان في كبره حيث ما ترك هذا المرض سوى الوجه والرأس، ويقوم "حمو" بكفالة " الشيخ الربيعي " وزوجته ، وقد تأثر حمو بكلام الشيخه الذي ما تحدث تفاصيله في الواقع رغم غيابه عن الوعي كثيرا وبقائه بالبيت (725) وأخيرا يموت الربيعي بعدما بلغ نبا استيقاظ "اللاز".

وصف الرواية :

بعد أن درسنا وقمنا بتحليل شخصياتها وجدنا أن هذه الشخصيات عبرت بصدق عن مرحلة تاريخية عاشتها الجزائر وهي مرحلة السبعينات ففي هذا العقد عاشت الجزائر تحولات على جميع المستويات وقد حاول الطاهر وطار أن يقدم فنيا في رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" بعض هذه التحولات وذلك من خلال عرضه لشخصيات روائية . وإضافة إلى ذلك رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي" تختلف عن روايات البطولة الفردية التي تؤدي فيها الشخصيات الثانوية أدوارا مساعدة لمغامرات البطل الرئيسي، ولكن بالرغم من ذلك نجد أن الكاتب لم يهتم بتصوير الشخصيات إلا بالقدر الذي يخدم الفكرة التي يريد أن يوصلها

⁷²⁴ - المصدر السابق، ص 185
⁷²⁵ - المصدر السابق، ص 177

بالقارئ واختار نموذجاً من الشخصيات التي تتكلم باسم هذه الفئة أو تلك الفئة، وأن الشخصيات الرئيسية في هذه الرواية متأثرة بأفكار الكاتب إلى درجة أنها جعلتها المرجعية الأساسية لأفكارها ومبادئها .

ومن الأهمية بالمكان أن نذكر أن رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي " تعبر عن رؤية فكرية وتطرح إشكالية الصراع الإيديولوجي مما جعلها توزع البطولة على مجموعة من الشخصيات التي تشكل عالم الروائية وفق تطور الأحداث أو بناء على معطيات الصراع، كما يقول الأستاذ واسيني الأعرج " فالرواية إذن تحاول أن تضع أصبعها على الصراعات الجوهرية السائدة في المجتمع الجزائري - وبالضبط في المرحلة الوطنية الديمقراطية - بكل ما تحمل هذه الصراعات من إيجابيات وسلبيات ، والتي تتزاحم في رحم الانجازات الديمقراطية والثورة الزراعية على رأسها وكذلك التطوع من أجل إنجازها " (726)

على كل حال فاستطاعت رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" أن تعكس المرحلة التاريخية المؤيدة للثورة الزراعية و تصور التناقضات والصراع والتضارب بين المصالح في المجتمع الجزائري و تقدم لنا من سلبيات وإيجابيات صراعات تتعلق بالثورة الزراعية والأعمال التطوعية لإنجاحها من قبل المجندين من طلبة وشباب ورجال ونساء، ردود أفعال متباينة بين مؤيد ومعارض، إضافة إلى ذلك نرى أن رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" تتناول المناقشات النظرية التي تسيطر على الرواية وتبرز اتجاهين أحدهما اتجاه يساري تقدمي وثانيهما اتجاه سلفي رجعي يمثل الأول الفتاة جميلة الطالبة بالجامعة ويمثل الثاني الطالب مصطفى زميلها في الجامعة ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مصطفى " و " جميلة " هما نموذجان للإيديولوجيتين المتصارعتين في عالم الرواية وتمثلان رؤية الكاتب تجاه الصراع الفكري الذي عاشته الجزائر في مرحلة السبعينات، (727) أما بقية الشخصيات الأخرى في الرواية هي امتداد للشخصيات التي عرفناها في رواية " اللاز " ولذلك يظهر في رواية "

⁷²⁶ - الأستاذ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 518
⁷²⁷ - الدكتور إدريس بوديبة: " الرؤية والبنية في روايات الطاهروطار، ص 79

العشق والموت في الزمن الحراشي" " اللاز " و"الشيخ الربيعي" و"بعطوش" و"حمو" أخو زيدان.

ومن خلال مما سلف نرى أن الروائي الطاهر وطار قد حاول أن يقدم تصوير المجتمع الجزائري الغارق في تناقضاته على المستويات الاجتماعية السياسية الثقافية من خلال شخصياته المحورية التي تحمل أفكارا ثورية تبحث عن تجديد المجتمع الجزائري الذي يشهد ركودا بعد أنه بذل كل غال ونفيس لاستقلاله، كما ركز عنايته على تطبيق الثورة الزراعية لأنها ضرورة اجتماعية وتحقق حياة كريمة للفلاحين والفقراء ولكن على الرغم من كل ذلك هذه هي حقيقة أن الكاتب لا يبحث عن الخلفية التاريخية لهذا الوضع والخصم ولا يذكر لماذا ما تمت الثورة الزراعية قبل السبعينات في الجزائر؟ بل تبدو فكرة الثورة في الرواية كأنها جاءت في عهد الهواري بومدين (728) قبل مرحلة السبعينات، وفي الحقيقة كما يشهد التاريخ الجزائري أن فكرة الثورة الزراعية هي مشروع قديم يعود أصله إلى الخمسينات.

ف نظرا لهذه الحقيقة نرى أن الأستاذ عبد الفتاح يبدي رأيه كما يلي: "الكاتب لم يحقق غايته لأن الرواية تخلو من الصراع الدرامي حول الأرض والمنتفعين فلا نرى فلاحا واحدا يدافع عن حقوقه أو إقطاعيا واحدا من يملك الأرض ويسارع من أجل الحفاظ على ملكيته بل كل ما نشاهده هو هناك مجموعة من المتطوعين الذين ينضمون إلى تيارين متعارضين هما: التيار الإسلامي والتيار الشيوعي حيث تقوم بينهم مناقشات نظرية تتخللها أحاديث شخصية وخواطر ذاتية، مما أفقده البناء الروائي وحدته وتماسكه على إضعاف حركة الصراع الدرامي" (729)

ومن خلال كل ما سبق يتضح لنا أن الكاتب أراد أن ينتصر للتيار الشيوعي ويعتبره رمزا لتقدم الجزائر ونهضتها ومستقبلها، وفيما يتعلق بالتيار الإسلامي فهو إرهابي ويعمل لوقف حركة التقدم، هكذا نجد أن الكاتب الطاهر وطار أدخل صفحات متعددة من الكلام السياسي

⁷²⁸ - هو "هواري بومدين" (1932-1978) الرئيس الثاني للجزائر المستقلة شغل المنصب من 1965 بعد انقلاب عسكري على أحمد بن بلة إلى وفاته 1978، يعتبر من أبرز رجالات السياسة في الجزائر والوطن العربي في النصف الثاني من القرن العشرين.

⁷²⁹ - الدكتور عبد الفتاح: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج1 ص 384

النظري حول الديمقراطية والمادية التاريخية الثورية ، وفي الحقيقة لا مجال لمثل هذه الخطب في الرواية الفنية التي تمتاز بالأحداث والسلوكيات اليومية الاجتماعية⁽⁷³⁰⁾.

أما أسلوب التعامل للكاتب في رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي " فهو ليس أسلوبا وصفيا أو تصويريا ، بل تخللت بعض المقاطع الوصفية القليلة عملية أحداث الرواية ونجدها في الأغلب جملا وصفية بحيث لا يشعر القارئ كما في هذه الجملة " الزمن عنده واحد ، الشمس مجرد كرة من النور الدخيل على الظلمة ⁽⁷³¹⁾ أيضا في هذا المقطع " كان قصر القامة ، ضيق المنكبين والصدر ، حاجباه عريضان ، وجهه كثيف الشعر شفثاه تلمعان ، عيناه السوداوان حادثان النظر زاخرتان بالحيوية ⁽⁷³²⁾ وتقول الأستاذة سلمى محمود إن الأسلوب التقريري المباشر الذي استخدمه وطار يضعف من تماسك العمل الروائي كما أن بعض الاستطرادات في العشق والموت في الزمن الحراشي تشير إلى نرجسية المؤلف" ⁽⁷³³⁾.

وعلى الرغم من كل ذلك نرى أن رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي " لا تزال تعد وثيقة أدبية هامة مكنزة بمختلف الأحداث والسلوكيات والأفكاروتهم بالظروف السياسية والاقتصادية التي أنجبتها فترة السبعينات بكل إيجابياتها وسلبياتها.

⁷³⁰ - الدكتور محمد ساري : هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 1 ص 364

⁷³¹ - رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي " ص 12

⁷³² - المصدر السابق: ص 14

⁷³³ - سلمى محمود سعد: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 104

رواية "رمانة"

"رمانة" هي الرواية السادسة للطاهر وطار صدرت عام 1971م لأول مرة ضمن مجموعته القصصية " الطعنات" بسبب الظروف الصعبة التي واجهتها الكاتبة في الستينات والسبعينات فيقول الطاهر وطار بنفسه " لقد فرضت ظروف النشر الصعبة في الستينات أن يعتمد الكاتبة إلى جمع أقصى حجم ممكن من كتاباته في كتاب واحد ليتيح للناس الاطلاع عنها لأنه متأكد أن فرصة صدور كتاب آخر له نادرة جدا ولربما لن تكون مرة أخرى" (734) لكن اقترح الكتاب والقراء أن تخرج " رمانة " من المجموعة .

حينما تحسنت الأحوال للطبع والنشر ظهرت "رمانة" في صورة كتاب مستقل عام 1981م كما اقترح النقاد والقراء و تقع هذه الرواية في تسعين صفحة ويبرز من خلالها العالم الواسع الذي أراد به الكاتبة وفي مقدمتها يقول وطار: "لا أزعج أن رمانة رواية، ولا أثق في أنها قصة قصيرة .. لكنني متأكد من أنها تمثل بالنسبة لي، فترة الانتقال، من لون أدبي إلى لون آخر، تمثل نفسا جديدا وتطلعا جديدا، وهيكلية فنية جديدة" (735). تتحدث الرواية عن حياة شريحة اجتماعية بائسة في مناطق الفقر والبؤس والصفوح بالجزائر حيث يكثر الفقر والامية والمرضى بين أهلها وتصير حياتهم مرادفة للموت وتضطر النساء لبيع أجسادهن لتأمين الرغيف للأطفال الذين يموتون جوعا .

أحداث الرواية:

تدور أحداث الرواية حول الفتاة اسمها " رمانة " لم تتجاوز السادسة من عمرها تنتمي إلى أسرة فقيرة مؤلفة من ستة أفراد وتغيرت حياتها بعد وفاة أبيها الذي ما ترك وراءه شيئا، فتعيش حياة مليئة بالأحزان والمعاناة والتجارب القاسية كما هي تقول بنفسها " مر أسبوع على دفن أبي بائع البيض المتجول فتزوجت " عليجة " أختي الكبيرة من البرادعي جارنا

734 - الطاهر وطار : رواية " رمانة " ص 3

735 - المصدر السابق: ص 3

بمبلغ زهيد أكلناه أنا وأمي وأختاي في أيام قلائل ثم انطرح المشكل من جديد لم يخلف
المرحوم شيئاً سوى الكوخ القصيدي" (736) .

حاولت أم رمانة أن تجد أي عمل شريف لكن من سوء حظها فشلت في ذلك فاضطرت
أخيراً إلى طريق البغاء ومن ثم لحقت بها رمانة لإعالة الأسرة إذ هي تقول " خرجت أمي
المسكينة تبحث عن عمل يوماً وثانياً وثالثاً.... وعاشراً ولكنها كانت في كل يوم تعود
بقاذورات تلتقطها من مزابل أسواق الخضر.. فانفتح باب كوئنا على مصراعيه.. كانت
أمي جميلة وكنت أجمل منها بكثير... واستقبلناهم... تمنعت أياماً ثم تحطم كل شيء " (737)
وبعد فترة وجيزة بدأت تشارك أمها في هذا العمل الذي كان الحل الوحيد كما جاء على
لسانها " كان حيناً القصديري كله منغمس في التفاهة والضياع فلم نجد غير فعل ذلك
" (738).

و في يوم من الأيام جاء السمسار الأعرج ولقي بأم رمانة وتحدث بها عن الشغل خارج
الحي والكوخ فأكرت أمها و قالت " لن نخرج من هنا ولن نستقبل غير الزبائن الذين
يرضون بحينا وبكوئنا" (739) فأخرج السمسار ورقة نقدية جديدة وغمز بعينه اليمنى وقال
نصيبنا أكثر بكثير، فراقت لرمانة فكرة الخروج من الكوخ فرضيت وخرجت مع جاريتها
مباركة وهذه هي أول مرة أن تخرج رمانة لممارسة الشغل خارج بيتها فبدأ قلبها يخفق
بعنف، حتى صلت ببيت "بوعلام" الذي كان شاباً طويل القامة له شعر أسود كثيف ومنزل
شامخ وهناك تعرفت رمانة على حياة مغايرة عاشتها في الكوخ القصيدي و تعتقد في بداية
حياتها في بيت بوعلام أنه قد أحبها لكن خاب أملها فيه واستغلها بوعلام لخدمة مصالحه
وتوثيق علاقاته التجارية وقدمها إلى الأصدقاء الفاسدين ومن بينهم القاضي "سي قويدر"
هو شخص أنيق بلغ من عمره خمسين سنة ، و ظننته رمانة في بداية الأمر بسذاجته أنه جاء

736 - الطاهر وطار: رواية "رمانة" ص 7

737 - المصدر السابق: ص 7

738 - المصدر السابق: ص 8

739 - المصدر السابق: ص 8

ليزوجها بوعلام لكن خاب أملها في القاضي.

حينما اكتشفت لرمانة أن بوعلام سيستمر في استغلالها بدأت تحاول الفرار من قبضة بوعلام وبعد محاولتين نجحت في إحدى الليالي وهربت من براثن بوعلام و بينما كانت تهيم في الشارع ليلة لكي تجد أي مكان أو منزل محفوظ، فلقبت بالرجل في الخامسة والثلاثين من عمره الذي قادها إلى المنزل الخاص هناك تعرفت عليه أن اسمه " صالح" كان يشغل بنائب مدير بنك له طفلان و زوجته فرنسية، أمه أيضا تعيش معه وتربي ابنه، و يسكن في قصر آخر ويستعمل هذا المنزل من يصادفها في الطريق لتحقيق رغباته والتمتع به(740).

حينما رويت له رمانه أحوالها الحزينة والسيئة كما هي تقول " رويت قصتي بصوت مرتفع وأنا صاحية أمام غريب انهمرت الدموع غزيرة من عيني وزالت حدة المرارة التي كانت تغمر قلبي " (741) فاستقبل صالح كلماتها بتعجب واستغراب وتأثر بها وأعطاه منزلها للإقامة فيه وقال لها " هذا المنزل لك ابق فيه ما تشائين لا تغادريه أبدا يا رمانه "(742) وبينما كانت رمانه في منزل صالح سمعت أن بوعلام وصنوه مجذوب لقي كل منهما مصرعه على يد الآخر في أحد المراقص كما جاءت الجريدة اليومية "في الساعة الخامسة من صباح يوم الأحد، وقعت مشادة في مرقص ليلي، ذهب ضحيتها السيد مجذوب الرحيمي صاحب المرقص، والسيد بوعلام حمادية من الوسط التجاري، استعمل الرصاص في المشادة والتحقيق جار"(743) ففرحت بهذا الخير المفاجئ .

اعتقدت رمانه في البداية أن صالح هو رجل محترم لكن بعد أيام شعرت أنه تاجر وهي بضاعة له" كنت قررت صرفه إلى منزله الحقيقي ولكن عدلت في لا مبالاة وأنا أشعر بأنه

740 - الطاهر وطار: رمانه ، ص 29

741 - الصدر السابق : ص 26

742 - الصدر السابق : ص 33

743 - الصدر السابق : ص 34

صاحب القرار النهائي وأني فريسة وبضاعة لا كلمة لي" (744) وقرر صالح أن يتزوجها لكن توفى في حادثة قبل زواجه بها ، بقيت رمانه تسكن في بيت صالح وأحضرت أختها " ربح" وأدخلت في المدرسة ، وحينما انتهى مبلغ من النقود التي تركها صالح اضطرت رمانه مرة أخرى إلى العمل في الشوارع وانتقاء الزبائن لإعالة نفسها وأختها.

مر الزمان على هذا حتى يوم من الأيام صادفت رمانه رجلا كان متتكرا في هيئة كهل بدوي إلا أنه كان شابا مثقفا في السابعة والعشرين من عمره التمس من رمانه أن تخفيه في بيتها، لأنه ملاحق من الشرطة الفرنسية وتبين فيما بعد أنه مناضل ومثقف يساري وطبيب أيضا وتصفه رمانه "ذات أمسية، لفت انتباهي في نهج صغير، قليل الحركة والمتاجر، كهل بدوي رائع، طويل القامة، عريض المنكبين، أسمر غليظ الحاجبين، جميل اللحية، وطويل الشاربين، عليه برنس وجبة وعمامة، وفي يده حقيبة صغيرة على عينيه نظارات..". (745) هذا الشاب الذي لم يكشف اسمه بل فضل أن تتاديه " بخالي" مدة طويلة كما تتاديه أختها " الربح" و" الفائزة" وهذا الشاب لم يتأثر بجمالها وحسنها ولم يرغب فيها أبدا بل لعب دورا كبيرا في تغيير مسار حياتها وساعدها على كتابة القراءة والكتابة وأشرف على علاجها خوفا أن تكون مصابة بأمراض بسبب شغلها ومهنتها السيئة السابقة ومن هنا وجهها إلى تعلم مهنة بسيطة بوسائل رخيصة ومتوافرة لكي تبدأ حياة جديدة فتحوّلت رمانه بفضلها إلى مناضلة من الحرية والاستقلال، وتأثرت به كثيرا فهي تقول: " آمنت بأنه طبيب ماهر كما آمنت بأنه معلم بارع وبأنه إنسان طيب جدا ليس تاجرا ولا سمسارا ولا لصا ولا نائب مدير بنك ولا قاضيا ولا مجرما" (746) هذا الشاب أنقذها من طوق الفساد والرذائل الاجتماعية والأخلاقية، حتى صارت "رمانه" امرأة جزائرية مختلفة عن ماضيها الذي قد انقضى، وتقول في نفسها " أحسست لأول مرة بأني إنسانية...ولست

744 - المصدر السابق:ص 33

745 - المصدر السابق:ص 43

746 - المصدر السابق:ص 53

بضاعة ، بضاعة ثمينة" (747).

كانت رمانة تعيش مع " بخالي" أجمل أيامها وتجد الحب والاهتمام الحقيقي حتى جاء اليوم اكتشفت فيه الشرطة أن الشاب موجود بهذا المنزل فهناك اضطر الشاب إلى الفرار بالسرعة لمكان غير معروف . أما رمانة فتزوجت بأحد من تجار التحف وتتحول إلى سيدة جديدة وهي تتابع تعليم أختها والإشراف على تربيتها وتبدأ الحياة دورة جديدة، وفي هذه الظروف وصلت القصة فجاء زوج رمانة تجار التحف وطرق الباب فانقطعت على رمانة ذكرياتها وحكايتها و بدأت تقول في نفسها "عليه العنة تاجر التحف الوضيع" (748) وانقطعت القصة بهذه العبارة قبل أن تكمل رمانة استذكار بقية ماضيها.

الشخصيات المركزية للرواية:

تشتمل هذه الرواية على شخصيات عديدة من الرجال والنساء وقد وهذه الشخصيات نهضت أحداث الرواية على كواهلها في أدوارها وأفعالها فمن أهم الشخصيات لهذه الرواية:

"رمانة" هي من الشخصيات الرئيسية التي تروى الأحداث على لسانها كما هي شخصية مركزية تحظى باهتمام كبير على مستوى الأحداث الروائية، فهي تنتمي إلى أسرة فقيرة تغيرت حياتها بعد وفاة أبيها فتعيش حياة سيئة وحاولت أن تجد أي عمل شريف لكن ما نجحت واضطرت إلى طريق البغاء لإعالة أسرتها وكفالة أخواتها حتى وقعت في مخالب اللئيم بوعلام وأصدقائه الجناة الذين استغلوا ثم هربت من برائتهم ولقيت بصالح نائب مدير بنك الذي قرر أن يتزوجها لكن توفي في حادثة قبل زواجه بها، ثم جاء الشاب الذي لعب دورا فعالا في تغيير مسار حياتها وتحولت رمانة بفضلها إلى مناضلة لأجل الحرية والاستقلال، وكانت تعيش مع هذا الشاب أجمل أيامها وتجد الحب والاهتمام الحقيقي حتى فر الشاب بعد اكتشاف الشرطة مكانه خوفا على حياته، وبعد ذلك رمانة تزوجت بأحد من

747 - المصدر السابق: ص 55

748 - المصدر السابق: ص 65

تجار التحف وتتحول إلى سيدة جديدة لكن بالرغم من ذلك أنها ليست سعيدة كما تظهر بالعبارة التي قالتها للتاجر "عليه اللعنة تاجر التحف الوضيع" (749).

بوعلام : هي شخصية خسيصة ولئيمة كما هو الانتهازي والمخادع وصاحب التجارة المشبوهة و المغامرات الكثيرة مع شريكه وصنوه مجذوب وأكثر حضورا في بداية الأحداث وتصفه رمانه بالشاب الأسمر المشعر الذي استغل رمانه لخدمة مصالحه وتوثيق علاقاته التجارية وقدمها إلى الأصدقاء الفاسدين حتى لقي كل منهما مصرعه على يد الآخر في أحد المراقص ففرحت رمانه بهذا الخبر.

"صالح" : هو الرجل الذي صادفته "رمانه" ليلة هروبها من برائن بوعلام، كان يشغل بنائب مدير بنك له طفلان و زوجته فرنسية، و منزل خاص للتمتع بمن يصادفها في الطريق. حينما سمع قصة رمانه الحزينة والسيئة تأثر بها وأعطاهها منزله للإقامة فيه ، وقرر أن يتزوجها لكن توفى في حادثة قبل زواجه بها ،اعتقدت رمانه في البداية أنه رجل محترم لكن بعد أيام عرفت أنه تاجر وهي بضاعة له فما كانت سعيدة به.

"تاجر التحف" : هو زوج رمانه شخص طامع وحريص، تزوج رمانه بسبب المال و من أصدق وأدق التعبير هو اشترى جسدها دون حبها وقلبها ويضعها في بيته كتحفة ثمينة، كما تصفه رمانه " هذا التاجر التافه اشتراني ووضعني هنا في منزله كما يضع أية تحفة وانصرف إلى جشعه يجمع كل ما عند الآخرين" (750) و بفضل هذا التاجر تحولت رمانه إلى سيدة كريمة لكن بالرغم من ذلك كله أنها ليست سعيدة كما تظهر بالعبارة التي تلفظها أخيرا لهذا التاجر وهي "عليه اللعنة تاجر التحف الوضيع" (751).

" بخالي" : هو الشاب الذي تناديه رمانه " بخالي" شخصية فريدة تمتاز بأخلاقها العالية وصفاتها الحميدة لقي برمانه في هيئة كهل بدوي لأنه ملاحق من الشرطة الفرنسية إلا أنه

749 - المصدر السابق:ص 65

750 - المصدر السابق:ص 65

751 - المصدر السابق:ص 65

كان شابا مناضلا ومتقفا يساريا وطبيبا أيضا في السابعة والعشرين من عمره ، هذا الشاب لم يتأثر بجمالها وحسنها ولكن لعب دورا كبيرا في تغيير مسار حياتها وساعدها على كتابة القراءة والكتابة وأشرف على علاجها خوفا أن تكون مصابة بأمراض بسبب مهنتها السابقة ومع هذا كله أنه اضطر إلى الفرار بعد ما اكتشف الشرطة مكانه خوفا على حياته.

وأيضا توجد في الرواية شخصيات أخرى لكن يقل حضورها على البساط السردى وهي الجارة "مباركة" الشريكة الحقيقية لرمانة في العمل والتي تجاريتها في مشاريعها دون تردد، وقد حدد دورها الكاتب ليفسح المجال لرمانة ، وهناك أدوار نسوية بسيطة كـ"رحيمة" زوجة القاضي"سي قويدر" و أم رمانة وأختها الكبيرة "عليجة" التي تزوجت من البرادعي بمبلغ زهيد أكلته أسرتها في أيام قلائل وأختها الصغيرتان الفائزة والربح التي ألحقتها رمانة بالمدرسة و"مباركة" وأيضا هناك نجد بعضا من الشخصيات يقل حضورها في أحداث السرد وهي شخصية السمسار الأعرج و "مجنوب" صاحب المرقص صنو بوعلام لقي مصرعه في أحد المراقص والقاضي"سي قويدر" شخص أنيق في الخمسين، عليه علائم الاحترام ولذلك بسذاجته ظنت رمانة في بداية الأمر أنه جاء ليزوجها بوعلام لكن خاب أملها فيه لأنه شخص لئيم وخسيس.

وصف الرواية:

اتضح من خلال دراسة الرواية أنها تتحدث عن حياة شريحة اجتماعية بائسة حيث يكثر الفقر والامية والمرض بين أهلها وتصير حياتهم مرادفة للموت حتى تضطر النساء لبيع أجسادهن لتأمين الرغيف للأطفال الذين يموتون جوعا ، وبالإضافة إلى ذلك تحمل رواية" رمانة " وجوها مختلفة لقضية واحدة وهي العدل الاجتماعي، و تثير قضايا كثيرة تتصل بحياة شريحة اجتماعية بائسة في مناطق الفقر والبؤس والجهل بالجزائر حيث تضطر النساء لبيع أجسادهن لتأمين الرغيف للأطفال الذين يموتون جوعا، وتمثل " رمانة " الطبقة المعدمة في الجزائر التي انغمست في الأعمال الرذيلة بسبب الفقر والجهل وهي ليست داعرة بإرادتها بل

اختارت هذا الطريق حينما لم تجد سواه أية وسيلة لإعالة أسرته وكفالة أختيها الصغيرتين .

ومن خلال كل ما سبق يتجلى لنا أن الطاهر وطار يركز عنايته الكاملة على مبدأ واحد وهو العدالة الاجتماعية و يحاول إلغاء الطبقة فليس من العدل في رأيه أن يجوع قوم ويعيش في حالة الخلل والاضطراب حتى تضطر النساء لبيع أجسادهن و من جانب آخر يعيش قوم في بحبوحة من العيش ويتمتع بزخارف الدنيا وزينتها كما أنه يعتقد الطاهر وطار أن إصلاح المجتمع واستقراره لا يمكن إلا بتوفير المساواة والعدالة والحرية الحقيقية بين جميع أفراد المجتمع .

و يظهر لنا أيضا أن الكاتب حاول أن يقدم قضية الجزائر بقضية رمانه فالعبارة الأخيرة للرواية التي قالتها رمانه للتاجر "عليه اللعنة تاجر التحف الوضيع" (752) هي إشارة رمزية كبيرة للتطور الذي شهدته الجزائر، أنها حصلت على شرفها وحريتها من يرث المستعمر الفرنسي لكنها بقيت بضاعة في أيدي التجار والفاستدين فالجزائر التي كانت بضاعة قبل الثورة هي لا تزال بضاعة رخيصة بعد الثورة أيضا ، و الأوضاع الجديدة التي أعقت الاستقلال لا تزال تنتظر الكثير من أجل العدالة والمساواة والحرية الحقيقية للإنسان مثل رمانه التي نالت شرفها بعد زواج تاجر التحف لكنها صارت كتحف ثمينة وضعت في المنزل تحتاج إلى الحب والمودة والعاطفة، وهذا هو الفكر العميق الذي أراد به الكاتب في هذه الرواية.

ويشير الأستاذ أبو نضال نزيه إلى هذا الجانب قائلا " بمثل هذا البعد الرمزي المركب للرواية فإن العمل الفني يشكل وثيقة اجتماعية وتاريخية لفترة مهمة من تاريخ الجزائر ولكنه فوق ذلك يحمل دلالات ومعاني إنسانية لا تقتصر على مكان وزمان محددين بل تعكس هموم الإنسان نفسه ، وربما هذا هو الفارق الجوهرى بين الكتابات العابرة والإبداع الخالد الذي جعل من اسم الطاهر وطار علامة فارقة من علامات الرواية العربية" (753).

752 - المصدر السابق: ص 65

753 - الأستاذ أبو نضال نزيه: التحولات في الرواية العربية، ص 243

رواية " تجربة في العشق "

رواية " تجربة في العشق " هي الرواية السابعة للكاتب الطاهر وطار. تم تأليفها في عام 1988م،⁽⁷⁵⁴⁾ وصدرت سنة 1989م في طبعتها الأولى عن مؤسسة درا الاجتهاد في الجزائر، وهي من أشهر روايات الطاهر وطار حيث أنه قضى في كتابتها ست سنوات ، وتحتوي هذه الرواية على ثمانية عشر قصداً، ويتناول الكاتب أحداث الرواية من تجربته كمتقف مع السلطة ثم موقفه مع زملائه منهم الشعراء والأدباء والزعماء ورجال المسرح والوزراء ، والرواية تتميز بمتنها الغزير الذي يكون مليئاً بالتناقضات والبعد الرمزي، ويقول الطاهر وطار في مقدمة الرواية: "أطلب من قرائي أن يتعاملوا مع هذه الرواية بالذات التي سيجدون فيها مذاقا لم يتعوده في باقي روايتي"⁽⁷⁵⁵⁾ وتعالج الرواية حالة الجنون لمناضل شيوعي يعيش الخيبة نتيجة فشل تطبيق الشيوعية في الجزائر والجنون هو الموضوع لهذه الرواية .

أحداث الرواية :

يستهل المؤلف حديثه في هذه الرواية بشخص متميز بثقافة عالية وقدر كبير من المعرفة والحكمة اسمه "مصطفى كاتب" هو مستشار في وزارة التعليم العالي وعضو في جبهة التحرير الوطني ، وكان مديرا للمسرح الوطني الجزائري ، لكن الحكومة أبعده عن العمل المسرحي في السبعينات بعهد الشاذلي بتهمة أنه يساري ومشاغب ، إلا أنه مع إقالته من العمل المسرحي ما ابتعد عن المؤسسات الدولية التي تعتبره " عدوا لها"⁽⁷⁵⁶⁾ وعين في وزارة التعليم العالي وحصل منصب مستشار الوزير، وتقول له خادمتها " فجرية " : كانوا يريدون أن يوقعوك بكل صفة فووقت لهم بأن وهبتهم نفسك ، مستشارا موظفا في وزارة التعليم العالي "⁽⁷⁵⁷⁾.

⁷⁵⁴ - الطاهر وطار: رواية " تجربة في العشق " ص 170

⁷⁵⁵ - المصدر السابق، ص 5

⁷⁵⁶ - المصدر السابق، ص 90

⁷⁵⁷ - المصدر السابق، ص 277

ويعيش مصطفى في أوج السلطة كمستشار لدي الوزير وبينهمك في القراءة ولا يمارس قراءته سوى على مستوى الحلم لكنها سلطة لا تلفت إليه ، وبعد سنوات في الوزارة يستيقظ فيه الحنين إلى عالم المسرح كما يقول " : أنا مستشار الوزير الذي لا يشاورني في شئ ، إيه يا زمن لقد كان سعادته ممثلا عاديا في الفرقة المسرحية التي كنت رأسها وأقودها لتجوب العالم وتقدم صورا عن البطولات الشعب وعاداته" (758) ومع ذلك فإن الكفاءة الحقيقية بالنسبة إليه هي إحساس داخلي عميق يملؤه بالتحدي والرد على الاتهامات التي توجه إليه وهو يقول في نفسه " يقال بأنك الغراب الأحمر وقد تكون هذه الإشاعة هي السبب في تخوف الوزير من أمر استشارتك... أنت أعلم بطموحات المرؤوسين الذين يعملون بحساسة رؤسائهم من الغربان الأحمر... لست غرابا أحمر ، ولا أصفر... إنها مجرد إشاعات..فنان عالمي مثلي لا تحتويه التنظيمات برومثيوس لم ينظم عصابة لسرقة النار إنما تناول بيده الجمر وراح ينثره على البشرية" (759).

ومرة يقدم المستشار مصطفى كاتب أمام الوزير صديقه الحميم أثناء الثورة ورئيسه الحالي فيبادره بالقول " بين يدي وثيقة مرعبة تحوي أسماء الطلبة والطالبات والأستاذة الشيوعيين ، وأماكن وجداول اجتماعاتهم و مخططاتهم في الزحف على الأرياف الجزائرية ، لا يعلم سواي بهذه الوثيقة ولم أطلع أحدا عليها قبلك أريد رأيك ليس كمستشار وإنما كأستاذ وكصديق مهما كانت إمكانياتي ومؤهلاتي فتجربتي السياسية قليلة ، ثم إن الجو الذي يفرض الحيلة من كل شئ أنا لا أريد تصرفا أحق في هذه القضية ، ها ما رأيك" (760) فالمستشار مصطفى كاتب يجيب بصراحة بقوله " الحل الوحيد يا سعادة الوزير، أن تبلغها لسيادته ،في لقاء عاجل. مسؤولية وثيقة كهذه، لا يمكن أن تتحملها سوى القيادة الثورية " (761).

وبعد هذا اللقاء مع الوزير يقف مصطفى كاتب في مواجهة مع الشيوعي الذي ينام في داخله

758 - المصدر السابق، ص 37

759 - المصدر السابق، ص 51

760 - المصدر السابق، ص 49-50

761 - المصدر السابق، ص 50

منذ أن أقيـل من عمله المسرحي فتعـتريه حالة من الجنون تصل به إلى حد تعرية الذات ، وتتكشف له نفسه على حقيقتها فيتساءل غاضبا : " ألم يكن من المفروض أن يثور حضرة المستشار قائلا :

" إن للإهانة حدودا وأنه يمكن أن يستشار في كل شئ إلا في مثل هذه المسائل حتى من باب المجاملة واللباقة لماذا أبدى بلادة حس تجاه الجرح الذي أوجع به القلب ، الثمن الذي يطلبونه أخذوه ، هذه سنوات فلماذا كل هذا التلاؤم والامتثال ؟ أليست هذه خيانة ، تجاه رفاق الأمس البعيد ورفاق الغد المرتقب ؟ هل من المعقول أن يبدي كل هذه الحيادية تجاههم ، أما كان من الشرف ومن المروءة والكرامة السياسية أن يقول : هؤلاء مهما كان الأمر اقتسم معهم نفس الأفكار والآراء والمبادئ ويقطع النظر عن تواجدي بعيدا عنهم بحكم الظروف والرأي القاطع هو أن تحرق هذه الوثيقة وأن تقول لمن أعطاكها ، أنه كذاب ومنافق وملفق معلومات لماذا كل هذه الاستقامة وهذا الوفاء لمؤسسات تعتبر عدوا لها" (762) .

ثم يقع مصطفى كاتب في عشق الزعيم الذي يصوره في شكل عمود التلفون ويكتسب عمود الهاتف خصوصية في دماغ المستشار، لأن خيانتته لرفاق الأمس تسربت بواسطة أسلاك الهاتف ، فأعمدة الهاتف " ما كانت في يوم من الأيام تثير اهتمام أحد وحتى إن التفت إليها أحد اعتبرها كائنات فطرية وطفيلية " (763) لكن عمود الهاتف المنتصب قرب الجسر " نفت انتباه حضرة المستشار أول مرة في هذه سنوات الثلاث ، كان يومها عائدا من الوزارة وبالضبط إثر استشارة خاصة طلبها سعادة الوزير " (764) وهذا الحب يتطور إلى حد التوحد معه بالطريقة الصوفية توحدًا كاملا ، وقام باكتشاف الحقيقة عندما يقرر عمال البريد والمواصلات صبغ الأعمدة الهاتفية لكن أحدهم يدفع رشوة كي لا يصبغ عموده وبعدها يأتي السيد ليجد غرابا على كل عمود ، وهكذا تنتهي تجربة الحب والعشق عند المثقفين .

762_ المصدر السابق، ص 89

763_ المصدر السابق، ص 94

764_ المصدر السابق، ص 86

الشخصيات الرئيسية لرواية "تجربة في العشق":

إن شخصيات لرواية تجربة في العشق ليست كلها من صنع الخيال المطلق، بل هي شخصيات محتملة وممكنة الوجود ، والكاتب الطاهر وطار لا يهتم فقط بالكشف عن مظاهرها الخارجية وإنما يحاول الكشف عن حقيقتها الداخلية وأسرارها وتقلباتها النفسية والروحية ، وإن كان وصول الكاتب بالعمل الروائي أمر بديهي ، فإن هذا الوصول يختلف من عمل لآخر لأن ذاتية المؤلف تتضمن وجهات نظر مختلفة يسعى لإظهارها وإلى إخفائها في الوقت نفسه كما يقول الكاتب وطار بنفسه : " تجربة في العشق هي شبه سيرة ذاتية عن علاقة المثقف بالسلطة وقد استوحت أحداثها من مدير المسرح الذي أبعده عن المسرح الوطني في السبعينات بتهمة أنه يساري ، وهو برئ وأنظف ممن نحاه وفي الرواية يقع في حب عمود هاتف وهو رمز للزعامة ، ويثور على الوضع داخل الوزارة حتى يجن" (765) ، ومن المعروف أن الطاهر وطار قد أبعده من وظيفته لأسباب سياسية وأحيل إلى التقاعد في سن مبكرة .

أما الشخصيات الرئيسية التي قد نهضت أحداث الرواية على كواهلها فهي شخصيات مختلفة في أدوارها وأفعالها وتأثيرها، ومن هذه الشخصيات " مصطفى كاتب" هو بطل الرواية و فنان وممثل مسرحي وشخص متميز بثقافة عالية ، كان مديرا للمسرح الوطني الجزائري ، لكن الحكومة أبعده عن العمل المسرحي بتهمة أنه يساري، لكنه كان بريئا من هذه التهمة ، ومع إقالته من العمل المسرحي ما ابتعد عن المؤسسات الدولية التي تعتبره " عدوا لها" (766) حتى عين في وزارة التعليم العالي لمنصب مستشار الوزير ، لكن بالرغم من هذا كله لا تلفت الحكومة إليه، لذلك يستيقظ فيه الحنين إلى عالم المسرح فبعد أنه عمل لعدة سنوات في الوزارة يقول " : أنا مستشار الوزير الذي لا يشاورني في شيء ، إيه يا زمن لقد كان سعادته ممثلا عاديا في الفرقة المسرحية التي كنت رأسها وأقودها لتجوب العالم وتقدم صورا عن بطولات

⁷⁶⁵ - من شهادة للكاتب في ندوة تكريمية له، سجل وقائعها الأستاذ جمال فوغالي، ونشرتها جريدة النصر 19-02-1989 ، ص 7

⁷⁶⁶ - الطاهر وطار: رواية " تجربة في العشق" ص 90

الشعب وعاداته" (767)، فكانت له علاقة ب"أولغا" و" فجرية" والشاعر اليمني، و يقع في حب عمود هاتف وهو رمز للزعامة ، ويثور على الوضع داخل الوزارة حتى يجن.

ومن الشخصيات الأخرى لهذه الرواية هي " أولغا" و" فجرية" و يقع البطل الرواية في حب هاتين المرأتين. أما أولغا فهي فتاة روسية يعرفها البطل إبان الثورة ولا تزال تحيا في قلبه وتمثل اتصال الحبيب ، بالرغم من كل ذلك أنها لا تشكل جزءا من أحداث في الرواية بل ترمز إلى شغف البطل بروسيا كما هي تقول: " إنها البدء والمنتهى فأني رجل في هذه الدنيا يطمح لأن يكون في مستوى أولغا...ظنها كائنا ملائكيا ، استحم في الكوثر على يد ربانية وانتزع من قلبه كل فوران للدم كل اندفاع ،كل اندفاع ، كل خطأ ،غير أنها بهرته بامتزاج عصمتها بالبشرية بأنها بروميثيوس(768) ثان في يدها النار ، وفي قلبها السلام...تريد الروح المسكونة أن تستكين قليلا فتسريح ، إلا أن الراحة الحقيقية تحتكرها أولغا"(769)، وفي هذا الخصوص يقول الأستاذ إدريس بوديبة " : إن الشخصية " أولغا"(770) التي استعارها المؤلف من الواقع وأضفى عليها تلك الإيقاعات الشعرية الحادة التي تحيل على مرجعية المثاقفة والخيارات الحضارية والفكرية للبطل ، إنها ترمز لوعيه المكتسب الذي يجسد لحظات التحول"(771).

أما شخصية " فجرية" فهي خادمة البطل وتمثل الاتصال الفطري المكتنز بجذور النكهة الأولى فهي تقول له " : كانوا يريدون أن يوقعوك بكل صفة فوقعت لهم بأن وهبتهم نفسك ، مستشارا موظفا في وزارة التعليم العالي" (772) ويعبر عنها الكاتب بالمناجاة الداخلية التي تشبه بالقصائد التي تكون متعددة الأصوات ،لأنها ترمز للجذور العاطفية والمعرفية الأولى التي تبقى دلالاتها وأصداءها في الذاكرة،فالراوي يصفها بأنها "راكبة عربة الألم المجنح ، تطوف الكون

767: المصدر السابق، ص 37

768- كان بروميثيوس واحد من حكماء التابئين وقد كان يملك المقدره على التنبؤ بالمستقبل .هو ابن لابيتس و كليمينه ، و أخو أطلس .

769- الطاهر وطار: رواية " تجربة في العشق" ص 164

770- هي فتاة روسية أسهمت في ترجمة عدة أعمال أدبية من اللغة العربية إلى اللغة الروسية

771- إدريس بوديبة:الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص 207

772- الطاهر وطار: رواية " تجربة في العشق" ص 277

وتزرع النسل والجاز والحب وذكريات الماضي الحزين ،معبودتي أنا وحدي سأسكن هذا الدم وسأبقى هنالك متدفنا بالحنان" (773).

بالإضافة إلى ذلك نجد في الرواية عددا كبيرا من الموروث الثقافي خاصة والتراثي عامة، يعكسه استحضار الكاتب للعديد من أسماء الشخصيات التاريخية والوقائع والأحداث العربية والغربية، وأيضا نرى الكثير من الأقوال العربية المأثورة شعرا ونثرا قرآنا وأمثالا شعبية توجد في هذه الرواية ،فمن الأسماء التي وردت في المتن وهي شخصية "ابن العاص" و"هارون الرشيد" و" سيدنا سليمان " و"ابن خلدون " و"طه حسين "و" أبو العلاء المعري "و" أبو قاسم الشابي "و" عبد الله البردوني "و" خالد بن الوليد وغيرهم، هذا فيما يخص بأسماء الشخصيات العربية التي جاءت في سياق الرواية مع ورود للعديد من أسماء الفلاسفة والسياسيين والشعراء الغربيين أيضا، على سبيل المثال يتحدث الكاتب عن طه حسين قائلا " لا شك أن الكثير منكم ، لم يطفئ تليفزيون ، كما هي العادة ، أثناء عرض فيلم عربي ، عند عرض مسلسل الأيام ...ذاكم البصير يا حضرات هو الدكتور طه حسين.. الدكتور الوزير مؤسس الجامعة المصرية الحديثة ، الملقب عن كل جدارة بعميد الأدب العربي وصدقوني لو كان في العالم العربي ، فكر وفلسفة للقب بعميد الفلاسفة أو المفكرين العربي" (774).

وصف الرواية :

اكتشف لنا مما سبق أن رواية " تجربة في العشق " ككل روايات الطاهر وطار رواية سياسية و تتناول سقوط النظام الاشتراكي في العالم الثالث وما نتج عن ذلك من تطبيقات للبيروقراطية، و تركز على تأزم الإدارة بصفة عامة والوزارة الثقافية بصفة خاصة، تعالج أزمة المثقف الناقد الداعي للتغيير، ومنه أزمة الثقافة الجزائرية ، جاءت بأسلوب تهكمي ساخر ونقد لاذع للوضع وللأيديولوجيات، تحمل للعديد من الإشكالات التي تعاني منها الجزائر خاصة في المجال الفني والثقافي، وشخصيات رواية تجربة في العشق هي ذات اتجاه ودوافع

⁷⁷³ - إدريس بوديبة:الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص 207
⁷⁷⁴ - رواية "تجربة في العشق" ص، 27

إنسانية عميقة لذلك هي غير مرتبطة بالأحداث الآنية المحددة أو الثابتة كما يقول الكاتب:

" لقد فرض على المجنون - وهو محور هذه الرواية - جنونه لهذا السبب ، جاءت الرواية هذا الطريق غير المألوفة لدي الفصول مختلطة يمكن وضعها كما صادف ، كما يمكن قرأتها بالتسلسل التصاعدي مثل التنازلي ، وبدون أي تسلسل ، الشخصية الرئيسية تتفكك بدل أن تنمو ، عناصر التشويق أو بالأحرى الخيط الذي يربط به الكتاب قراءهم إلى العمل ، لا يتمثل في نمو الحديث وتشعبه ، ربما أنا شخصيا لا أَرْضَى كقارئ عن بعض هذا ، لكن ككاتب أجدني مضطرا لتقمص شخصية المجنون، إن لم أكنه بالفعل ، وأجدني مضطرا للدفاع عن الحالة" (775).

علاوة على ذلك تتناول رواية "تجربة في العشق" إدانة للمناضل الشيوعي الذي يتنكر لماضيه ولمبادئه الشيوعية ويرضى أن يكون جزءا من السلطة كما يكتب لنا الكاتب وطار: " تجربة في العشق هي إدانة للنظام البوليسي وفي نفس الوقت إدانة للمثقف الذي يساوم على حريته ويحاول التلاؤم مع السلطة بإيجاد تبريرات مختلفة ، ولقد كانت " تجربة في العشق " حكما عما يجري أيامها في الثمانينات في العالم الاشتراكي وفي عالمنا العربي" (776) وأيضا هذه الرواية من السيرة الذاتية التي تركز على رجل مثقف يواجه قضايا هامة تمس مرحلة الستينات والسبعينات والثمانينات في الجزائر ويحمل هذا المثقف في سيرته بعض ميزات شخصية مصطفى كاتب (777).

مع كل ذلك تمتاز رواية تجربة في العشق بنصها القيم الذي جاء مليئا بالتناقضات والاختلاف من العناصر الفنية والحضارية والثقافية، و محملا بالعديد من الرموز التاريخية والتراثية والأسطورية، كان لها بالغ الأثر في إثراء المعنى وإنتاجه، ومن أهم الخصائص التي تتميز بها هذه الرواية هي الغموض، وهذا بسبب لجوء الكاتب إلى المعنى غير المباشر عن طريق

⁷⁷⁵ - إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، ص 207

⁷⁷⁶ - شيناوي سليم: الطاهر وطار، أنا تاجر ثقافي ، صحيفة المساء ، أكتوبر 1993م ، ص 10

⁷⁷⁷ - شيناوي سليم: المرجع السابق، 10

استخدامه للرموز بطريقة مجازية، وأيضاً يوجد فيها البعد الرمزي بسياق الرواية، وقام الكاتب باستخدام الرموز أساساً لتجنب التعبير المباشر عن المعنى، فليس هناك من معنى واحد، بل دائماً أكثر من معنى، وليست هناك وسيلة للتعبير عن المعاني كلها سوى التوظيف الرمزي والمضمون الرمزي لا يمكن ترجمته أو التعبير عنه بشكل مغاير، ذلك أنّ الرمز عبارة عن مزج كلي بين الفكرة والصورة، وأصبح تفسيره يتخذ طرقاً مختلفة ولا نهائية، وهذا ما يعطيه سماته الخاصة⁽⁷⁷⁸⁾.

ومن الجدير بالذكر هنا أن المؤلف الطاهر وطار قد استغل في روايته خلفياته الثقافية والأدبية عدداً لا حصر له من النصوص الغائبة، وذلك لكي يخلق نوعاً من الحوار عبر مخزون الذاكرة، حتى تنوعت الاستحضارات لينتمي بعضها إلى التاريخ العربي الإسلامي، وأخرى مستقاة من مآثر القول العربي الشعري والنثري وكذا الديني، دون أن ننسى اتحاد الرموز الثقافية وكذا الأسطورية التي لعبت دوراً في بناء عالم سحري موازٍ لعالم الواقع ومُفسراً له، إذ شكل الاستلهام والتفاعل النصي وسيلة لتوسيع وانفتاح النص " تجربة في العشق "، كشافاً عن فعالية ثقافية إبداعية واضحة⁽⁷⁷⁹⁾.

بالإضافة إلى ذلك يتجلى لنا بعد الدراسة أن رواية "تجربة في العشق" هي مليئة بالإشارات الصوفية ويبلغ العشق الصوفي أعلى درجات اشتعاله وسطوعه، والبطل يواجه درجة كبيرة من النقاوة والوصول إلى المعرفة والاتحاد مع الآخرين وهذا الاتصال يتم خلال تجربة الحب مع عمود الهاتف كما يقول الروائي: "ج، ن، و، ن... استعملها، ترددت على لسانه مرة أخرى بصيغة تواطؤ واضح قبل أن ترد على لسان الغوغاء في حالة العشق المكتمل لعمود الهاتف"⁽⁷⁸⁰⁾، وإذا انغمسنا في ثنايا النص نجد أن النص الروائي توجد فيه نفحات صوفية واضحة ويتحلى بالعديد من الإشارات الرمزية الصوفية كالتعري، الصلاة، السكر، الخمر...، ليصل في الأخير إلى جعل صورة معشوقته أو حتى جميع النساء عاكسة لبعد رمزي صوفي

⁷⁷⁸ - فاطمة الزهراء جمعي: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 2/ص 497

⁷⁷⁹ - المرجع السابق، ج 4 ص 498

⁷⁸⁰ - الطاهر وطار: رواية "تجربة في العشق"، ص 54

واضح في النص.

بهذا السبب نجد أن لغة رواية "تجربة في العشق" تتراوح بين شاعرية صوفية و تقريرية مباشرة في عمود الهاتف فنجد فيها مثل هذه العبارة : " أيها المعشوق الجليل ، الكلمات لا تصدر في حالات اللقاء هذه ولا تشكل إلى انطباع الشيء في ذهنه ، والذي علم الأسماء كلها لخص أعظم أسرار الكون في حاء وباء أحبك ، يكفي أن العاشق هنا ، وأن المعشوق في الزمان والمكان وأن الرضا يرفرف على الروح" (781) قد أشار إلى هذه الميزة اللغوية الدكتور سعيد سلام قائلا : " أن اللغة في الرواية نشأت من تزاوج اللغة الفحصي باللهجة العامية الدراجة ، والتي لا تختلف عن الفصحى إلا في بعض معاني بعض المفردات وفي مخارج أصوات الحروف وفي اللكنة المتحدث " (782).

وأما من ناحية الأسلوب فأتسع مجاله في رواية تجربة في العشق على حد قول الطاهر وطار إذ أنه: " وضعها كما صادف كما يمكن قراءتها بالتسلسل التصاعدي مثل التنازلي وبدون أي تسلسل، الشخصية الرئيسية تتفكك بدل أن تنمو" (783)، وإذا نظرنا إلى استخدام العبارات المتنوعة من الشعرية والنثرية في الرواية يلفت انتباهنا ما ورد منها بلغة عامية مستمدة من الأمثال الشعبية المتواترة بين أوساط الناس، والتي لم تكن بدورها بعيدة عن مرمى الكاتب وعن الموضوعة المهيمنة في النص، بل جاءت بروحها الاستفزازية الانتقادية عاكسة للوضع الخارجي ، هذا هو السبب الأصلي الذي دفع الراوي إلى استخدام أقوال وأمثال باللغة العامية تشترك بلغة الكاتب الأدبية، حتى أثرت المتن الروائي واستطاعت أن تمنحه لغة قريبة من اللغة الشعرية.

وفي هذا السياق نرى أن الأستاذ فاروق عبد القادر يقول: " كتب الطاهر وطار " تجربة في العشق ونشر في العام (1989م) هو نص غريب حقا لا تستطيع أن تدعوه " رواية " مهما اتسعت الأطر التي تعتمدها لهذا النوع الأدبي ... فنحن نعرف من سيرة الطاهر وطار نفسه أنه ظل يعمل "إطارا ساميا" أو مسؤولا ثقافيا في جبهة التحرير" الحاكمة في الجزائر من 63 حتى

781 - الطاهر وطار: المصدر السابق، ص 54

782 - الدكتور سعيد سلام: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 2 ص 134

783 - رواية " تجربة في العشق، ص 8

أجبر على التقاعد في 83، ورغم انفلات نص " تجربة في العشق وتشوشه، وانطلاق صفحات كثيرة منه يشبه "التداعي الحر" الذي يعرفه ويمارسه المحللون النفسيون..كل هذا يؤكد عندي أن هذا العمل المشوش المفتقد لأي قوام أو بناء إنما هو نتاج النصف الثاني من الثمانينات ، وأن دافعه الأساسي هو تصفية الحساب من نظام أبعد عن عمله وأجبره على التقاعد وهو لم يبلغ الخمسين" (784).

رواية "الشمعة والدهاليز"

" الشمعة والدهاليز" هي الرواية الثامنة للطاهر وطار الذي ألفها عام 1949م (785) وأصدرها عن منشورات التبيين – الجاحظية في الجزائر سنة 1995م . وفي طبعها الأولى أهدى الكاتب هذه الرواية إلى "روح الشاعر والباحث يوسف سبتي الذي كان يتنبأ بكل ما يجري قبل حدوثه" (786) إلا أنه أنكر أن تكون الرواية سيرة ذاتية لشخص بعينه " استعنت ببعض خصائص ومميزات شخصية لأصدقائي ومعارفي في وضع شخوص الرواية ، ولكن هذا لا يعني أبدا أنني كتبت سيرة أحدهم" (787).

حاول الكاتب الطاهر وطار في هذه الرواية أن يتناول المشاكل التي واجهتها الجزائر منذ الاستقلال ، والتي أدت إلى الأزمة التي شهدتها الجزائر في التسعينات كما هو يكتب في مقدمة الرواية " وقائع "الشمعة والدهاليز" الروائية ، تجري قبل الانتخابات 92 التي خلقت ظروفًا أخرى لا تعنى الرواية في هدفها الذي هو التعرف على أسباب الأزمة وليس على وقائعها وإن كنت وظفت بعضها هنا لا استطيع لحاق ما يجري في الجزائر ، لا لشيء آخر، إلا لأنني جزء لا يتجزأ من هذا التاريخ، أوتر فيه وأتأثر به، وأبذل كل عمري محاولاً فهمه...لعل هو المهم" (788) وتعالج الرواية خلفية الظاهرة الأصولية بالجزائر من خلال شخصية الشاعر الماركسي الذي يقف موقف المحلل تجاه التغييرات على الساحة السياسية.

أحداث الرواية:

هذه الرواية تنقسم إلى فصلين أولهما جاء بعنوان " الدهاليز " ويتناول هذا الفصل سيرة شاعر ومناضل يساري شارك في الثورة بالخمسينات ، وثانيهما جاء بعنوان " الشمعة " ويعالج حالة الوجد التي استولى على الشاعر منذ أنه لقي بفتاة اسمها " الخيزران " وأيضاً يقدم الكاتب مشهداً يحاكم فيه الشاعر من قبل جهات مختلفة للجزائر، وتتركز الرواية على شخصية شاعر

785 - الطاهر وطار: رواية " الشمعة والدهاليز " ص 170

786 - المصدر السابق: ص 4

787 - المصدر السابق: ص 6

788 - المصدر السابق: ص 6

ماركسي أستاذ في الجامعة فهو يقول : " أنا أستاذ بالجامعة وشاعر، وبسبب انشغالي بالمطالعة لم أتزوج ولن أفعل على ما يبدو ... في الرابعة والأربعين من عمري يظهر أن القطار قد فاتني، وأن مهمتي في الحياة تخلفت عن مهمات جميع الناس فحول العجول المعدة للتناسل" (789).

وتبدأ أحداث الرواية باستيقاظ شخصية الشاعر في حالة الرعب بسبب "صوت هدير بشري قوي يشبه ذلكم الهدير الذي ينبعث من التلفزة خلال كل عيد حيث تعرض الصلاة من البيت الحرام إلا أن هناك نشازا بينا مصدره أصوات منبهات السيارات ، تنطلق في إيقاع الهدير البشري نفسه تقريبا " (790) فنهض الشاعر وشق النافذة المشرفة على الشارع وراح يطل من الفرجة الصغيرة يستوضح ماذا هناك ثم أعاد إغلاق النافذة وقرر النزول إلى المدينة ومعرفة مصدر الأصوات لإدراك ماذا يحدث هناك " كانت الأصوات تتعالى ، آتية من بعيد ، وقدر أنها تنتشر في أماكن كثيرة ، وليس في موضع واحد ، ربما من هنا ، من الحراش ، وعلى مسافة اثني عشر كيلو مترا ، حتى وسط المدينة طرفها الآخر " (791) .

وعندما وصل الشاعر إلى ساحة أول مايو وجد حشودا هائلة والشبان يرتدون قمصانا بيضاء ويضعون على رؤوسهم قلنسوات بيضاء متساوية الأحجام ، مثلما هم متساو والسن والقامات واللقى المنذلية (792) يهتفون بانضباط وعلى موجة واحدة ثم يعودون بالسرعة نفسها إلى الوراء بينما " أصواتهم تتعالى في نبرة واحدة " لا إله إلا الله محمد رسول الله عليها نحيا وعليها نموت وعليها نلقي الله " (793) أراد الشاعر أن يدخل وسطهم ، ثم ترك ووقف بقميصه الذي لا رقبة له وكأنه قميص ماوتسي تونغ " (794) في مواجهة مع هذا المد البشري باحثا في خلفيات هذه الأحداث ، ثم انتقل إلى الماضي وبدأ يتفكر ويتذكر ويشرح أحداثه ويتابع

789- الطاهر وطار: رواية " الشمعة والدهاليز " ، ص 87

790- المصدر السابق، ص 8

791- المصدر السابق، ص 14

792- المصدر السابق، ص 14

793- المصدر السابق، ص 14

794- المصدر السابق، ص 59

تطوره محاولاً أن يفهم من خلاله ما يجري في الجزائر من غليان ثوري لدى الجيل الشاب الملتحي ويقول " بالتأكيد إن زمن ما يحدث حالياً ابتدأ قبل الآن ولربما قبل الليلة... زمن ما يجري في المدينة وثبة طويلة شرع فيها منذ وقت بعيد وما يحصل هو بلوغ الطرف الآخر من الهوة " (795).

ثم يقوم الكاتب بسرد الأحداث الوطنية بعد الاستقلال حيث يقول: " استولى المعربون على التعليم خاصة على مراحل الابتدائية وعلى بعض مناصب في المجال الإعلامي... استولى المتفرنسون، من شارك في الثورة و منهم ومن لم يشارك، على المناصب الإدارية، كل حسب محسوبيته وليس حسب كفاءته " (796)، وركز وطار على حركة التحرير الوطني التي نالت حيزاً كبيراً في العمل الروائي وقسم هذه الحركة إلى ثلاثة مراحل تاريخية وهي : مرحلة التحرر الوطني و مرحلة ما بعد الاستقلال و مرحلة تجري قبل انتخابات 1992.

بعد ذلك نرى أن بطل الرواية الشاعر قد تعرف على شخصية " عمار بن ياسر " هو مهندس في النفط و قيادي في الحركة ، يناصر العقل والاعتدال ويبغض الجهل والتطرف ، اسمه الحركي عمار بن ياسر هو يكون مسروراً جداً بسب لقائه بالشاعر ويرجو لو تتوطد العلاقة بينهما ، حيث يدور حوار طويل بينهما ، ثم تعرف الشاعر والأستاذ الجامعي على شخصية الفتاة " زهيرة " التي جاءت في الرواية باسم " الخيزران " (797) في مواقع سردية أخرى ، كما ورد الشاعر باسم " هارون الرشيد " في مواقع أخرى من الرواية ، (798)، وتجد الإشارة هنا إلى أن الشاعر قد قام بتشبيه " زهيرة " باسم " الخيزران " بمجرد أول لقاء معها، كما يقول في الحوار معها : " أتدري لمن تشبهين ؟ لا... قالت متحفظة، كأنها خشيت أن تتماذي في الانسجام مع هذا الغرايب ، غريب الأمر " (799)

⁷⁹⁵ - المصدر السابق، ص 11

⁷⁹⁶ - المصدر السابق، ص 67

⁷⁹⁷ - المصدر السابق، ص 101 - 119 - 151

⁷⁹⁸ - المصدر السابق، ص 112 - 119 - 133

⁷⁹⁹ - المصدر السابق، ص 110

وخلال المناقشات الدائرة بينهما يسألها " هل تعرف شخصية هارون الرشيد فأجابته بأنها تعرفه كما تعرف الشاعر أبا نواس وشخصية زبيدة " (800)، وبعد هذه النقطة السردية تقترح " زهيرة" على الشاعر أن يكون هو هارون الرشيد ، وهكذا ينتقل بنا الكاتب إلى أعماق التاريخ فتحول البطل من الشاعر والأستاذ الجامعي إلى هارون الرشيد ، وتتحول الفتاة من زهراء إلى الخيزران التي تقول : " فدراستي توقفت في السنة التاسعة المتوسطة عبثا حاولت بواسطة التعاليم المعمم إتمامها لكن تصميمي على أن توقف عنها وأجد عملا ما، منعاني من مواصلتها حصلت على شهادة في الرقن ، و تدريب على معالجة النصوص بالكمبيوتر، ولا اشتغل. أخت لثلاثة ذكور ولخمس بنات أنا أصغرهن " (801) .

وفي مشهد روائي آخر يقدم لنا الطاهر وطار شخصية الخيزران من الناحية التاريخية " الخيزران هي فتاة بربرية سببت من شمال إفريقيا ، وأخذت إلى القصر العباسي لتنجب هارون الرشيد.... مع الأسف لم يهتم بها الباحثون الدارسون لا المؤرخون ولا علماء النفس ولا السياسيون بالتأكيد أهمل شأنها ، لأنها من أصل بربري" (802).

و هكذا قد مزج الكاتب في الشخصية الروائية بين الحاضر والماضي من خلال الاستقبال والقراءة ثم التوظيف في النص الروائي حسب ما تقتضيه المواقع السردية، وتنتهي الرواية بحدث درامي حيث تتعرض شخصية الشاعر لعملية اغتيال التي قام بها سبعة ملثمين.

الشخصيات الرئيسية لهذه الرواية:

يوسف سبتي: هو الشاعر والباحث يعد من الشخصيات المركزية في الرواية، هو بطل الرواية وعالم اجتماع و يصف الكاتب الطاهر وطار جانبه الخلفي قائلا : " كان نحيفا ، طويل الوجه ، بارز الوجنتين ، غاير العينين، قاسي الملامح جاف النظرة ، يرتدي جاكيتة بنية بدون

800 - المصدر السابق، ص 111

801 - المصدر السابق، ص 109

802 - المصدر السابق، ص 111

بطانة وسروال جين يتسع لاثنتين مثله " (803) و إضافة إلى ذلك نرى أنه منذ صغره يتميز بوطنية حادة وبميله إلى المطالعة المتنوعة وكذا دفاعه المتواصل عن اللغة العربية، وقد عاش فترة الاحتلال طفلا والتحق بالمدرسة المخصصة للمحظوظين من أبناء الموظفين في الإدارة الفرنسية، والده كان يتصور له منصبا رفيعا بعد مجئ الاستقلال، أما هو فكان يتمنى أن يكون "عازف ناي" في الأعراس.

انتقل إلى الثانوية بمدينة قسنطينة حيث انفتحت شهيته على القراءة فعكف على المطالعة والقراءة ، أما مظهره البدوي الذي كان مثيرا للسخرية لم يمنع من عزيمته ، وأيضا أنه لقي هناك باليساري هو لفت انتباهه إلى الفكر الماركسي الذي وسع من آفاق وعيه للعالم فكان مساندا للجماهير الفقيرة والطبقات الكادحة، فهو يقول: " لفت انتباهي إلى كتب يقال أنها مهمة وقيمة فكان أول اتصالي بالفكر الماركسي وتعرفي على الاشتراكية" (804)، وفي الثانوية أنه أصبح معروفا بمهاتما غاندي(805) بسبب رأسه الحلقة، و ربما مظهره يبعث على الضحك لكنه ذكي جريء وسريع البديهة يعرف كيف يفحم خصمه بسخرية سوداء ولسان لاذع .

ثم تعرف الشاعر على " عمار بن ياسر" هو مهندس في النفط، وقيادي في الحركة ، يناصر العقل والاعتدال ويبغض الجهل والتطرف فهو أصبح مسرورا جدا بسبب لقائه بالشاعر ويدور حوار طويل بينهما، ثم لقي الشاعر بالفتاة " زهيرة" التي وردت في الرواية باسم " الخيزران" (806) وتجدر بالإشارة هنا إلى أن الشاعر قد قام بتشبيه " زهيرة" باسم " الخيزران" (807) بمجرد أول لقاء وأيضا مرة تقترح " زهيرة " على الشاعر أن يكون هو هارون الرشيد ، فبعد ذلك أصبح الشاعر معروفا ب هارون الرشيد، وقام بتدريس علم الاجتماع في المعهد الفلاحي، وكرس حياته لخدمة المصلحة العامة وقد اختار العزلة الإرادية بعد مرضه النفسي بسبب ما عاناه في بلاده من اختلال للقيم والموازين والجهل والنفاق والسطحية. في نهاية

803 - المصدر السابق، ص 111

804 - المصدر السابق، ص 56

805 - المصدر السابق، ص 57

806 - المصدر السابق، ص 101

807 - المصدر السابق، ص 110

الرواية نجد أن سبعة ملثمين يقتحمون علي الشاعر في ساعة من الليل " كسروا الباب حطموه ودخلوا.. كانوا سبعة ملثمين لا تبدو من وجوههم إلا أعينهم، في أيديهم رشاشات وفي أحزمتهم سيوف دفعوه إلى غرفة النوم وأمروه بالوقوف، وجلسوا، وأعلنوا بصوت واحد محكمة" (808) ثم يشرعون في محاكمته.

الملثم الأول حكم عليه بالإعدام برصاصة في الصدر وطعنة في البطن والتهمة معاداته للنظام الجمهوري الديمقراطي (809)، والثاني حكم عليه برصاصة في الرأس وطعنة في القلب والتهمة ممارسة السحر والشعوذة، (810) والرابع حكم عليه بالموت والتهمة الزندقة، (811) والخامس حكم عليه بالإعدام بعشر رصاصات في الرأس، و التهمة معاداته لفرنسا والجزائر والإسلام والعروبة، (812) والسادس قدم مجموعة من الإدانات، (813) والسابع لم ينطق ولم يقدم أي شيء، كان الشاعر ينظر إليهم وهو في حيرة من أمره ثم يقول في قرارة نفسه: " عندما نموت لا يهم موتنا سوى الآخرين " (814).

عمار بن ياسر : هو شخص مهندس في النفط ، قيادي في الحركة ، ومسؤول في أحد التنظيمات الإسلامية اسمه الحركي عمار بن ياسر ويصفه الكاتب الطاهر وطار قائلا " في الثلاثين، مهندس في النفط وقيادي في الحركة ، يناصر العقل و الاعتدال و يبغض الجهل والتطرف، اسمه الحركي عمار بن ياسر" (815) واسمه الحركي ذو الدلالة السياسية والتاريخية لمتقف إسلامي في الثلاثين ، متثقف بالثقافة العربية والإسلامية وفي الوقت نفسه يجيد الفرنسية والعربية ، ويمثل الإيديولوجيا الدينية السلفية المعارضة للسلطة ، وأبوه إسماعيل كان مجاهدا في الثورة وأمه مطلقة ، واختلف عمار بن ياسر مع أبيه منتقدا سلوكه في جمع الأموال والسعي إلى الربح بعد الاستقلال وفقد الثقة به ويرى أن والده ساهم حقيقة في تحرير بلده

808- المصدر السابق، ص 156

809- المصدر السابق، ص 159

810- المصدر السابق، ص 160

811- المصدر السابق، ص 162

812- المصدر السابق، ص 163

813- المصدر السابق، ص 165

814- المصدر السابق، ص 165

815- المصدر السابق، ص 27

ولكنه لم يواصل عمله بعد الاستقلال . شأنه في ذلك شأن أغلب رموز الثورة الذين " لم يحافظوا على شرفهم وشرف الشهداء ويقنعوا بما ينالهم وبدل أن يحكموا المبادئ التي ضحوا من أجلها واستشهد لها مئات الآلاف بنفس الانضباط والصرامة ليثق الناس بهم ، اقتسموا التركة دون كتابة فريضة بتواطؤ غريب " (816).

و من جانب آخر نجد أن عمار تأثر بشخصية الشاعر في لقائه أول وطلب منه صراحة أن يكون صديقه : " عرفتك وأني جد مسرور بملاقاتك أنت رجل متزن.....أعم أنك لا تنتظر أحدا ، ثم إنني في حاجة إليك ، لنصادق أيها الشاعر الفيلسوف" (817) وأيضا أبدى إعجابه بالشاعر واحترامه له وحاجته إلى التعاون معه والاستفادة من خبرته : "أنت رجل محترم ويندر أن يصادف المرء مثلك ، وإذا لم تخب ظنوني فيك ، فإنك واحد ممن تحتاج إليهم دولتنا الفنية ، نحن في حاجة إلى علماء مؤمنين ، ويبدو أنك عالم وهذه الشجاعة لا تصدر إلا عن رجل قوي الإيمان ، قوي الثقة بالله وبالنفس" (818) وأيضا نرى أن عمار قدم الشاعر إلى المجلس الأعلى للحركة بتعيينه وزيرا للفلاحة قبل الاقتراح بالإجماع التام، وفي نهاية الرواية تأثر عمار جدا بمقتل الشاعر ويجلجل حانقا لا يدري أية عبارة عليه أن يستعمل وأي موقف يتخذ وأية جهة يتهم وعلى أية حال فهو يخاطب صديقه الشاعر قائلا: " أيها الشهيد ، أيها الشاعر الشهيد ، أيها الوزير الشهيد ، أيها الشهيد الأول في تاريخ الجمهورية الإسلامية" (819).

الخيزران: اسمها " زهيرة" ورد ذكرها في رواية " الشمعة والدهاليز" حين يتعرف الشاعر على شخصيتها و قد قام الشاعر بتشبيه " زهيرة" باسم " الخيزران" في أول لقاء، وهكذا تتحول الفتاة من زهراء إلى الخيزران ، كما أنها نالت شهادة في تدريب على معالجة النصوص بعد أن دراستها قد توقفت في السنة التاسعة وهي تقول في هذا الصدد : " فدراستي توقفت في السنة التاسعة المتوسطة عبثا حاولت بواسطة التعاليم المعمم إتمامها لكن تصميمي على أن

816 - المصدر السابق، ص 78-79

817 - المصدر السابق، ص 27-28

818 - المصدر السابق، ص 25

819 - المصدر السابق، ص 170

توقف عنها وأجد عملا ما، منعاني من مواصلتها حصلت على شهادة في الرقن ، و تدريب على معالجة النصوص بالكمبيوتر، ولا اشتغل. أخت لثلاثة ذكور ولخمس بنات أنا أصغرهن (820)، هي طويلة وجميلة لكن بالرغم من كل ذلك الشاعر أعجب بمؤهلاتها المعنوية وخاصة بفصاحة لغتها العربية ومحاولة التمرد على بعض التعليم ، واعترافها أن أباهما أعجب بشجاعتها و صراحتها، ومن جانب آخر يقدم لنا الطاهر وطار شخصية الخيزران من الناحية التاريخية فهو يقول " الخيزران هي فتاة بربرية سببت من شمال إفريقيا ، وأخذت إلى القصر العباسي لتنجب هارون الرشيد.... مع الأسف لم يهتم بها الباحثون الدارسون لا المؤرخون ولا علماء النفس ولا السياسيون بالتأكيد أهمل شأنها، لأنها من أصل بربري" (821).

بالإضافة إلى ذلك وردت أسماء تاريخية أخرى بمواقع مختلفة في رواية "الشمعة والدهاليز" منها طارق بن زياد ، موسى بن نصير، خالد بن وليد، أبو ذر الغفاري (822) عثمان بن عفان ، معاوية بن أبي سفيان عمر الخطاب والزبير بن العوام (823) وأيضا جاءت أسماء أخرى منها " خير الدين بربروس يركب فرسا قاتل عقبة بن نافع ، دونات القديس الثائر (824) ورد ذكر محمد العيد آل خليفة في الرواية على لسان الشاعر في قوله " فهذا محمد آل خليفة الشاعر الفحل الذي يعجب الطلبة والأساتذة فيقول : يا بنات الجزائر كن للاستعمار ضرائر" (825) كما جاء ذكر الأمير عبد القادر الجزائري على لسان الشاعر عند الحديث عن خصوصيات الجزائر الفريدة في العالم (826).

وصف الرواية:

من خلال الدراسة اتضح لنا أن رواية " الشمعة والدهاليز" التي تزامنت مع الانقلاب السياسي الذي عرفه المجتمع الجزائري بعد أحداث أكتوبر 1988م والتغيرات الكبيرة والسياسية التي

820 - المصدر السابق، ص 89

821 - المصدر السابق، ص 111

822 - المصدر السابق، ص 191

823 - المصدر السابق، ص 90

824 - المصدر السابق، ص 68

825 - المصدر السابق، ص 105

826 - المصدر السابق، ص 21-28

فتحت المجال للتعددية الحزبية، وحرية الرأي والتعددية الثقافية واللغوية تبحث عن المسببات والمرجعيات التاريخية التي أوصلت الإنسان الجزائري المتحول باستمرار إلى اتخاذ العنف كوسيلة للوصول إلى السلطة التي كما عرفتها الجزائر، ومن جانب آخر تتميز رواية الشمعة والدهاليز بشكلها السردية بتجاوزها النمط السردية التقليدي الذي كان قوام الرواية الجزائرية في السبعينات والثمانينات، وكان السارد في مألوف الأطوار إنما يحكي ما وقع للشخصية، أو للشخصيات في الزمن الماضي أساسا.

وعلاوة على ذلك نرى أن رواية الشمعة والدهاليز هي قفزة نوعية في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر الذي استطاع تجاوز الكتابة النمطية الضيقة التي سادت فترة السبعينات والثمانينات التي انشغلت بالمضمون دون الشكل، ويقول الطاهر وطار في الحوار: "تدور حول تأملاتي في تكرارية الظواهر التاريخية والكونية، أحاول أن أفهم ما يشهده التاريخ من تكرار و"استنساخ" للأحداث والأشخاص والأفكار، وفق حركات مد وجزر لا تتوقف، أحاول التأمل في كل ذلك، مع مراعاة كون محيطنا العربي يحول، في كثير من الأحيان، دون الذهاب إلى آخر النفق، والدفع بتأملاتنا في قضايا الكون إلى أقصاها"⁽⁸²⁷⁾.

وأیضا يتجلى من خلال التتابع الزمني أن سرد رواية الشمعة والدهاليز يبني على خطين متوازيين أحدهما سرد للأحداث الحالية التي تحدث عنها الشاعر وهو يحاول فهم ما يجري في مدينة العاصمة الجزائر، وثانيهما سرد للأحداث الماضية التي يسترجع فيها الشاعر صباه و مدرسته ومؤتمراته ونظرياته التي كان يتنبأ بها عن مستقبل الجزائر والتي تتحقق اليوم واقعا، ويتوسط هذان الخطان سردا للأحداث المستقبلية التي يصفها بالمستعصية والدموية، إذا تحقق مشروع الحركة الإسلامية المناهضة للعقل والعلم.

و يظهر لنا مما سبق أن رواية الشمعة والدهاليز تقدم مظاهر المجتمع الجزائري في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات ، وثقافة الفئة الظاهرة في تلك الآونة تعرض لنا التكوين الاجتماعي

⁸²⁷ - أمين ياسين : صحيفة "الحياة" رقم العدد 329 ، تاريخ النشر 18-05-1998 م ، ص 50

الثقافي للروائي الذي يتمثل في الينابيع الفكرية التي كونت رصيده المقدس من جهة ، ومن جهة أخرى في فكره الاشتراكي الذي كان وليدا لمرحلة معينة في الجزائر، والرواية عملت على تصوير المرحلة التاريخية التي تعرضت فيها الماركسية للتفكك مع صعود التيار السلفي على أساس أن كل نظرة تحمل موقفا مغايرا للآخر أعني أن التيار العلماني الماركسي يختلف عن نظرة التيار الديني.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الطاهر وطار من خلال هذه الرواية حاول أن يتناول كتابة الفوضى والتمرد ونقد الوضع السياسي، و يتخذ أبعادا نفسية اجتماعية وتارة أخرى أبعادا تاريخية سياسية ، وأيضا يستخدم الكاتب " الشمعة" رمزا للتضحية ، فالشمعة تضحي بنفسها من أجل راحة الآخرين ومن أجل الإنارة عليهم، كما يضحي الشاعر لأجل بقاء نوره ساطعا إزاء ظلمة السلطة والسياسية الراهنة ، وقد تشترك هذه الرواية مع روايته " اللاز" فبطلها يمثل ذلك المثقف المعرض للسلطة فمصيره يبقى كل من أراد أن يعارض نظاما أو يخرج على السائد محاولا تغييره⁽⁸²⁸⁾ ومن هذه المواصفات السردية يتمحور البعد الأيديولوجي في قراءة التاريخ الوطني الذي بدأ مع مسيرة الروائي الطاهر وطار بدءاً من " اللاز" ووصولاً إلى " الشمعة والدهاليز" و لاريب في أن رواية" الشمعة والدهاليز " في نظامها السردية لا تختلف عن رواية " اللاز" في استغلال الحادثة التاريخية ، فما حدث لبطل رواية" اللاز" أيضا حدث للشاعر بطل رواية " الشمعة والدهاليز".

و من خلال هذا المنطلق يتجلى لنا أن الكاتب ركز عنايته على قضية الغزو الثقافي الذي كان يواجه المجتمع الجزائري فهو يقول: "بؤساء بؤساء وهم ليسوا قلة حتى يمكن نسيانهم...كلهم ركبوا موجة الثلاثية ونصبوا أنفسهم الجزء الثالث الذي لا يتجزأ ، الجزء المفرنس أو بالأحرى الجزء الفرنسي،"⁽⁸²⁹⁾ و أيضا يقول: " يحضره قريبه الذي لا يتحدث إلا الفرنسية ولا يعلم إلا بأن يرد المعهد سير من طرف غرو نوبل بفرنسا ، تحضره السيدة خ أستاذة الأدب المقارن

⁸²⁸ - علبية مودع: هامشية المثقف ورهانات السلطة ، ص 7

⁸²⁹ - الطاهر وطار: رواية " الشمعة والدهاليز " ص 110

ببوزريعة كل رسالتها في الحياة أن تثبت أن من كتب بالفرنسية وإنما يمثل هذا الشعب في نهضته"⁽⁸³⁰⁾ ثم يضيف في مقطع آخر معتبرا أن هذا السلوك هو محاولة للتأكيد على استمرار الوجود الفرنسي في الجزائر وتهميش قضية العروبة ، إذ هو يكتب : " ألف ألف واحد ممن يتبحون بجهلهم ، ممن يحول لهم أن يبادروا إلى القول وهم بيتسمون ، إنهم لا يعرفون اللغة العربية ، يحضره مديروه على مر السنوات المنصرمة فرنسيين ، وأولاد فرنسيين لا يرحمون وطنهم ولا يشفقون عليه"⁽⁸³¹⁾ هكذا استغل الطاهر وطار قضية التغريب والغزو الفكري والثقافي للمجتمع الجزائري في رواية الشمعة والدهاليز.

أما من جهة الأسلوب فاللغة لرواية "الشمعة والدهاليز" تنقسم إلى تقريرية مباشرة وشاعرة صوفية ، كما نجد في الفصل الأول أن الكاتب يسهب في النقاش السياسي حتى أصبح نص الرواية يشابه المقال الصحفي أو المرافعة الفكرية والسياسية. أما الفصل الثاني فيمتاز بلغة شاعرية رقيقة تصل في بعض الأحيان إلى حد الصوفية كأن الشاعر مناجيا حبيبته فهو يقول " ما أن أقف حتى يمتلئ المسجد بك المحراب ، والجدران و الزرابي وكل فضاء في المسجد يمتلئ بك ، ، فلا أدري ما أقول وما أفعل ، الله لا يتجلى لي، عيناك فقط تتجليان ، الله لا يتجلى فقط تبهجني ، وإني لأهرب منك إلى لقياك كي أستريح قليلا من رؤياك أكون بالصلاة جروح الروح فلا تكتوي " ⁽⁸³²⁾ لذلك نجد أن القارئ لرواية الشمعة والدهاليز يشعر كأنه يقف أمام نصين أحدهما يتصل بحرب التحرير وموقف الشاعر منها واندماجه فيها ، والثاني هو وقوع الشاعر تحت وطأة محنة فكرية مدلهمة أودت بحياته ⁽⁸³³⁾.

⁸³⁰ - المصدر السابق: ص 110

⁸³¹ - الطاهر وطار: رواية " الشمعة والدهاليز " ص 110

⁸³² - المصدر السابق: ص 152

⁸³³ - سلمى محمود: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 133

رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي "

رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " هي الرواية التاسعة كتبها الطاهر وطار عام 1999م ، وقد صدرت طبعتها الأولى عن منشورات سلسلة الزمن المغربي عام 2000م، وأهدى الكاتب هذه الرواية إلى "علاق الفكر العربي المعاصر المرحوم الدكتور حسين عروة" (834) وتتناول هذه الرواية أحداث العنف السياسي الذي عاشته الجزائر طوال السنوات السبع الماضية وبالأخص في التسعينات، فنجد إشارات واضحة في هذه الرواية إلى المفاوضات التي جرت بين الجيش الوطني الشعبي والجيش الإسلامي للإنقاذ، كما أن هذه الرواية هي الرابعة بالنسبة للكاتب التي يتناول فيها ظاهرة الإسلام بعد رواياته " عرس بغل " و " العشق والموت في الزمن الحراشي " و " الشمعة والدهاليز " بحيث تعكس هذه الروايات مرحلة من مراحل تطور الظاهرة الإسلامية في الجزائر.

أحداث الرواية :

وتدور أحداث رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " في فضاء زمني يبدأ من عهد عمر بن الخطاب إلى غاية اليوم ، ويبقى هذا الزمن مفتوحا على المستقبل بالقدر الذي يبقى موضوع القصة مستمرا فهو أزمة المجتمع العربي الإسلامي والمجتمع الإسلامي ، فهذا الزمن يشكل تاريخ المجتمعات الإسلامية التي تعيش أزمة ، وهذه الأزمة ليست وليدة اليوم بل ضاربة في القدم منذ اختلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبي بكر بن الصديق حول قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة ، فالذي يريد البحث عن جذور الأمة التي تعيش هذه المجتمعات الإسلامية في وقتنا الراهن عليه بالرجوع إلى تفاصيل هذه الواقعة.

أما بطل الرواية فهو الولي الطاهر الذي يبحث عن قصره وعن مجد أضعاء الخلفاء المسلمون الذين أفلت معهم نجوم الحضارة الإسلامية، وقد جمع الكاتب الطاهر وطار في شخصية بطل الرواية كل التناقضات، فمرة هو صوفي ومرة إنسان مسلم تائه ، مرة حاكم متسلط و إرهابي

⁸³⁴ - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " ص، 1

هكذا نجد منزلته في الرواية ، كما نشاهد فيها متعددة الوجوه للبطل الولي الطاهر ومن هذه الوجوه :

البطل الصوفي: فهو يعيش خارج الحضارة في الوقت الذي حققت فيه الشعوب الأخرى الرفاهية عن طريق استثمار العلوم ، كما أنه يركب عضباء في عز غزو الفضاء الذي بها يتموج داخل الزمن الإسلامي الغاض بالأزمات كما جاء في الرواية " خف الإيقاع ولم يكن هناك لا نور و لا ظلمة ، لا بياض وسواد الأعين مغمضة والأيدي كما الصدور تعلو وتنخفضيهزني الهفو فأهفو لحبيبي حيث يشاء يقربي فلا أنسى ويسر في اليسرى "(835).

مسلم تائه: نجد الروائي يصف كيفية صلاة الولي الطاهر كما يلي " قرأ الفاتحة وصورة الأعلى وتوقف عند الآية: (سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) وفي الركعة الثانية وجد نفسه يتلو : (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا عليه الشمس دليلا) "(836) وفرح لعودة ذاكرته إلى هذه الآية، بعد أن انمحي القرآن من صدره، وباءت محاولاته المتكررة، في تذكر سور أخرى غير الفاتحة وسورة الأعلى، فالولي الطاهر الذي يحاول إقامة دولة إسلامية لا يحسن القراءة حتى إقامة الصلاة ، هذا ما أراده الكاتب بهذا الوصف.

الإرهابي : نجده يمتلك كل مواصفات الإرهابي بحيث يصدر الأوامر لقتل الأبرياء " توزعوا على كل بيت ، ولا تبفوا لا على من جرت عليه الموسيقى ولا من تجر عليه ، من حاضت عدا من يعن سبيهن"(837) هكذا تختلف الأدوار في الشخصية الواحدة التي جاءت للكشف عن سلبيات المجتمع الجزائري خاصة والمجتمع العربي والإسلامي عامة.

وصرح الكاتب في مقدمة الرواية بأنه استند " في هذا العمل على حالة وقف أمامها خليفتان لا نقاش في نزاهتهما ، موقفين متضادين هي حالة خالد بن الوليد لمالك بن نويرة ففي حين طالب

835 - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي": ص، 68

836 - المصدر السابق: ص، 4

837 - المصدر السابق: ص، 73

عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجم خالد ، وهذا موقف مبدئي في منتهى الصرامة والقسوة ، قال أبو بكر رضي الله عنه لقد اجتهد خالد وخلصته أنه يشك في إصابته فله أجر واحد" (838) لكن بالرغم من كل ذلك لم يجعل الكاتب من هذا الحدث التاريخي مجرد إسناد بل جعله أساسا انبثت عليه الرواية كلها وحاول ربط القتل في الماضي بالقتل في الحاضر، حتى يصبح الفصل بينهما ضربا من الترف يصعب كثيرا على المتلقي اعتماده ، ويبدو تداخل الحدث التاريخي بالسرد الروائي في النص من خلال حادثة مقتل الصحابي الشاعر " مالك بن نويرة" على يد الصحابي " خالد بن الوليد" التي جعل منها الكاتب دعامة بني عليها أحداث روايته .

والملاحظ هنا أن النص لم يورد هذه الحادثة على سبيل التمثيل أو الاستشهاد إنما كعنصر سردي وظفه الكاتب كنوع من المساومة قامت بها شخصية تاريخية هي "بلارة" واستغل الروائي الطاهر وطار مصير هذا الشاعر في جعل العلاقة بين " الولي" و"بلارة" علاقة يحكمها المصير المحتوم ، ف"بلارة" ساومت " الولي" بقولها " تزوجني وإلا لحقتك لعنة الحافل مالك بن نويرة" (839) يطالع القارئ النص بالحادثة دون مقدمات تذكر " رفع إلى المقدم تقريرا مطولا يشكو فيه من أعراض يخشى أن تكون بداية للوباء الذي هربنا منه ، يا جناب الولي الطاهر يا مولانا ، مالك بن نويرة سيد بني يربوع وكل حنظله ، الذي قتله سيدنا خالد بن الوليد في حرب الردة يثير هذه الأيام اهتمام الطلبة والطالبات" (840) "اتفقت الطالبات على أن أم متمم بالإضافة إلى جمالها الفتان الذي ربما تعرف جزيرة العرب مثله هي صاحبة شخصية قوية فوق كل ذلك اكتسبت ثقة خالد بن الوليد بسرعة خارقة" (841) " لقد انسجمت أم متمم بسرعة حسب سابق الأحداث التاريخية مع سابها قاتل زوجها" (842).

ثم ينتقل الكاتب إلى استعراض أسباب بناء المقام الزكي ويقول: " أسسها عباد الرحمن هاربين بدين الله عندما انتشر وباء خطير يصيب المؤمن في قلبه فيضحى ودونما إعلان عن ذلك أو

838 - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي": ص، 14

839 - المصدر السابق: ص، 25

840 - المصدر السابق: ص، 46

841 - المصدر السابق: ص، 47

842 - المصدر السابق: ص، 49

إحساس به لا هو بالمسلم ولا هو بالكافر قد يصلي وقد لا يصلي غدا بل قد يقطع صلاته ويسرع إلى خمارة من الخمرات التي انتشرت في كل ركن ، يديرها مسلمون بعد أن اشتروها أو خلصوها من اليهود والنصارى ، لم يفرق الوباء بين المرأة والرجل ... كالجرب سرت عدوي الفسق والفجور، والاستخفاف بكل قيم الأولين لكن الناس لم يعودوا يحكون جلودهم" (843)، وهي إشارة إلى تاريخ الحركة التي ظهرت بشبه الجزيرة العربية بهدف الدعوة والإصلاح الديني ومحاربة الفساد في المجتمعات الإسلامية ورغم أن مهمة هذه الحركة اقتصر في بداية الأمر على الدعوة والإصلاح إلا أنها تطورت بشكل تدريجي وانقسمت إلى مجموعة من التيارات والجماعات المتطرفة التي ارتبطت بالعنف (844).

والرواية تنتهي إلى هذه العبارة " قرر الولي الطاهر، أن يؤدي صلاة الكسوف، فلم يجد في ذاكرته سوى الفاتحة وسورة الأعلى، فاستعان بهما في كل الركعات، وفي كل مرة يتوقف عند الآيات: (..سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) (845).

الشخصيات في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي":

الولي الطاهر: هو بطل الرواية الذي يبحث عن شرف ومجد أضاعه المسلمون ، فهو النواة التي تجئ وتذهب منها وإليها الأحداث، هذا البطل الصوفي الذي جمع الكاتب في شخصيته وجوها متعددة ، فهو يعيش مرة خارج الحضارة في شطحات صوفية سلبية في الوقت الذي حققت فيه الشعوب الأخرى الرفاهية عن طريق استثمار العلوم ، فهو يركب عضباء في غزو الفضاء بها يتموج داخل الزمن الإسلامي الغاص بالأزمات مرة يهرب من جلده وأخرى ينشد إلى الماضي إلى حنين عصور خلت لا هو فيها ولا هو في العصر الحاضر له كرامات تقابل

⁸⁴³ - المصدر السابق: ص، 32

⁸⁴⁴ - الدكتورة لطيفة قرور: هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار، ص 105

⁸⁴⁵ - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" ص، 173

معجزات الأنبياء والمرسلين إنه نبي سلبي في هذا العصر وكرامته السلبية تقابل المعجزات الإيجابية فالكرامة بمعنى آخر بعث للماضي في الحاضر حلول الصحراء في الجبل والغابة والثلوج في الأماكن التي يتواجد بها المسلمون،⁽⁸⁴⁶⁾ أنه الشرخ الفكري الذي يشكو منه المجتمع الإسلامي فالبطل من خلال الرواية هو ضياع الإنسان الذي صدمته الحضارة الغربية وجرحه الحاضر الذي يزج به في غياب ودهلير الماضي.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن شخصية بطل الرواية الولي الطاهر تبقى غير معلومة الملامح ولا يمكن للقارئ أن يتعرف على معالمها خاصة حركته وأفكاره، فالقارئ يُنهي قراءة الرواية دون أن يقف على ملامح شخصيته كما لا يستطيع تحديد هويته ومن هنا يظل وجوده مبهما في النص و في هذا الصدد يقول الأستاذ حسن بحراوي: " أن المؤلف يترك للقارئ أمر استخلاص النتائج والتعليق على الخصائص المرتبطة بالشخصية سواء من خلال الأحداث التي تشارك فيها أو عبر الطريقة التي تنظر بها تلك الشخصية إلى الآخرين ، وفي هذه الحالة يكون علينا أن نستخلص صفاتها أو مميزاتها من خلال الأفعال والتصرفات التي تقوم بها وتسعفنا في هذا الصدد تلك العبارات وال فقرات التي يقدم المؤلف شخصية وهي تقوم بعمل ما بحيث تختزل صورتها ومزاجها وطبائعها" (847).

بلارة: هي الشخصية التاريخية التي أوقفت الحرب القائمة بين " بني مالك الناصر" وابن عمه " تميم بن المعز بقبولها الزواج مع المالك الناصر لأجل حقن الدماء لكن الكاتب الطاهر وطار يوظف " بلارة" بشكل مغاير، فهي رمز الفتنة والأمازيغية و رمز لتخلي المرأة عن تقاليدها فتتحول إلى امرأة فاقدة للحياة ومثيلة لنساء هذا العصر، و بلارة تتحكم فيها القوي لكي تتخلي عن تقاليدها وتريد أن تمرر بواسطة مشروعها وذلك بإنجاب نسل جديد " إن الذين أرسلوني إليك يريدون ملاً هذا الفيف بنسل خاص" (848) ومن جانب آخر يقول الروائي على لسان بلارة: " الذي حملني التلفاز إليك من عندهم كل الناس صينيون، أمريكا هود، ألمان ، فرنسي،

⁸⁴⁶ - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" ص، 68

⁸⁴⁷ - الأستاذ حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي ، ص 223-224

⁸⁴⁸ - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" ص، 8

مسلمون، مسحيون، يهود، هندوك، عبدة شمس وأوثان (849)، وأيضا نرى أن مشروع بلارة يتناقض مع مشروع الولي الطاهر الذي يريد بإقامة الدولة الإسلامية لأنه يدعو إلى الديمقراطية الحديثة التي تسمح بتعدد الأعراق والأجناس والديانات ، فبلارة إذن تسعى جاهدة إلى إقامة مجتمع علماني ، كما هي ترمز إلى الجزائر.

ويصف الروائي وطار قائلا : " أنها بيضاء مستديرة الوجه ، عيناها كبيرتان كالحناء السوداء ، فمها صغير مستدير، أنفها الأفطس يضفي على ملامحها مسحة حرة أو لبؤة" (850)، وإلى جانب هذا الوصف الخارجي يصف سلوكها بالمبادرة والشجاعة " لم تنتظر أن يؤذن لها لا بالسفور ولا بالجلوس كانت هي لكن تمضغ علكة في وقاحة بينه " (851) وأضاف قائلا " كانت شبه عارية طرحت جلبابها ثم قميصا حريرا ورديا ثم سروالا جينز بعضه مبيض وبعضه يحتفظ بزرقته الدلماء ، وقذفت بحذائها ذي الكعب العالي بعيدا عنها غير مبالية بموقعه" (852).

ومن الشخصيات الرئيسة الأخرى لهذه الرواية مالك بن نويرة رضي الله تعالى عنه كان من كبار بني يربوع من بني تميم، وصاحب شرف رفيع بين العرب، ضرب به المثل في الشجاعة والكرم والمبادرة إلى إسداء المعروف ، كما كانت له الكلمة النافذة في قبيلته، حتى أنه لما أسلم ورجع إلى قبيلته وأخبرهم بإسلامه، فأسلموا على يديه جميعاً ولم يتخلف منهم رجل واحد، قد نال منزلة رفيعة لدى النبي حتى نصبه وكيلاً عنه في قبض زكاة قومه كلها، وتقسيمها على الفقراء، وهذا دليل على الثقة به واحتياطه وورعه، يقال إنه امتنع عن دفع الزكاة بعد وفاة الرسول و بسبب ذلك اتهم بالارتداد عن الدين الإسلامي والخروج عن الملة ، وهذا الذي دفع بخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى قتله رغم أنه أعلن أمامه إسلامه وشهادته ، هذا أثار الفتنة فطالب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بجرم خالد لكن أبوبكر

849 - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " ص، 84

850 - المصدر السابق: ص، 69

851 - المصدر السابق: ص، 63

852 - المصدر السابق: ص، 86

رضي الله تعالى عنه قال اجتهد خالد فله أجر واحد (853).

ويقول الكاتب " بعضهم اتهم بإسلامه وهل كان إسلاما صادقا إلى درجة أن يكون محل ثقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبعثه من جماعة المصدقين في العرب... هل الشك في إسلام مالك إلى درجة قتله؟ لو أن مالك لم يقتل، هل كانت الحرب تتواصل ويسقط الضحايا ماسقط..... بعضهم اهتم بخالد بن الوليد رضوان الله عليه وراح يتساءل عما لو نُفِّذَ مطلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأقيم الحد عليه، من يكون الظالم ومن يكون المظلوم " (854) .

وأیضا ورد ذكر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في الرواية، وأدرج الكاتب الطاهر وطار من خلال حديثه عن موقفه حيث طالب بقتل خالد بن الوليد قصاصا لأنه تسرع في قتل مالك بن نويرة، يقول الروائي " مهما كانت بطولة خالد فليس فيها فتوة، لقد كان عسكريا يتصرف كما يتصرف كل عسكري، لا يهمه من أمر الحرب سوي كسبها وسيحكم الله بينه وبين مالك بن نويرة، غير أن مالكا وينبغي التسليم في صدق اسلامه، تصديقا لعمر بن الخطاب، يجب إضافة إلى من شرب كأس الفتوة ولبس سروالها " (855) يظهر بهذه العبارة أن الكاتب يؤيد موقف عمر بن الخطاب أعني أن خالد بن الوليد قد أخطأ في قتل مالك بن نويرة.

وإضافة إلى ذلك في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " جاء ذكر أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (856) وخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه (857)، ونجيب محفوظ صاحب الثلاثية الشهيرة وأولاد حارتنا يقول وطار " لقد قرأ الفلسفة وسكنه من سكن السهر وردي فعاد في كتبه الأولى يبحث عن جذور الوثنية في تجاوير الوديان والأهرامات ثم سوى بين الإخوان المسلمين والملاحدة والشيوخيين وراح يستنطقهم في أعمال كثيرة ثم سجن الله في حارته وجعل الأنبياء فتوة العهود المتخلفة، فهمه النصرى واليهود فكافئوه

853 - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " ص، 6

854 - المصدر السابق: ص، 22

855 - المصدر السابق: ص، 143

856 - المصدر السابق: ص، 6

857 - المصدر السابق: ص، 6

ليكون رمزا لمخنا الفاسد⁽⁸⁵⁸⁾، وعيسى لحليح الذي كان أستاذا جامعيا وشاعرا يعشق الشعر داخل الجامعة وفي الملتقيات الأدبية فهو رمز للمثقف الجزائري الذي شارك في الأزمة الجزائرية" أنه هو عبد الله عيسى لحليح ، في قمم جبال بني عاقر وجبال البابور الوعرة، أجبر على هجر مدرج الدراسة بجامعة قسنطينة، ترك طلبته وطالباته والقلم والقرطاس وجاء يعظ ويرشد ويقتل، يمتلئ شعرا يمتلئ وجدا، يمتلئ حبا، يمتلئ كراهية⁽⁸⁵⁹⁾.

وصف الرواية :

اتضح لنا من خلال كل ما سبق أن الروائي الطاهر وطار لقد تعمق في أعماله الروائية في التاريخ الإنساني، ونسج بخيط رفيع جدا حبل وصال بين الماضي والحاضر عن طريق التماهي في النتاجات الماضية ونقل الوقائع الراهنة من ظواهر سياسية واجتماعية وعقائدية ، وهو تجسيد فني للمقولة الفكرية" التاريخ يعيد لنفسه" فحاول الطاهر وطار من خلال كتاباته أن يستوعب قضايا المجتمع بمختلف توجهاتها وتعقيداتها مستمدا رؤيته الإبداعية من واقع مجتمعي متناقض تحكمه المفارقات بين انحلال خلقي وتشبث بالقيم والدين وبين الوفاء والخيانة والجهل والوعي وكل تلك التناقضات التي يصرخ بها الواقع المثقل بالصددمات والصراعات ، كما شكلت الرواية جزءا مهما من الأزمة الجزائرية منذ حادثة مالك بن نوية (رضي الله تعالى عنه) مرورا بكل العصور القديمة والماضية القريبة والحالية إلى الحاضر وحتى المستقبل، وبهذه الميزات والخصائص تعتبر رواية الولي الطاهر عودة إلى مقامه الزكي من الروايات الإشكالية بصيغة حدثية تفتح على عدة قراءات ونحن إذ نقرأها نشعر بجرأة الكاتب وجسامة المهمة التي ألقيت على كاهله بوصفه مثقفا ومخضرم أيضا عايش الأزمة الجزائرية بتفاصيلها .

وأیضا يظهر لنا من خلال الدراسة أن هذا النص ليس سهلا أو بسيطا ،بل هو نص ملتو وزاخر بالأحداث والأساليب الفنية ،ويتطرق النص إلى قضية ليس من السهل الإمساك

⁸⁵⁸ الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " ، 56 ،
⁸⁵⁹ - المصدر السابق: ص، 6، ص19، ص21، ص60

بخيوطها ، فأحداثها متشابكة أحيانا متنافرة أخرى كما توجد فيه بياضات تاريخية في الموضوع الواقعي للقصة ذاتها، وعلاوة على ذلك يتجلى لنا أن الرواية كلها عبارة عن شطحة تستعير شطحات الصوفية وتعالج بها نفس الإشكالية المطروحة في رواية " الشمعة والدهاليز " وهي إشكالية البحث عن الهوية الضائعة ، لذلك يقول الطاهر وطار في المقدمة : " سيجد القارئ الذي ليس له ثقافة، تراثية عموما، نفسه مضطرا إلى مراجعة بعض المفردات والاصطلاحات، كما قد يجد صعوبة في العثور على "رأس الخيط"، وعذري، أنني حاولت تقديم ملحة وليس قصة فقط" (860)

و يبدو لنا أيضا أن الكاتب أسس هذه الرواية كلها على الحدث التاريخي وهو مقتل مالك بن نويرة على يد خالد بن الوليد وحاول ربط القتل في الماضي بالقتل في الحاضر ، لكن الأمر يدعو إلى الغرابة والتساؤل هو اعتماد الكاتب على الواقعة التي اختلفت حولها الروايات كثيرة، كما تناقلها المؤرخون بتفاصيل غير متطابقة إلى درجة أن بعضهم قد ذهب إلى تكذيبها وجعل منها حادثة مختلفة من طرف الرواة وقد يفسر هذا الموقف بالحرص على عدم تشويه شخصية صحابي جليل كخالد بن الوليد(861).

و من جانب آخر نرى أن رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" تحكي سنوات الجمر ولكنها تحاول أن تغوص في الظاهرة عن طريق الرجوع إلى التاريخ من الحركة الوهابية بالجزائر العربية إلى الشيشان وأفغانستان إلى السودان ومصر ثم وصولا إلى الجزائر، وخلال هذا مسار يحاول الطاهر وطار أن يبين للقارئ بأن الحرب الملتهبة في الجزائر هي من طبيعة الحرب الجارية في أفغانستان وفي السودان التي شهدت ثورة إسلامية انتهت بقيام النظام الإسلامي (862) كما يقول الروائي " طائرات أمريكية تقصف معملا للأدوية بالسودان المعمل يقال إنه للأسلحة الكيماوية التي تشترك فيها العراق ،

860 - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " ص، 3

861 - محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ، ج3، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط8، 2000، ص 69

862 - الدكتورة لطيفة قرور: هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار، ص ص 107-108

الولايات المتحدة الأمريكية وثيقة من أن المعمل من إنشاء بلادن" (863).

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن التداخل الزمني هو الميزة البارزة في هذا النص الروائي وقد جعل روايته تضم مجموعة من الحكايات يحيل بعضه إلى بعض فتتداخل الأزمنة مع تداخل السرد حيث نقف على حكاية مالك بن نويرة وحكاية الولي الطاهر مع بلارة ومع الأطراف المتناحرة وحكايته مع الشاعر عبد الله عيسى لحليح وبذلك أصبح الخطاب الروائي يضم أشلاء وزمنية متشابكة ومتداخلة مما يزيد في صعوبة استقراء الصيرورة الزمنية داخل النص الروائي و" تحديد الفترة الزمنية الدالة في النص على الزمن السردى بالذات وتصور السبل الكفيلة بالكشف عن مظاهر استغلاله والوظائف التي ينجزها في كلية البناء الروائي " (864).

بالإضافة إلى ذلك نجد أن هذه الرواية جاءت غنية بالإيحاءات والدلالات والصور التضمينية وكذلك الأحداث الواقعية والمتخيلة البعيدة والقريبة، وقد تشابكت في نسج هذه الأحداث جملة من الحقول الدلالية تباينت ما بين التاريخي والسياسي وكذلك الديني لكن الروائي الطاهر وطار اختار لها الأسلوب الصوفي أو الرؤيوية في الكتابة التي تجعل الانتقال بين عوالم الرواية وأحداثها وخيالاتها المشتتة بين غياب الماضي ومتهات التاريخ وبين تعرجات الحاضر ودهاليز الواقع يتم بسهولة وحرية ، ثم إن هذه الطريقة في الكتابة هي شكل من أشكال رفض المجتمع والعالم والتمرد على الواقع لهذا جاءت هذه الرواية نموذجاً عن الرواية المغلقة التي تدور في حلقة واحدة أن تصرح بما تقول (865).

أما من ناحية الأسلوب فاعتمد الطاهر وطار على أساليب متنوعة في الاشتغال على البنية الزمنية داخل العمل الروائي وقد أسهم كثرة التداخيات والخطابات المسرودة في تأكيد ما تقوم به والمشاهد التقطيعية حيث تتداخل الأزمنة المتخيلة أو المتذكرة مع الأحداث المعاشة وتتجلى هذه التداخيات والأفكار المتخيلة من خلال بعض الأعمال والحركات الصوفية التي عمد الكاتب إلى بثها في ثنايا النص بين الحين والآخر.

⁸⁶³ - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" ص، 126

⁸⁶⁴ - بشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص 567

⁸⁶⁵ - الأستاذ حسان راشدي: الرواية العربية الجزائرية ، مرحلة التحولات ، ص 390

رواية "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء"

رواية "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" هي الرواية العاشرة للطاهر وطار الذي أنجزها عام 2004م⁽⁸⁶⁶⁾ وصدرت في طبعتها الأولى عن موفم للنشر في الجزائر 2005م، وقام الكاتب بإهداء هذه الرواية إلى الشاعر الكبير سميح القاسم، بقوله " من رأى منا منكرا فليغيره بيده، وإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلمه، وهذا أقوى الإيمان"⁽⁸⁶⁷⁾، وتعتبر هذه الرواية جزءا من ثلاثية روائية بدأت بالشمعة والدهاليز و تلتها رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي و ختمها الطاهر وطار ب"الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" التي تتحدث عن الوضع العربي بتحولاته المتسارعة، إذ يقول الطاهر وطار " لقد جاءت هذه الرواية جزءا ثانيا للولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ولو كنت ناقدا لقلت إنها جزء ثالث للشمعة والدهاليز الموضوع واحد والشخوص هم بأسمائهم وصفاتهم وبخصوصياتهم، لقد استعملت عبارة جزء بدل عبارة الكتاب الثاني ولم لا فقد أكون بصدد كتابة رواية واحدة كلما تعبت وضعت لها عنوانا جديدا"⁽⁸⁶⁸⁾.

قسم الروائي الطاهر وطار هذه الرواية إلى تسعة وحدات سردية كبرى، ووضع لها عناوين وهي: "التحديق في الزمن" و "التأرجح المتقاذف" و "العكس أصح" و "رسالة من تحت السواد الدامس" و "ما نخاف" و "الإرهاب ينتصر" و "خذني معك" و "انقلاب السحر" و "ويل العراق يا مويلية"، هي العناوين التي لجأ إليها الكاتب لتغيير المسار العام للرواية وقطع الفكرة ليبدأ فكرة أخرى وهي تقنية لتكثيف الرواية .

أحداث الرواية :

تدور أحداث الرواية حول "الولي الطاهر" بطل الرواية هو رجل صوفي يعيش في أجواء صوفية بعيدا عن واقعه ، يعيش نوعا من الإنفراد في مقامه الذي يخلو من المريدين والمريديات

⁸⁶⁶ - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء " ص 4

⁸⁶⁷ - المصدر السابق: ص 2

⁸⁶⁸ - المصدر السابق: ص 3-4

، فهذا هو المقام الذي يمارس فيه عباداته وخلوته ويدعو المولى دائما إلى أن ينجيه مما يخاف ، كما يقول " يا خافي الألفاف نجنا مما نخاف" (869) فهذا الدعاء يصور طبيعته النفسية المبنية على الخوف والتي لا تفعل أي شئ لإزالته سوى الدعاء كما هو يعرف لا يستطيع أي شئ أن يغير أحواله إلا الدعاء ولذلك الولي الطاهر يعتمد على الدعاء ويقول السارد: " ظل يصلي ويكرر الدعاء تسع وتسعين مرة إثر كل ركعتين مجتهدا الله وحده يعلم كم زمتنا انقضى على التوسل الحثيث أمام باب المعشوق، حتى خيل إليه أنه يفتح وأن صوتا ملائكيا يأتيه: ابشر أيها الولي الطاهر ربك استجاب لدعاء ظل ينتظره منذ سقوط الدولة العباسية، تجاهل الصوت، وما يقول، وواصل الصلاة والدعاء، وفي كل مرة ينتهي من الدعاء ترتفع الحمى، فتزداد اشتدادا عليه ويزداد العرق انصبابا من كامل جسده، حتى أن لحيته ثقلت من البلل، فعند باب المعشوق ينسى العاشق سبب التوسل وإلا كان عاشقا مقايضا يعطي ويأخذ" (870).

و توجد في الرواية " بلارة " ويصف السارد بها " بلارة ابنة الملك تميم بن المعز، زوجة الناصر بن علناس بن حماد الذي سرت إليه في عسكر من المهديّة حتى قلعة بني حماد تصحبني من الحلي والجهاز ما لا يحد، أمهرني الناصر بأربعين ألف دينار أخذ منها أبي ديناراً واحداً وأعاد إليه البقية" (871) هي المرأة التي لم تظهر في الرواية بل تخاطب الولي الطاهر بواسطة صوت وعطر " ولا يدري الولي الطاهر، ما إذا كان صوت بلارة يأتيه من خارجه أم من داخله ففي الحق كانت هناك حمى باردة تهز أوصاله حتى تبلغ العظام" (872) وبالإضافة إلى هذا فهي تحضر أيضا في صورة ملائكية ، حيث لم يبق منها إلا هبات سماوية نورانية تعلم الغيب ،إنها ملائكية عندما يخاطبها الولي بقوله : " متى تنتزلين يا ابنة النور" (873).

"عبد الرحيم الفقراء" هي الشخصية الفاعلة في رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء"

869- الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء ، ص 5

870- المصدر السابق : ص 19

871- المرجع السابق :ص 5

872- المرجع السابق :ص 19

873- المصدر السابق : ص 27

يحضر في كل مكان تحت اسم واحد هذا الاسم الذي يتحدث عنه المذيع في الرواية" نلفت انتباهكم سيداتي سادتي إلا أننا جميعاً تسمينا بعبد الرحيم فقراء ، حتى لا نضطر للتفكير في أسماء بعضنا كل مرة فيضيع وقت ما أحوجنا إليه ، فمراسلوننا يبثون في كل أنحاء العالم ثم أن لهذا الاسم بالذات إحياء معين يرتبط بالمتفك وبرجل الإعلام " (874).

يستهل الكاتب الطاهر وطار حديثه في الرواية ببحث الولي الطاهر عن الأتان الغضباء (875) التي هي رمزية لرحلته الروحية التي أقام بها كما أنه سرد لنا الأحداث التي جرت بينه وبين بلارة، ووصف لنا التحولات التي حدثت في الوطن العربي نتيجة الغزو السياسي والثقافي ويتجلى ذلك في قوله: " تأمل الروسيات والبلقانيات، شقر ممثلات متراميات، في الشوارع كالجواميس الضالة " (876) كما أثار الطاهر وطار بعض القضايا الراهنة سواء داخل العالم العربي أو خارجه كقضية الإرهاب الإسلامي والوحدة الإفريقية وغيرها .

علاوة على ذلك نجد أن الحضور الصوفي له دور كبير في رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" حتى أنه يشغل مساحة كبيرة كما أن الكاتب بين من خلال مقام الولي الطاهر رداءة الإعلام العربي في تقديم الأخبار التي لا علاقة لها بواقع الأمة العربية، وكذلك قدم الروائي كيفية استغلال إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية للدول العربية وسياستها العدائية تجاهها مما جعل إسرائيل دائمة " الاستعداد بكل قواتها بما فيها حاملة الطائرات أبراهام لنكون وإنذار كل البواخر في البحار والمحيطات بأن أي اقتراب منها يعتبر إعلاناً للحرب " (877)، وانتهت الرواية على هذه العبارة " قال القائلون: ربما كانت إحدى بناته.ربما كانت زوجته، أو إحدى عشيقاته، ربما إحدى من رمّل من العراق أو من الكويت. سنعود إليكم سيداتي سادتي، بعد فاصل قصير، فانتظرونا" (878).

874 - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء ، ص 22-23

875 - المصدر السابق ، ص 5

876 - المصدر السابق ، ص 13

877 - المصدر السابق ، ص 88

878 - المصدر السابق ، ص 94

أهم الشخصيات في هذه الرواية :

الولي الطاهر: هو بطل الرواية وشخص صوفي كما عرفنا في أحداث الرواية أنه يعيش في أجواء صوفية بعيدا عن واقعه ، و يدعو دائما إلى الله عزوجل أن ينجيه مما يخاف كما يقول " يا خافي الألفاظ نجنا مما نخاف" (879) ولا تقوم بأي شئ لإزالته سوى الدعاء لأنه يعرف لا يستطيع أي شئ أن يغير أحواله إلا الدعاء وفي غالب الأحيان هو يصلي ويكرر الدعاء تسع وتسعين مرة إثر كل ركعتين حتى خيل إليه أن صوتا ملائكيا يأتيه ويقول " أيها الولي الطاهر ربك استجاب لدعاء ظل ينتظره منذ سقوط الدولة العباسية " (880).

فهكذا نرى أن "الولي الطاهر" في هذه الرواية يقوم بحالة الابتهاالات الصوفية وتضرعته إلى المولى من أجل تسليط كل ما يخاف منه ، فهو يتوسل إلى أن يستجيب الله لدعائه الذي ظل ينتظره منذ سقوط الدولة العباسية ، وهذا الدعاء يمكننا أن نعتبر بمثابة توسلات حققت كل ما من العرب، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن شخصية الولي الطاهر في الرواية ما هي إلا شخصية الإنسان العربي الذي بدأ يفقد نوعا من خصوصيات العربية الإسلامية(881).

بلارة: هي ابنة الملك تميم بن المعزو زوجة الناصر بن علّاس بن حمّاد (882) لم تظهر في الرواية إلا بواسطة صوت و عطر، لها صفة متعددة فتحضر مرة بصورة إنسية وتبدأ سرد حكاية زواجها من " علّاس "، كما تحضر بصفات الجنية عندما تحاول إغواء الولي الطاهر وتضليله ، فهو يقول: " لوأنني متأكد مما تقولين أيتها الجنية لتزوجتك على بركة الله وسنة رسوله "(883) وقوله أيضا: " وهل لك دم يا ابنة النار " (884)، وعلاوة على ذلك أنها ظهرت مرة في صورة ملائكية فخطبها الولي بقوله : " متى تنزلين يا ابنة النور"(885)، على كل حال ، أن ظهور بلارة بهذه الصفات المتناقضة منها إنسية و شيطانية و ملائكية ، ما هي إلا

879- الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء ، ص 5

880- المصدر السابق: ، ص 19

881- الأستاذ بهيجة مصاق: هكذا تكلم الطاهر وطار، ص 338

882- الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء، ص 5

883- المصدر السابق: ص 15

884- المصدر السابق: ص 17

885- المصدر السابق: ص 27

إشارة إلى تلك التناقضات التي يواجهها العالم العربي.

عبد الرحيم فقراء: هي شخصية فعالة في الرواية ، وشخصية مثقفة تم اختيارها بعناية ملتفة ونجده في الرواية بكل مكان باسم واحد وهذا الاسم الذي يتحدث عنه المذيع في الرواية "هذا الاسم بالذات إحياء معين يرتبط بالمتقف وبرجل الإعلام" (886) والكاتب وظف اسما واحدا له لأجل تحقيق وظيفتين فنية ودلالية، فالأولى تقع في اقتصار الروائي على اسم واحد قد كانت الغاية منه عدم إتلاف القارئ بكثرة المراسلين حتى لا تضع منه معاني النص ، أما الثانية فهي تقول إن الكاتب دائما يسعى إلى توظيف وإدراج الإنسان العربي المتقف .

بالإضافة إلى ذلك نجد أن الكاتب قد رجع إلى التراث التاريخي العربي وحاول استدعاء بعض الشخوص الحقيقية ، مثل " مالك بن نويرة" (رضي الله تعالى عنه) هذا الشاعر الذي قتله خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ، فذكر هذه الحادثة في الرواية يدل على أن الكاتب يريد بالإشارة إلى أن ما نحن فيه اليوم من تناقضات ليست وليدة اليوم بل هذه الاختلافات توجد في التاريخ منذ القدم ، وزيادة على هذا نجد بعض الشخصيات الحقيقية الأخرى في المتن الروائي مثل " صدام حسين " عمرو موسى" جورج بوش الابن ، شارون ، نجيب محفوظ (887) وغيرها من الشخصيات العربية والغربية ، وقد حاول الكاتب أن يشير إلى أن المشكلات التي يواجهها العرب اليوم هي نتيجة للتحكم الغربي ، والاحتلال الصهيوني الذي أوقع العرب في حضيرة الضياع واليأس .

على كل حال ، من خلال دراسة الشخصيات لهذه الرواية وجدنا أن الكاتب الطاهر وطار قد وظف مجموعة من الشخوص لغايات معينة ، ففي الشخصيات الرئيسية نجد الولي الصوفي لا يمتلك دلالة الولاية الصوفية في ذاته ، بل تدفق دلالاتها في شخوص آخرين ، فالكاتب لا يجعل وليه صوفيا غير مهذب ، بل يوزع صفاته على شخصيات أخرى مثل "بلارة " و " عبد الرحيم فقراء" وإضافة إلى ذلك أنه أدرج شخصيات حقيقية سواء من التاريخ الماضي أو الحاضر ،

886 - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" ، ص 89
887 - المصدر السابق: ص 20

وكل هذا يدل على وضعية العالم العربي الراهنة .

وصف الرواية :

يبدو لنا مما سبق أن رواية" الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" هي رواية ساخنة في أحداثها المستمرة، وتخالف للأسلوب الروائي العام في التجربة الروائية العربية، والروائي الطاهر وطار قد تفاعل في روايته السابقة "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" مع الوضع الجزائري، لكنه في هذه الرواية يفتح على الوضع العربي بتحولاته المتسارعة، وينتج الرواية مشغلة بالأحداث التي تشتغل على الحدث و بالتداخلات الزمنية، وتروي بأسلوب سردي تلفزيوني.

ومن هذا المنطلق يتجلى لنا أن الطاهر وطار قد وفق إلى حد بعيد في صياغة الوضع العربي في قالب روائي ساخر، فهذه الرواية تكتسب ميزة شديدة الوضوح وتتمثل في اعتماده روح السخرية، وأيضا تجاوز كل العقبات معتمدا على خبرته الطويلة وعلى غنى الأحداث المتطابقة مع مقولة "شر البلية ما يضحك"⁽⁸⁸⁸⁾، كما حرص وطار في هذه الرواية الواقعية على كشف مواطن السقوط ومراكز الضعف في الواقع العربي انطلاقا من رؤية واقعية ملتزمة كما يكتب الدكتورة لطيفة قرور " فإن واقعية الطاهر وطار ليست واقعية نقدية متشائمة تصور الشقاء والبلاء فحسب ، بل تحاول أن تضيف إلى الواقع لمسة متفائلة تبشر بالصباح حتى قبل أن يطلع الفجر وتناصر الحق حتى أن يولد وتساند الجديد من القيم والمبادئ حتى قبل أن يأتي ويوجد"⁽⁸⁸⁹⁾.

بالإضافة إلى ذلك حاول الكاتب أن يتناول تشخيص الراهن العربي بنبرة ساخرة بغية فهم حال العرب الذي كان سبب كل الهزائم والأزمات مما جعله يخلص إلى تأكد حالة الاستلاب والاعتراب التي ترسخت في ذهنية الشعوب العربية في الماضي وتضخم انعكاساتها عليها في

⁸⁸⁸ - الدكتور عدلان آيت طالب : بناء الحدث في رواية "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء"، ص 153

⁸⁸⁹ - الدكتورة لطيفة قرور : هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار، ص 140

الحاضر ، وفي هذا السياق يقول الراوي : " غريب أمر هؤلاء الأوربيين فمهما كانت أمميتهم ومهما بدا من أوربيتهم ومهما غيروا من تسمياتهم وأشكال عملاتهم ونقودهم يظلون يحملون في جعابهم وطنيتهم الحادة يمتنون بها لحمتهم ويؤكدون هويتهم ، هذه الهوية التي نسخر نحن منها محاولين قدر الإمكان التخلي عنها و التمتظهر بهوايات سادتنا المستعمرين " (890).

وأیضا وجدنا أن الراوي الطاهر وطار أثار بعض القضايا الراهنة سواء داخل العالم العربي أو خارجه كقضية الإرهاب الإسلامي والوحدة الإفريقية والحركة والأمازيغية وحقوق الإنسان وصاحب ذلك بنبرة نقدية لكل المفارقات التي يحفل بها الوطن العربي من منطلق نقد الذات إلى نقد مفهوم الوحدة العربية ودعاتها وكذلك نقد بعض القيم والأمراض الثقافية ، ولذلك طال النقد كل العرب شعوبا وقادة في إطار المحاولة لفهم حال العرب واستيعابه ثم الوقوف على إمكانات ضد تلك التحديات التي يفرضها الآخر في صور من الهيمنة والاستلاب ، كما قال الكاتب الطاهر وطار في هذا الصدد: " لم يبق سوى الاستيعاب استيعاب ما حدث طوال خمسة عشر قرنا واستيعاب حال العرب وحال المسلمين عموما " (891).

مع كل ذلك تجدر الإشارة هنا إلى أن رواية "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" ليست رائقة من الناحية الفنية، لكن بالرغم من كل ذلك تمتاز بجرأتها وقدرتها على الامتزاج بالراهن وتشخيص الواقع العربي ، خاصة عندما يستعرض الكاتب مختلف التفسيرات التي قدمت للحدث في كثير من التقريرية والمباشرة ، فالحكومات العربية رأت أن سبب الظاهرة هو الإرهاب الإسلامي وفي هذا الصدد يقول الراوي: " تتفق الحكومات العربية على أن الظاهرة إرهابية تقف وراءها جماعة القاعدة ومن والها من الأصوليين المستعملين للدين الإسلامي الحنيف الذي هو براء منهم " (892)، وفي نفس السياق يصور الكاتب وضع العرب الجامد كالثعبان العاجز جلده يقول " ثعبان يتلوي ، يتلوي يعاني عسر تغير جلده ، كلما سلخ شيئا عاد الجلد إلى كلما تلوي غلبه النعاس، ربما لأن أسنانه منزوعة و لربما لأنهم ما يفتأون يستلون

890 - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء ، ص 51

891 - ال المصدر السابق: ص 20

892 - المصدر السابق: ص 40

سمه" (893).

أما الحضور الصوفي فهو يحتل مكانا مرموقا في رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" ويشغل مساحة كبيرة حتى إذا قلنا بأن الرواية قد وجدناها مكسوة بمزركشات صوفية فهي لا تعد من المبالغة ، من الصعب أن نقصرها على جانب دون آخر ، وهذا يدفعنا إلى القول بأن هذا الحضور الصوفي كان جليا متميزا لدرجة أنه أصبح جزءا أو عنصرا مهما من عناصر المتن ، ميزة ظاهرة في هذا الخطاب الروائي ، وإضافة إلى ذلك اتضح لنا أن الزمن المميز في الرواية هو الزمن الصوفي، فهذا الزمن جعل الكاتب يتحرر من الفردي والتاريخي (894).

أما المكان الذي تدور فيه أحداث الرواية فهو " المقام الصوفي" في بداية الرواية حيث يتذكر الولي الطاهر بعض الأحداث التي تتخيل له ، أولها "بلارة" هي المرأة التي لم تظهر في الرواية إلا بواسطة صوت وعطر كما جاء في النص" لا يدري الولي الطاهر، ما إذا كان صوت بلارة، يأتيه من خارجه أم من داخله ففي الحق كانت هناك حمى باردة تهز أوصاله حتى تبلغ العظام" (895) فهذه المرأة تعمر المقام بصوتها وخيالاتها التي تظهر للولي في كل حين ، كما أن هذا المقام يكون ذي الطوابق السبع خال من المريدين والمريدات إلا الطابق السابع الذي هو مكان الولي وخلوته ، فهذا المكان له دلالاته، فهو يشير إلى انعزالية الولي وانفراده الذي يدل على شخصية الإنسان السلبي الذي لا يحرك ساكنا من أجل التغيير (896).

علاوة على ذلك نرى أن الكاتب يشير إلى بعض الأمكنة الأخرى مثل الرباط، الجزائر، تونس، ليبيا، فلسطين ، سوريا ، مصر (897)، العراق، والسعودية ، والكويت ، أفغانستان (898) وأيضا بعض دول أوربا وأمريكا ، والغرض الأساسي لذكر هذا الأماكن العربية وخاصة العراق وفلسطين ودول الخليج لأن هذه الأماكن كلها في نظر الكاتب تكون مواطن للأطماع

893 - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" ، ص 19

894 - الأستاذ بهيجة مصاق: هكذا تكلم الطاهر وطار، ص 233

895 - الأستاذ بهيجة مصاق: المرجع السابق: ص 19

896 - الأستاذ بهيجة مصاق: المرجع السابق: ص 235

897 - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" ص 14

898 - المصدر السابق: ص 20

والصراع ،كما يقول السارد في هذا السياق : "أيها السادة والسيدات نعود إلى العراق فعلى ما يبدو فإن بعثتنا تمكنت من تشغيل المولد الكهربائي الذي هاجمته عصابة مجهولة الهوية وكادت تختطفه وتستولي عليه"⁽⁸⁹⁹⁾ وأيضا يظهر لنا من كل هذا أن الكاتب قد حاول قدر الإمكان توسيع رقعة روايته بالحديث عن العالم بأشمله، وتسليط الضوء عليه من مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية⁽⁹⁰⁰⁾.

وفي نهاية المطاف - مع كل ما تمتلك الرواية هذه من مميزات وخصائص لا تكاد توجد في نظيراتها ومثيلاتها - لا بد من الاعتراف والقول حسب ما وصلت دراسة الباحث إلى أن الروائي الطاهر وطار قد فات ما كان يجب عليه التزامه في هذه الرواية من المستوى الفكري والصلابة والتماسك على المستوى الفني ،والذي يمتاز به أكثر أعماله السابقة، ورأيي هذا يتقوى بما قاله الأستاذ والناقد فاروق عبد القادر بهذا السياق حيث كتب: " في أعماله الثلاثة الأخيرة يفتقد الطاهر وطار ما ميز معظم أعماله السابقة عليها من وضوح الرؤية على المستوى الفكري ، والصلابة والتماسك على المستوى الفني هي - أعماله الأخيرة - مكتوبة عن عمد ووعي - تصفية لحساب أو اتقاء لشر أو استجلابا لنفع أو أهم ما يلفت النظر فيها ، تراجع الكاتب عن مواقفه الفكرية السابقة تراجعاً يكاد يصل من النقيض للنقيض"⁽⁹⁰¹⁾.

⁸⁹⁹ - الطاهر وطار: رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء ،ص 43

⁹⁰⁰ - المصدر السابق: ص 38-و أيضا ص 45 و ص 51

⁹⁰¹ - الأستاذ فاروق عبد القادر:قراءة في أعمال الروائي الجزائري الطاهر وطار، ص 15

قصيد في التذلل

رواية " قصيد في التذلل " هي الرواية الأخيرة للطاهر وطار التي كتبها حينما كان على فراش الموت و صدرت طبعتها الأولى عام 2009م قبيل أسابيع من موته . تنقسم هذه الرواية إلى قسمين فالقسم الأول يعالج موضوع الرهن ويتحدث فيه الكاتب عن الشعر والقسم الثاني يتعلق بالبيع وأين يقوم البطل ببيع الشعر وبيع نفسه إلى السلطة فكل قسم مكمل للآخر، وتتحدث الرواية أيضا عن شريحة المثقفين وعلاقتهم بالسلطة في الثقافة العربية عن الممارسات التي تقوم بها النخب العربية لأجل إرضاء الحاكم في تجنب التطرق إلى المشاكل الموضوعية التي يعاني منها الناس في حياتهم اليومية.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن هذه الرواية تختلف عن الروايات السابقة للطاهر وطار من حيث موضوعها الحساس فقد قام ببناء الرواية بالشكل الحديث والسبب في ذلك أن الكاتب كان حزينا بهوم الثقافة الجزائرية والمعارضة الفكرية والثورية هي أهم من الأسباب الحقيقية التي دفعته لكتابة هذه الرواية، فهو يقول بنفسه " روايتي الجديدة تعالج السبب الحقيقي للأزمة في هذا البلد..... وأيضاً تتحدث عن تبعية الشاعر الذي هو رمز للمبدع، الناقد للسلطة ويقع في الحرج الناتج عن التناقض في حياته، بين مبدع يتجاوز الأشياء وبين مدير لا يرى سوى الاستقرار في منصبه، ويتعامل مع السلطة وهمّها الوحيد هو الاستقرار ولو كان بالكذب، فهو يعيش دوامة من الصراع بين ضميره الذي يوبخه وبين حتميات وضروريات المعيشة التي تتغير وتتحسن بحكم المنصب" (902)

أحداث الرواية :

وتبدأ أحداث الرواية بالراوي الذي أحس أول مرة في حياته أن كل ما قيل في تاريخ الإنسانية من شعر بما في ذلك ما قاله هو و صدر للناس في أكثر من ديوان لا أهمية له وأنه مجرد

⁹⁰² - حوار الطاهر وطار مع "ابن تريعة" نشر يوم 19 - 04 - 2010 في جريدة "جزايرس" ص1

نصب على الناس بالكلمات ونصب على الشاعر أيضا من طرف المفردات⁽⁹⁰³⁾ فلا شئ مهم في هذه الدنيا سوى الملك فهو الحياة. بدأت مثل هذه تختمر تلو الأفكار تتمخض في ذهنه فأخذ يقلب الديوان تلوي الآخر لكن لم يجد الجواب فغادر يتفصح في الشارع تاركا زوجته وابنته برغم الظروف الأمنية السيئة التي بدأت تعم البلاد شيئا فشيئا والمنطقة محاطة بكاميرات ظاهرة و باطنة وكل من يتحرك فيها صغيرا كان أو كبيرا يرصد ويظهر في شاشات منبثة في أكثر من مكتب رقابة، بما في ذلك مكتب السيد الكبير ، إن لم يكن معروفا لديهم، أو إن اقتضت الحاجة، وأرسلت صورته إلى مختلف جهات التوثيق⁽⁹⁰⁴⁾.

لكن لا شئ يقلقه وذلك الحين اتصل به صديقه فتبادلا عن الحديث عن الشعر وأيضا كيف بدأ مدير الثقافة يفقد حاسة الشعر فأكد له صديقه أن السلطة هي كل شئ ، ثم أنهى الكلام معه وراح يتصفح الدواوين مستعجبا ومستهزئا بما قاله السابقون من شعر حتى خاطبته زوجته فإذا به يصرخ لإسكات ابنته مريم في الغرفة المجاورة، وقال لها " قلت لك مائة مرة، لا أريد أن أسمعها تبكي. ارضعيها أو اخنقيها أو ارميها من الشرفة، سأهج من هذا البيت" ⁽⁹⁰⁵⁾ وتأسفت زوجته للحالة التي وصل بها زوجها وتقول بنفسها " يا حسرتاه على ذلك الزمن قبل أن يتولى هذا المنصب الملعون، لا ينام كما ينام الناس ولا يأكل كما يفعلون. كل اهتمامه مركز على المديرية و السيد الكبير والسيد رئيس الديوان والأنسة سكرتيرة السيد الكبير والأنسة سكرتيرته ، والاجتماعات المتواصلة ،كلما أراد الهروب من البيت استل سيف الاجتماع يحسب أنني غافلة إلى هذا الحد، والجاراة تتحدث عن مكائد السكرتيرات العوانس، وكيف أنهم ينتقم من كل متزوجة بالضحك على أذقان الأزواج"⁽⁹⁰⁶⁾ وقبل الزواج كانا في الجامعة وذلك الحين كان اسمه النضالي "الوفي" و اسمها "فجرية" التي كانت طالبة متفوقة في معهد العلوم الفلاحية وفي إحدى المناسبات التقيت به كان وسيما بكل ما فيه وبدأ الحب حتى تم الزواج وأنجبا طفلتهما مريم.

⁹⁰³ - الرواية " قصيد في التذلل، ص 2

⁹⁰⁴ - المصدر السابق: ص4

⁹⁰⁵ - المصدر السابق: ص16

⁹⁰⁶ - المصدر السابق: ص17

حينما رأته " فجريه" متفكرا وغارقا في خيالاته عرفت أن قصيدا ما يتمخض في ذهنه فهو يرتجف وهي تواسيه لتعود بها الذاكرة قال لها يوما الحزب الشيوعي قد مات فأراد أن ينفصلا ولكن سرعان ما غير قصدهما وتزوجا وكان سبب ضيقه المعاملة التي عومل من قبل السيد الكبير والمقابلة البادرة التي استقبله بها وأفهمه أنه ليس مطلوبا منه إلا أمر واحد وهو أن يفتح أذنيه جيدا لكل كلمة تصدر عنه أو تقال عليه أو علي السيد الرئيس والباقي سيعرفه وحده شيئا فشيئا (907) فقد أراد السيد الكبير أن ينقل له ما يسمع من كلام عنه وعن رئيس الجمهورية.

فأجهش مدير الثقافة ثم راح كابوس اليقظة (908) ينتابه به ثم التقى فيه بصديقه الضابط وما دار بينهما من حديث عن الحزب وانقلاباته وعن الأمور التي تحدث في الخفاء وقال الرفيق الوفي " إنشاء حزب وتجنيد المبدعين المعربين في الداخل والخارج ضد الإسلاميين ويشيرون إلي طي بعض الصفحات، وتطعيم النظام . فقط؟ هذا ليس بقليل .حزب لهم، نقوده نحن.. مجموعة من اليساريين سواء المنسحبين من الحزب القديم أم من الذين يمكن إغواؤهم... البلاد كلها صارت أحزابا وما اكتفوا" (909).

وهنا تذكر خطة خطف العقيد ولكن الظروف لم تسمح بذلك نظرا لهروبهم من زَنَقَة إلى أخرى ليدخل بعدها في حلم رأى فيه أنه عروس والعريس هو كافور الإخشيدي (910) الذي استكثر على المتنبي الإمارة فلو أن الإمارة تمنح للشعراء لمنحت له فهي لا تمنح للشعراء لأن لديهم إمارة الشعر ليستيقظ بعدها ويشرب قهوته يطرح فكرة الاستقالة على زوجته فقد كره التذلل كل يوم للسيد الكبير ولكن زوجته شجعتة على المواصلة لما منحها هذا المنصب من خيرات وإذا أراد الرحيل فستكون هي الأولى.

وأخيرا أن معطار حمدان لم يخن بل باع نفسه فقط فيقول لزوجته فجرية " لقد رهنت روحي

907- الرواية " قصيد " في التذلل، ص35

908- المصدر السابق: ، ص38

909- المصدر السابق: ص25

910- المصدر السابق: ص50

للشيطان ولا أخال أنني سأستردها يوماً" (911) ويقول لها أيضا " هناك شخص آخر يتشكل فيّ بشخص يحل محلي يستولي علي كل طباعي وأخلاقي وعاداتي وتقاليدي وثقافتي يمتصها، ويضعها جانبا ، يلغيها ، تماما يقذف بها في القمامة أو يحرقها" (912).

وبعد أن تم رهن روح الرفيق الوفي في القسم الأول للرهن يمضي الكاتب الطاهر وطار في القسم الثاني ليعالج وقائع البيع وهو الاسم الذي أطلقه الكاتب علي هذا القسم الذي بدأ بالاجتماع ترأسه الأمين العام نيابة عن السيد الكبير وكان الموضوع كيفية التحضير لاستقبال الوزير، والزيارة المرتقبة للسيد وزير الصيد البحري، ولم يغب عن الاجتماع سوى مدير البيئة وحماية المحيط فقد كان في رحلة للعاصمة حيث دعي من طرف وزارته(913).

أما معطار حمدان حاليا والرفيق الوفي سابقا فلم يضع وقتا وانخرط في الاجتماع واقترح مقترحات أثبتت حسن ولائه ومع ذلك سرعان ما استدعاه مسئول الحرس الخاص للسيد الكبير ليخبره بأنه يعرف كل شيء عنه قائلا: " لكنك خبيث ولئيم ونذل ابن نذل.. ككل الشيوعيين الكلاب " (914) وقدم له تقريرا يتضمن موجزا عن ماضيه السياسي عن الولايات التي تطوع فيها لمساندة الثورة الزراعية بل وعن زوجته وعلاقتها الحزبية السابقة حتى اسميهما السريين " فتشاجرا وخرج المدير غاضبا وراجت الأفاويل في المديرية عن سبب الشجار لكن لا أحد كان يعلم السبب سوى إثنين زين الدين لزرق المدعو زينونات وهو منشط ثقافي يقوم بكل الأعمال القذرة حتى أنه يأخذ مكان أي مدير آخر ، فهو شبكة من المعارف له علاقات كثيرة وكل أمور الولاية على إطلاع بها والشخص الثاني هي بحراوية سكرتيرة المدير تلاعب بها الظروف بعد هجران أبيها لأنها التي شغلت راقصة ثم هجران أمها فهي تحسن الآن استعمال الكمبيوتر بالعربية وبالفرنسية وأحيانا كثيرة تقضي الليل في مكتبها تفعل ذلك بدون تضايق

911_ الرواية " قصيد " في التذلل، ص37

912_ المصدر السابق: ص56

913_ المصدر السابق: ص73

914_ المصدر السابق: ص82

أو تأفف (915) فهي قد ساهمت في تقديم للسيد من أجل إزالته عن طريقهما إلا أن السيد المدير بقى صامدا في منصبه وطرده زينونات وبحراوية إلى إشعار لاحق وكانت الجمعيات هي السبب الأول في تراجع السيد الكبير عن غضبه ونصح الكاتب العام له بإقامته زيارة تفقدية مع المدير لإذاعة الجليد بينهما وتحضر سيرة ذاتية عن حياة المدير.

تمضي الرواية بعد ذلك في سرد تفاصيل البيع وعادت المياه إلى مجاريها وذهب الخلف القائم بين مدير الثقافة والسيد الكبير وقاما بزيارة تفقدية إلى مشروع دار الثقافة واتفقا على إرجاع زينونات فرجع هو وبحراوية وأشرفا على تنظيم حفلة المديرية التي أحيها معمر القيادة الثورية صديق المدير سابقا وكانت الراقصة وردة أم بحراوية ولما رجع المدير إلى بيته وجد زوجته غادرت المنزل مهددة إياه بأنها لن تعود فبقى مرهونا لدى هؤلاء الناس ثم لحق بها إلى الجزائر بينما ذهب السيد الكبير إلى استقبال وزير الصيد البحري وأعوانه في المطار، وهكذا تنتهي الرواية بوصول الطائرة التي تحمل وزير الصيد البحري إلى مطار الولاية وبصحبه كوكبة يرتدي أفرادها لباسا شبه الجزيرة والخليج قاصدين صيد الطيور (916).

الشخصيات المحورية في رواية قصيد في التذلل:

تمكن الكاتب من سرد أحداث روايته بعدة شخصيات ساهمت في تطوير ونقل العمل السردي من خلال الحوارات سواء الداخلية أو الخارجية، و شخصيات الرواية تحمل أسماء واقعية أي من الواقع الاجتماعي نظرا لجدية الموضوع وأهم ما يميزه شخصيات الرواية هي الجوانب الثقافية.

مدير الثقافة: هي الشخصية المحورية في الرواية واسمه الحقيقي حمدان . ركز عليه السارد كثيرا ويبدو في الرواية في السابعة والأربعين من عمره. ينظم الشعر ويعد من أبرز شخصيات الرواية مقارنة بالشخصيات الأخرى ويحمل عدة أسماء ولكل اسم منها دلالة معينة

915- الرواية " قصيد " في التذلل، ص 92

916- المصدر السابق: ص 201

سواء يتعلق الأمر بمكان أو فترة زمنية ، فمن أسمائه مدير الثقافة هو حامل لشهادة جامعية ومالك لثقافة أدبية كبيرة والدليل على ذلك أنه كان ينظم الشعر وقد منحت له السلطات هذا المنصب إيماناً منها بقدره على تحمل المسؤولية ، وهذا باعتراف سكرتيرته " لم نره منه شراً ولو أنه حرم علينا استعمال الهاتف ويحاسبنا على كل ورقة بيضاء كما حرم علينا استعمال "نات" وكذلك ألعاب الفيديو" (917) وكان عادلاً في تعامله مع الآخرين حتى شبه بعمر بن عبد العزيز بالإضافة إلى جديته في العمل لا يغادر مكتبه إلا لظروف عمل، ومن أسمائه أمين الوفي فهو كان أميناً بالفعل في الدفاع عن شرف بلاده باعتباره عضواً في المقاومة الشعبية ، وكان أميناً وسيماً بكل ما فيه من بطوله الفارع وبوجهه المستدير، في البداية ينظم الشعر لكن سرعان ما تغيرت نظريته إلى الشعر فأصبح مجرد كذب على الناس بل مجرد نصيب واحتيال عليهم ، ألقى القبض عليه ثم أطلق سراحه بعد أسبوعين وانخرط في منظمة المقاومة الشعبية.

السيد الكبير: هذه الشخصية كان لها حضور قوي في الرواية هو يشغل المنصب في الدولة ويتحكم في جميع الموظفين وهو يجسد التسلط في مجتمع طغت عليه الطبقية، كما أنه شخص لا علاقة له بالأدب ولا بالشعر. همه الوحيد الفلكلور والفنون الشعبية (918) وله دلالات الخوف والرغبة من يقف أمامه " إن كان غاضباً، ينكمش ويتحول إلى فردة حذاء قوسها صهد الشمس ، أما إذا كان منبسطة، فيتحول إلى أنف جمل يتحرك يمناً ويساراً مجرراً معه الفك العلوي" (919) وهي شخصية طابعها التكلم دون ترك المجال للآخرين للتعبير عن آرائهم ومقترحاتهم وهذا ما يدل على جبروته فهو إذن يمثل الواقع الذي أصبحت الجزائر تعيشه منذ الاستقلال.

فجرية: هذه الشخصية لها حضور مميز في الرواية وهي طالبة متفوقة في معهد العلوم الفلاحية و تمثل صورة المرأة النضالية أيام الثورة والحاملة لقضايا أمتها والمتبعة لخطى زوجها في كل شئ والداعمة له رغم الظروف المحيطة بها، وصورة المرأة التي تربي ابنتها

917- الرواية " قصيد " في التذلل، ص38

918- المصدر السابق: ص34-3

919- المصدر السابق: ص 78

وتعتني بيت الزوجية رغم مضايقات أم الزوج في بعض الأحيان وقد كانت بمثابة الشعلة التي أضاءت حياة زوجها بعد الزواج " لولا فجرية كيف كان يتحدد طعم الحياة أكان يأتي نهار بدون فجر" (920) وأيضا نجد فجرية في الرواية أنها تمثل صورة المرأة الراضة لانصهار زوجها في المجتمع الذي يعمل فيه ومحاولة إنقاذ بيتها من الضياع والإهمال.

زين الدين لزرق (زينونات): برزت هذه الشخصية بشكل جلي في أطوار السرد وتمثل رمزا لسخرية القدر فهو بيروقراطي متعفن كان راعي حفلات جاسوس و مزور شهادات ويشغل منصب المنشط الثقافي غير أن عمله لا يقتصر على ذلك فقط بل يتعداه فكل المعلومات والأخبار وتسير تحت يده ولهذا لقب "بزينونات" نسبة إلى نات وهي شبكة معلومات تنتقل الأخبار في رمشة عين، وزينونات لديه أربع زوجات وأربع عشرة بنتا كما أنه يتقمص في صورة عراف يحتال على الناس باسم " سيدي فلوس" ويخدعهم لجمع المال منهم فكل يوم في هيئة كما يقول " أبدو كل يوم هيئة غير الأمس مرة بلحية سوداء ومرة أخرى بلحية حمراء أو صفراء كما أغير لباسي فأظهر تارة بجبة عادية وتارة بجبة عليها خرق ملون كما قد أظهر بلباس عصري أنيق على رأسي طربوش أوروبي" (921)

بحراوية: هذه الشخصية تدل على الغموض والغدر وتمثل النموذج النسوي المقابل لزينونات الخاضعة لأوامره تفعل كل ما يطلبه منها حتى بيع شرفها وهي ابنة مجاهد وراقصة في الأعراس بسبب طلاقة نار، وهي تشتغل منصب سكرتيرة مدير الثقافة وتتصف بحراوية لأنها " بيضوية الشكل جملة وتفصيلا ليس لبحراوية خصر وربما لهذا لا تلبس السروال كزميلتها من قمة رأسها حتى قدميها تشكل وحدة بيضوية متناسقة بطيخة مستوية" (922) فالظروف التي قست على هذه الشخصية جعلتها تنتقم من والدها بمعاشرة الرجال وعدم صونها لشرف أبيها كما تقول " المسألة بيني وبين أبي الذي أقتله كل ليلة أو معاشرته" (923)

920- الرواية " قصيد " في التذلل، ص ، 20

921- المصدر السابق: ص ، 174

922- المصدر السابق: ص ، 166

923- المصدر السابق: ص ، 170

وبالإضافة إلى ذلك توجد هنا شخصيات أخرى لكن يقل حضورها على البساط السردي وهي "مريم" ابنة أمين صغيرة في المعهد وجاءت بعد طول انتظار من والديها لكن الأب لا يحبها لأنه كان يريد ولدا وهذا ما يبرر أفعاله تجاه ابنته الصغيرة ، وأما "وردة" فهي أم بحراوية تمثل صورة المرأة الجزائرية المكافحة في النص السردي فقد اضطرتها الظروف لتحمل مشاق الحياة ومسؤولية الابنة الصغيرة بسبب هجران زوجها ، فرمت بكرامتها وكبريائها واشتغلت راقصة من أجل لقمة العيش ويوما هربت تاركة ابنها بسبب طقعة نار من زوجها الذي لم يحتمل رؤيتها لأنها ترقص، وهنا يبين الكاتب سلطة الرجل على المرأة الجزائرية بالرغم من بعده عنها فقد تركها معلقة لم يطلقها ولم يعد إليها.

وصف الرواية :

وصلت بنا دراسة وتقييم وتحليل شخصيات رواية "قصيد في التذلل" إلى أن هذه الرواية تعالج ظاهرة الفساد الذي تعيشه الجزائر وتكشف التناقضات التي تواجهها الثقافة الجزائرية في الفعل الثقافي وحاول الكاتب الطاهر وطار أن يتناول الوضع الراهن في الرواية بطريقة واقعية حقيقية بعيدة عن المستوى المتخيل ، وموضوع الرواية يتعلق بالراهن الجزائري بما فيه من تناقضات، حيث يتناول فيه موضوع الفساد على جميع المستويات وكانت معالجة الموضوع من هذه الناحية معالجة فنية روائية تعتمد على تشخيص الواقع مضيفا إلى أن هذا العمل الروائي يشبه الواقع ولكن ليس هو الواقع⁽⁹²⁴⁾، كما استخدم الطاهر وطار تقنية الإيقاع في تسريع السرد وإبطائه حيناً لآخر من خلال استعماله لتلخيص بعض الأحداث وبذلك يختصر الكاتب أحداثاً زمنية أو يلجأ لحذف فترات أخرى قد تخل بمسار السرد في الرواية، وتطرقت الرواية إلى بعض الأحداث التاريخية كاللجنة السرية التي عارضت الانقلاب العسكري، وعليه تضمنت الرواية.

ويقول الأستاذ سعيد الهاشمي عن هذه الرواية " إن هذه الرواية للطاهر وطار تحمل الكثير

⁹²⁴ - الدكتور أحمد منور: القدس العربي ، أغسطس 2013م

من القراءات كما أنها عميقة وتحمل ازدواجية في التعبير أنها أحداث مرتبطة بالفساد الإداري والفساد الأخلاقي ليصل إلى الفساد الثقافي ويتجسد ذلك من خلال بيع المثقفين لأنفسهم وتخليهم عن دورهم الأساسي تجاه مجتمعهم وأيضا قد أشار الأستاذ إلى أن رواية "قصيد في التذلل" هي رثاء للوضع التي آلت إليها الجزائر وأبناؤها في ظل تفاقم سرطان الفساد الذي ظل ينخر جسد البلاد"⁽⁹²⁵⁾، وعلاوة على ذلك اتضحت لنا مما سبق من ذكر الرواية أن رواية "قصيد في التذلل" هي حكاية عن التذلل في كل دواليب السلطة العربية دون استثناء .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الكاتب اعتمد في هذه الرواية على رجوع الذاكرة إلى الوراء لذلك لم تكن هذه الرواية مترابطة الأفكار بل تكون الأفكار متقطعة من الماضي إلى الحاضر ومن الحاضر إلى الماضي وهذا راجع لطبيعة الموضوع وأفكار الكاتب المتراكمة ومحاولة الإفصاح عنها جملة واحدة لما تحتويه من حقائق مهمة نظرا لأن الكاتب كتبها وهو في فراش المرض، كما يذكر لنا الدكتور حفيفة عياشي في هذا السياق: "قصيد في التذلل هي رواية متكاملة ومرتبطة بعضها ببعض وقام الروائي الطاهر وطار ببنائها بالشكل الحديث، والسبب في ذلك هو أن الكاتب مثقل بهموم الثقافة الجزائرية، وأعتقد أن المعارضة الفكرية والثورية هي من الأسباب الحقيقية التي دفعت وطار لكتابة روايته الجديدة"⁽⁹²⁶⁾

وفي نهاية المطاف يمكن لنا القول إن هذه الرواية التي تعد آخر إبداعات للكاتب الطاهر وطار ظهر فيها علانية ليتحدث عن كل ما له علاقة بالراهن الجزائري وبكل ما فيه من تناقضات عديدة حول الفساد من بيروقراطية وجوسسة وترويض للإشاعات وشعوذة واحتيال وتزوير ، كما طرقت بابا لم يطرق من قبل أحد ألا هو باب التبعية أي "وقوع المثقف المتمثل في البطل أسير رهانات السلطة لما حاول أن يتلاعب معها على أمل أن يغير الواقع"⁽⁹²⁷⁾.

⁹²⁵ - جريدة "جزايرس" نشر يوم 19 - 04 - 2010 ، ص 1

⁹²⁶ - الدكتور حفيفة عياشي: ، جريدة "جزايرس" نشر يوم 05-05-2010م، ص 1

⁹²⁷ - الأستاذة عليجة مودع: قراءة في مشروع الطاهر وطار ، ص 7

الفصل الثالث: التقييم الأدبي لروايات الطاهر وطار

التقييم الأدبي لروايات الطاهر وطار

المدخل:

يعد الطاهر وطار من مؤسسي الرواية العربية الجزائرية بفضل ما ساهم في إثرائها و إغنائها بتقديم الروايات القيمة التي شكلت علامات متميزة في تاريخ الرواية العربية وحققت حضورها القوي في الأدب العربي حتى أصبحت أن تقارن مع الفن الروائي في الدول المجاورة ، ومن هنا تعتبر تجربة الطاهر وطار الروائية من أهم التجارب الروائية الجزائرية العربية، التي ظهرت بعد استقلال الجزائر، فهي سباقة في مضامينها وتشتمل على كثير من المنجزات الفنية التي تجعل منها رائدة الإبداع الروائي في تلك المرحلة وما تلاها، وذلك بما تضمنه من رؤية عميقة وقدرة فنية متميزة على إبداع فن روائي متطور يولف بين المضمون والشكل ويمزج بينهما في إطار لغوي رشيق.

وعلاوة على ذلك نرى أن روايات الطاهر وطار هي بمثابة مرآة تنعكس فيها صورة الجزائر إذ هي تناقش كل مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية بأسلوب رائع وواضح، لذلك احتلت ولا تزال تحتل مكانة مرموقة وتتمتع بشهرة واسعة في أوساط العلماء والأدباء، و بفضلها نال الطاهر وطار مكانة متميزة ودرجة رفيعة في تاريخ الأدب العربي، فنظرا إلى المكانة المرموقة لرواية الطاهر وطار خصصت هذا الفصل للتقييم الأدبي لروايات طاهر وطار من الناحية الموضوعية واللغوية والأسلوبية وقيمتها عند النقاد والأدباء حتى تتضح لنا القيمة الأدبية لروايات طاهر وطار.

القضايا والأيدولوجيات:

على كل حال، فحينما ندرس روايات الطاهر وطار من الناحية الموضوعية نجد أن أغلب الروايات تعالج مراحل الثورة الجزائرية منها الثورة التحريرية والزراعية والاشتراكية و الآثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على هذه الثورة⁽⁹²⁸⁾، كما تتناول القضايا الاجتماعية الملحة كقضايا الجوع والمرض والثقافة والديمقراطية والسكن والمرأة والتخلف والظلم والعنف

⁹²⁸- الدكتور محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، ص 9

عبر العالم. هذه هي المحاور الرئيسية التي تدور حولها أكثر روايات الطاهر وطار. ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الطاهر وطار واكب الثورة الجزائرية وشارك فيها منذ اندلاعها في الخمسينات و قد عاش أحداث الثورة الزراعية قلبا وقالبا كمجاهد ومواطن وعانى ظلم المستعمر وقسوة الحياة وذلك لأنه ساهم الثورة التحريرية كروائي من خلال كتابته الأدبية التي تركت أثرها الكبير على القضايا التي عالجها الطاهر وطار في روايته ، حيث مثلت الثورة التحريرية انطلاقة الأولى في عالم الفن الروائي فجعل من أحداثها مصدرا للقضايا التي عالجها في معظم رواياته (929).

وعلاوة على ذلك يعد الطاهر وطار من المثقفين القلائل الذين لزموا الجزائر على الرغم من التهديدات التي واجهوها إثر انتخابات عام 1992م، وذلك لأن رواياته تهتم بالثورة وإذ هي أثمرتها من قريب أو بعيد وتحللها وتسهب في تصويرها ، فنجد ثورة المناضل الشيوعي الجزائري في رواية " اللالز" التي تتناول الصراع بين الفرنسيين والثوار الجزائريين أثناء الثورة التحريرية ، وقضية الصراع بين الاتجاهين الشيوعي والإسلامي داخل الثورة التحريرية حيث ذبح بعض الشيوعيين والمثقفين بسبب انتماءاتهم الأيديولوجية واختلافاتهم العقائدية والفكرية(930)، وبينما تهتم رواية " الزلزال " بتصوير الآثار الاجتماعية والسيئة (931) وتعالج الثورة الزراعية وإعلان الميثاق الزراعي في الجزائر كما تقدم مسألة الإقطاع وقضية التأميم الاشتراكي للأراضي الزراعية (932) وتعكس المرحلة التاريخية المؤيدة للثورة الزراعية، و فيما يتعلق برواية " العشق والموت في الزمن الحراشي" تصور التناقضات والصراعات والتضاربات بين المصالح في المجتمع الجزائري و تقدم لنا من ناحية سلبيات وإيجابيات صراعات تتعلق بالثورة الزراعية (933) ومرحلة من مراحل التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الجزائر وجانبا من حياة المجتمع الجزائري بعد الاستقلال.

و من جانب آخر نرى أن الثورة الاشتراكية تظهر في رواية " عرس بغل " التي تصور حياة

929- الدكتورة وردية خيلية : هكذا تكلم الطاهر وطار، الجزء الرابع ص 501

930- الطاهر وطار:رواية " اللالز" ص 187

931- الدكتور محمد مصابف: : الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، ص 55

932- الطاهر وطار:رواية " الزلزال" ص 132

933- الطاهر وطار:رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي"،ص 27

المومسات العاهرات داخل مواخير الدعارة و تفاصيل مجتمع حيث احتلت الرغبات الجنسية إلى حد أنها صارت وظيفة مهمة وبدأت تقام احتفالات ومراسيم لأجلها، كما تحمل رواية " عرس بغل " في طياتها دراسة عميقة لحالة المجتمع الجزائري (934)، و بينما رواية " الحوات والقصر " تقدم توعية الجماهير لكي تثور على الظلم والطغيان والعنف(935)، وتعالج طبيعة الصراع مع السلطة كما تتحدث رواية " رمانة " عن حياة شريحة اجتماعية بائسة في مناطق الفقر والبؤس والصفوح بالجزائر حيث أصبح الإنسان فريسة سهلة في فم الزمان وسلعة رخيصة لكل من يملك الثمن، وتضطر النساء لبيع أجسادهن لتأمين الرغبة للأطفال الذين يموتون جوعا (936)، ويحاول الكاتب الطاهر وطار من خلال هذه الروايات أن يقدم صورة الإنسان الذي يهرب من أعباء الحياة وصراعاتها ويشعر أن الاشتراكية هي الحل الوحيد للخروج من الأزمة وإلغاء الفساد من المجتمع الجزائري.

و أيضا رواية " تجربة في العشق " تتميز بمتنها الغزير الذي يكون مليئا بالتناقضات والبعد الرمزي والاختلاف من العناصر الفنية والحضارية والثقافية كان لها بالغ الأثر في إثراء المعنى وإنتاجه، وتعالج حالة الجنون لمناضل شيوعي يعيش الخيبة نتيجة فشل تطبيق الشيوعية في الجزائر والجنون(937) وتحمل العديد من الإشكالات التي تعاني منها الجزائر خاصة في المجال الفني والثقافي، ونجد في رواية " الشمعة والدهاليز " استعراض المشاكل التي واجهتها الجزائر منذ الاستقلال والتي أدت إلى الأزمة التي شهدتها الجزائر في التسعينات، وتقدم الرواية خلفية ظاهرة الأصولية بالجزائر من خلال شخصية الشاعر الماركسي الذي يقف موقف المحلل تجاه التغييرات على الساحة السياسية، والكاتب الطاهر وطار من خلال هذه الرواية حاول أن يتناول مظاهر الفوضى والتمرد ونقد الوضع السياسي(938)، فتارة هو يتخذ أبعادا نفسية اجتماعية وتارة أخرى أبعادا تاريخية سياسية ، وأيضا يستخدم " الشمعة " رمزا

934 - الطاهر وطار:رواية " عرس بغل " ص 46

935 - الطاهر وطار:رواية " الحوات والقصر " ص86

936 - الطاهر وطار:رواية " رمانة " ص7

937 - الطاهر وطار: رواية " تجربة في العشق " ، ص 90

938 - الطاهر وطار:رواية " الشمعة والدهاليز، ص 82

للتوضحية ، لأن الشمعة تضحي بنفسها من أجل راحة الآخرين ومن أجل الإنارة عليهم.

وعلاوة على ذلك يعالج الروائي وطار قضية الصراع بين الإسلام السياسي والديمقراطيين في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" ويركز على أحداث العنف السياسي الذي عاشته الجزائر طوال السنوات السبع الماضية ، كما نرى إشارات واضحة إلى المفاوضات التي جرت بين الجيش الوطني الشعبي والجيش الإسلامي للإنقاذ⁽⁹³⁹⁾ وأيضا يركز الكاتب في هذه الرواية على ظاهرة الإسلام بعد رواياته " الشمعة والدهاليز" و" العشق والموت في الزمن الحراشي" و" عرس بغل" بحيث تقدم هذه الروايات مرحلة من مراحل تطور الجزائر⁽⁹⁴⁰⁾، وأما رواية" الولي الطاهر يرفع يده بالدعاء" فهي قامت بالتركيز على الوضع العربي بتحولاته المتسارعة، و أثار المؤلف وطار فيها بعض القضايا الراهنة سواء داخل العالم العربي أو خارجه كقضية الإرهاب الإسلامي والوحدة الإفريقية والحركة والأمازيغية وحقوق الإنسان وغيرها⁽⁹⁴¹⁾.

و روايته الأخيرة "قصيدة في التذلل" تتحدث عن شريحة المثقفين وعلاقتهم بالسلطة في الثقافة العربية عن الممارسات التي تقوم بها النخب العربية لأجل إرضاء الحاكم في تجنب التطرق إلى المشاكل الموضوعية التي يعاني منها الناس في حياتهم اليومية⁽⁹⁴²⁾، و تعالج ظاهرة الفساد الذي تعيشه الجزائر وتكشف التناقضات التي تواجهها الثقافة الجزائرية في الفعل الثقافي ويركز الطاهر وطار في الرواية على الوضع الراهن بطريقة واقعية حقيقية بعيدة عن المستوى المتخيل، وموضوع الرواية يتعلق بالراهن الجزائري بما فيه من تناقضات و الفساد على جميع المستويات، كما تختلف هذه الرواية عن الروايات السابقة من ناحية موضوعها الحساس لأن الروائي قد قام ببناء الرواية بالشكل الحديث والسبب في ذلك أنه كان حزينا بهموم الثقافة الجزائرية والمعارضة الفكرية والثورية التي هي من أهم الأسباب الحقيقية التي دفعته

⁹³⁹ - الطاهر وطار:رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي: ص، 191

⁹⁴⁰ - المصدر السابق: ص، 173

⁹⁴¹ - الطاهر وطار:رواية "الولي الطاهر يرفع يده بالدعاء " ص، 173

⁹⁴² - الطاهر وطار:رواية " قصيد في التذلل" ص 17

لكتابة هذه الرواية⁽⁹⁴³⁾.

بالإضافة إلى ذلك نرى أن الحضور الصوفي فهو يحتل مكانا مرموقا في روايات الطاهر وطار خاصة في رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" و "تجربة في العشق" و " الولي الطاهر يدعو إلى مقامه الزكي" ويشغل الحضور الصوفي مساحة كبيرة في رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" والمكان الذي تدور فيه أحداث الرواية هو "المقام الصوفي" في بداية الرواية حيث أن الولي الطاهر يتذكر بعض الأحداث التي تتخيل له ، أولها "بلارة" هي المرأة التي لم تظهر في الرواية إلا بواسطة صوت وعطر كما جاء في النص " لا يدري الولي الطاهر، ما إذا كان صوت بلارة يأتيه من خارجه أم من داخله ففي الحق كانت هناك حمى باردة تهز أوصاله حتى تبلغ العظام"⁽⁹⁴⁴⁾، وهذا يدفعنا إلى القول أن الحضور الصوفي يكون جليا متميزا لدرجة أنه أصبح جزءا أو عنصرا مهما من عناصر المتن حتى إذا قلنا بأن الرواية قد وجدناها مكسوة بمزركشات صوفية فهي لا تعد من المبالغة⁽⁹⁴⁵⁾.

أما رواية "تجربة في العشق" فهي مليئة بالإشارات الصوفية ويبلغ العشق الصوفي أعلى درجات اشتعاله وسطوعه⁽⁹⁴⁶⁾ ونجد أن النص الروائي توجد فيه نفحات صوفية واضحة ويتحلى بالعديد من الإشارات الرمزية الصوفية كالتعري، الصلاة، السكر، الخمر...، ليصل في الأخير إلى جعل صورة معشوقته أو حتى جميع النساء عاكسة لبعد رمزي صوفي واضح في النص وأيضا إذا انغمسنا في ثنايا نص رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" وجدنا أنها كلها عبارة عن شطحة تستعير شطحات الصوفية وتعالج بها نفس الإشكالية المطروحة .

بهذا السبب يجد القارئ الذي ليست لديه ثقافة واسعة في مجال التصوف، صعوبة في العثور على المفردات والاصطلاحات والشطحات الصوفية ، فيقول الطاهر وطار في هذا

⁹⁴³ - حوار الطاهر وطار مع "ابن تريجة" نشر يوم 19 - 04 - 2010 في جريدة "جزايرس" ص 2

⁹⁴⁴ - الطاهر وطار:رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" ص 19

⁹⁴⁵ - الأستاذ بهيجة مصاق: هكذا تكلم الطاهر وطار، ج 2، ص 233

⁹⁴⁶ - المصدر السابق: ج 2/ص 233

الصدد: " سيجد القارئ الذي ليس له ثقافة تراثية عموماً نفسه مضطراً إلى مراجعة بعض المفردات والاصطلاحات. و قد يجد صعوبة في العثور على "رأس الخيط"، وعذري، أنني حاولت تقديم ملحمة وليس قصة فقط" (947).

علاوة على ذلك يتجلى لنا من خلال دراسة الروائي الطاهر وطاهر أنه استفاد في رواياته بعدد كبير من الموروث الثقافي خاصة والتراثي عامة، هو يعكس استحضر الكاتب للعديد من أسماء الشخصيات التاريخية والوقائع والأحداث العربية والغربية، وأيضاً نرى الكثير من الأقوال العربية المأثورة شعراً ونثراً قرأنا وأمثالا شعبية تمتاز بها روايات الطاهر وطاهر.

المزايا الأسلوبية واللغوية:

حينما ندرس روايات الطاهر وطاهر من الناحية اللغوية والأسلوبية يتضح لنا أن وطاهر يعتمد على مختلف التقنيات السردية و الأساليب المتنوعة التي تتميز بالبساطة والسهولة والصرامة والوضوح وسلامة التعبير ولا يميل الكاتب إلى الرمزية إلا نادراً، ونجد أيضاً أنه اعتنى في رواياته عناية كبيرة بالأسلوب واهتم به اهتماماً كبيراً واستخدم له جميع الوسائل الفنية الممكنة و ما استطاع إليه سبيلاً ، كما أنه يمزج الرمز بالواقع والحقيقة بالخيال ويزاوج في أسلوبه بين المضمون الثوري والشكل المعاصر، وبالإضافة إلى هذا كله تتجلى في رواياته قدرة الفائقة على دقة التصوير وبراعة التعبير وروعة التحليل في رواياته بدقة متناهية وأيضاً نرى أن الروائي يحاول أن يزيد روايته رونقا وجمالاً فيختار أسلوباً يتسم بالبساطة والوضوح من جهة والعمق الفكري والثوري من جهة أخرى، كما يقول الدكتور محمد مصايف في هذا السياق " إن أسلوب الطاهر وطاهر بسيط يقدم المعنى كله منذ الوهلة الأولى وهو لا يميل إلى الرمزية إلا نادراً وحتى عندما يميل إليها تكون رمزية بسيطة تتعلق بالمحتوى العام أكثر مما تتعلق بالمعنى المفرد وهذا ما يسهل قراءة الطاهر وطاهر في روايته وقصصه (948).

علاوة على ذلك نرى أن الطاهر وطاهر اهتم باللغة بدرجة كبيرة فلم يلجأ إلى الجمل المعقدة ولا

⁹⁴⁷ - إدريس بوديبة " الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطاهر " ص، 286
⁹⁴⁸ - الدكتور محمد مصايف : الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، ص 52

العبارات الملتوية، فكلماته سهلة بسيطة وعباراته مشرقة جذابة تزيد الصورة وضوحا والشكل جمالا وتنقل المشاعر والأحاسيس بإتقان دون تكلف ، ويتحدد أسلوب الرواية في إطار الفصح الذي يقترب أحيانا من تركيب اللغة العامية مثل قول الكاتب بهذه الجملة في رواية " اللاز " وراس بن عمي ، فات الحال ، إما ... وإما ... الشامي شامي ... والبغدادي بغدادي الذبح من جهة .. والرصاص من جهة أخرى ... ويخيل لقدور أنه غائص في الأعماق ... أعماق الأعماق " (949) .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الطاهر وطار يختار عامة ما يناسب له من الألفاظ والعبارات ويستخدمها في أسلوب سهل عن طريق أوساط المثقفين وأحيانا يستخدم عبارة عامية أو مثلا شعبيا فيختار له المكان المناسب، فيعود هذا المثل أو هذه العبارة بتقنية خاصة ممتعة كما رأينا التكرار في رواية " اللاز" ما يبقى في الوادي غير حجاره" " ما يبقى في الوادي غير حجاره" (950) فهذا المثل يزيد عمق الرواية ويعبر بصدق شديد عن نفسية البطل ورفاقه في رواية " اللاز" ، فيقول الدكتور محمد مصايف في هذا الصدد " لغة وطار لغة سليمة فصيحة إلا ما يعثر عليه من عبارات شعبية يحسن المؤلف استخدامها في المواقف المناسبة مثل ما رأينا من ترداد عبارة في رواية " اللاز" ما يبقى في الوادي إلا أحجاره " وقول زيدان لأخيه حمو في غير مناسبة " وراس ولد أمي " والقصد من استعمال هذه العبارات الشعبية هو التعبير عن الحياة الواقعية الخاصة لشخصيات الرواية فهي نوع مما يسميه بعض النقاد بالواقعية اللغوية" (951).

إضافة إلى ذلك اتضحت لنا من خلال الدراسة أن لغة روايات وطار تتصف بالتنوع والتعدد معجما وتركيبا ودلالة وقالبا أدبيا وتعدد هذه اللغات تتنوع وسائل الأداء الأسلوبية ، فاستخدم الطاهر وطار في رواية " عرس بعل" أسلوب الخاص إلى العام فالماخور ليس سوى الجزائر التي عرفت في الفساد بعد الاستقلال و المومسات لسن سوى المؤسسات الجزائرية التي أمت

⁹⁴⁹ -الطاهر وطار: رواية اللاز ، ص33

⁹⁵⁰ - المصدر السابق: ص7-8-187-188-

⁹⁵¹ - الدكتور محمد مصايف : الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ، ص 53

بها ظروف اقتصادية سيئة بعد الاستقلال استلزمت عليها الانجراف في تيار الفساد⁽⁹⁵²⁾ ويكتب وطار في مقدمة رواية عرس بغل كما يلي: " في عرس بغل لجأت إلى الرمز أو إلى المعادل الفني لواقع لا يمكن أن أعبر عنه إلا بهذا الأسلوب ، أردت أن أقول أن ما يجري في العالم على يد البورجوازية الصغيرة من ثورات ليس سوى عرس بغل عقيم ، الفائدة منه إقامة العرس وليس الزواج" ⁽⁹⁵³⁾.

لكن بالرغم من كل ذلك لا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن روايات الطاهر وطار يغلب عليها الطابع الفكري والأيدولوجي لأن وطار هو كاتب موقف وفكرة بالدرجة الأولى⁽⁹⁵⁴⁾ وبهذا الصدد نلاحظ أنه فريد في تغليب الجانب الفكري و الأيدولوجي على الجانب الفني في أكثر أعماله الروائية ويعد خيرا من يمثل الموقف الأيدولوجي في الرواية العربية الحديثة، كما هو يهتم بالتعبير عن الفكرة والموقف اهتماما كبيرا في رواياته ، و يركز عنايته الكاملة على الفكرة التي يريد أن ينقلها بكل وضوح ودون أية صنعة ولذلك أحيانا لا يهتم بالأسلوب واللغة حق الاهتمام، وقد أشار الأستاذ محمد مصايف إلى هذا الجانب قائلا: " إن الرسالة الاجتماعية التي يريد المؤلف أن ينهض بها هي التي تجعله يتجنب الأسلوب الرمزي ويتحدث إلى قارئه في أسلوب غاية في البساطة....وفي بعض الأحيان تحس كأن المؤلف لا يولي أي اهتمام لأسلوب واللغة وكأن الأمر الوحيد الذي يهمله هو الفكرة ونقل الفكرة بكل وضوح وبدون أية صنعة...وعدم الاهتمام هذا لا يأتيه من ضعف في اللغة ، بل من موقف واع من قضية الفن وقد يعثر القارئ هنا وهناك على بعض الاستعمالات الخاطئة للغة"⁽⁹⁵⁵⁾.

وأیضا من خلال قراءة روايات وطار يكتشف لنا أن أسلوب التعامل للكاتب في رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي" ليس أسلوبا وصفيا أو تصويريا بل تخللت في بعض المقاطع الوصفية القليلة عملية أحداث الرواية ونجدها في الأغلب جملا وصفية بحيث لا يشعر به القارئ كما في هذه الجملة" الزمن عنده واحد ، الشمس مجرد كرة من النور الدخيل

⁹⁵² - سلمى محمود : الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 67

⁹⁵³ - الطاهر وطار: في حوار مع زعتر جمال ، جريدة الجمهورية الأسبوعية ، وهران، 27، سبتمبر 1989، العدد23، ص 23

⁹⁵⁴ - الأستاذ محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث ، ص 121

⁹⁵⁵ - الدكتور محمد مصايف: الرواية الجزائرية الحديثة ، ص 85-86

على الظلمة" (956) أيضا في هذا المقطع " كان قصر القامة ، ضيق المنكبين ، حاجبا عريضان وجهه كثيف الشعر شفتاه تلمعان ، عيناه السوداوان حادثان النظر(957) ويقول الأستاذ إدريس بوديبة : " لقد تميزت هذه الرواية بأسلوب الخواطر والمونولوج الداخلي وكان الكاتب يهتم بالفكرة حيث يصادف القارئ خطابا مباشرا موجها إليه وقد تعددت هذه الخطابات بتعدد الرؤى التي تتضمنها الرواية"(958) وتكتب لنا الدكتورة سلمى محمود " إن الأسلوب التقريري المباشر الذي يستخدمه وطار يضعف من تماسك العمل الروائي كما أن بعض الاستطرادات في رواية " العشق الموت في الزمن الحراشي " تشير إلى نرجسية المؤلف" (959).

وأما لغته في رواية "الحوات والقصر" فهي بسيطة وقد اختار الكاتب أسلوبا يربط مع بيئة المضمون بطريقة متسقة مع النمط الحكائي القريب من الحكاية الشعبية التراثية ولذلك نجد أن المؤلف نفسه يصرح في الصدد بقوله" رواية الحوات والقصر يمكن أن يقرأها الحلاق والفيلسوف ورجل السياسة وهذا القول نفسه ينطبق على روايتي اللاز والزلزال" (960) وأيضا كما ذكرنا أن وطار لا يميل إلى الرمز إلا نادرا فنراه في رواية " الرمانه " أنه يحاول أن يقدم قضية الجزائر بقضية رمانه بالأسلوب الرمزي في العبارة الأخيرة للرواية التي قالتها "رمانه" للتاجر" عليه اللعنة تاجر التحف الوضيع" (961) فهي إشارة رمزية كبيرة للتطور الذي شهدته الجزائر لأنها حصلت على شرفها وحررتها من براثن المستعمر الفرنسي لكنها بقيت بضاعة في أيدي التجار والفاستدين فالجزائر التي كانت بضاعة قبل الثورة أيضا قد بقيت بضاعة رخيصة بعد الثورة.

رواية " الشمعة والدهاليز" تمتاز بلغة شاعرية رقيقة، تصل بعض الأحيان إلى حد الصوفية

956 - الطاهر وطار: رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي" ص 14

957 - الطاهر وطار: رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي" ص 16

958 - إدريس بوديبة " الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار " ص، 107

959 - سلمى محمود سعد: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 104

960 - الطاهر وطار مع حوار بشير مفتي ، الشروق الثقافي ، ص 8، العدد 1993.9.8.8

961 - الطاهر وطار: رواية "رواية رمانه " ص 65

كأن الشاعر مناجيا محبوبته كما يقول الراوي " ما أن أقف حتى يمتلئ المسجد بك المحراب ، والجدران و الزرابي وكل فضاء في المسجد يمتلئ بك ، فلا أدري ما أقول وما أفعل ، الله لا يتجلى لي، عيناك فقط تتجليان ، وإني لأهرب منك إلى لقياك كي أستريح قليلا من رؤياك أكون بالصلاة جروح الروح فلا تكتوي " (962)، بهذا السبب يشعر القارئ كأنه يقف أمام نص هو وقوع الشاعر تحت وطأة محنة فكرية أودت بحياته كما لا نرى أي مبرر فني لإسهاب الكاتب في تصوير أحداث الثورة(963).

مع كل ذلك لا بد من الاعتراف أن روايات وطار التي صدرت في آخر أيامه لا نرى فيها الوضوح والصلابة والتماسك على المستوى الفني مثل روايات " اللاز " و " الزلزال " و " العشق والموت " وغيرها كما يقول الأستاذ والناقد فاروق عبد القادر في هذا الصدد : " في أعماله الثلاثة الأخيرة (964) يفتقد الطاهر وطار ما ميز معظم أعماله السابقة عليها من وضوح الرؤية على المستوى الفكري والصلابة والتماسك على المستوى الفني هي - أعماله الأخيرة - مكتوبة عن عمد ووعي - تصفية لحساب أو اتقاء لشر أو استجلابا لنفع أو أهم ما يلفت النظر فيها ، تراجع الكاتب عن مواقفه الفكرية السابقة تراجعاً يكاد يصل من النقيض للنقيض " (965)، وأيضا تقول الدكتورة سلمى سعد في هذا الخصوص : " إن كتابات وطار تفتقر أحيانا إلى العنصر الفني، إذ تغرق في استطرادات طويلة تشبه الخطب والمقالات السياسية في الصحف " (966)، و بينما ترى الأستاذة نورة بعيو " إن روايات الطاهر وطار غلب عليها الطابع المنولوجي وليس الحوارية لا سيما إذا أضفنا آليات أخرى تدعم حوارية الرواية، وقد غابت عن هذه الروايات المحاكاة الساخرة والأسلبة والشعرية باستثناء " قصيد في التذلل " ذلك أن وطار كان محكوما بضابط الأدلجة أكثر (967).

على كل حال و بالرغم من كل ذلك لا ريب في أن روايات الطاهر وطار مع بساطة الأسلوب

962- الطاهر وطار: رواية " الشمعة والدهاليز، ص 152

963- سلمى محمود: الثورة في روايات الطاهر وطار، ص 133

964- وهي رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي و " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء " و "قصيد في التذلل".

965- الأستاذ فاروق عبد القادر: قراءة في أعمال الروائي الجزائري الطاهر وطار، ص 15

966- سلمى سعد: الثورة في روايات الطاهر وطار، ص 137

967- الأستاذة نورة بعيو: روايات الطاهر وطار بين قيود الأدلجة و حداثة الكتابة، ص 13

ومباشرته بعض الأحيان، والوقوع في بعض الاستعمالات الخاطئة للغة لا تقل أهميتها على الإطلاق، بل تمتاز معظم أعماله الروائية بالوضوح والسهولة وسلامة التعبير والأسلوب الفني السلس الناعم، وبهذه الخصائص والميزات احتلت رواياته مكانة مرموقة في قائمة الروايات العربية وتعتبر من أوائل الرواية الجزائرية التي كتبت باللغة العربية الفصحى في الجزائر.

القيمة الأدبية لروايات الطاهر عند النقاد والأدباء:

لا مرأى في أن روايات الطاهر وطار تعد من بواكير الرواية العربية في الجزائر، وإحدى الركائز الأساسية في تاريخ الرواية العربية بالبلد المذكور وعلامة فائقة في تاريخ الأدب العربي الجزائري، إذ هي ساهمت مساهمة جليلة في ميلاد الرواية العربية في الجزائر، ولعبت دورا بارزا في تطوير فن الرواية العربية في هذا البلد وبفضل خصائصها البارزة وميزاتها الفنية حققت ذروة الكمال في قائمة الرواية العربية ونالت اهتماما بالغاً وشهرة واسعة على الصعيد العالمي و ترجمت معظمها إلى أكثر اللغات العالمية منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية⁽⁹⁶⁸⁾ وغيرها من اللغات العالمية.

علاوة على ذلك أدخلت بعض رواياته في المقرر التعليمي للعديد من الكليات والجامعات المعمورة، وهذا ما جعلها أن تحظى باهتمام كبير من قبل النقاد فأعجب بها عدد كبير من الباحثين والنقاد إعجابا كبيرا وأشادوا واهتموا بأعمال الطاهر وطار الروائية الرائعة، كما يقول الأستاذ بوشوشة بن جمعة: " أن الطاهر وطار يعد من أحد رواد الرواية العربية الجزائرية إذ أسهم تأسيسها جنسا أدبيا مستحدثا في الثقافة الجزائرية الحديثة والمعاصرة وفي إغنائها بفضل ما قدمه من روايات شكلت علامات متميزة في تاريخها" (969)، ويذكر الأستاذ حسب الله يحيى: " يعد القاص والروائي الطاهر وطار في طليعة الروائيين الذين يكتبون أعمالهم باللغة العربية الفصحى" (970) وبينما يرى الأستاذة نورة بعيو " إن الروائي " الطاهر وطار" يبقى من أبرز المبدعين الجزائريين الذين حاولوا أن يقدموا الأفضل للفن الروائي

⁹⁶⁸ - سلمى محمود: الثورة في روايات الطاهر وطار، ص 31

⁹⁶⁹ - الأستاذ بوشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية ص 11

⁹⁷⁰ - الأستاذ حسب يحيى : هكذا تكلم الطاهر وطار: ج 1 ص 469

باستحداث تقنيات وأشكال حدائية قد تسهم في تطوير هذا الجنس المنفتح على كل الفنون والخطابات، من جهة وتؤصل للرواية الجزائرية من جهة أخرى" (971).

على أية حال فحينما نبحت روايات وطار من ناحية الاستقبال نجد أن تجربة وطار الروائية تعد من أنضج التجارب الروائية الجزائرية العربية التي ظهرت بعد الاستقلال، كما تعتبر حقلا غنيا للتعرف على القضايا الفكرية والسياسية العربية والقضايا الإبداعية والأدبية، وبعد ظهورها اتخذ النقاد يهتمون بالرواية العربية الجزائرية، و يعترف الأستاذ إدريس بوديبة بهذه الحقيقة قائلا: " فمنذ أن ظهرت أعماله بدأ النقاد في الجزائر والمشرق ينظرون بجدية إلى عناصر التفوق والتفرد التي طبعت أعمال هذا الروائي الجديد ومنذئذ لم يعد الحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية وأصبحت تنتزع الإعجاب والتقدير وغطت بهيمنتها على باقي الأجناس الأدبية في الجزائر وانتزعت الصدارة في مجال البحوث النقدية و التغطيات الصحفية والإعلامية ولأول مرة أمكننا الحديث عن تجربة روائية جزائرية جديدة متقدمة" (972).

وعلى سبيل المثال نخص بالذكر هنا أن رواية " اللاز" للطاهر وطار هي تعتبر من أوائل الرواية الجزائرية التي كتبت باللغة العربية الفصحى بالجزائر و نالت شهرة واسعة على الصعيد العالمي وترجمت إلى العديد من اللغات الحية وعلى الصعيد الروائية العربية وتعد من أفضل مائة رواية عربية في العالم كما حظيت بأهمية بالغة من طرف النقاد والدارسين فيذكر الأستاذ واسيني الأعرج " أن رواية " اللاز" هي تعالج عن قرب موضوعا شائكا وربما يحدث هذا لأول مرة في الرواية الجزائرية يعني الإشكالات المعقدة التي صاحبت الثورة الوطنية بكل خلفياتها التاريخية وطبيعة التحالفات التي طرحت على مختلف القوى التي كان يهمها استقلال الجزائر أولا، حاول وطار أن يركز قدراته الإبداعية على كل السلبات التي صاحبت هذه الأحداث " (973).

971 - الأستاذة نورة بعيو: روايات الطاهر وطار بين قيود الأدلجة و حدائية الكتابة، ص 13

972 - إدريس بوديبة " الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار " ص، 17

973 - الأستاذ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية، ص494

و من جانب آخر يرى الأستاذ إدريس بوديبة " أن رواية "اللاز" هي مصدر إلهام للعديد من الروائيين الجزائريين بشكل مباشر أو غير مباشر إن هذه الرواية بشكلها الفني البسيط تقدم لنا نموذجاً أولياً للواقعية الملحمية في الرواية الجزائرية وتسهم في تواتر الإنتاج الروائي في الجزائر خلال السبعينات لأن وجود أي نص أدبي يفترض وجود نص آخر سبقه ومهد له" (974) ويقول الدكتور حمدي السكوت في الخصوص " أن الطاهر وطار بعلمه الأصيل المتميز هذا قد أعلن للملأ أن الرواية العربية في الجزائر قد شبت عن الطوق وقفت في صف واحد مع الروايات في الوطن العربي كله" (975) ويتحدث الدكتور عمر بن قينة عن رواية " اللاز" " هذه الرواية تعتبر من الأراضية الصحيحة في التأسيس لرواية الجزائرية بلسان الأمة والوطن العربي" (976)، ويكتب الدكتور محمد مصايف عن رواية اللاز قائلاً: " إن رواية " اللاز" في محتواها العام، واتجاهها الإيديولوجي والفني. وهي رواية تؤرخ لظهور الرواية الإيديولوجية السياسية في الأدب الجزائري الحديث ولا ينكر أن أهداف جراءة المؤلف فيها كبيرة جداً" (977).

وعلى سبيل المثال نذكر هنا أن رواية "الزلزال" التي تعد من النصوص التأسيسية للرواية الجزائرية تحاول تجسيد التحولات الزراعية التي حدثت في الجزائر وتقدم مسألة الإقطاع بأسلوب فني قلما نجده في الروايات الجزائرية ، فهي تعتبر من أهم ما ألف في الأدب الجزائري في عهد الاستقلال (978) ويتحدث الدكتور أحمد دوغان عن هذه الرواية: " أن الروائي الجزائري الطاهر وطار قدم لنا رؤية فنية مشرقة في تجسيد الواقع الاشتراكي وما جاء في هذا العمل الروائي يدل على أنه قد عاش أحداث واقعه" (979).

ورواية "عرس بغل" التي تعالج قضية الفساد الذي كان منتشرًا في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال تتميز باهتمام النقاد مما زاد من قيمتها وذلك باعتمادها على فضاء دينامي ذي

974 - الأستاذ إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص 49-50

975 - الدكتور حمدي السكوت : الرواية العربية الحديثة ببلوجرافيا ومدخل نقدي، ص 226

976 - الدكتور عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث ، ص 214

977 - الدكتور محمد مصايف: الرواية الجزائرية الحديثة ، ص 53

978 - المرجع السابق ، ص 85

979 - الدكتور أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث ، ص 136

انسجام تكويني ووظيفي، والانزياح عن الموضوعات والأساليب السائدة، فيكتب في هذا الصد الأستاذ واسيني الأعرج: " استطاع الطاهر وطار في عرس بغل أن يخطو خطوة جديدة وجدية نحو ترصد هموم الجماهير الواسعة والعريضة والحديث إلى حد كبير بلغتها المبسطة ولإيحائية واعتماد تراثها وتاريخها الفكري الايجابي " (980).

أما رواية " الحوات والقصر " فهي تعد من أبرز الروايات التي ألقت حول التعامل مع السلطة لأنها تحل مباشرة طبيعة السلطة وتصدر عليها حكما (981)، لكن اختار الكاتب وطار لغة بسيطة لهذا الرواية لكي يقرأها الحلاق والفيلسوف ورجل السياسة (982) فعرفت هذه الرواية رواجاً حتى تتحدث الأستاذة فهيمة زيادي عنها " واختار الروائي الفصحى لغة مبسطة في تناول القارئ العادي متماشية مع لغة الأسطورة وهي تخاطب العقلية الشعبية معالجا بذلك حياة الرعية البائسة المقهورة ليكشف سلطوية القصر " (983) ويرى الأستاذ واسيني الأعرج " الناحية الجمالية عند الطاهر وطار تأخذ كافة أبعادها في هذا العمل الروائي والذي إذا كان قد كتب في بدايات السبعينات فهو يشكل قفزة نوعية في إبداعات الطاهر وطار على صعيد المضامين والأشكال " (984).

ورواية " العشق والموت في الزمن الحراشي " تعتبر الجزء الثاني لرواية " اللاز " لأنها تقدم تصوير حياة معظم شخصيات رواية " اللاز " في مرحلة ما بعد الاستقلال وتحدث عن الحياة الاجتماعية للجزائر في أوائل السبعينات ، لكن بالرغم من كل ذلك ما نالت رواية " العشق والموت في الزمن الحراشي " اهتماماً بالغا من طرف الباحثين والدارسين لأن أسلوبها ليس وصفياً أو تصويرياً فيضعف من تماسك العمل الروائي ومن هنا تصف الأستاذة سلمى محمود هذه الرواية قائلة " إن الأسلوب التقريري المباشر الذي يستخدمه وطار يضعف من تماسك العمل الروائي " (985) ومن جانب آخر يرى الأستاذ عبد الفتاح أن " الكاتب لم يحقق غايته لأن

980 - الأستاذ واسيني الأعرج: الطاهر وطار تجربة الكاتبة الواقعية، ص 114

981 - بشوشة بن جمعة: الرواية العربية الجزائرية ، ص 21

982 - الطاهر وطار مع حوار بشير مفتي ، الشروق الثقافي ، ص 8، العدد 1993.9.8.8

983 - الأستاذة فهيمة زيادي : التجريب والنص الروائي، ص 4

984 - واسيني والأعرج: الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية ، ص 135

985 - سلمى محمود سعد: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار، ص 104

الرواية تخلص من الصراع الدرامي حول الأرض المنتفعين فيه فلم نرى فلاحا واحدا يدافع عن حقوقه أو إقطاعيا واحدا من يملك الأرض ويسارع من أجل الحفاظ على ملكيته ، مما أفقده البناء الروائي وحدته وتماسكه على إضعاف حركة الصراع الدرامي" (986).

و رواية "رمانة" هي الرواية السادسة للطاهر وطار التي تتحدث عن حياة شريحة اجتماعية بائسة في مناطق الفقر والبؤس بالجزائر بأسلوب أخذ فنالت هذه الرواية اهتماما واسعا في الساحة الأدبية فنرى الأستاذ أبو نضال نزيه يقول " إن هذا العمل الفني يشكل وثيقة اجتماعية وتاريخية لفترة مهمة من تاريخ الجزائر ولكنه فوق ذلك يحمل دلالات ومعاني إنسانية لا تقتصر على مكان وزمان محدودين بل تعكس هموم الإنسان نفسه ، وربما هذا هو الفارق الجوهرى بين الكتابات العابرة والإبداع الخالد الذي جعل من اسم الطاهر وطار علامة فارقة من علامات الرواية العربية" (987) كما يصفها الأستاذ عمر بن قينة قائلا : " تتميز رواية رمانة بالمستوى الفني السليم في الفترة المتقدمة من نشوء الرواية الجزائرية " (988). أما رواية " تجربة في العشق " فهي تتميز بمتنها الغزير الذي جاء مليئا بالتناقضات والاختلاف وبالعديد من الرموز التاريخية والإشارات الصوفية، لذلك نجد أن لغة الرواية تتمتع بالغموض والرموز، حتى طلب الكاتب وطار في مقدمة الرواية من القراء والباحثين أن يتعاملوا مع هذه الرواية بالذات التي سيجدون فيها مذاقا لم يتعوده في باقي رواياته (989)، فنقول الأستاذة فاطمة جمعي: "لقد استغل وطار في روايته بخلفياته الثقافية والأدبية عددا لا حصر له من النصوص الغائبة، فتعد " تجربة في العشق "، كشافا عن فعالية ثقافية إبداعية واضحة" (990)، لكن بالرغم من كل ذلك نرى الأستاذ فاروق عبد القادر يقول: " تجربة في العشق " هي نص غريب حقا لا تستطيع أن تدعوه " رواية " مهما اتسعت الأطر التي تعتمدها

986 - الدكتور عبد الفتاح : هكذا تكلم الطاهر وطار، ج1 ص 384

987 -الأستاذ أبو نضال نزيه: التحولات في الرواية العربية، ص 243

988 - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث ، ص 198

989 - الطاهر وطار: رواية " تجربة في العشق " ، ص 5

990 - فاطمة الزهراء جمعي: هكذا تكلم الطاهر وطار ، ج3 ، ص 498

لهذا النوع الأدبي، أن هذا العمل المشوش المفتقد لأي قوام أو بناء " (991).

أما ثلاثية الطاهر وطار فهي تشتمل على رواية " الشمعة والدهاليز " و " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء " قد عبر فيها وطار عن مختلف التحولات التي ميزت مسار التجربة السياسية وخلفية ظاهرة الأصولية وقضية التغريب والغزو الفكري والثقافي بالجزائر وفتقول الدكتورة لطيفة قرور : " ثلاثية الطاهر وطار هي تكون نموذجا عن الرواية الأزمة الجزائرية التي أصبحت ملمحا بارزا من ملامح الأب الجزائري المعاصر " (992)، لكن حينما نبحث عن " ثلاثية وطار " من جهة الأسلوب فنجد أنها رائقة من الناحية الفنية ومليئة بشطحات الصوفية بلغة شعرية صوفية رقيقة حتى إذا قلنا بأن الرواية قد وجدناها مكسوة بمزركشات صوفية فهي لا تعد من المبالغة ، بهذا السبب ثلاثية وطار ما حظيت إعجاب الدارسين والباحثين مثل رواياته الأخرى.

فيقول الأستاذ حسان راشدي: " إن القارئ الذي ليس له ثقافة تراثية عموما يكون مضطرا إلى مراجعة بعض المفردات " (993) و من جانب آخر يتحدث الأستاذ والناقد فاروق عبد القادر عن هذه الروايات كما يلي : " في أعماله الثلاثية يفتقد الطاهر وطار ما ميز معظم أعماله السابقة عليها من وضوح الرؤية على المستوى الفكري ، والصلابة والتماسك على المستوى الفني " (994).

على كل حال ، رواية " قصيد في التذلل " هي رواية أخيرة للطاهر وطار التي نتحدث عن التذلل في كل دواليب السلطة العربية دون استثناء و تعالج ظاهرة الفساد الذي تعيشه الجزائر ، وتتميز باهتمام النقاد فيذكر الأستاذ سعيد الهاشمي في هذا الصدد " إن هذه الرواية رثاء للوضع التي آلت إليها الجزائر وأبنائها في ظل تفاقم سرطان الفساد الذي ظل ينخر جسد البلاد " (995) وتكتب لنا الدكتورة حفيظة عياشي : "قصيد في التذلل هي رواية متكاملة ومرتبطة

991 - فاروق عبد القادر: غروب شمس الحلم، ص 25-30

992 - الدكتورة لطيفة قرور: هاجس الراهن في ثلاثية وطار، ص 181

993 - الأستاذ حسان راشدي: الرواية العربية الجزائرية ، مرحلة التحولات ص 390

994 - الأستاذ فاروق عبد القادر: قراءة في أعمال الروائي الجزائري الطاهر وطار ، ص 15

995 - جريدة "جزايرس" نشر يوم 19 - 04 - 2010 ، ص 1

بعضها ببعض وقام الطاهر وطار ببنائها بالشكل الحديث وأعتقد أن المعارضة الفكرية والثورية هي من الأسباب الحقيقية التي دفعت وطار لكتابة روايته الجديدة" (996) وتقول الأستاذة عليجة مودع في هذا الخصوص " هذه الرواية طرقت بابا لم يطرق من قبل وهو باب التبعية أي وقوع المثقف المتمثل في البطل أسير رهانات السلطة لما حاول أن يتلاعب معها على أمل أن يغير الواقع" (997).

ويصف الأستاذ بن جمعة بوشوشة هذه الرواية قائلا: " فقد جاءت أعماله لتؤرخ لكل التغييرات والتطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري منذ الثورة المسلحة إلى غاية الاستقلال، وقد كان للإغراءات الإيديولوجية و الفنية التي تميزت بها مدرسة الواقعية الاشتراكية دور في جعل أعمال وطار تتسم بنوع من التلقائية و الرؤية الشمولية، كما جعلته قادرا على إدراك تلك العلاقات الجدلية بين الفرد و أفكاره و أفعاله و الحياة بكل صراعاتها (998).

ومن نافلة القول إن تجربة وطار الروائية تعد من أنضج التجارب الروائية الجزائرية العربية التي ظهرت بعد الاستقلال، و تعتبر حقلا غنيا للتعرف على القضايا الاجتماعية والفكرية والسياسية والعربية والأدبية، إذ هي تعالج كل مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية. استفاد الكاتب الطاهر وطار في رواياته بعدد كبير من الموروث الثقافي خاصة والتراثي عامة، فالحضور الصوفي يحتل مكانا مرموقا في بعض رواياته، وأسلوبه يمتاز بالبساطة والسهولة والصراحة والوضوح وسلامة التعبير و يقدم المعنى كله منذ الوهلة الأولى ولا يميل إلى الرمزية إلا نادرا و يهتم باللغة بدرجة كبيرة فلم يلجأ إلى الجمل المعقدة ولا العبارات الملتوية، و يغلب الطابع الفكري والأيدولوجي على أسلوبه ولهذا السبب كله نالت رواياته اهتماما بالغا وشهرة واسعة على الصعيد العالمي حتى بعد ظهورها اتخذ النقاد يهتمون بالرواية العربية الجزائرية ، كما أعجب بها عدد كبير من الباحثين والنقاد إعجابا كبيرا وأشادوا واهتموا بالأعمال الروائية الرائعة للطاهر وطار.

996. الدكتور حفيظة عياشي: جريدة "جزايرس" نشر يوم 05-05-2010م، ص 1
 997. الأستاذة عليجة مودع: قراءة في مشروع الطاهر وطار ، ص 7
 998 - بن جمعة بوشوشة: الرواية العربية الجزائرية، اسئلة الكتابة و الصيرورة، ص 15.

خلاصة البحث

خلاصة البحث

تعتبر الرواية من أقدر الأجناس الأدبية على معالجة القضايا الاجتماعية المعاصرة فهي تعد من أوسع الأنواع الأدبية انتشارا وتداولاً وأكثرها قبولا لدى الناس في العالم لأن معيارها الفني يشمل أساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية ويضيف إليها تصوير المجتمع والتعبير عن ضمير الإنسان وأشواقه ومصيره وإحساسه ومشاعره ، فتتزايد أهميتها على مرور الأيام بفضل صياغتها الفنية حتى أصبحت اليوم طاقة سياسية واجتماعية هامة تعبر عن روح الأمة ومشكلاتها وطموحاتها.

لا مرأى في أن الرواية تعد من الفنون الحديثة التي دخلت في أدبنا العربي من جملة ما دخل في حياة العرب من مظاهر الحضارة الغربية وأثارها وأصبحت ذات أهمية متزايدة يوما بعد يوم بفضل خصائصها الفنية ، وبلغت ذروة نضجها وازدهارها في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين، فليست الرواية العربية اليوم أقل حظا من الأعمال الروائية في باقي أقطار العالم في رصد التحولات الاجتماعية والتغيرات الثقافية ومعالجة القضايا التي تهتم بها الإنسان وطرح الحلول للمشكلات التي تتعلق بوجوده.

وفيما يخص بالجزائر فهي دولة عربية وحضارة تاريخية ضاربة جذورها في سحيق الزمان، قد أنجبت في عصورها المختلفة من العهد الفينيقي والروماني والوندالي والفتح العربي الإسلامي إلى العهد العثماني عددا كبيرا من رجال الأدب والإنشاء الذين بذلوا المجهودات الملموسة في نشر اللغة العربية وآدابها في الجزائر وأكنافها وخلفوا وراءهم آثارهم الرائعة وأعمالهم البارزة ، لكن مع كل ذلك تخلفت الجزائر في جميع مجالات الحياة بما فيه الأدب العربي بسبب الاحتلال الفرنسي الذي استمر من 1830م إلى 1962م وقضى على المعالم الثقافية الجزائرية وبذل ما في وسعه في كبح جميع إمكانات التطور الاجتماعي والثقافي للشعب الجزائري ، فظلت الجزائر تتنفس في أجواء الركود الثقافي والجمود الفكري خلال الاحتلال الفرنسي ولم تتعرف بالحركات الإصلاحية والتيارات الأدبية والفنون الأدبية الحديثة التي كانت تقع خارج حدودها

في بلاد أخرى، وكانت أول أهداف من الاستعمار في المجال الثقافي هو القضاء على اللغة العربية ووضع اللغة الفرنسية محلها كأداة لغوية لكي تسهل عليه المعاملات والاتصال مع السكان والشعب والتسفير عليهم، فقام على الفور بشن حملة عشوائية على اللغة العربية وعلى كل ما هو عربي حتى وصل الأمر إلي أن الشعب الجزائري بأكثرية الساحقة أصبح يجهل اللغة العربية جهلا كاملا ولا يعرف البعض حتى النطق بها، هكذا تخلقت الجزائر في جميع مجالات الحياة بما فيها الأدب.

وبالرغم من كل ذلك ظهرت بعض المحاولات الروائية العربية إبان الاحتلال الفرنسي وبعده في الستينات بشكل قصصي وكان أصحابها يتحسسون مسالك النوع الروائي دون أن يمتلكوا القدر الكافي من الوعي النظري بشروط ممارسة ولذلك تمتاز تلك الأعمال الروائية كلها بالضعف اللغوي والفني والسذاجة وفقدان الشروط الفنية وعدم الاهتمام برسم الشخوص الروائية وتحليلها ، لكن مع كل ذلك قد لعبت تلك المحاولات الروائية الأولى دورا أساسيا في تطوير الفن القصصي والروائي في الأدب الجزائري .

أما فترة السبعينات من القرن العشرين فهي تعتبر فترة التطور والنضج والقفزة الحقيقية للنهوض بالفن الروائي في الجزائر إذ أنها شهدت التغيرات الاجتماعية والتحويلات السياسية ، وتأسست مراكز التعليم الأساسية في كافة أرجاء البلاد التي مهدت السبيل لظهور الكليات والجامعات ودور العلم والمعرفة وحركة الترجمة من الآداب الغربية وانتشرت المطابع والصحف والمجلات التي ساعدت في تثقيف الظروف وإصلاح الأوضاع الاجتماعية وإرساء دعائم النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر وأدت هذه التحويلات الثقافية والاجتماعية إلى تحولات فنية في مسيرة الرواية، فأخذت الرواية العربية الجزائرية تطورا وتنوعا لم تعرف له مثيلا من قبل. وفي هذه الفترة برز عدد كبير من الكتاب البارعين ذوي المواهب والقدرات الفنية الناضجة والتقنيات السردية - منهم عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار وعبد الملك بن مرتاض ومحمد منيع وأمثالهم كثيرون - الذين قد رصدوا هذه التحويلات والتغيرات

الاجتماعية الفكرية وأوصلوا الرواية العربية الجزائرية من البدايات المتواضعة إلى مرحلة النضج الفني.

ثم توالى الأعمال الروائية وازدهرت في كمية ونوعية على طريق الارتقاء الفني وبلغت ذروة الكمال في نضجها وازدهارها من الناحية الفنية على أيدي كتاب الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين ومنهم واسيني الأعرج ورشيد بوجدره و مرزاق بقطاش وأحلام مستغانمي و بشير مفتي و الحبيب السائح وغيرهم. وظهرت محاولات إبداعية جيدة في هذه الفترة وقطعت أشواطاً مهمة من ناحية الإنتاج الروائي وتطور البناء الفني وتنوع الاتجاهات في معالجة القضايا الاجتماعية على نطاق واسع وكانت التجربة الروائية لكتاب الجزائريين بهذه الفترة نتيجة للتحويلات التي حدثت في المجتمع الجزائري بسبب الاستقلال.

والجدير بالملاحظة هنا أن الأدب الجزائري الحديث هو أدب ثوري عايش الثورة بكل أبعادها ومفاهيمها، فالرواية الجزائرية التي قد صبغت بصبغة ثورية خاصة بالثورة التحريرية وتركز على الثورة وأحداثها وتناقش كل مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية منها الثورة التحريرية والزراعية والاشتراكية ، وإضافة إلى ذلك نجد أن النزعة السياسية تغلب وتسيطر عليها في كافة مراحل المسيرة الروائية، والحضور الصوفي يحتل مكانة مرموقة في الرواية العربية الجزائرية.

علاوة على ذلك اتضح لنا خلال الدراسة أن الألوان والاتجاهات المتعددة التي كتب فيها الروائيون الجزائريون من ناحية البناء الفني والتشكلي هي تشتمل على الاتجاه الإصلاحية و الاتجاه الرومانتيكي والاتجاه الواقعي النقدي والاتجاه الواقعي الاشتراكي، والموضوعات التي تناولتها معظم الأعمال الروائية الجزائرية في المراحل المختلفة هي أقرب إلى المجتمع وأكبر تركيزاً على الواقع المعاش وأكثر التصاقاً بالهموم والقضايا المرتبطة بالبيئة الاجتماعية المحلية والثقافية والفكرية وتحولاتها في البلاد قبل الثورة وأثناءها وبعد الاستقلال.

فالأعمال الروائية التي ظهرت قبل الاستقلال الجزائري فأغلبها تعالج قضايا المرأة والقضايا

الاجتماعية والثقافية والعاطفية والثورة المسلحة على العموم وتهتم هذه الروايات الطقوس القديمة والتقاليد البالية التي كانت مسيطرة على المجتمع الجزائري. أما الروايات التي صدرت بعد الاستقلال في السبعينات والثمانيات فأكثرها تحاول أن تتناول مرحلة الثورة المسلحة والتحريرية أو الزراعية أو الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عليها، وتعكس المرحلة التاريخية المؤيدة للثورة الزراعية و تصور التناقضات والصراع والتضارب بين المصالح في المجتمع الجزائري. وأما التجارب الروائية التي كتبت خلال " العشرية السوداء " من عام 1992م إلى 2002م فهي تعرف ب"أدب المحنة" وأكثرها تعالج موضوعات العنف والحرب في مختلف المراحل التاريخية وتحاول أن تعكس ما يتعرض له المجتمع من قضايا العنف والإرهاب وموضوع الأزمة وآثارها التي تعرض لها المجتمع الجزائري بصيغة فنية .

أما بالنسبة للطاهر وطار فهو يعد واحدا من أعلام الثقافة الجزائرية المعاصرة إذ هو يعتبر من مؤسسي ورواد الرواية العربية الجزائرية بفضل ما ساهم في تأسيسها وإغنائها بتقديم التجارب الروائية الرائعة، ولد الطاهر وطار في الخامس عشر من شهر أغسطس عام 1936م بقرية " امداوروش" في الجزائر وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية بمدرسة "مداوروش" التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ثم التحق بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس في قسنطينة عام 1952م، حيث اطلع على الأدب العربي فعكف عليه وقرأ كل ما وصل إليه من الكتب الأدبية من الكتاب البارعين، ومع بداية الثورة الجزائرية في 1954م سئحت له فرصة بالالتحاق بجامعة الزيتونية في تونس ولكنه بعد نحو عامين انقطع عن الدراسة وغادر قبل أن ينال أية شهادة.

وبعد ذلك انخرط الطاهر وطار في عمل الصحافة وأصدر من قسنطينة جريدة باسم " الأحرار" و جريدة أخرى باسم " الجماهير" بمدينة الجزائر العاصمة في عام 1963م ، وفي هذه الفترة التحق بحزب جبهة التحرير الوطني عضوا في اللجنة الوطنية للإعلام، وعمل مراقبا وطنيا حتى أحيل إلى التقاعد وفي ذلك الحين كان عمره سبعة وأربعين عاما فقط ، وقام وطار بتأسيس الجمعية الثقافية الجاحظية الشهيرة عام 1989م لنشر الثقافة والدفاع عن اللغة العربية مع مجموعة من الكتاب والأدباء و كرس حياته كلها وبذل ما في وسعه لتطوير الجمعية "الجاحظية" الثقافية

ونال عدة جوائز أدبية منها جائزة الشارقة لخدمة الثقافة العربية لعام 2005م وجائزة الرواية لمؤسسة سلطان العويس الثقافية في العام 2009م ، وتوفي الطاهر وطار 13 أغسطس عام 2010م

وقام الكاتب الطاهر وطار بتأليف عدة كتب ذات قيمة كبيرة في موضوعات وفنون مختلفة من القصة القصيرة والرواية والمسرحية والسيرة الذاتية، فله ثلاث مجموعات قصصية وهي " دخان من قلبي" التي تشتمل على ثماني قصص قصيرة كتبها خلال حرب التحرير الجزائرية (1954 - 1962) وقد حولت قصة " نوة " من هذه المجموعة إلى السينما من إنتاج التلفزة الجزائرية ونالت عدة جوائز وطنية وغربية خاصة، والمجموعة الثانية وهي "الطعنات" التي تحتوي على إحدى عشرة قصة قصيرة أنجزها بين عام 1960م إلى 1969م وهي تعد أطول مجموعة قصصية في الجزائر بعدد قصصها ، والمجموعة الثالثة وهي " الشهداء يعودون هذا الأسبوع" التي تضم سبع قصص وتعد هذه المجموعة من أهم أعماله القصصية خاصة "قصة الزنجية والضابط " وقصة "الشهداء يعودون هذا الأسبوع " التي نالت شيوعا واسعا عندما حولت إلى مسرحية وحصلت على الجائزة الأولى في مهرجان قرطاج بتونس عام 1978م .

وعلاوة على ذلك كتب الطاهر وطار مسرحيتين منها "على الضفة الأخرى" والثانية " الهارب" وألف سيرته الذاتية والإبداعية تحت عنوان "أراه" التي أثارت كثيرا من الجدل في أوساط المثقفين الجزائريين لجرأته النادرة ومواقفه الحاسمة في طرح مذكراته على خلفية قناعاته ورؤيته الشخصية لعدد من التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية العسيرة التي عاشتها الجزائر في العقدين الأخيرين .

أما أعماله الروائية التي تعتبر قمة الإبداع في سيرة الطاهر وطار فهي إحدى عشرة رواية منها: رواية "اللاز" التي ظهرت عام 1974م ورواية "الزلال" عام 1974م، و" الحوات والقصر" عام 1975م ، و"عرس بغل" عام 1978م ، و"العشق والموت في زمن الحراشي" عام 1982م، و "تجربة في العشق" لعام 1989م و"ورمانه" سنة 1981م ، و "الشمعة والداهليز" سنة

1995م، و رواية "الولي الطاهر يعود على مقامه الزكي" في عام 1999م، ورواية "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" في عام 2005م، و"قصيد في التذلل" 2010م.

ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الروايات للطاهر وطار تعد من أنضج التجارب الروائية الجزائرية العربية التي ظهرت في الجزائر وهي بمثابة مرآة تعكس فيها صورة الجزائر وتناقش كل مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية منها الثورة التحريرية والزراعية والاشتراكية والآثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على هذه الثورة، وتقدم مسألة الإقطاع وقضية التأميم الاشتراكي للأراضي الزراعية كما تتناول القضايا الاجتماعية الملحة وقضايا المرأة و الجوع والمرض والثقافة والديمقراطية والسكن والمرأة والتخلف والظلم والعنف عبر العالم وهذه هي المحاور الرئيسية التي تدور حولها أكثر روايات الطاهر وطار.

واعتنى الطاهر في رواياته عناية كبيرة بالأسلوب واستخدم له جميع الوسائل الفنية الممكنة ، فأسلوبه يمتاز بالبساطة والسهولة والصرامة والوضوح وسلامة التعبير ويعتمد الطاهر وطار على مختلف التقنيات السردية و الأساليب المتنوعة ولا يميل إلى الرمزية إلا نادرا، ويضاف إلى هذا كله قدرة المؤلف الفائقة التي تتجلى في دقة التصوير وبراعة التعبير وروعة التحليل في رواياته بدقة متناهية ويهتم الطاهر وطار باللغة بدرجة كبيرة ، وإضافة إلى ذلك وجدنا أن الطاهر وطار هو كاتب موقف وفكرة بالدرجة الأولى فالطابع الفكري والأيدولوجي يغلب على أكثر أعماله الروائية ، ويركز عنايته الكاملة على الفكرة في حين يريد أن ينقلها بكل وضوح بدون أية صنعة ولذلك أحيانا نرى أنه لا يهتم بالأسلوب واللغة حق الاهتمام.

وبالإضافة إلى ذلك وجدنا أن الطاهر وطار يستخدم بعض الأحيان عبارات وجمل شعبية بمواقف مختلفة في رواياته فيصعب فهمها على القارئ غير العرب علاوة على ذلك نرى أن رواياته التي صدرت في آخر أيامه لا نجد فيها الوضوح والصلابة والتماسك على المستوى الفني وهي رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي و" الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء " و"قصيد في التذلل" وأيضا يفتقد بعض أعمال الطاهر وطار الأخيرة ما يميز معظم أعماله

السابقة من وضوح الرؤية بالمقارنة مع مستواه الفكري وتماسكه بالمستوى الفني. وبغض النظر عن هذا ظهر لنا أن الحضور الصوفي يحتل مكانا مرموقا في أكثر روايات الطاهر وطار، ويبلغ العشق الصوفي أعلى درجات اشتعاله وسطوعه خاصة في رواية " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" و "تجربة في العشق" و " الولي الطاهر يدعو إلى مقامه الزكي" وفي ضوء هذا إذا قلنا بأن هذه الروايات مليئة بالإشارات الصوفية ومكسوة بمزركشات صوفية فهذا القول ليس من المبالغة، و أيضا قد تبين لنا من خلال دراسة هذه الروايات أنها عبارة عن شطحة تستعير الشطحات الصوفية وتعالج بها الإشكاليات المطروحة، فبهذا السبب يجد القارئ الذي ليس له ثقافة واسعة في مجال التصوف صعوبة في فهمها.

وعلى كل حال فإن روايات الطاهر وطار لا تقل أهمية رغما مع بساطة أسلوبها ومباشرتها البيانية بعض الأحيان واحتوائها على الاصطلاحات والشطحات الصوفية الصعبة، بل تمتاز معظم أعماله الروائية إلى حد كبير بالوضوح والسهولة وسلامة التعبير والأسلوب الفني السلس الناعم ومن هنا تعد من إحدى الركائز الأساسية في تاريخ الرواية العربية بالجزائر، وتتمتع بشهرة واسعة على الصعيد العالمي كما هي تحظى حظيت باهتمام كبير من النقاد والدارسين والباحثين في المجتمعات المثقفة وبفضلها يحتل الطاهر وطار مكانة مرموقة في الأدب العربي.

هذه هي النقاط البارزة والنتائج الهامة التي وصلت إليها خلال هذا البحث واعتمدت عليها في إعداد وانجاز هذه الرسالة المتواضعة.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

1. أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى - المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م
2. بشير مفتي: دمية النار -الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2012م
3. بشير مفتي: أشجار القيامة -الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2005م
4. رشيد بوجدرة: ألف وعام من الحنين - المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1984
5. رشيد بوجدرة: المرث - المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994م
6. رشيد بوجدرة: الإنكار - المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1984م
7. سمير قسيمي: الحالم- الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2010م
8. الطاهر وطار: اللاز - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، دار ابن رشد ، الجزائر ،1983م.
9. الطاهر وطار: تجربة في العشق- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ،1989م.
10. الطاهر وطار: الحوات والقصر- المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1984م.
11. الطاهر وطار: رمانة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981م.
12. الطاهر وطار: الزلزال - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980م.
13. الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز- موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر2004م.
14. الطاهر وطار :العشق والموت في الزمن الحراشي - دار ابن رشد ، بيروت ، 1980م.
15. الطاهر وطار: عرس بغل- دار ابن رشد ، بيروت ، لبنان، 1987م.
16. الطاهر وطار: قصيد في التذلل- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 2009 م.
17. الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي- الجاحظية، الجزائر، ، 1999م.
18. الطاهر وطار: الولي الطاهر يرفع يده بالدعاء - موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر2005م.
19. الطاهر وطار: أراه - دار الحكمة في الجزائر، 2026م.

20. الطاهر وطار: دخان من قلبي- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1969م
21. الطاهر وطار:شهداء يعودون هذا الأسبوع - دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1974م
22. الطاهر وطار:طعنات - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1969م
23. الطاهر وطار:الهارب - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969م.
24. عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب - دارا القصة للنشر عام 2012م.
25. عبد الحميد بن هدوقة :نهاية الأمس - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.
26. عبد الحميد بن هدوقة: الجازية والدرأويش - المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1983م.
27. عبد المجيد الشافعي: الطالب المنكوب - دار الكتب العربية، تونس ، 1957م.
28. عرار محمد العالي: الطموح - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر.
29. عرار محمد العالي : مالا تذروح الرياح- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، عام1973م .
30. فضيلة الفاروق: اكتشاف الشهوة- رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2005م.
31. فضيلة الفاروق: تاء الخجل - رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2003م.
32. مرزاق بقطاش : طيور في الظهيرة - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1976م.
33. مستغامي أحلام : ذاكرة الجسد - دار الآداب بيروت، 2000م.
34. مستغامي أحلام: فوضى الحواس - دار الآداب بيروت، 2004م.
35. مستغامي أحلام:الأسود يليق - نوفل، هاشيت أنطوان، بيروت،2012م.
36. محمد منيع: صوت الغرام - دارالبعث، قسنطينة ، الجزائر، 1967م.
37. نور الدين بوجدره: الحريق - الشركة التونسية للفنون والرسم، تونس ، 1957م.
38. واسني الأعرج: نوار اللوز- دار الحداثة، الحمراء ، بيروت، 1983م.
39. واسني الأعرج: البيت الأندلسي - منشورات الجمل، بيروت، 2010م.
40. واسني الأعرج : كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد - دار الآداب، بيروت، 2005م.
41. ياسمينة خضرا: سنونات كابل- دار الفارابي بيروت، لبنان،2007م.

المراجع العربية

1. أمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية - دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2011 م .
2. أحمد دوغان : في الأدب الجزائري الحديث - منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق ، 1996م.
3. أحمد دوغان: شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1989م
4. أحمد شريط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية - منشورات اتحاد الكتاب، الجزائر 1983م.
5. أحمد درويش: في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري - مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000م.
6. أحمد محمد عطية: الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية - مكتبة مذبولي، القاهرة، 1981م.
7. برونو إتيين: عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري- الجزائر، المؤسسة الوطنية، للإتصال والنشر والإشهار، 2001م.
8. بوزيبة إدريس، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار- دراسة نقدية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، سنة2000.
9. توفيق المدني: هذه هي الجزائر- مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة.2001م.
10. جورج طرابيشي: عقدة أوديب في الرواية العربية - دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1982م
11. حاتم رشيد: الأزمة الجزائرية إلى أين - مركز الأردن الجديد للدراسات ، عمان، الأردن 1999م
12. حسن عبد الله : الريف في الرواية العربية - وزارة الثقافة الفنون والآداب، الكويت، 1989م.
13. حلیم ميشال حداد :قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم - تونس والجزائر، بالجزائر 1999م.
14. حمدي السكوت: الرواية العربية الحديثة - (ببليوجرافيا ومدخل نقدي) مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1998م.
15. خالد عمر بن فقه: أيام الفرع في الجزائر - مركز الحضارة العربية ،للقاهرة، 1998م.
16. رفيق العجم: مصطلحات التصوف الإسلامي- مكتبة لبنان ،بيروت، 1999م .
17. سعد الله أبو القاسم:أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر- دارالغرب الإسلامي، بيروت ، 1996.
18. سعد اللهأبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية - دارالغرب الإسلامي بيروت ،لبنان، 1992م.
19. سعد اللهأبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1976

20. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي - دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان، 1998م
21. سعيد سلام: التناسل التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجا - عالم الكتب الحديث ،الأرن، 2010م
22. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- دار الكتاب العربي، بيروت سنة النشر، 1407هـ - 1987م.
23. الشريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس - طبع في مدينة ليدن المحروسة ، بمطبع بريل، 1843م
24. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والإمارات ،دار المعارف ،القاهرة، 1995م
25. صالح خرفي: المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983
26. صالح مفقودة: أبحاث في الرواية العربية - دار الهدى ، الجزائر، 2008م
27. صالح مفقودة: المرأة في الرواية العربية - وزارة الثقافة، الجزائر، 2008م
28. عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر - مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت، لبنان، 1980م
29. عائشة بنت ساعد: البعد الروحي لمقاومة عبد القادر الجزائري- جامعة الجزائر، 2004م
30. عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري- ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،
31. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: تاريخ ابن خلدون- مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
32. عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث - الدار العربية للكتاب، ليبيا، 2009م.
33. عبد الله عمر: النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار- المملكة الأردنية الهاشمية، 2008
34. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد - دار الصحوة للنشر والتوزيع ،للقاهرة، 1991م
35. عبد الرزاق بن السبع: الأمير عبدالقادر الجزائري وأدبه- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت. 2000م
36. عبد القادر فاروق: من أوراق نهاية القرن - غروب الشمس، الدار الثقافية للنشر بالقاهرة، 2002م
37. عبد النبي الجزائري: حاوي الأقوال في معرفة الرجال - الهداية لإحياء التراث الجزائر 1318 هـ
38. عثمان عبد الفتاح: الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع- الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م
39. علاوة كوسة : أوراق نقدية في الأدب الجزائري- رمادة - سطيف بالجزائر، 2013م
40. علي الراعي: المسرح في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، بالكويت، 1978م
41. علي الملاح: هكذا تكلم الطاهر وطار- وزارة الثقافة ، الجزائر، 2011م
42. عمر بن قينة: الخطاب القومي الثقافة الجزائرية- اتحاد الكتاب، 1999م

43. عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث- ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية ، الجزائر،1995م
44. عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر- دار ربحانة للنشر والتوزيع ، 2002م
45. عوض لينة: تجربة الطاهر وطار الروائية- أمانة عمان الكبرى، عمان، 2004
46. غازي حيدوسي: الجزائر التحرير الناقص- دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1997م
47. كامبل روبرت: أعلام الأدب العربي المعاصر- المجلد الثاني، دار النشر فرانتش، بيروت 1996م
48. محمد زيتون :المسلمون في المغرب والأندلس- الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية،1990م
49. مالك بن نبي: في مهب المعركة - دار الفكر ، دمشق سوريه 1992م
50. مالك بن نبي: القضايا الكبرى - دار الفكر ، دمشق سوريه 1991م
51. مبارك بن محمد المليي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث - مكتبة النهضة الجزائرية، 1964م
52. مجدوبي عثمان: تاريخ الدب العربي الحديث و المعاصر في الجزائر- طبع بالجزائر،2008م
53. محمد بن الأمير عبدالقادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر وتاريخ الجزائر- دمشق 1964م
54. محمد العربي الزبيدي: تاريخ الجزائر المعاصر- منشورات اتحاد الكتاب العرب -دمشق، 1999م
55. مجدوبي عثمان: تاريخ الدب العربي الحديث و المعاصر في الجزائر- طبع بالجزائر،2008م
56. مخلوف عامر: الرواية والتحوّلات في الجزائر(دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب،2000.
57. مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية- بحث في تقنية السرد، الكويت، مطاع الرسالة، 1998.
58. مرتاض عبد الملك: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1983م
59. مرتاض عبد الملك: فنون النثر الأدبي في الجزائر- (1931-1954) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1983م
60. مصايف محمد: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام- الدار العربية للكتاب، المغرب، 1983م
61. مصايف محمد: النثر الجزائري الحديث- المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م
62. مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية- دار القصة للنشر، 1999م
63. منال عبد المنعم جاد الله : التصوف في مصر والمغرب- منشأة المعارف بالإسكندرية.1997م
64. نور سلمان : الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتغيير-دار الأصالة للنشر والتوزيع 2009م.

65. ناصر الدين سعيدوني:عصر الأمير عبد القادر الجزائري- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000م

66. واسيني الأعرج :الطاهروطار تجربة الكتابة الواقعية،الرواية نموذجاً- المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م

67. واسيني الأعرج :اتجاهات الرواية العربية في الجزائر-المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م

68. يحي أبو زكريا:الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر- مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت 1993

69. يحي أبو زكريا: الجزائر من أحمد بن بلة وإلى عبد العزيز بوتفليقة – الجزائر 2003م

70. ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان – دار صادر بيروت 1977م،

71. يحي أبو عزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة- دار الغرب الإسلامي بيروت، 1995م

الرسائل الجامعية:

1. أمانة بلهاشمي: الرمز في الأدب الجزائري الحديث – رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر، الجزائر 2010م.

2. بوضروة زهرة: بين الاتباع ولابداع – رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن علي، الجزائر، 2007

3. حامدي سامية: شعرية النص الروائي في رواية ذاكرة الجسد – رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008م.

4. حسين بن مشيش: أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث – رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2008م.

5. سلمى محمود: الثورة الجزائرية في روايات الطاهر وطار – رسالة ماجستير، الجامعة الأميركية بيروت، 2000م.

6. سليم بتقة: الريف في الرواية الجزائرية – رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010م.

7. سليمان فاطمة: الشخصية التاريخية في الرواية الجزائرية-رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر 2012م

8. عبد الرزاق: الرؤية التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة- رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013م.

9. فريد حلمي: سيمائية العنوان في الرواية الجزائرية المعاصرة- رسالة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010م.

10. فتيحة حسيني: التناس في رواية الشمعة والدهاليز – رسالة الماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2002م

11. لطيفة قرور: هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار—رسالة ماجستير ، جامعة قسنطينة 2010م.
12. نجوي منصوري: الموروث السردي في الرواية الجزائرية - رسالة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012م.

الجرائد والمجلات:

- 1- مجلة " الثقافة الجديدة" العدد 11-12، أكتوبر 1981م.
- 2- مجلة " الجيل " العدد 6، أبريل 1988 م .
- 3- جريدة " الجمهورية الأسبوعية" العدد 23، 27 سبتمبر 1989م.
- 4- جريدة " جزايرس " 11 مارس 2010م.
- 5- مجلة " الحياة الثقافية " العدد 5315، أغسطس 2010 م.
- 6- جريدة " السلام " العدد 1334، 61 مارس 1996م.
- 7- جريدة " القدس العربي " العدد 6589، 15 أغسطس 2010 م.
- 8- جريدة " النصر " 19 فبراير 1989م.
- 9- جريدة " المساء " الجزائر، 29 أكتوبر 1993م.
- 10-مجلة " المخبر " العدد السادس ، 2010م.

المراجع الإنكليزية:

- I. -Encyclopedia of Islam and Muslim world Volume-1 Macmillan Reference U.S.A.2004
- II. Encyclopedia of Britnnica Volume-1,15th Edition, Chicago.1982
- III. Collier's Encyclopedia- Volume-1, Macmillan Educational Company, New York.1987
- IV. Encyclopedia of Democracy- Volume-1, Routledge, London.1985
- V. International Encyclopedia of Educatin- Volume-1, Pergamon Press, New York.1995

محتويات البحث

1	المقدمة:
	الباب الأول: خلفية سياسية واجتماعية وثقافية للجزائر خلال القرن العشرين.
11	الفصل الأول: لمحة تاريخية عن الجزائر.
26	الفصل الثاني: الأوضاع السياسية والاجتماعية.
39	الفصل الثالث: الأحوال الثقافية والأدبية.
	الباب الثاني: الرواية العربية نشأتها وتطورها في الجزائر.
64	الفصل الأول: نشأة الرواية العربية وتطورها في الجزائر.
90	الفصل الثاني: الاتجاهات والقضايا للرواية العربية الجزائرية.
107	الفصل الثالث: الأعلام البارزة للرواية العربية في الجزائر.
	الباب الثالث: دراسة تحليلية لبعض أشهر الروايات العربية الجزائرية المنتخبة
129	الفصل الأول: رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة.
140	الفصل الثاني: رواية "طيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش.
153	الفصل الثالث: رواية "ألف و عام من الحنين" لرشيد بوجدره.
163	الفصل الرابع: رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي.
172	الفصل الخامس: رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج.
	الباب الرابع: الطاهر وطار و مساهماته في الرواية العربية.
185	الفصل الأول: الطاهر وطار وحياته العلمية و الثقافية.
198	الفصل الثاني: دراسة تحليلية في روايات الطاهر وطار.
315	الفصل الثالث: التقييم الأدبي لروايات الطاهر وطار.
333	خلاصة البحث:
341	قائمة المصادر والمراجع:
348	محتويات البحث:

**Arabic Novel in Algeria with special focus
on Al-Taher Wattar's Novels**
(An Analytical Study)

*Thesis Submitted to Jawaharlal Nehru University
in Partial Fulfillment of the Requirements for the Award of Degree of*
Doctor of Philosophy

Submitted by

Faizan Arif

Under the Supervision of

Prof. Md. Aslam Islahi



**Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature & Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067**

2016